## تفسير سورة عم

وتسمى سورة النبأ . وهى أربعون آية . وقيل : إحدى وأربعون آية . وهى مكية عند الجميع . وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس قال : نزلت ﴿عم يتساءلون﴾ بمكة . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله .

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلاَّ سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١) وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠) إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا (٢٤) إِلاَّ حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦) إِنَّهُمْ كَانُوا لا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلاَّ عَذَابًا(٣٠)﴾ .

قوله : ﴿عم يتساءلون﴾ أصله : عن ما ، فأدغمت النون فى الميم ، لأن الميم تشاركها فى الغنّة ، كذا قال الزجاج ، وحذفت الألف ليتميز الخبر عن الاستفهام ، وكذلك فيم وممّ ونحو ذلك ، والمعنى : عن أى شىء يسأل بعضهم بعضا . قرأ الجمهور : ﴿عم﴾ بحذف الألف لما ذكرنا ، وقرأ أبى وابن مسعود وعكرمة وعيسى بإثباتها ومنه قول الشاعر :

علاما قام يشتمنى لئيم  كخنزير تمرغ فى دمان

ولكنه قليل لا يجوز إلا للضرورة ، وقرأ البزى بهاء السكت عوضا عن الألف وروى ذلك عن ابن كثير . قال الزجاج: اللفظ لفظ استفهام ، والمعنى : تفخيم القصة كما تقول : أى شىء تريد : إذا عظمت شأنه . قال الواحدى : قال المفسرون : لما بعث رسول الله ﷺ وأخبرهم بتوحيد الله والبعث بعد الموت وتلا عليهم القرآن ، جعلوا يتساءلون بينهم يقولون : ماذا جاء به محمد وما الذى أتى به ؟ فأنزل الله : ﴿عم يتساءلون﴾ قال الفرّاء : التساؤل :

هو أن يسأل بعضهم بعضا كالتقابل ، وقد يستعمل أيضا فى أن يتحدثوا به وإن لم يكن بينهم سؤال قال اللّه تعالى : ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ [ الطور : ٢٥]. ﴿ قال قائل منهم إنى كان لى قرين ﴾ الآية [الصافات : ٥١] وهذا يدل على أنه التحدث، ولفظ « ما » موضوع لطلب حقائق الأشياء وذلك يقتضى كون المطلوب مجهولا فجعل الشىء العظيم الذى يعجز العقل عن أن يحيط بكنهه كأنه مجهول ، ولهذا جاء سبحانه بلفظ « ما » .

ثم ذكر سبحانه تساؤلهم عن ماذا ، وبينه فقال : ﴿ **عن النبأ العظيم** ﴾ فأورده سبحانه أوّلا على طريقة الاستفهام مبهما لتتوجه إليه أذهانهم وتلتفت إليه أفهامهم ، ثم بينه بما يفيد تعظيمه وتفخيمه كأنه قيل : عن أى شىء يتساءلون هل أخبركم به ؟ ثم قيل بطريق الجواب : ﴿ **عن النبأ العظيم** ﴾ على منهاج قوله : ﴿ لمن الملك اليوم للّه الواحد القهار ﴾ [غافر: ١٦ ] فالجار والمجرور متعلق بالفعل الذى قبله ، أو بما يدّل عليه . قال ابن عطية : قال أكثر النحاة : عن النبأ العظيم متعلق بـ ﴿ **يتساءلون** ﴾ الظاهر ، كأنه قال : لم يتساءلون عن النبأ العظيم ؟ وقيل : ليس بمتعلق بالفعل المذكور ، لأنه كان يلزم دخول حرف الاستفهام فيكون التقدير أعن النبأ العظيم ؟ فلزم أن يتعلق بـ ﴿ **يتساءلون** ﴾ آخر مقدّر وإنما كان ذلك النبأ ، أى القرآن عظيما ؛ لأنه ينبئ عن التوحيد وتصديق الرسول ووقوع البعث والنشور. قال الضحاك: يعنى : نبأ يوم القيامة ، وكذا قال قتادة .

وقد استدل على أن النبأ العظيم هو القرآن بقوله : ﴿ **الذى هم فيه مختلفون** ﴾ فإنهم اختلفوا فى القرآن فجعله بعضهم سحرًا وبعضهم شعرا وبعضهم كهانة وبعضهم قال : هو أساطير الأولين ، وأما البعث فقد اتفق الكفار إذ ذاك على إنكاره ، ويمكن أن يقال : إنه قد وقع الاختلاف فى البعث فى الجملة ، فصدق به المؤمنون وكذب به الكافرون ، فقد وقع الاختلاف فيه من هذه الحيثية ، وإن لم يقع الاختلاف فيه بين الكفار أنفسهم على التسليم والتنزل ، ومما يدل على أنه القرآن قوله سبحانه : ﴿ قل هو نبأ عظيم . أنتم عنه معرضون﴾ [ص : ٦٧، ٦٨ ] ومما يدل على أنه البعث أنه أكثر ما كان يستنكره المشركون وتأباه عقولهم السخيفة ، وأيضا فطوائف الكفار قد وقع الاختلاف بينهم فى البعث، فأثبت النصارى المعاد الروحانى ، وأثبتت طائفة من اليهود المعاد الجسمانى ، وفى التوراة التصريح بلفظ الجنة باللغة العبرانية بلفظ « جنعيذا» بجيم مفتوحة ثم نون ساكنة ثم عين مكسورة مهملة ثم تحتية ساكنة ثم ذال معجمة بعدها ألف . وفى الإنجيل فى مواضع كثيرة التصريح بالمعاد ، وأنه يكون فيه النعيم للمطيعين والعذاب للعاصين وقد كانت بعض طوائف كفار العرب ينكر المعاد، كما حكى اللّه عنهم بقوله : ﴿ إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما نحن بمبعوثين ﴾ [ المؤمنون : ٣٧ ] وكانت طائفة منهم غير جازمة بنفيه ، بل شاكة فيه . كما حكى اللّه عنهم بقوله : ﴿ إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين ﴾ [ الجاثية : ٣٢ ] وما حكاه عنهم بقوله : ﴿ وما أظن الساعة قائمة ولئن رجعت إلى ربى إن لى عنده للحسنى ﴾ [ فصلت : ٥٠ ] فقد حصل الاختلاف بين

طوائف الكفر على هذه الصفة ، قد قيل : إن الضمير فى قوله : ﴿ **يتساءلون** ﴾ يرجع إلى المؤمنين والكفار لأنهم جميعا كانوا يتساءلون عنه ، فأما المسلم فيزداد يقينا واستعدادا وبصيرة فى دينه ، وأما الكافر فاستهزاء وسخرية . قال الرازى : ويحتمل أنهم يسألون الرسول ويقولون: ما هذا الذى يعدنا به من أمر الآخرة ، والموصول فى محل جرّ صفة للنبأ بعد وصفه بكونه عظيما فهو متصف بالعظم ومتصف بوقوع الاختلاف فيه .

﴿ **كلا سيعلمون** ﴾ ردع لهم وزجر ، وهذا يدل على أن المختلفين فيه هم الكفار ، وبه يندفع ما قيل : إن الخلاف بينهم وبين المؤمنين ، فإنه يتوجه الردع والوعيد إلى الكفار فقط ، وقيل: كلا بمعنى: حقا ، ثم كرر الردع والزجر فقال : ﴿ **ثم كلا سيعلمون**﴾ للمبالغة فى التأكيد والتشديد فى الوعيد . قرأ الجمهور بالياء التحتية فى الفعلين على الغيبة . وقرأ الحسن وأبو العالية وابن دينار وابن عامر فى رواية عنه بالفوقية على الخطاب ، وقرأ الضحاك الأوّل بالفوقية والثانى بالتحتية. قال الضحاك أيضا : ﴿**كلا سيعلمون** ﴾ يعنى : الكافرين عاقبة تكذيبهم . ﴿ **ثم كلا سيعلمون** ﴾ يعنى : المؤمنين عاقبة تصديقهم . وقيل: بالعكس .وقيل : هو وعيد بعده وعيد . وقيل : المعنى: ﴿ **كلا سيعلمون** ﴾ عند النزع ، ﴿ **ثم كلا سيعلمون** ﴾ عند البعث .

ثم ذكر سبحانه بديع صنعه ، وعظيم قدرته ليعرفوا توحيده ، ويؤمنوا بما جاء به رسوله فقال : ﴿ **ألم نجعل الأرض مهادا . والجبال أوتادا** ﴾ أى قدرتنا على هذه الأمور المذكورة أعظم من قدرتنا على الإعادة بالبعث ،والمهاد: الوطاء والفراش كما فى قوله: ﴿ الذى جعل لكم الأرض فراشا ﴾ [ البقرة : ٢٢ ] قرأ الجمهور : ﴿مهادا﴾ وقرأ مجاهد وعيسى وبعض الكوفيين: «مهدا» والمعنى : أنها كالمهد للصبىّ وهو ما يمهد له فينوم عليه ، والأوتاد جمع وتد ، أى جعلنا الجبال أوتادًا للأرض لتسكن ولا تتحرك كما يرسى الخيام بالأوتاد ، وفى هذا دليل على أن التساؤل الكائن بينهم هو عن أمر البعث، لا عن القرآن ، ولا عن نبوة محمد ﷺ كما قيل ؛ لأن هذا الدليل إنما يصلح للاستدلال به على البعث ، ﴿ **وخلقناكم أزواجا** ﴾ معطوف على المضارع المنفى داخل فى حكمه ، فهو فى قوة أما خلقناكم ، والمراد بالأزواج هنا : الأصناف ، أى الذكور والإناث .وقيل : المراد بالأزواج : الألوان . وقيل : يدخل فى هذا كل زوج من المخلوقات من قبيح وحسن وطويل وقصير .﴿ **وجعلنا نومكم سباتا** ﴾ أى راحة لأبدانكم . قال الزجاج: السبات: أن ينقطع عن الحركة والروح فى بدنه ،أى جعلنا نومكم راحة لكم. قال ابن الأنبارى :جعلنا نومكم قطعا لأعمالكم ،لأن أصل السبت القطع.وقيل:أصله: التمدد ، يقال: سبتت المرأة شعرها : إذا حلته وأرسلته ، ورجل مسبوت الخلق ، أى ممدوده ، والرجل إذا أراد أن يستريح تمدّد ، فسمى النوم سباتا ، وقيل : المعنى : وجعلنا نومكم موتا ، والنوم أحد الموتتين ، فالمسبوت يشبه الميت ولكنه لم تفارقه الروح ، ومنه قول الشاعر :

ومطوية الأقراب أما نهارها ... فسبت وأما ليلها فذميل

ومن هذا قوله: ﴿ اللّه يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها ﴾ الآية [ الزمر: ٤٢ ] وقوله : ﴿ وهو الذى يتوفاكم بالليل ﴾ [ الأنعام : ٦٠ ] ﴿ **وجعلنا الليل لباسا** ﴾ أى نلبسكم ظلمته ونغشيكم بها كما يغشيكم اللباس . وقال سعيد بن جبير والسدّى : أى سكنا لكم . وقيل : المراد به : ما يستره عند النوم من اللحاف ونحوه ، وهو بعيد ؛ لأن الحبل وقع على الليل ، لا على ما يستتر به النائم عند نومه ﴿ **وجعلنا النهار معاشا** ﴾ أى وقت معاش ، والمعاش : العيش ، وكل شىء يعاش به فهو معاش ، والمعنى: أن اللّه جعل لهم النهار مضيئًا ليسعوا فيما يقوم به معاشهم وما قسمه اللّه لهم من الرزق . ﴿ **وبنينا فوقكم سبعا شدادا**﴾ يريد سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء ، ولهذا وصفها بالشدة وغلظ كلّ واحدة منها مسيرة خمسمائة عام ، كما ورد ذلك . ﴿ **وجعلنا سراجًا وهاجا** ﴾ المراد به : الشمس ، وجعل هنا بمعنى: خلق ، وهكذا قوله :﴿ **وجعلنا نومكم سباتا** ﴾ وما بعده ، لأن هذه الأفعال قد تعدّت إلى مفعولين فلابدّ من تضمينها معنى فعل يتعدّى إليهما كالخلق أو التصيير ونحو ذلك . وقيل: إن الجعل بمعنى الإنشاء والإبداع فى جميع المواضع ، والمراد به: الإنشاء التكوينى الذى بمعنى التقدير والتسوية . قال الزجاج : الوهاج : الوقاد وهوالذى وهج ، يقال: وهجت النار تهيج وهجا ووهاجا . قال مقاتل :جعل فيه نورا وحرّا ، والوهج يجمع النور والحرارة .

﴿ **وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا** ﴾ المعصرات : هى السحاب التى تنعصر بالماء ولم تمطر بعد ، كالمرأة المعتصرة التى قد دنا حيضها ، كذا قال سفيان والربيع وأبو العالية والضحاك. وقال مجاهد ومقاتل وقتادة والكلبى: هى الرياح ، والرياح تسمى معصرات ، يقال: أعصرت الريح تعصر إعصارا : إذا أثارت العجاج . قال الأزهرى : هى الرياح ذوات الأعاصير ، وذلك أن الرياح تستدر المطر . وقال الفراء : المعصرات : السحاب التى يتحلب منها المطر . قال النحاس : وهذه الأقوال صحاح : يقال للريح التى تأتى بالمطر : معصرات ، والرياح تلقح السحاب فيكون المطر ، ويجوز أن تكون هذه الأقوال قول واحد ، ويكون المعنى : وأنزلنا من ذوات المعصرات ماء ثجاجا . قال فى الصحاح : والمعصرات : السحاب تعتصر بالمطر وعصر القوم أى مطروا . قال المبرد : يقال : سحاب معصر ، أى ممسك للماء يعتصر منه شىء بعد شىء . وقال أبىّ بن كعب والحسن وابن جبير وزيد بن أسلم ومقاتل بن حيان : المعصرات: السموات . والثجاج : المنصب بكثرة على جهة التتابع ، يقال : ثج الماء ، أى سال بكثرة ، وثجه أى أساله . قال الزجاج : الثجاج : الصباب . قال ابن زيد : ثجاجا : كثيرا : ﴿ **لنخرج به حبا ونباتا** ﴾ أى لنخرج بذلك الماء حبا يقتات ، كالحنطة والشعير ونحوهما ، والنبات : ما تأكله الدواب من الحشيش وسائر النبات ،﴿ **وجنات ألفافا** ﴾أى بساتين ملتف بعضها ببعض لتشعب أغصانها، ولا واحد للألفاف كالأوزاع والأخياف . وقيل : واحدها لف بكسر اللام وضمها ، ذكره الكسائى ، وقال أبو عبيدة : واحدها لفيف كشريف وأشراف ، وروى عن الكسائى أنها جمع الجمع ، يقال: جنة لفاء ونبت لف، والجمع لف بضم

اللام مثل حمر ، ثم يجمع هذا الجمع على ألفاف . وقيل : هو جمع ملتفة بحذف الزوائد . قال الفرّاء : الجنة ما فيه النخيل ، والفردوس ما فيه الكرم .

﴿ **إن يوم الفصل كان ميقاتا** ﴾ أى وقتا ومجمعا وميعادا للأولين والآخرين يصلون فيه إلى ما وعدوا به من الثواب والعقاب، وسمى يوم الفصل ؛ لأن اللّه يفصل فيه بين خلقه ، وهذا شروع فى بيان ما يتساءلون عنه من البعث ، وقيل : معنى ﴿ **ميقاتا** ﴾ أنه حدّ توقت به الدنيا وتنتهى عنده . وقيل : حد للخلائق ينتهون إليه . ﴿ **يوم ينفخ فى الصور فتأتون أفواجا** ﴾ أى يوم ينفخ فى الصور ، وهو القرن الذى ينفخ فيه إسرافيل ، والمراد هنا : النفخة الثانية التى تكون للبعث ﴿**فتأتون** ﴾ أى إلى موضع العرض ﴿ **أفواجا** ﴾ أى زمرا زمرا وجماعات جماعات وهى جمع فوج ، وانتصاب ﴿ **يوم ينفخ** ﴾ على أنه بدل من يوم الفصل ، أو بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله وإن كان الفصل متأخرا عن النفخ ، ويجوز أن يكون منصوبا بإضمار أعنى ، وانتصاب ﴿ **أفواجا** ﴾ على الحال من فاعل تأتون . والفاء فى : ﴿**فتأتون** ﴾ فصيحة تدلّ على محذوف ، أى فتأتون إلى موضع العرض عقيب ذلك أفواجا .

﴿ **وفتحت السماء فكانت أبوابا** ﴾ معطوف على ينفخ ، وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الوقوع ، أى فتحت لنزول الملائكة ﴿ **فكانت أبوابا** ﴾ كما فى قوله : ﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ﴾ [الفرقان : ٢٥ ] وقيل : معنى ﴿**فتحت** ﴾ : قطعت فصارت قطعا كالأبواب . وقيل : أبوابها : طرقها . وقيل : تنحلّ وتتناثر حتى تصير فيها أبواب . وقيل : إن لكل عبد بابين فى السماء : باب لرزقه وباب لعمله ، فإذا قامت القيامة انفتحت الأبواب ، وظاهر قوله : ﴿ **فكانت أبوابا** ﴾ أنها صارت كلها أبوابا ، وليس المراد ذلك ؛ بل المراد : أنها صارت ذات أبواب كثيرة، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائى : ﴿ **فتحت** ﴾ مخففا ، وقرأ الباقون بالتشديد . ﴿**وسيرت الجبال فكانت سرابا** ﴾ أى سيرت عن أماكنها فى الهواء ، وقلعت عن مقارّها فكانت هباء منبثا يظن الناظر أنها سراب . والمعنى : أن الجبال صارت كلا شىء كما أن السراب يظن الناظر أنه ماء ، وليس بماء . وقيل : معنى : ﴿ **سيرت** ﴾ أنها نسفت من أصولها ، ومثل هذا قوله : ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب ﴾ [النمل : ٨٨ ] .

وقد ذكر سبحانه أحوال الجبال بوجوه مختلفة، ولكن الجمع بينها أن نقول: أول أحوالها : الاندكاك ، وهو قوله : ﴿ وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة ﴾ [ الحاقة : ١٤] وثانى أحوالها :أن تصير كالعهن المنفوش كما فى قوله:﴿ وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ [ القارعة: ٥ ] وثالث أحوالها : أن تصير كالهباء وهو قوله : ﴿ وبست الجبال بسا . فكانت هباء منبثًا﴾ [ الواقعة : ٥ ، ٦ ] ورابع أحوالها : أن تنسف وتحملها الرياح كما فى قوله : ﴿وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمرّ مرّ السحاب ﴾ [ النمل : ٨٨ ] وخامس أحوالها : أن تصير سرابا ، أى لا شىء كما فى هذه الآية .

ثم شرع سبحانه فى تفصيل أحكام الفصل فقال : ﴿ **إن جهنم كانت مرصادا** ﴾ قال الأزهرى : المرصاد المكان الذى يرصد الراصد فيه العدو . قال المبرد : مرصادا يرصدون به ، أى هو معدّ لهم يرصد به خزنتها الكفار . قال الحسن : إن على الباب رصداً لا يدخل أحد الجنة حتى يجتاز عليهم ، فمن جاء بجواز جاز ، ومن لم يجئ بجواز حبس . وقال مقاتل: محبسا ، وقيل : طريقا وممرّا . قال فى الصحاح : الراصد للشىء الراقب له ، يقال : رصده يرصده رصدا ، والرصد: الترقب ، والمرصد : موضع الرصد ، قال الأصمعى : رصدته أرصده ترقبته ، ومعنى الآية : أن جهنم كانت فى حكم اللّه وقضائه موضع رصد يرصد فيه خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها ، أو هى فى نفسها متطلعة لمن يأتى إليها من الكفار كما يتطلع الرصد لمن يمرّ به ويأتى إليهم . والمرصاد مفعال من أبنية المبالغة كالمعطار والمعمار ، فكأنه يكثر من جهنم انتظار الكفار .

ثم ذكر من هى مرصد لـه فقال : ﴿ **للطاغين مآبا** ﴾ أى مرجعا يرجعون إليه ، والمآب : المرجع ، يقال : آب يؤوب : إذا رجع ، والطاغى هـو من طغى بالكفر و﴿ **للطاغين** ﴾ نعت لـ ﴿**مرصادا** ﴾ متعلق بمحذوف ، و ﴿ **مآبا** ﴾ بدل من ﴿ **مرصادا** ﴾ ويجوز أن يكون للطاغين فى محل نصب على الحال من ﴿ **مآبا** ﴾ قدمت عليه لكونه نكرة ، وانتصاب ﴿ **لابثين فيها** ﴾ على الحال المقدرة من الضمير المستكن فى الطاغين . قرأ الجمهور : ﴿ **لابثين** ﴾ بالألف وقرأ حمزة والكسائى : « لبثين » بدون ألف ، وانتصاب ﴿ **أحقابا** ﴾ على الظرفية ، أى ماكثين فى النار ما دامت الأحقاب ، وهى لا تنقطع ، وكلما مضى حقب جاء حقب ، وهى جمع حقب بضمتين ، وهو الدهر ، والأحقاب : الدهور ، والحقب بضم الحاء وسكون القاف ، قيل : هو ثمانون سنة ،وحكى الواحدى عن المفسرين أنه بضع وثمانون سنة ، السنة ثلثمائة وستون يوما، اليوم ألف سنة من أيام الدنيا . وقيل : الأحقاب: وقت لشربهم الحميم والغساق ، فإذا انقضت فيكون لهم نوع آخر من العذاب. وقال السدّى: الحقب: سبعون سنة ، وقال بشير بن كعب : ثلثمائة سنة. وقال ابن عمر: أربعون سنة. وقيل: ثلاثون ألف سنة. قال الحسن : الأحقاب لا يدرى أحد كم هى ، ولكن ذكروا أنها مائة حقب ، والحقب الواحد منها سبعون ألف سنة ، اليوم منها كألف سنة . وقيل: الآية محمولة على العصاة الذين يخرجون من النار، والأولى ما ذكرناه أولا من أن المقصود بالآية التأبيد لا التقييد . وحكى الواحدى: عن الحسن أنه قال : واللّه ما هى إلا أنه إذا مضى حقب دخل آخر ، ثم آخر ، ثم كذلك إلى الأبد .

وجملة : ﴿ **لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابا . إلا حميما وغساقا** ﴾ مستأنفة لبيان ما اشتملت عليه من أنهم لا يذوقون فى جهنم أو فى الأحقاب بردا ينفعهم من حرّها ولا شرابا ينفعهم من عطشها إلا حميما ، وهو الماء الحارّ ، وغساقا وهو صديد أهل النار ، ويجوز أن تكون فى محل نصب على الحال من ضمير الطاغين ، أو صفة للأحقاب ، والاستثناء منقطع عند من جعل البرد النوم ، ويجوز أن يكون متصلا من قوله : ﴿ **شرابا** ﴾ وقال مجاهد

والسدى وأبو عبيدة والكسائى والفضل بن خالد وأبو معاذ النحوى : البرد المذكور فى هذه الآية هو النوم ، ومنه قول الكندى :

بردت مراشفها علىّ فصدّنى عنها وعن تقبيلها البرد

أى النوم . قال الزجاج : أى لا يذوقون فيها برد ريح ولا ظل ولا نوم ، فجعل البرد يشمل هذه الأمور ، وقال الحسن وعطاء وابن زيد : بردا أى روحا وراحة قرأ الجمهور : « غساقا » بالتخفيف . وقرأ حمزة والكسائى بتشديد السين ، وقد تقدّم تفسيره وتفسير الحميم والخلاف فيهما فى سورة « ص » . ﴿ **جزاء وفاقا** ﴾ أى موافقا لأعمالهم ، وجزاء منتصب على المصدر ، ووفاقا نعت له . قال الفراء والأخفش: جازيناهم جزاء وافق أعمالهم . قال الزجاج: جوزوا جزاء وافق أعمالهم . قال الفرّاء : الوفاق جمع الوفق ، والوفق والموافق واحد . قال مقاتل : وافق العذاب الذنب فلا ذنب أعظم من الشرك ولا عذاب أعظم من النار . وقال الحسن وعكرمة : كانت أعمالهم سيئة ، فأتاهم الله بما يسوؤهم : ﴿ **إنهم كانوا لا يرجون حسابا** ﴾ أى لا يرجون ثواب حساب . قال الزجاج : كانوا لا يؤمنون بالبعث فيرجون حسابهم ، والجملة تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور : ﴿ **وكذبوا بآياتنا كذابا** ﴾ أى كذبوا بالآيات القرآنية ، أو كذبوا بما هو أعم منها تكذيبا شديدًا . وفعال من مصادر التفعل ، قال الفراء: هى لغة فصيحة يمانية ، تقول: كذبت كذابا وخرقت القميص خراقا. قال فى الصحاح: وكذبوا بآياتنا كذابا هو أحد مصادر المشدّد ؛ لأن مصدره قد يجىء على تفعيل مثل التكليم ، وعلى فعال مثل كذاب ، وعلى تفعلة مثل توصية ، وعلى مفعل مثل : ﴿ ومزقناهم كل ممزق﴾ [ سبأ : ١٩ ] قرأ الجمهور ﴿ **كذابا** ﴾ بالتشديد . وقرأ على بن أبى طالب بالتخفيف ، وقال أبو على الفارسى : التخفيف والتشديد جميعا مصدر المكاذبة ، وقرأ ابن عمر : « كذابا » ، بضم الكاف والتشديد ، جمع كاذب . قال أبو حاتم : ونصبه على الحال . قال الزمخشرى : وقد يكون يعنى على هذه القراءة ، بمعنى الواحد البليغ فى الكذب ، تقول : رجل كذاب كقولك : حسان وبخال .

﴿ **وكل شىء أحصيناه كتابا** ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ **وكل** ﴾ بالنصب على الاشتغال ، أى وأحصينا كل شىء أحصيناه . وقرأ أبو السماك برفعه على الابتداء ، وما بعده خبره ، وهذه الجملة معترضة بين السبب والمسبب ، وانتصاب ﴿ **كتابا** ﴾ على المصدرية لأحصيناه ؛ لأن أحصيناه فى معنى: كتبناه ، وقيل: هو منتصب على الحال ، أى مكتوبا ، قيل : المراد : كتبناه فى اللوح المحفوظ لتعرفه الملائكة ، وقيل : أراد ما كتبه الحفظة على العباد من أعمالهم، وقيل: المراد به العلم لأن ما كتب كان أبعد من النسيان ، والأول أولى . ﴿ وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين﴾ [ يس : ١٢ ] ﴿ **فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا** ﴾ هذه الجملة مسببة عن كفرهم وتكذيبهم بالآيات . قال الرّازى : هذه الفاء للجزاء ، فنبه على أن الأمر بالذوق معلل

بما تقدّم شرحه من قبائح أفعالهم ، ومن الزيادة فى عذابهم أنها كلما نضجت جلودهم بدّلهم جلودا غيرها ، وكلما خبت النار زادهم اللّه سعيرا .

وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس﴿ **عن النبأ العظيم** ﴾ قال : القرآن ، وهذا مروى عن جماعة من التابعين . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه فى قوله : ﴿ **وجعلنا سراجا وهاجا** ﴾ قال : مضيئًا ﴿**وأنزلنا من المعصرات** ﴾ قال: السحاب ﴿ **ماء ثجاجا** ﴾ قال: منصبا . وأخرج عبد بن حميد وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر عنه أيضا : ﴿ **ثجاجا**﴾ قال : منصبا . وأخرج الشافعى وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه عن ابن مسعود فى قوله : ﴿**وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا** ﴾ قال : يبعث اللّه الريح ، فتحمل الماء فيمرّ به السحاب ، فتدر كما تدّر اللقحة، والثجاج ينزل من السماء أمثال العزالى[1] فتصرفه الرياح فينزل متفرقا . وأخرج ابن جرير ، وابن الأنبارى فى المصاحف عن قتادة قال : فى قراءة ابن عباس ﴿**وأنزلنا من المعصرات** ﴾ بالرياح . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم ، عنه فى قوله : ﴿ **وجنات ألفافا** ﴾ قال : ملتفة .وأخرج ابن جرير عنه أيضا فى الآية قال: يقول: التف بعضها ببعض. وأخرج ابن المنذر عنه أيضا فى قوله : ﴿ **وسيرت الجبال فكانت سرابا** ﴾ قال : سراب الشمس الآل .وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضا : ﴿ **لابثين فيها أحقابا** ﴾ قال: سنين.

وأخرج عبد الرزاق والفريابى وهناد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن سالم بن أبى الجعد قال : سأل علىّ بن أبى طالب هلال الهجرى : ما تجدون الحقب فى كتاب اللّه ؟ قال : نجده ثمانين سنة ، كل سنة منها اثنا عشر شهرا ، كل شهر ثلاثون يوما ، كل يوم ألف سنة . وأخرج سعيد بن منصور ، والحاكم وصححه عن ابن عباس فى الآية قال : الحقب الواحد ثمانون سنة . وأخرج البزار عن أبى هريرة رفعه قال : الحقب ثمانون سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوما ، واليوم كألف سنة مما تعدون . وأخرج عبد بن حميد عنه قال : الحقب ثمانون عاما ، اليوم منها كسدس السنة . وأخرج ابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه ، قال السيوطى : بسند ضعيف ، عن أبى أمامة عن النبى ﷺ ﴿ **لابثين فيها أحقابا** ﴾ قال: «الحقب ألف شهر ، والشهر ثلاثون يوما ، والسنة اثنا عشر شهرا ثلاثمائة وستون يوما ، كل يوم منها ألف سنة مما تعدون ، فالحقب ثلاثون ألف سنة » [2] . وأخرج البزار وابن مردويه والديلمى عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال: « واللّه لا يخرج من النار من دخلها حتى يمكث فيها أحقابا، والحقب بضع وثمانون سنة ،كل سنة ثلثمائة وستون يوما، واليوم ألف سنة مما تعدون » [3]. قال ابن عمر : فلا يتكلن أحد أنه يخرج من النار . وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر عن عبد اللّه بن عمرو قال : الحقب الواحد ثمانون سنة . وأخرج ابن جرير عن ابن عباس مثله .

---

(١) العزالى : جمع عزلاء ، وهى مصب الماء من الراوية . لسان العرب ١١/ ٤٤٣ .

(٢) الطبرانى ( ٧٩٥٧ ) وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ١٣٦ : « وفيه جعفر بن الزبير وهو ضعيف » .

(٣) الديلمى (٧٠٢٩) وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ٣٩٨ : «وفيه سليمان بن مسلم الخشاب وهو ضعيف جدًا » .

وأخرج ابن مردويه ، عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ : « الحقب أربعون سنة» وأخرج ابن جرير عن خالد بن معدان فى قوله: ﴿ لابثين فيها أحقابا ﴾ وقوله: ﴿ إلا ما شاء ربك ﴾ [ هود : ١٠٨ ] إنهما فى أهل التوحيد من أهل القبلة .

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن مسعود قال : زمهرير جهنم يكون لهم من العذاب ، لأن الله يقول : ﴿ لا يذوقون فيها بردًا ولا شرابا ﴾ .وأخرج ابن مردويه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فى قوله : ﴿ لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا . إلا حميما ﴾ قال : « قد انتهى حرّه » ﴿ وغساقا ﴾ : « قد انتهى حرّه » . « وإن الرجل إذا أدنى الإناء من فيه سقط فروة وجهه ، حتى يبقى عظاما تقعقع » . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس: ﴿ جزاء وفاقا﴾ قال : وافق أعمالهم . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن عبد الله بن عمرو قال : ما أنزلت على أهل النار آية قط أشد منها : ﴿ فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا ﴾ فهم فى مزيد من عذاب الله أبدًا .

﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِّن رَّبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفًّا لاَّ يَتَكَلَّمُونَ إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا (٣٩) إِنَّا أَنذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا (٤٠) ﴾ .

قوله : ﴿ إن للمتقين مفازا ﴾ هذا شروع فى بيان حال المؤمنين ، وما أعدّ الله لهم من الخير بعد بيان حال الكافرين وما أعدّ الله لهم من الشرّ ، والمفاز مصدر بمعنى الفوز والظفر بالنعمة والمطلوب والنجاة من النار ، ومنه قيل للفلاة : مفازة ، تفاؤلا بالخلاص منها . ثم فسر سبحانه هذا المفاز فقال: ﴿ حدائق وأعنابا ﴾ وانتصابهما على أنهما بدل من مفازا بدل اشتمال ، أو بدل كلّ من كل على طريق المبالغة بجعل نفس هذه الأشياء مفازة ، ويجوز أن يكون النصب بإضمار أعنى ، وإذا كان ﴿ مفازا ﴾ بمعنى الفوز ، فيقدر مضاف محذوف ، أى الفوز حدائق ، وهى جمع حديقة: وهى البستان المحوّط عليه، والأعناب جمع عنب، أى كروم أعناب: ﴿ وكواعب أترابا ﴾ الكواعب جمع كاعبة : وهى الناهدة ، يقال : كعبت الجارية تكعب تكعيبا وكعوبا ، ونهدت تنهد نهودا ، والمراد أنهم نساء كواعب تكعبت ثديهن وتفلكت : أى صارت ثديهن كالكعب فى صدورهن . قال الضحاك : الكواعب : العذارى . قال قيس بن عاصم :

وكم من حصان قد حوينا كريمة ... وكم كاعب لم تدرما البؤس معصر

وقال عمر بن أبى ربيعة :

وكان مجنى دون ما كنت أتقى ثلاث شخوص كاعبات ومعصر

والأتراب : الأقران فى السن ، وقد تقدّم تحقيقه فى سورة البقرة . ﴿ **وكأسا دهاقا** ﴾ أى ممتلئة . قال الحسن وقتادة وابن زيد: هى مترعة مملؤة يقال : أدهقت الكأس ، أى ملأتها . ومنه قول الشاعر :

ألا أسقنى صرفا سقاك الساقى من مائها بكأسك الدهاق

وقال سعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد : ﴿ **دهاقا** ﴾ متتابعة يتبع بعضها بعضا . وقال زيد ابن أسلم : ﴿ **دهاقا** ﴾ صافية .والمراد بالكأس : الإناء المعروف ، ولا يقال له : الكأس إلا إذا كان فيه الشراب : ﴿ **لا يسمعون فيها لغوا ولا كذابا** ﴾ أى لا يسمعون فى الجنة لغوا ، وهو الباطل من الكلام ، ولا كذابا ، أى ولا يكذب بعضهم بعضا . قرأ الجمهور : ﴿**كذابا** ﴾ بالتشديد ، وقرأ الكسائى هنا بالتخفيف ، ووافق الجماعة على التشديد فى قوله : ﴿ **وكذبوا بآياتنا كذابا** ﴾ المتقدم فى هذه السورة للتصريح بفعله هناك ، وقد قدمنا الخلاف فى﴿ **كذابا** ﴾ هل هو من مصادر التفعيل أو من مصادر المفاعلة ؟ ﴿ **جزاء من ربك** ﴾ أي جازاهم بما تقدم ذكره جزاء . قال الزجاج : المعنى : جزاهم جزاء ، وكذا : ﴿ **عطاء** ﴾ أى وأعطاهم عطاء ﴿**حسابا** ﴾ قال أبو عبيدة : كافيا . وقال ابن قتيبة : كثيرا ، يقال : أحسبت فلانا ، أى أكثرت له العطاء ، ومنه قول الشاعر :

ونعطى وليد الحى إن كان جائعا ونحسبه إن كان ليس بجائع

قال ابن قتيبة : أى نعطيه حتى يقول : حسبى . قال الزجاج : حسابا، أى ما يكفيهم . قال الأخفش : يقال : أحسبنى كذا ، أى كفانى . قال الكلبى : حاسبهم فأعطاهم بالحسنة عشرا . وقال مجاهد : حسابا لما عملوه ، فالحساب بمعنى : القدر ، أى يقدر ما وجب له فى وعد الرب سبحانه ؛ فإنه وعد للحسنة عشراً ، ووعد لقوم سبعمائة ضعف ، وقد وعد لقوم جزاء لا نهاية له ولا مقدار كقوله : ﴿ إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ [ الزمر : ١٠ ] وقرأ أبو هاشم : « حسابا » بفتح الحاء وتشديد السين، أى كفافا . قال الأصمعى : تقول العرب : حسبت الرجل : بالتشديد إذا أكرمته ، ومنه قول الشاعر :

إذا أتاه ضيفه يحسبه

وقرأ ابن عباس : « حسانا » بالنون : ﴿ **رب السموات والأرض وما بينهما الرحمن** ﴾ قرأ ابن مسعود ونافع وأبو عمرو وابن كثير ، وزيد عن يعقوب ، والمفضل ، عن عاصم ، برفع « رب » و «الرحمن » على أن ربّ مبتدأ والرحمن خبره أو على أن ربّ خبر مبتدأ مقدّر : أى هو ربّ ، والرحمن صفته ، و ﴿ **لا يملكون** ﴾ خبر ربّ ، أو على أن ربّ مبتدأ ، والرحمن مبتدأ ثان ، ولا يملكون خبر المبتدأ الثانى ، والجملة خبر المبتدأ الأول ، وقرأ يعقوب فى رواية عنه وابن عامر وعاصم فى رواية عنه بخفضهما على أن ربّ بدل من ربك ، والرحمن

صفة له ، وقرأ ابن عباس وحمزة والكسائى بخفض الأوّل على البدل ، ورفع الثانى على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أى هو الرحمن ، واختار هذه القراءة أبو عبيد وقال: هذه القراءة أعدلها، فخفض ربّ لقربه من ربك ، فيكون نعتا له ، ورفع الرحمن لبعده منه على الاستئناف ، وخبره : ﴿ **لا يملكون منه خطابا** ﴾ أى لا يملكون أن يسألوا إلا فيما أذن لهم فيه ، وقال الكسائى : لا يملكون منه خطابا بالشفاعة إلا بإذنه . وقيل : الخطاب : الكلام ، أى لا يملكون أن يخاطبوا الربّ سبحانه إلا بإذنه ، دليله : ﴿ لا تكلم نفس إلا بإذنه ﴾ [هود : ١٠٥ ] وقيل : أراد : الكفار ، وأما المؤمنون فيشفعون ، ويجوز أن تكون هذه الجملة فى محل نصب على الحال على ما تقدّم بيانه ، ويجوز أن تكون مستأنفة مقررّة لما تفيده الربوبية من العظمة والكبرياء .

﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفا** ﴾ الظرف منتصب بلا يتكلمون ، أو بلا يملكون ، وصفا منتصب على الحال ، أى مصطفين ، أو على المصدرية ، أى يصفون صفا ، وقوله : ﴿ **لا يتكلمون** ﴾ فى محل نصب على الحال ، أو مستأنفة لتقرير ما قبله.

واختلف فى الروح ، فقيل : إنه ملك من الملائكة أعظم من السموات السبع ومن الأرضين السبع ومن الجبال . وقيل : هو جبريل قاله الشعبى والضحاك وسعيد بن جبير . وقيل : الروح جند من جنود اللّه ليسوا ملائكة قاله أبو صالح ومجاهد. وقيل : هم أشراف الملائكة قاله مقاتل بن حيان . وقيل : هم حفظة على الملائكة قاله ابن أبى نجيح . وقيل : بنو آدم قاله الحسن وقتادة . وقيل : هم أرواح بنى آدم تقوم صفا وتقوم الملائكة صفا ، وذلك بين النفختين قبل أن ترد إلى الأجسام قاله عطية العوفى . وقيل : إنه القرآن ، قاله زيد بن أسلم .

وقوله : ﴿ **إلا من أذن له الرحمن** ﴾ يجوز أن يكون بدلا من ضمير يتكلمون ، وأن يكون منصوبا على أصل الاستثناء ، والمعنى : لا يشفعون لأحد إلا من أذن له الرحمن بالشفاعة ، أو لا يتكلمون إلا فى حقّ من أذن له الرحمن وكان ذلك الشخص ممن ﴿ **قال** [(١)] **صوابا** ﴾ قال الضحاك ومجاهد : ﴿ **صوابا** ﴾ يعنى : حقا . وقال أبو صالح : لا إله إلا اللّه. وأصل الصواب : السداد من القول والفعل . قيل : ﴿ **لا يتكلمون** ﴾ يعنى : الملائكة والروح الذين قاموا صفا هيبة وإجلالا إلا من أذن له الرحمن منهم فى الشفاعة ، وهم قد قالوا صوابا . قال الحسن : إن الروح تقوم يوم القيامة لا يدخل أحد الجنة إلا بالروح ، ولا النار إلا بالعمل ، قال الواحدى : فهم لا يتكلمون ، يعنى : الخلق كلهم ، إلا من أذن له الرحمن وهم المؤمنون والملائكة ، وقال فى الدنيا صوابا ، أى شهد بالتوحيد ، والإشارة بقوله : ﴿ **ذلك** ﴾ إلى يوم قيامهم على تلك الصفة ، وهو مبتدأ وخبره : ﴿ **اليوم الحقّ** ﴾ أى الكائن الواقع المتحقق ﴿ **فمن شاء اتخذ إلى ربه مآبا** ﴾أى مرجعا يرجع إليه بالعمل الصالح ، لأنه إذا عمل خيرا

---

(١) فى المطبوعة : « قالوا » .

قربه إلى اللّه، وإذا عمل شرًا باعده منه ، ومعنى ﴿ إلى ربه ﴾ : إلى ثواب ربه . قال قتادة : ﴿ مآبا ﴾ : سبيلا .

ثم زاد سبحانه فى تخويف الكفار فقال : ﴿ إنا أنذرناكم عذابا قريبا ﴾ يعنى :العذاب فى الآخرة ، وكلّ ما هو آت فهو قريب ، ومثله قوله : ﴿ كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴾ [ النازعات : ٤٦ ] كذا قال الكلبى وغيره ، وقال قتادة: هو عذاب الدنيا لأنه أقرب العذابين . قال مقاتل : هو قتل قريش ببدر ، والأوّل أولى لقوله : ﴿ يوم ينظر المرء ما قدّمت يداه ﴾ فإن الظرف إما بدل من عذاب أو ظرف لمضمر هو صفة له ، أى عذابا كائنا ﴿ يوم ينظر المرء ﴾ أى يشاهد ما قدّمه من خير أو شر ، و« ما » موصولة أو استفهامية . قال الحسن : والمرء هنا هو : المؤمن ، أى يجد لنفسه عملا، فأما الكافر فلا يجد لنفسه عملا فيتمنى أن يكون ترابا . وقيل : المراد به : الكافر على العموم ، وقيل : أبى بن خلف وعقبة بن أبى معيط ، والأول أولى لقوله : ﴿ ويقول الكافر ياليتنى كنت ترابا ﴾ فإن الكافر واقع فى مقابلة المرء والمراد جنس الكافر يتمنى أن يكون ترابا لما يشاهده مما قد أعده اللّه له من أنواع العذاب ، والمعنى : أنه يتمنى أنه كان ترابا فى الدنيا فلم يخلق، أو ترابا يوم القيامة . وقيل : المراد بالكافر : أبو جهل . وقيل : أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى . وقيل : إبليس ، والأول أولى اعتبارا بعموم اللفظ ، ولا ينافيه خصوص السبب كما تقدّم غير مرّة .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى عن ابن عباس فى قوله : ﴿ إن للمتقين مفازا ﴾ قال : منتزها ﴿وكواعب ﴾ قال : نواهد ﴿ أترابا ﴾ قال :مستويات : ﴿ وكأسا دهاقا ﴾ قال : ممتلئا . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى البعث ، عن ابن عباس فى قوله : ﴿وكأسا دهاقا ﴾ قال : هى الممتلئة المترعة المتتابعة ، وربما سمعت العباس يقول : يا غلام ، اسقنا وادهق لنا . وأخرج عبد ابن حميد وابن جرير وابن المنذر عنه : ﴿ دهاقا ﴾ قال : دراكا . وأخرج عبد بن حميد عنه أيضا قال : إذا كان فيها خمر فهى كأس . وإذا لم يكن فيها خمر فليس بكأس .

وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ فى العظمة وابن مردويه عنه أيضا ؛ أن النبىّ ﷺ قال : « الروح جند من جنود اللّه ليسوا بملائكة لهم رؤوس وأيد وأرجل » ثم قرأ : ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا ﴾ قال هؤلاء جند وهؤلاء جند . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وأبو الشيخ والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عباس: ﴿يوم يقوم الروح﴾ قال : هو ملك من أعظم الملائكة خلقا [1]. وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود قال : الروح فى السماء الرابعة وهو أعظم من السموات والجبال ومن الملائكة ، يسبح كل يوم اثنى عشر ألف

(١) ابن جرير ٣٠/ ١٥ والبيهقى فى الأسماء والصفات ٢/ ١٠٤ .

تسبيحة يخلق الله من كل تسبيحة ملكا من الملائكة يجيء يوم القيامة صفا واحدا [١] . وأخرج أبو الشيخ عن ابن عباس قال : إن جبريل يوم القيامة لقائم بين يدى الجبار ترعد فرائصه فرقا من عذاب الله يقول : سبحانك لا إله إلا أنت ما عبدناك حق عبادتك ، ما بين منكبيه كما بين المشرق والمغرب ، أما سمعت قول الله : ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفا** ﴾ . وأخرج البيهقى فى الأسماء والصفات عنه فى قوله : ﴿ **يوم يقوم الروح** ﴾ قال : يعنى : حين تقوم أرواح الناس مع الملائكة فيما بين النفختين قبل أن ترد الروح إلى الأجساد . وأخرج ابن جرير وابن المنذر والبيهقى فى الأسماء والصفات عنه أيضا : ﴿**وقال صوابا** ﴾ قال : لا إله إلا الله . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى فى البعث والنشور عن أبى هريرة قال : يحشر الخلق كلهم يوم القيامة البهائم والدّواب والطير وكلّ شىء فيبلغ من عذاب الله أن يؤخذ للجماء من القرناء ، ثم يقول : كونى ترابا ، فذلك حين يقول الكافر: ﴿**يا ليتنى كنت ترابا** ﴾ [٢] .

---

(١) ابن جرير ٣٠/ ١٥ .
(٢) ابن جرير ٣٠ / ١٧ .

## تفسير ســـورة النـازعــات

وتسمى سورة الساهرة . هى خمس وأربعون آية . وقيل : ست وأربعون آية . وهى مكية بلا خلاف . وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس قال : نزلت سورة النازعات بمكة . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله .

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩) يَقُولُونَ أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا نَّخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ (١٤) هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ (١٧) فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰ أَن تَزَكَّىٰ (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ (١٩) فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَىٰ (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ (٢٢) فَحَشَرَ فَنَادَىٰ (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَىٰ (٢٥) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ (٢٦) ﴾ .

أقسم سبحانه بهذه الأشياء التى ذكرها ، وهى الملائكة التى تنزع أرواح العباد عن أجسادهم ، كما ينزع النازع فى النقوس ، فيبلغ بها غاية المدّ ، وكذا المراد بالناشطات والسابحات ، والسابقات ، والمدبرات : يعنى : الملائكة ، والعطف مع اتحاد الكلّ ؛ لتنزيل التغاير الوصفى منزلة التغاير الذاتى ، كما فى قول الشاعر :

إلى الملك القرم وابن الهمام وليث الكتيبة فى المزدحم

وهذا قول الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم . وقال السدّى : ﴿ **النازعات** ﴾ : هى النفوس حين تغرق فى الصدور . وقال مجاهد : هى الموت ينزع النفس . وقال قتادة : هى النجوم تنزع من أفق إلى أفق ، من قولهم : نزع إليه : إذا ذهب . أو من قولهم : نزعت بالحب ، أى أنها تغرب وتغيب وتطلع من أفق آخر ، وبه قال أبو عبيدة والأخفش وابن كيسان . وقال عطاء وعكرمة : النازعات : القسى تنزع بالسهام . وإغراق النازع فى القوس أن يمدّه غاية المدّ حتى ينتهى به إلى النصل . وقال يحيى بن سلام : تنزع بين الكلأ وتنفر . وقيل : أراد

بالنازعات : الغزاة الرماة ، وانتصاب ﴿ غرقا ﴾ على أنه مصدر بحذف الزوائد ، أى إغراقا ، والناصب له ما قبله لملاقاته له فى المعنى، أى إغراقا فى النزع حيث تنزعها من أقاصى الأجساد، أو على الحال، أى ذوات إغراق ، يقال: أغرق فى الشىء يغرق فيه: إذا أوغل فيه وبلغ غايته.

ومعنى ﴿ الناشطات ﴾ : أنها تنشط النفوس ، أى تخرجها من الأجساد كما ينشط العقال من يد البعير ، إذا حلّ عنه، ونشط الرجل الدلو من البئر : إذا أخرجها ، والنشاط : الجذب بسرعة ، ومنه الأنشوطة للعقدة التى يسهل حلها . قال أبو زيد: نشطت الحبل أنشطه نشطا: عقدته ، وأنشطته ، أى حللته ، وأنشطت الحبل ، أى مددته. قال الفراء : أنشط العقال، أى حلّ ونشط ، أى ربط الحبل فى يديه . قال الأصمعى : بئر أنشاط ، أى قريبة القعر يخرج الدلو منها بجذبة واحدة ، وبئر نشوط ، وهى التى لا يخرج منها الدلو حتى ينشط كثيرا . وقال مجاهد : هو الموت ينشط نفس الإنسان . وقال السدّى : هى النفوس حين تنشط من القدمين . وقال عكرمة وعطاء : هى الأوهاق التى تنشط السهام. وقال قتادة والحسن والأخفش : هى النجوم تنشط من أفق إلى أفق ، أى تذهب . قال فى الصحاح : ﴿ والناشطات نشطا ﴾ : يعنى النجوم من برج إلى برج كالثور الناشط من بلد إلى بلد ، والهموم تنشط بصاحبها . وقال أبو عبيدة وقتادة : هى الوحوش حين تنشط من بلد إلى بلد . وقيل : الناشطات لأرواح المؤمنين ، والنازعات لأرواح الكافرين ؛ لأنها تجذب روح المؤمن برفق وتجذب روح الكافر بعنف ، وقوله : ﴿ نشطا ﴾ مصدر ، وكذا سبحا وسبقا ﴿ والسابحات ﴾ : الملائكة تسبح فى الأبدان لإخراج الروح كما يسبح الغوّاص فى البحر لإخراج شىء منه. وقال مجاهد وأبو صالح: هى الملائكة ينزلون من السماء مسرعين لأمر الله ، كما يقال للفرس الجواد : سابح : إذا أسرع فى جريه . وقال مجاهد أيضا : السابحات : الموت يسبح فى نفوس بنى آدم . وقيل : هى الخيل السابحة فى الغزو ، ومنه قول عنترة :

والخيل تعلم حين تسـ ـبح فى حياض الموت سبحا

وقال قتادة والحسن : هى النجوم تسبح فى أفلاكها ، كما فى قوله : ﴿ كلٌ فى فلك يسبحون ﴾ [ يس : ٤٠] .وقال عطاء : هى السفن تسبح فى الماء . وقيل : هى أرواح المؤمنين تسبح شوقا إلى الله ﴿ فالسابقات سبقا﴾ :هم الملائكة على قول الجمهور كما سلف . قال مسروق ومجاهد : تسبق الملائكة الشياطين بالوحى إلى الأنبياء . وقال أبو روق : هى الملائكة سبقت ابن آدم بالخير والعمل الصالح ، وروى نحوه عن مجاهد . وقال مقاتل : هى الملائكة تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة . وقال الربيع : هى أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة شوقا إلى الله . وقال مجاهد أيضا :هو الموت يسبق الإنسان. وقال قتادة والحسن ومعمر : هى النجوم يسبق بعضها فى السير بعضا . وقال عطاء : هى الخيل التى تسبق إلى الجهاد . وقيل: هى

الأرواح التى تسبق الأجساد إلى الجنة أو النار . قال الجرجانى : عطف السابقات بالفاء ؛ لأنها مسببة من التى قبلها ، أى واللاتى يسبحن فيسبقن . تقول : قام فذهب ، فهذا يوجب أن يكون القيام سببا للذهاب ، ولو قلت : قام وذهب بالواو لم يكن القيام سببا للذهاب . قال الواحدى : وهذا غير مطرد فى قوله : ﴿ **فالمدبرات أمرا** ﴾ ؛ لأنه يبعد أن يجعل السبق سببا للتدبر . قال الرازى: ويمكن الجواب عما قاله الواحدى : بأنها لما أمرت سبحت فسبقت فدبرت ما أمرت بتدبيره، فتكون هذه أفعالا يتصل بعضها ببعض ،كقوله : قام زيد فذهب ولما سبقوا فى الطاعات وسارعوا إليها ظهرت أمانتهم ففوّض إليهم التدبير ، ويجاب عنه :بأن السبق لا يكون سببا للتدبير كسببية السبح للسبق والقيام للذهاب ، ومجرد الاتصال لا يوجب السببية والمسببية ، والأولى أن يقال : العطف بالفاء فى المدبرات طوبق به ما قبله من عطف السابقات بالفاء ، ولا يحتاج إلى نكتة كما احتاج إليها ما قبله ؛ لأن النكتة إنما تطلب لمخالفة اللاحق للسابق لالمطابقته وموافقته.

﴿ **فالمدبرات أمرا** ﴾ قال القشيرى: أجمعوا على أن المراد هنا : الملائكة. وقال الماوردى : فيه قولان : أحدهما : الملائكة وهو قول الجمهور . والثانى : أنها الكواكب السبع ، حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل ، وفى تدبيرها الأمر وجهان : أحدهما : تدبر طلوعها وأفولها . الثانى : تدبر ما قضاه الله فيها من الأحوال ، ومعنى تدبير الملائكة للأمر : نزولها بالحلال والحرام وتفصيلهما ، والفاعل للتدبير فى الحقيقة ، وإن كان هو الله عز وجلّ، لكن لما نزلت الملائكة به وصفت به . وقيل : إن الملائكة لما أمرت بتدبير أهل الأرض فى الرياح والأمطار وغير ذلك قيل لها : مدبرات . قال عبد الرحمن بن ساباط : تدبير أمر الدنيا إلى أربعة من الملائكة :جبريل وميكائيل وعزرائيل وإسرافيل ، فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات ، وأما عزرائيل فموكل بقبض الأنفس ، وأما إسرافيل فهو ينزل بالأمر عليهم ، وجواب القسم بهذه الأمور التى أقسم الله بها محذوف ، أى والنازعات ، وكذا وكذا لتبعثنّ . قال الفرّاء : وحذف لمعرفة السامعين به ، ويدل عليه قوله : ﴿ **أإذا كنا عظاما نخرة** ﴾ . وقيل : إن جواب القسم قوله : ﴿ **إن فى ذلك لعبرة لمن يخشى** ﴾ أى إن فى يوم القيامة وذكر موسى وفرعون لعبرة لمن يخشى . قال ابن الأنبارى : وهذا قبيح ؛ لأن الكلام قد طال بينهما . وقيل : جواب القسم ﴿ **هل أتاك حديث موسى** ﴾ ؛ لأن المعنى : قد آتاك ، وهذا ضعيف جدا . وقيل : الجواب : ﴿ **يوم ترجف الراجفة** ﴾ على تقدير ليوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة . وقال السجستانى : يجوز أن يكون هذا من التقديم والتأخير ، كأنه قال : فإذا هم بالساهرة والنازعات . قال ابن الأنبارى : وهذا خطأ ؛ لأن الفاء لايفتتح بها الكلام ، والأوّل أولى .

﴿ **يوم ترجف الراجفة** ﴾ انتصاب هذا الظرف بالجواب المقدّر للقسم ، أو بإضمار اذكر ،

والراجفة : المضطربة . يقال : رجف يرجف : إذا اضطرب ، والمراد هنا : الصيحة العظيمة التى فيها تردّد واضطراب كالرعد، وهى النفخة الأولى التى يموت بها جميع الخلائق، والرادفة : النفخة الثانية التى تكون عند البعث ، وسميت رادفة ؛لأنها ردفت النفخة الأولى، كذا قال جمهور المفسرين . وقال ابن زيد : الراجفة : الأرض ، والرادفة : الساعة . وقال مجاهد : الرادفة: الزلزلة ﴿ **تتبعها الرادفة** ﴾ : الصيحة. وقيل: الراجفة : اضطراب الأرض ، والرادفة : الزلزلة ، وأصل الرجفة : الحركة ، وليس المراد التحرك هنا فقط ،بل الراجفة هنا مأخوذة من قولهم : رجف الرعد يرجف رجفا ورجيفا : إذا ظهر صوته ، ومنه سميت الأراجيف؛ لاضطراب الأصوات بها وظهور الأصوات فيها، ومنه قول الشاعر :

أبا الأراجيف يا ابن اللؤم توعدنى ‏ ‏ ‏ ‏ وفى الأراجيف خلت اللوم والخورا

ومحل ﴿ **تتبعها الرادفة** ﴾ : النصب على الحال من الراجفة ، والمعنى : لتبعثن يوم النفخة الأولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها . ﴿ **قلوب يومئذ واجفة** ﴾ قلوب مبتدأ ، ويومئذ منصوب بواجفة ، وواجفة صفة قلوب. وجملة ﴿ **أبصارها خاشعة** ﴾ خبر قلوب ، والراجفة : المضطربة القلقة لما عاينت من أهوال يوم القيامة . قال جمهور المفسرين : أى خائفة وجلة . وقال السدّى: زائلة عن أماكنها ، نظيره: ﴿ إذ القلوب لدى الحناجر ﴾ [غافر: ١٨ ]. وقال المؤرج : قلقة مستوفزة . وقال المبرد : مضطربة . يقال : وجف القلب يجف وجيفا : إذا خفق ،كما يقال : وجب يجب وجيبا ، والإيجاف : السير السريع ، فأصل الوجيف : اضطراب القلب ، ومنه قول قيس بن الخطيم :

إن بنى جحجبى وقومهم ‏ ‏ ‏ ‏ أكبادنا من ورائهم تجف

﴿ **أبصارها خاشعة** ﴾ أى أبصار أصحابها . فحذف المضاف ، والخاشعة : الذليلة ، والمراد : أنها تظهر عليهم الذلة والخضوع عند معاينة أهوال يوم القيامة ،كقوله : ﴿ خاشعين من الذلّ ﴾ [ الشورى : ٤٥ ] . قال عطاء : يريد أبصار من مات على غير الإسلام ، ويدلّ على هذا أن السياق فى منكرى البعث . ﴿ **يقولون أإنا لمردودون فى الحافرة** ﴾ هذا حكاية لما يقوله المنكرون للبعث إذا قيل لهم : إنكم تبعثون ، أى أنردّ إلى أوّل حالنا وابتداء أمرنا فنصير أحياء بعد موتنا ؟ يقال : رجع فلان فى حافرته ، أى رجع من حيث جاء ، والحافرة عند العرب : اسم لأوّل الشيء وابتداء الأمر . ومنه قولهم : رجع فلان على حافرته ، أى على الطريق الذى جاء منه . ويقال : اقتتل القوم عند الحافرة ، أى عند أوّل ما التقوا ، وسميت الطريق التى جاء منها حافرة ؛ لتأثيره فيها بمشيه فيها فهى حافرة بمعنى محفورة ، ومن هذا قول الشاعر :

أحافرة على صلع وشيب ‏ ‏ ‏ ‏ معاذ الله من سفه وعار

أى أأرجع إلى ما كنت عليه فى شبابى من الغزل بعد الشيب والصلع ؟! وقيل: الحافرة :

العاجلة ، والمعنى: إنا لمردودون إلى الدنيا . وقيل: الحافرة : الأرض التى تحفر فيها قبورهم ، ومنه قول الشاعر :

آليت لا أنساكم فاعلموا حتى يردّ الناس فى الحافرة

والمعنى : إنا لمردودون فى قبورنا أحياء ، كذا قال الخليل والفراء ، وبه قال مجاهد . وقال ابن زيد : الحافرة : النار ، واستدلّ بقوله : ﴿ **تلك إذًا كرة خاسرة** ﴾ . قرأ الجمهور : ﴿**فى الحافرة** ﴾ . وقرأ أبوحيوة : « فى الحفرة». ﴿ **أإذا كنا عظاما نخرة** ﴾ أى بالية متفتتة . يقال : نخر العظم بالكسر : إذا بلى ، وهذا تأكيد لإنكار البعث ، أى كيف نردّ أحياء ونبعث إذا كنا عظاما نخرة ؟ والعامل فى إذا مضمر يدلّ عليه مردودون ، أى أئذا كنا عظاما بالية نردّ ونبعث مع كونها أبعد شىء من الحياة ؟ قرأ الجمهور : ﴿ **نخرة** ﴾ . وقرأ حمزة والكسائى وأبو بكر: « ناخرة » واختار القراءة الأولى أبو عبيد وأبو حاتم ، واختار القراءة الثانية الفراء وابن جرير وأبو معاذ النحوى . قال أبو عمرو بن العلاء : الناخرة : التى لم تنخر بعد، أى لم تبل ولابدّ أن تنخر . وقيل : هما بمعنى . تقول العرب : نخر الشىء فهو ناخر ونخر ، وطمع فهو طامع وطمع ونحو ذلك . قال الأخفش : هما جميعا لغتان أيهما قرأت فحسن . قال الشاعر :

يظلّ بها الشيخ الذى كان بادنا يدبّ على عوج له نخرات

يعنى : على قوائم عوج . وقيل : الناخرة : التى أكلت أطرافها وبقيت أوساطها ، والنخرة : التى فسدت كلها . وقال مجاهد : نخرة : أى مرفوتة ، كما فى قوله : ﴿ رفاتا ﴾ [ الإسراء : ٤٩] . وقد قرئ : « إذا كنا » و﴿ **أئذا كنا** ﴾ بالاستفهام وبعدمه . ثم ذكر سبحانه عنهم قولا آخر قالوه فقال : ﴿ **قالوا تلك إذا كرّة خاسرة** ﴾ أى رجعة ذات خسران لما يقع على أصحابها من الخسران ، والمعنى : أنهم قالوا : إن رددنا بعد الموت لنخسرنّ بما يصيبنا بعد الموت مما يقوله محمد . وقيل : معنى ﴿ **خاسرة** ﴾ كاذبة ، أى ليست بكائنة .كذا قال الحسن وغيره. وقال الربيع بن أنس : خاسرة على من كذب بها . وقال قتادة ومحمد بن كعب : أى لئن رجعنا بعد الموت لنخسرنّ بالنار ، وإنما قالوا هذا ؛ لأنهم أوعدوا بالنار ، والكرة : الرجعة ، والجمع كرّات . وقوله : ﴿ **فإنما هى زجرة واحدة** ﴾ تعليل لما يدل عليه ما تقدّم من استبعادهم لبعث العظام النخرة وإحياء الأموات ، والمعنى : لاتستبعدوا ذلك فإنما هى زجرة واحدة ، وكان ذلك الإحياء والبعث ، والمراد بالزجرة : الصيحة ، وهى النفخة الثانية التى يكون البعث بها. وقيل : إن الضمير فى قوله:﴿ **إنما هى** ﴾ راجع إلى الرادفة المتقدم ذكرها .﴿ **فإذا هم بالساهرة**﴾ أى فإذا الخلائق الذين قد ماتوا ودفنوا أحياء على وجه الأرض . قال الواحدى :المراد بالساهرة : وجه الأرض وظاهرها فى قول الجميع . قال الفرّاء : سميت بهذا الاسم ؛ لأن فيها نوم الحيوان وسهرهم . وقيل: لأنه يسهر فى فلاتها خوفا منها ،

فسميت بذلك ، ومنه قول أبى كثير الهذلى :

يردون ساهرة كأنّ حميمها وغميمها أسداف ليل مظلم

وقول أمية بن أبى الصلت :

وفيها لحم ساهرة وبحر وما فاهوا به لهم مقيم

يريد لحم حيوان أرض ساهرة . قال فى الصحاح : الساهرة : وجه الأرض ، ومنه قوله : ﴿ **فإذا هم بالساهرة** ﴾ . وقال : الساهرة : أرض بيضاء . وقيل : أرض من فضة لم يعص الله سبحانه فيها . وقيل الساهرة : الأرض السابعة ، يأتى بها الله سبحانه فيحاسب عليها الخلائق . وقال سفيان الثورى : الساهرة : أرض الشام . وقال قتادة : هى جهنم ، أى فإذا هؤلاء الكفار فى جهنم ،وإنما قيل لها ساهرة ؛لأنهم لا ينامون فيها لاستمرار عذابهم. وجملة: ﴿ **هل آتاك حديث موسى**﴾ مستأنفة مسوقة لتسلية رسول الله ﷺ عن تكذيب قومه وأنه يصيبهم مثل ما أصاب من كان قبلهم ممن هو أقوى منهم ،ومعنى ﴿ **هل أتاك** ﴾: قد جاءك وبلغك، هذا على تقدير أنه قد سمع من قصص فرعون وموسى ما يعرف به حديثهما ، وعلى تقدير أن هذا أوّل ما نزل عليه فى شأنهما فيكون المعنى على الاستفهام ، أى هل أتاك حديثه أنا أخبرك به.

﴿ **إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوى** ﴾ الظرف متعلق بـ ﴿ **حديث** ﴾ لا بـ ﴿ **أتاك** ﴾ لاختلاف وقتيهما وقد مضى من خبر موسى وفرعون فى غير موضع ما فيه كفاية ، وقد تقدم الاختلاف بين القرّاء فى ﴿ **طوى** ﴾ فى سورة طه، والواد المقدس : المبارك المطهر . قال الفراء ﴿**طوى** ﴾ : واد بين المدينة ومصر ، قال : وهو معدول من طاو ، كما عدل عمر من عامر. قال : والصرف أحبّ إلىّ إذ لم أجد فى المعدول نظيرا له . وقيل : طوى معناه : يارجل بالعبرانية ، فكأنه قيل : يارجل اذهب . وقيل : المعنى : إن الوادى المقدّس بورك فيه مرتين ، والأوّل أولى ، وقد مضى تحقيق القول فيه . ﴿ **اذهب إلى فرعون إنه طغى** ﴾ قيل : هو على تقدير القول . وقيل : هو تفسير للنداء ، أى ناداه نداء هو قوله : اذهب . وقيل : هو على حذف أن المفسرة ، ويؤيده قراءة ابن مسعود« أن ذهب »؛ لأن فى النداء معنى القول ، وجملة : ﴿ **إنه طغى** ﴾ تعليل للأمر أو لوجوب الامتثال ، أى جاوز الحدّ فى العصيان والتكبر والكفر بالله ﴿ **فقل** ﴾ له ﴿ **هل لك إلى أن تزكى** ﴾ أى قوله بعد وصولك إليه هل لك رغبة إلى التزكى وهو التطهر من الشرك . وأصله : تتزكى ، فحذفت إحدى التاءين . قرأ الجمهور: ﴿**تزكى** ﴾ بالتخفيف . وقرأ نافع وابن كثير بتشديد الزاى على إدغام التاء فى الزاى . قال أبو عمرو بن العلاء : معنى قراءة التخفيف تكون زكيا مؤمنا ، ومعنى قراءة التشديد الصدقة ، وفى الكلام مبتدأ مقدّر يتعلق به إليه ، والتقدير : هل لك رغبة أو هل لك توجه أو هل لك سبيل إلى التزكى ؟ ومثل هذا قولهم : هل لك فى الخير ؟ يريدون : هل لك رغبة فى الخير ؟ ومن هذا قول الشاعر :

فهل لكم فيها إلىّ فإننى بصير بما أعيا النطاسى جذيما

﴿ **وأهديك إلى ربك فتخشى** ﴾ أى أرشدك إلى عبادته وتوحيده فتخشى عقابه ، والفاء لترتيب الخشية على الهداية، لأن الخشية لا تكون إلا من مهتد راشد ﴿ **فأراه الآية الكبرى** ﴾ هذه الفاء هى الفصيحة لإفصاحها عن كلام محذوف ، يعنى : فذهب فقال له ما قال مما حكاه الله فى غير موضع ، وأجاب عليه بما أجاب إلى أن قال : ﴿ إن كنت جئت بآية فأت بها ﴾ [الأعراف : ١٠٦ ] فعند ذلك أراه الآية الكبرى . واختلف فى الآية الكبرى ما هى ؟ فقيل : العصا. وقيل : يده . وقيل : فلق البحر . وقيل : هى جميع ما جاء به من الآيات التسع ﴿**فكذّب وعصى** ﴾ أى فلما أراه الآية الكبرى كذّب بموسى وبما جاء به وعصى الله عزّ وجل فلم يطعه . ﴿ **ثم أدبر**﴾ أى تولى وأعرض عن الإيمان ﴿ **يسعى** ﴾ أى يعمل بالفساد فى الأرض ويجتهد فى معارضة ما جاء به موسى . وقيل : أدبر هاربا من الحية يسعى خوفا منها . وقال الرازى : معنى ﴿ **أدبر يسعى** ﴾ : أقبل يسعى ، كما يقال : أقبل يفعل كذا ، أى أنشأ يفعل كذا ، فوضع أدبر موضع أقبل ؛ لئلا يوصف بالإقبال .﴿ **فحشر** ﴾ أى فجمع جنوده للقتال والمحاربة ، أو جمع السحرة للمعارضة ، أو جمع الناس للحضور ليشاهدوا ما يقع ، أوجمعهم ليمنعوه من الحية ﴿ **فنادى . فقال أنا ربكم الأعلى** ﴾ أى قال لهم بصوت عال ، أو أمر من ينادى بهذا القول ، ومعنى ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾ : أنه لا رب فوقى . قال عطاء : كان صنع لهم أصناما صغارا وأمرهم بعبادتها ، وقال : أنا ربّ أصنامكم . وقيل : أراد بكونه ربهم : أنه قائدهم وسائدهم ، والأوّل أولى لقوله فى آية أخرى: ﴿ ما علمت لكم من إله غيرى ﴾ [القصص : ٣٨] .

﴿ **فأخذه الله نكال الآخرة والأولى** ﴾ النكال نعت مصدر محذوف ، أى أخذه أخذ نكال ، أو هو مصدر لفعل محذوف ، أى أخذه الله فنكله نكال الآخرة والأولى . أو مصدر مؤكد لمضمون الجملة . والمراد بنكال الآخرة : عذاب النار ، ونكال الأولى : عذاب الدنيا بالغرق . وقال مجاهد : عذاب أوّل عمره وآخره . وقال قتادة : الآخرة . قوله : ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾ والأولى : تكذيبه لموسى . وقيل : الآخرة . قوله : ﴿ **أنا ربكم الأعلى** ﴾ والأولى : قوله : ﴿ ما علمت لكم من إله غيرى ﴾[ القصص : ٣٨ ] وكان بين الكلمتين أربعون سنة ، ويجوز أن يكون انتصاب نكال على أنه مفعول له ، أى أخذه الله لأجل نكال ، ويجوز أن ينتصب بنزع الخافض ، أى بنكال . ورجح الزجاج أنه مصدر مؤكد ، قال : لأن معنى أخذه الله : نكل الله به ، فأخرج من معناه لا من لفظه . وقال الفرّاء : أى أخذه الله أخذا نكالا ، أى للنكال ، والنكال : اسم لما جعل نكالا للغير ، أى عقوبة له ، يقال : نكل فلان بفلان : إذا عاقبه ، وأصل الكلمة من الامتناع ، ومنه النكول عن اليمين ، والنكل : القيد . ﴿ **إنّ فى ذلك لعبرة لمن يخشى** ﴾ أى فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل به عبرة عظيمة لمن شأنه أن يخشى الله ويتقيه ، ويخاف عقوبته ويحاذر غضبه .

وقد أخرج سعيد بن منصور وابن المنذر ، عن عليّ بن أبي طالب في قوله :﴿ **والنازعات غرقا** ﴾ قال : هي الملائكة تنزع روح الكفار ﴿ **والناشطات نشطا** ﴾ قال : هي الملائكة تنشط أرواح الكفار ما بين الأظفار والجلد حتى تخرجها ﴿ **والسابحات سبحا** ﴾ هي الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين بين السماء والأرض ﴿ **فالسابقات سبقا** ﴾ هي الملائكة يسبق بعضها بعضا بأرواح المؤمنين إلى الله ﴿ **فالمدبرات أمرا** ﴾ هي الملائكة تدبر أمر العباد من السنة إلى السنة . وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس : ﴿ **والنازعات غرقا** ﴾ قال : هي أنفس الكفار تنزع ثم تنشط ثم تغرق في النار . وأخرج الحاكم وصححه عنه :﴿ **والنازعات غرقا . والناشطات نشطا** ﴾ قال : الموت . وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم عن ابن مسعود : ﴿ **والنازعات غرقا** ﴾ قال : الملائكة الذين يلون أنفس الكفار إلى قوله : ﴿ **والسابحات سبحا** ﴾ قال : الملائكة. وأخرج ابن مردويه عن معاذ بن جبل قال : قال لي رسول الله ﷺ : « لا تمزّق الناس فتمزقك كلاب النار . قال الله :﴿ **والناشطات نشطا** ﴾ أتدري ما هو ؟ » قلت : يانبي الله ، ما هو ؟ قال : « كلاب في النار تنشط اللحم والعظم » .

وأخرج ابن أبي حاتم عن عليّ بن أبي طالب أن ابن الكوّاء سأله عن :﴿ **المدبرات أمرا** ﴾ قال : هي الملائكة يدبرون ذكر الرحمن وأمره . وأخرج ابن أبي الدنيا في ذكر الموت عن ابن عباس قال : ﴿ **المدبرات أمرا**﴾: ملائكة يكونون مع ملك الموت يحضرون الموتى عند قبض أرواحهم ، فمنهم من يعرج بالروح ، ومنهم من يؤمن على الدّعاء ، ومنهم من يستغفر للميت حتى يصلى عليه ويدلى في حفرته. وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه: ﴿ **يوم ترجف الراجفة** ﴾ قال : النفخة الأولى ﴿ **تتبعها الرادفة** ﴾ قال : النفخة الثانية ﴿**قلوب يومئذ واجفة** ﴾ قال :خائفة ﴿ **أإنا لمردودون في الحافرة** ﴾ قال : الحياة . وأخرج أحمد وعبد ابن حميد والترمذي وحسنه وابن المنذر ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقي في الشعب عن أبيّ بن كعب قال : كان رسول الله ﷺ إذا ذهب ربع الليل قام فقال : « أيها الناس، اذكروا الله ، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة ، جاء الموت بما فيه »(١) . وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه والديلمي ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ترجف الأرض رجفا وتزلزل بأهلها وهي التي يقول الله ﴿ **يوم ترجف الراجفة. تتبعها الرادفة**﴾» يقول : «مثل السفينة في البحر تكفأ بأهلها مثل القنديل المعلق بأرجائه » .وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس: ﴿ **قلوب يومئذ واجفة** ﴾ قال: وجلة متحركة .وأخرج عبد بن حميد عنه : ﴿ **أإنا لمردودون في الحافرة**﴾ قال: خلقا جديدا . وأخرج أبو عبيد في فضائله ، وابن الأنباري في الوقف والابتداء، وعبد ابن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم أيضا ؛ أنه سئل عن قوله :﴿ **فإذا هم بالساهرة** ﴾ فقال: الساهرة : وجه الأرض ، وفي لفظ قال : الأرض كلها ساهرة ، ألاترى قول الشاعر :

(١) أحمد ١٣٦/٥ والترمذي في صفة القيامة ( ٢٤٥٧) والحاكم ٥١٣/٢ والبيهقي في الشعب (١٤١٨) وإسناده حسن ، ورواية الترمذي : «كان إذا جاء ثلثا الليل » .

صيد بحر وصيد ساهرة

وأخرج البيهقى فى الأسماء والصفات عنه أيضا : ﴿ **هل لك إلى أن تزكى** ﴾ قال : هل لك أن تقول: لا إله إلا الله ؟. وأخرج ابن جرير عنه أيضا : ﴿ **فأخذه الله نكال الآخرة**﴾ قال : قوله: ﴿ **أنا ربكم الأعلى**﴾ ﴿ **والأولى** ﴾ قال: قوله:﴿ ما علمت لكم من إله غيرى ﴾ [ القصص : ٣٨ ] . وأخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم عن عبد الله بن عمرو قال: كان بين كلمتيه أربعون سنة .

﴿ **أَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ (٣٣) فَإِذَا جَاءَتِ الطَّآمَّةُ الْكُبْرَىٰ (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ مَا سَعَىٰ (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ (٣٦) فَأَمَّا مَن طَغَىٰ (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (٤١) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)** ﴾ .

قوله : ﴿ **أأنتم أشد خلقًا أم السماء** ﴾ أى أخلقكم بعد الموت وبعثكم أشدّ عندكم وفى تقديركم أم خلق السماء ؟ والخطاب لكفار مكة ، والمقصود به : التوبيخ لهم والتبكيت ؛ لأن من قدر على خلق السماء التى لها هذا الجرم العظيم وفيها من عجائب الصنع وبدائع القدرة ما هو بين للناظرين كيف يعجز عن إعادة الأجسام التى أماتها بعد أن خلقها أوّل مرّة ؟ ومثل هذا قوله سبحانه : ﴿ لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ﴾ [غافر : ٥٧] ، وقوله: ﴿ أو ليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم ﴾ [ يس : ٨١ ] . ثم بين سبحانه كيفية خلق السماء فقال : ﴿ **بناها . رفع سمكها فسوّاها** ﴾ أى جعلها كالبناء المرتفع فوق الأرض ، ورفع سمكها ، أى أعلاه فى الهواء ، فقوله : ﴿**رفع سمكها** ﴾ بيان للبناء ، يقال : سمكت الشىء ، أى رفعته فى الهواء ، وسمك الشىء سموكا : ارتفع . قال الفرّاء : كل شىء حمل شيئا من البناء أو غيره فهو سمك ، وبناء مسموك وسنام سامك ، أى عال ، والسموكات : السموات : ومنه قول الفرزدق :

إن الذى سمك السماء بنى لنا  بيتا دعـــائمـه أعزّ وأطـــول

قال البغوى : رفع سمكها ، أى سقفها . قال الكسائى والفراء والزجاج : تمّ الكلام عند قوله : ﴿ **أم السماء بناها** ﴾ لأنه من صلة السماء ، والتقدير : أم السماء التى بناها ،

فحذف التى ، ومثل هذا الحذف جائز . ومعنى ﴿ **فسوّاها** ﴾ : فجعلها مستوية الخلق معتدلة الشكل لا تفاوت فيها ولا اعوجاج ولا فطور ولا شقوق . ﴿**وأغطش ليلها** ﴾ الغطش : الظلمة، أى جعله مظلما. يقال: غطش الليل وأغطشه الله، كما يقال : أظلم الليل وأظلمه الله، ورجل أغطش وامرأة غطشى: لا يهتديان . قال الراغب: وأصله من الأغطش، وهو الذى فى عينه عمش ، ومنه فلاة غطشى : لا يهتدى فيها ، والتغاطش : التعامى . قال الأعشى :

ودهماء بالليل غطشى الفلا ة يؤنسنى صوت قيادها

وقوله :

وغامرهم مدلهم غطش

يعنى : غمرهم سواد الليل ، وأضاف الليل إلى السماء ؛ لأن الليل يكون بغروب الشمس و الشمس مضافة إلى السماء.﴿ **وأخرج ضحاها** ﴾ أى أبرز نهارها المضىء بإضاءة الشمس ، وعبر عن النهار بالضحى ؛ لأنه أشرف أوقاته وأطيبها ، وأضافه إلى السماء ؛ لأنه يظهر بظهور الشمس ، وهى منسوبة إلى السماء .

﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها** ﴾ أى بعد خلق السماء ، ومعنى ﴿ **دحاها** ﴾ : بسطها ، وهذا يدّل على أن خلق الأرض بعد خلق السماء، ولا معارضة بين هذه الآية وبين ما تقدّم فى سورة فصلت من قوله : ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ [فصلت : ١١] بل الجمع بأنه سبحانه خلق الأرض أوّلا غير مدحوّة ، ثم خلق السماء ، ثم دحا الأرض . وقد قدّمنا الكلام على هذا مستوفى هنالك ، وقدّمنا أيضا بحثا فى هذا فى أول سورة البقرة عند قوله : ﴿ هو الذى خلق لكم ما فى الأرض جميعا ﴾ [ البقرة : ٢٩ ] وذكر بعض أهل العلم أن بعد بمعنى مع ، كما فى قوله : ﴿ عتلّ بعد ذلك زنيم ﴾ [ القلم : ١٣]. وقيل بعد بمعنى قبل ، كقوله : ﴿ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ﴾ [ الأنبياء : ١٠٥ ] أى من قبل : الذكر ، والجمع الذى ذكرناه أولى ، وهو قول ابن عباس وغير واحد ، واختاره ابن جرير ، يقال : دحوت الشىء أدحوه : إذا بسطته ، ويقال : لعشّ النعامة : أدحى ؛ لأنه مبسوط على الأرض .

وأنشد المبرد :

دحاها فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا

وقال أمية بن أبى الصلت :

وبثّ الخلق فيها إذ دحاها فهم قطانها حتى التنادى

وقال زيد بن عمرو بن نفيل :

وأسلمت وجهى لمن أسلمت له الأرض تحمل صخرا ثقالا

دحاها فلما استوت شدّها بأيد وأرسى عليها الجبالا

قرأ الجمهور بنصب الأرض على الاشتغال . وقرأ الحسن وعمرو بن ميمون وابن أبى عبلة وأبو حيوة وأبو السماك وعمرو بن عبيد ونصر بن عاصم بالرفع على الابتداء . ﴿ **أخرج منها ماءها ومرعاها** ﴾ أى فجر من الأرض الأنهار والبحار والعيون . وأخرج منها مرعاها ، أى النبات الذى يرعى ، ومرعاها مصدر ميمىّ ، أى رعيها ، وهو فى الأصل موضع الرعى ، والجملة إما بيان وتفسير لدحاها ؛ لأن السكنى لا تتأتى بمجرّد البسط بل لابد من تسوية أمر المعاش من المأكل والمشرب ، وإما فى محل نصب على الحال .

﴿ **والجبال أرساها** ﴾ أى أثبتها فى الأرض وجعلها كالأوتاد للأرض لتثبت وتستقر وأن لاتميد بأهلها . قرأ الجمهور بنصب الجبال على الاشتغال . وقرأ الحسن وعمرو بن ميمون وأبو حيوة وأبو السماك وعمرو بن عبيد ونصر بن عاصم بالرفع على الابتداء . قيل : ولعل وجه تقديم ذكر إخراج الماء والمرعى على إرساء الجبال مع تقدم الإرساء عليه للاهتمام بأمر المأكل والمشرب ﴿ **متاعا لكم ولأنعامكم** ﴾ أى منفعة لكم ولأنعامكم من البقر والإبل والغنم ، وانتصاب ﴿ **متاعا** ﴾ على المصدرية ، أى متعكم بذلك متاعا ، أو هو مصدر من غير لفظه ؛ لأن قوله : ﴿ **أخرج منها ماءها ومرعاها** ﴾ بمعنى متع بذلك ، أو على أنه مفعول له، أى فعل ذلك لأجل التمتيع ، وإنما قال : ﴿ **لكم ولأنعامكم** ﴾ لأن فائدة ما ذكر من الدحوّ وإخراج الماء والمرعى كائنة لهم ولأنعامهم ، والمرعى: يعمّ ما يأكله الناس والدواب .

﴿ **فإذا جاءت الطامة الكبرى** ﴾ أى الداهية العظمى التى تطم على سائر الطامات . قال الحسن وغيره : وهى النفخة الثانية . وقال الضحاك وغيره : هى القيامة ، سميت بذلك ؛ لأنها تطمّ على كل شىء لعظم هولها . قال المبرد : الطامة عند العرب : الداهية التى لاتستطاع، وإنما أخذت فيما أحسب من قولهم : طمّ الفرس طميما : إذا استفرغ جهده فى الجرى ، وطمّ الماء : إذا ملأ النهر كله . وقال غيره : هو من طمّ السيل الركية ، أى دفنها ، والطمّ : الدفن .قال مجاهد وغيره : الطامة الكبرى : هى التى تسلم أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار ، والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها ، وجواب إذا قيل هو قوله : ﴿ **فأما من طغى** ﴾. وقيل : محذوف ، أى فإن الأمر كذلك ، أو عاينوا ، أو علموا أو أدخل أهل النار النار وأهل الجنة الجنة . وقال أبو البقاء : العامل فيها جوابها ، وهو معنى ﴿ **يومئذ يتذكر الإنسان** ﴾ فإنه منصوب بفعل مضمر، أى أعنى يوم يتذكر يكون كيت وكيت . وقيل : إن الظرف بدل من إذا . وقيل : هو بدل من الطامة الكبرى ، ومعنى تذكر الإنسان ما سعى :

أنه يتذكر ما عمله من خيرٍ أو شرٍّ ؛ لأنه يشاهده مدوّنا فى صحائف عمله ، و« ما » مصدرية ، أو موصوله . ﴿ **وبرزت الجحيم لمن يرى** ﴾ معطوف على جاءت ، ومعنى برّزت : أظهرت إظهارًا لا يخفى على أحد . قال مقاتل : يكشف عنها الغطاء فينظر إليها الخلق ، وقيل : ﴿**لمن يرى** ﴾ من الكفار ، لا من المؤمنين ، والظاهر أن تبرز لكل راء ، فأما المؤمن فيعرف برؤيتها قدر نعمة الله عليه بالسلامة منها ، وأما الكافر فيزداد غما إلى غمه وحسرة إلى حسرته . قرأ الجمهور : ﴿ **لمن يرى**﴾ بالتحتية . وقرأت عائشة ومالك بن دينار وعكرمة وزيد بن علىّ بالفوقية ، أى لمن تراه الجحيم، أو لمن تراه أنت يامحمد . وقرأ ابن مسعود : « لمن رأى » على صيغة الفعل الماضى .

﴿ **فأما من طغى** ﴾ أى جاوز الحد فى الكفر والمعاصى . ﴿ **وآثر الحياة الدنيا** ﴾ أى قدّمها عن الآخرة ولم يستعدّ لها ولا عمل عملها . ﴿ **فإن الجحيم هى المأوى** ﴾ أى مأواه ، والألف واللام عوض عن المضاف إليه ، والمعنى : أنها منزله الذى ينزله ومأواه الذى يأوى إليه لاغيرها. ثم ذكر القسم الثانى من القسمين فقال : ﴿ **وأما من خاف مقام ربه** ﴾ أى حذر مقامه بين يدى ربه يوم القيامة . قال الربيع : مقامه يوم الحساب . قال قتادة : يقول : إن للّه عزّ وجلّ مقاما قد خافه المؤمنون . وقال مجاهد : هو خوفه فى الدنيا من الله عزّ وجلّ عند مواقعة الذنب فيقلع عنه ، نظيره قوله : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾ [ الرحمن : ٤٦] والأوّل أولى . ﴿**ونهى النفس عن الهوى** ﴾ أى زجرها عن الميل إلى المعاصى والمحارم التى تشتهيها . قال مقاتل : هو الرجل يهمّ بالمعصية فيذكر مقامه للحساب فيتركها ﴿ **فإن الجنة هى المأوى** ﴾ أى المنزل الذى ينزله والمكان الذى يأوى إليه لاغيرها .

﴿ **يسألونك عن الساعة أيان مرساها** ﴾ أى متى وقوعها وقيامها . قال الفراء : أى منتهى قيامها كرسوّ السفينة . قال أبو عبيدة : ومرسى السفينة حين تنتهى ، والمعنى : يسألونك عن الساعة متى يقيمها الله ، وقد مضى بيان هذا فى سورة الأعراف . ﴿ **فيم أنت من ذكراها** ﴾ أى فى أىّ شىء أنت يامحمد من ذكر القيامة والسؤال عنها ، والمعنى : لست فى شىء من علمها وذكراها إنما يعلمها الله سبحانه ، وهو إنكار وردّ لسؤال المشركين عنها ، أى فيم أنت من ذلك حتى يسألونك عنه ولست تعلمه ؟ ﴿ **إلى ربك منتهاها** ﴾ أى منتهى علمها فلا يوجد علمها عند غيره ، وهذا كقوله : ﴿ قل إنما علمها عند ربى ﴾ [الأعراف : ١٨٧] ، وقوله : ﴿إن الله عنده علم الساعة ﴾ [لقمان : ٣٤] فكيف يسألونك عنها ويطلبون منك بيان وقت قيامها ؟ ﴿ **إنما أنت منذر من يخشاها** ﴾ أى مخوّف لمن يخشى قيام الساعة ، وذلك وظيفتك ليس عليك غيره من الإخبار بوقت قيام الساعة ونحوه مما استأثر الله بعلمه ، وخصّ الإنذار بمن يخشى ؛ لأنهم المنتفعون بالإنذار وإن كان منذرا لكلّ مكلف من مسلم وكافر . قرأ الجمهور بإضافة :﴿ **منذر** ﴾ إلى ما بعده . وقرأ عمر بن عبد العزيز وأبو جعفر وطلحة وابن محيصن وشيبة والأعرج وحميد بالتنوين ، ورويت هذه القراءة عن أبى عمرو . قال الفراء : والتنوين

وتركه فى منذر صواب كقوله : ﴿ بالغ أمره ﴾ [الطلاق : ٣] ﴿ موهن كيد الكافرين ﴾ [الأنفال : ١٨]. قال أبو علىّ الفارسى : يجوز أن تكون الإضافة للماضى ، نحو ضارب زيد أمس . ﴿ **كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها** ﴾ أى إلا قدر آخر نهار أو أوّله ، أوقدر الضحى الذى يلى تلك العشية ، والمراد : تقليل مدّة الدنيا ، كما قال : ﴿ لم يلبثوا إلا ساعة من نهار ﴾ [ الأحقاف : ٣٥] . وقيل : لم يلبثوا فى قبورهم إلا عشية أو ضحاها . قال الفراء والزجاج : المراد بإضافة الضحى إلى العشية : إضافته إلى يوم العشية على عادة العرب يقولون: آتيك الغداة أو عشيتها، وآتيك العشية أو غداتها فتكون العشية فى معنى آخر النهار ، والغداة فى معنى أوّل النهار ، ومنه قول الشاعر :

نحن صبحنا عامرا فى دارها

جردًا تعــادى طرفى نهارهـا

عشية الهــلال أو سرارهـــا

والجملة تقرير لما يدل عليه الإنذار من سرعة مجىء المنذر به .

وقد أخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **رفع سمكها** ﴾ قال : بناها ﴿ **وأغطش ليلها**﴾ قال : أظلم ليلها . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه : ﴿ **وأغطش ليلها** ﴾ قال : وأظلم ليلها ﴿ **وأخرج ضحاها** ﴾ قال : أخرج نهارها . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضا : ﴿ **والأرض بعد ذلك دحاها**﴾ قال : مع ذلك . وأخرج عبد ابن حميد وابن أبى حاتم عنه أيضا ؛ أن رجلا قال له : آيتان فى كتاب الله تخالف إحداهما الأخرى ، فقال : إنما أتيت من قبل رأيك ، قال : اقرأ : ﴿ قل أإنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين ﴾ حتى بلغ ﴿ ثم استوى إلى السماء ﴾ [ فصلت :٩ ــ ١١] ، وقوله : ﴿**والأرض بعد ذلك دحاها** ﴾ قال : خلق الله الأرض قبل أن يخلق السماء ثم خلق السماء ، ثم دحى الأرض بعد ما خلق السماء ، وإنما قوله : ﴿ **دحاها** ﴾ بسطها . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضا قال: ﴿ **دحاها** ﴾ : أن أخرج منها الماء والمرعى وشقق فيها الأنهار وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام وما بينهما فى يومين . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا قال: الطامة من أسماء يوم القيامة .

وأخرج ابن مردويه عن علىّ بن أبى طالب ، كان النبىّ ﷺ يسأل عن الساعة فنزلت : ﴿**فيم أنت من ذكراها** ﴾ . وأخرج البزار وابن جرير وابن المنذر ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه عن عائشة قالت : ما زال رسول الله ﷺ يسأل عن الساعة حتى أنزل الله : ﴿ **فيم أنت من ذكراها .إلى ربك منتهاها** ﴾ فانتهى فلم يسأل عنها [1] . وأخرج عبد بن حميد والنسائى

(١) صححه الحاكم ٢ / ٥١٣ ، ٥١٤ ووافقه الذهبى .

وابن جرير والطبرانى وابن مردويه عن طارق بن شهاب قال : كان رسول الله ﷺ يكثر ذكر الساعة حتى نزلت : ﴿ **فيم أنت من ذاكرها. إلى ربك منتهاها** ﴾ فكفّ عنها [1] . وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس، قال السيوطى : بسند ضعيف ، أن مشركى مكة سألوا النبىّ ﷺ فقالوا : متى الساعة استهزاء منهم ؟ فأنزل الله : ﴿**يسألونك عن الساعة أيان مرساها**﴾ يعنى مجيئها ﴿**فيم أنت من ذكراها** ﴾ يعنى : ما أنت من علمها يا محمد ﴿ **إلى ربك منتهاها** ﴾ يعنى : منتهى علمها . وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت : كانت الأعراب إذا قدموا على النبى ﷺ سألوه عن الساعة فينظر إلى أحدث إنسان منهم فيقول : « إن يعش هذا قامت عليكم ساعتكم » .

(١) النسائى فى التفسير (٦٦٥) وإسناده حسن ، والطبرانى (٨٢١٠) .

## تفسير سورة عبس

وتسمى سورة السفرة ، وهى إحدى وأربعون أو اثنان وأربعون آية . وهى مكية فى قول الجميع . وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس قال : نزلت سورة عبس بمكة . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله .

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ (١) أَن جَاءَهُ الأَعْمَىٰ (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّىٰ (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَىٰ (٤) أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ (٥) فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّىٰ (٧) وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ (٨) وَهُوَ يَخْشَىٰ (٩) فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ (١٠) كَلاَّ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ (١٣) مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) قُتِلَ الإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنشَرَهُ (٢٢) كَلاَّ لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣) فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلاً (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلأَنْعَامِكُمْ (٣٢) فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أَوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢) ﴾ .

قوله : ﴿ عبس وتولى ﴾ أى كلح بوجهه وأعرض . وقرئ « عبس » بالتشديد . ﴿ أن جاءه الأعمى ﴾ مفعول لأجله ، أى لأن جاءه الأعمى ، والعامل فيه إما ﴿عبس ﴾أو ﴿تولى﴾ على الاختلاف بين البصريين والكوفيين فى التنازع هل المختار إعمال الأوّل أو الثانى ؟ وقد أجمع المفسرون على أن سبب نزول الآية : أن قومًا من أشراف قريش كانوا عند النبىّ ﷺ ، وقد طمع فى إسلامهم ، فأقبل عبد الله بن أمّ مكتوم ، فكره رسول الله ﷺ أن يقطع عليه ابن أمّ مكتوم كلامه، فأعرض عنه فنزلت (١) ، وسيأتى فى آخر البحث بيان هذا إن شاء الله .

(١) الترمذى فى التفسير ( ٣٣٣١ ) وقال : « هذا حديث حسن غريب » وصححه الحاكم ٢/ ٥١٤ ، ووافقه الذهبى ، وهو عن عائشة .

﴿ وما يدريك لعله يزكى ﴾ التفت سبحانه إلى خطاب نبيه ﷺ ؛ لأن المشافهة أدخل فى العتاب ، أى أى شىء يجعلك داريا بحاله حتى تعرض عنه ، وجملة : ﴿ لعله يزكى ﴾ مستأنفة لبيان أن له شأنا ينافى الإعراض عنه ، أى لعله يتطهر من الذنوب [(١)] بالعمل الصالح بسبب ما يتعلمه منك ، فالضمير فى ﴿ لعله ﴾ راجع إلى﴿ الأعمى ﴾ ، وقيل : هو راجع إلى الكافر ، أى وما يدريك أن ما طمعت فيه ممن اشتغلت بالكلام معه عن الأعمى أنه يزكى أو يذكر ، والأوّل أولى . وكلمة الترجى باعتبار من وجه إليه الخطاب للتنبيه على أن الإعراض عنه مع كونه مرجوّ التزكى مما لا يجوز . قرأ الجمهور: ﴿ أن جاءه الأعمى ﴾ على الخبر بدون استفهام ، ووجهه ما تقدّم ، وقرأ الحسن : « آن جاءه » بالمدّ على الاستفهام ، فهو على هذه القراءة متعلق بفعل محذوف دلّ عليه ﴿عبس﴾ و﴿ تولى﴾ ، والتقدير أن جاءه الأعمى تولى وأعرض ، ومثل هذه الآية قوله فى سورة الأنعام : ﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشىّ ﴾ [ الآية : ٥٢] وكذلك قوله فى سورة الكهف : ﴿ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا﴾ [ الآية : ٢٨] .

وقوله : ﴿ أو يذكر ﴾ عطف على ﴿ يزكى﴾ داخل معه فى حكم الترجى أى أو يتذكر فيتعظ بما تعلمه من المواعظ ﴿فتنفعه الذكرى ﴾أى الموعظة . قرأ الجمهور :﴿ فتنفعه ﴾ بالرفع، وقرأ عاصم وابن أبى إسحاق [(٢)]وعيسى والسلمى وزرّ بن حبيش بالنصب على جواب الترجى. ﴿ أما من استغنى ﴾ أى كان ذا ثروة وغنى ، أو استغنى عن الإيمان وعما عندك من العلم ﴿فأنت له تصدى ﴾ أى تصغى لكلامه ، والتصدّى :الإصغاء . قرأ الجمهور: ﴿ تصدى ﴾ بالتخفيف على طرح إحدى التاءين تخفيفا ، وقرأ نافع وابن محيصن بالتشديد على الإدغام ، وفى هذا مزيد تنفير له ﷺ عن الإقبال عليهم والإصغاء إلى كلامهم .﴿ وما عليك ألا يزكى ﴾ أى أىّ شىء عليك فى أن لا يسلم ولا يهتدى ، فإنه ليس عليك إلا البلاغ، فلا تهتم بأمر من كان هكذا من الكفار ويجوز أن تكون « ما » نافية ، أى ليس عليك بأس فى أن لا يتزكى من تصدّيت له وأقبلت عليه ، وتكون الجملة فى محل نصب على الحال من ضمير تصدّى .

ثم زاد سبحانه فى معاتبة رسوله ﷺ فقال : ﴿ وأما من جاءك يسعى ﴾ أى وصل إليك حال كونه مسرعا فى المجىء إليك طالبا منك أن ترشده إلى الخير وتعظه بمواعظ الله ، وجملة: ﴿ وهو يخشى ﴾ حال من فاعل يسعى على التداخل ، أو من فاعل جاءك على الترادف . ﴿فأنت عنه تلهى ﴾ أى تتشاغل عنه وتعرض عن الإقبال عليه، والتلهى : التشاغل والتغافل ، يقال : لهيت عن الأمر ألهى ، أى تشاغلت عنه ، وكذا تلهيت وقوله : ﴿كلا﴾ ردع له ﷺ عما عوتب عليه ، أى لا تفعل بعد هذا الواقع منك مثله من الإعراض عن الفقير ، والتصدّى للغنى والتشاغل به ، مع كونه ليس ممن يتزكى عن إرشاد من جاءك من أهل التزكى والقبول

(١) فى المطبوعة : « بالذنوب » والصحيح ما أثبتناه من المخطوطة .
(٢) فى المطبوعة : « عاصم بن أبى إسحاق » والصحيح ما أثبتناه من المخطوطة ومن القرطبى ١٠/٥٠٠٧ .

للموعظة ، وهذا الواقع من النبى ﷺ هو من باب ترك الأولى ، فأرشده الله سبحانه إلى ما هو الأولى به ﴿ **إنها تذكرة** ﴾ أى أن هذه الآيات أو السورة موعظة حقها أن تتعظ بها وتقبلها وتعمل بموجبها ويعمل بها كل أمتك . ﴿ **فمن شاء ذكره** ﴾ أى فمن رغب فيها اتعظ بها وحفظها وعمل بموجبها ، ومن رغب عنها كما فعله من استغنى فلا حاجة إلى الاهتمام بأمره ، وقيل : الضميران فى «إنها» ، وفى ﴿**ذكره**﴾ للقرآن ، وتأنيث الأول لتأنيث خبره ، وقيل : الأوّل للسورة ، أو للآيات السابقة ، والثانى للتذكرة لأنها فى معنى الذكر. وقيل : إن معنى ﴿**فمن شاء ذكره** ﴾: فمن شاء الله ألهمه وفهمه القرآن حتى يذكره ويتعظ به، والأوّل أولى .

ثم أخبر سبحانه عن عظم هذه التذكرة وجلالتها فقال : ﴿ **فى صحف** ﴾ أى إنها تذكرة كائنة فى صحف، فالجار والمجرور صفة لـ﴿**تذكرة**﴾ ، وما بينهما اعتراض ، والصحف جمع صحيفة ، ومعنى ﴿ **مكرمة** ﴾ : أنها مكرمة عند الله لما فيها من العلم والحكمة ، أو لأنها نازلة من اللوح المحفوظ . وقيل : المراد بالصحف : كتب الأنبياء ، كما فى قوله : ﴿ إن هذا لفى الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسى ﴾ [ الأعلى : ١٨ ، ١٩ ] ومعنى ﴿ **مرفوعة** ﴾ أنها رفيعة القدر عند الله . وقيل : مرفوعة فى السماء السابعة ، قال الواحدى : قال المفسرون: ﴿**مكرمة** ﴾ يعنى : اللوح المحفوظ ﴿ **مرفوعة** ﴾ يعنى: فى السماء السابعة . قال ابن جرير : مرفوعة القدر والذكر. وقيل : مرفوعة عن الشبه والتناقض ﴿ **مطهرة** ﴾ أى منزهة لا يمسها إلا المطهرون . قال الحسن : مطهرة من كل دنس ، قال السدّى : مصانة عن الكفّار لا ينالونها . ﴿ **بأيدى سفرة** ﴾ السفرة جمع سافر ككتبة وكاتب ، والمعنى : أنها بأيدى كتبة من الملائكة ينسخون الكتب من اللوح المحفوظ ، قال الفراء: السفرة هنا : الملائكة : الذين يسفرون بالوحى بين الله ورسوله من السفارة وهو السعى بين القوم ، وأنشد :

فما أدع السفارة بين قومى ولا أمشى بغير أب نسيب

قال الزجاج : وإنما قيل للكتاب سفر بكسر السين ، والكاتب سافر؛ لأن معناه : أنه بين، يقال : أسفر الصبح : إذا أضاء ، وأسفرت المرأة : إذا كشفت النقاب عن وجهها ، ومنه سفرت بين القوم أسفر سفارة ، أى أصلحت بينهم . قال مجاهد : هم الملائكة الكرام الكاتبون لأعمال العباد ، وقال قتادة : السفرة هنا هم : القراء ؛ لأنهم يقرؤون الأسفار . وقال وهب بن منبه : هم أصحاب النبى ﷺ . ثم أثنى سبحانه على السفرة فقال : ﴿**كرام بررة** ﴾ أى كرام على ربهم ، كذا قال الكلبى ، وقال الحسن : كرام عن المعاصى ، فهم يرفعون أنفسهم عنها . وقيل : يتكرمون أن يكونوا مع ابن آدم إذا خلا بزوجته ، أو قضى حاجته . وقيل : يؤثرون منافع غيرهم على منافعهم . وقيل : يتكرّمون على المؤمنين بالاستغفار لهم ، والبررة: جمع بارّ، مثل : كفرة وكافر ، أى أتقياء مطيعون لربهم صادقون فى إيمانهم ، وقد تقدّم تفسيره .

﴿ **قتل الإنسان ما أكفره** ﴾ أى لعن الإنسان الكافر ما أشدّ كفره . وقيل : عذب . قيل : والمراد به : عتبة بن أبى لهب ، ومعنى ﴿ **ما أكفره** ﴾ : التعجب من إفراط كفره ، قال الزجاج : معناه : اعجبوا أنتم من كفره . وقيل : المراد بالإنسان من تقدم ذكره فى قوله : ﴿**أما من استغنى** ﴾ وقيل : المراد به الجنس ، وهذا هو الأولى ، فيدخل تحته كل كافر شديد الكفر، ويدخل تحته من كان سببًا لنزول الآية دخولا أوّليا . ثم ذكر سبحانه ما كان ينبغى لهذا الكافر أن ينظر فيه حتى ينزجر عن كفره ويكفّ عن طغيانه فقال :﴿ **من أىّ شىء خلقه** ﴾ أى من أىّ شىء خلق الله هذا الكافر، والاستفهام للتقرير ، ثم فسر ذلك فقال :﴿ **من نطفة خلقه**﴾ أىْ من ماء مهين ، وهذا تحقير له ، قال الحسن : كيف يتكبر من خرج من مخرج البول مرتّين ، ومعنى ﴿ **فقدّره** ﴾ أى فسوّاه وهيأه لمصالح نفسه ، وخلق له اليدين والرجلين والعينين وسائر الآلات والحواسّ . وقيل : قدّره أطوارا من حال إلى حال، نطفة ثم علقة إلى أن تم خلقه . ﴿ **ثم السبيل يسره** ﴾ أى يسرّ له الطريق إلى الخير والشرّ ، وقال السدّى ومقاتل وعطاء وقتادة : يسره للخروج من بطن أمه ، والأوّل أولى . ومثله قوله : ﴿ وهديناه النجدين﴾ [ البلد : ١٠ ] وانتصاب ﴿ **السبيل**﴾ بمضمر يدل عليه الفعل المذكور ، أى يسر السبيل يسره . ﴿ **ثم أماته فأقبره** ﴾ أى جعله بعد أن أماته ذا قبر يوارى فيه إكراما له ، ولم يجعله مما يلقى على وجه الأرض تأكله السباع والطير ، كذا قال الفراء : وقال أبو عبيدة :جعل له قبرا وأمر أن يقبر فيه ، وقال : ﴿ **أقبره** ﴾ ولم يقل : قبره ؛ لأن القابر هو الدافن بيده ، ومنه قول الأعشى :

لو أسندت ميتا إلى صدرها عاش ولم ينقل إلى قابر

﴿ **ثم إذا شاء أنشره** ﴾ أى ثم إذا شاء إنشاره أنشره ، أى أحياه بعد موته ، وعلق الإنشار بالمشيئة للدلالة على أن وقته غير متعين ، بل هو تابع للمشيئة . قرأ الجمهور : ﴿ **أنشره** ﴾ بالألف ، وروى أبوحيوة عن نافع وشعيب بن أبى حمزة « نشرة » بغير ألف ، وهما لغتان فصيحتان : ﴿ **كلا لما يقض ما أمره** ﴾ كلا ردع وزجر للإنسان الكافر ، أى ليس الأمر كما يقول . ومعنى ﴿ **لما يقض ما أمره** ﴾ : لم يقض ما أمره الله به من العمل بطاعته واجتناب معاصيه ، وقيل : المراد: الإنسان على العموم ، وأنه لم يفعل ما أمره الله به مع طول المدّة لأنه لا يخلو من تقصير . قال الحسن : أى حقًا لم يعمل ما أمر به . وقال ابن فورك : أى كلا لما يقض لهذا الكافر ما أمره به من الإيمان بل أمره بما لم يقض له . قال ابن الأنبارى : الوقف على «كلا » قبيح والوقف على ﴿ **أمره** ﴾ جيد ، و« كلا» على هذا بمعنى :حقا ، وقيل: المعنى : لما يقض جميع أفراد الإنسان ما أمره ، بل أخلّ به : بعضها بالكفر، وبعضها بالعصيان ، وما قضى ما أمره الله إلا القليل .

ثم شرع سبحانه فى تعداد نعمه على عباده ليشكروها ، وينزجروا عن كفرانها بعد ذكر النعم المتعلقة بحدوثه فقال : ﴿ **فلينظر الإنسان إلى طعامه** ﴾ أى ينظر كيف خلق الله طعامه

الذى جعله سببا لحياته ؟ وكيف هيأ له أسباب المعاش يستعدّ بها للسعادة الأخروية ؟ قال مجاهد: معناه : فلينظر الإنسان إلى طعامه ، أى إلى مدخله ومخرجه ، والأوّل أولى . ثم بين ذلك سبحانه فقال : ﴿ **أنا صببنا الماء صبا** ﴾ قرأ الجمهور : « إنا » بالكسر على الاستئناف، وقرأ الكوفيون ورويس عن يعقوب بالفتح على أنه بدل من ﴿**طعامه**﴾ بدل اشتمال لكون نزول المطر سببا لحصول الطعام ، فهو كالمشتمل عليه، أوبتقدير لام العلة ، قال الزجاج: الكسر على الابتداء والاستئناف ، والفتح على معنى البدل من الطعام . المعنى : فلينظر الإنسان إلى أنا صببنا الماء صبا ، وأراد بصب الماء : المطر . وقرأ الحسن بن علىّ بالفتح والإمالة . ﴿**ثم شققنا الأرض شقا** ﴾ أى شققناها بالنبات الخارج منها بسبب نزول المطر شقا بديعا لائقا بما يخرج منه فى الصغر والكبر والشكل والهيئة .

ثم بين سبب هذا الشقّ وما وقع لأجله فقال : ﴿ **فأنبتنا فيها حبا** ﴾ يعنى : الحبوب الذى يتغذى بها ، والمعنى : أن النبات لا يزال ينمو ويتزايد إلى أن يصير حبا ، وقوله : ﴿ **وعنبا**﴾ معطوف على ﴿ **حبا** ﴾ ، أى وأنبتنا فيها عنبا . قيل : وليس من لوازم العطف أن يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير فى خلوّ إنبات العنب عن شقّ الأرض ، والقضب : هو القتّ الرطب الذى يقضب مرة بعد أخرى تعلف به الدواب ، ولهذا سمى قضبا على مصدر قضبه ، أى قطعه كأنه لتكرّر قطعها نفس القطع . قال الخليل : القضب : الفصفصة الرطبة، فإذا يبست فهى القتّ . قال فى الصحاح : والقضبة والقضب : الرطبة ، قال : والموضع الذى ينبت فيه مقضبة . قال القتيبى وثعلب : وأهل مكة يسمون العنب : القضب ، والزيتون هو ما يعصر منه الزيت ، وهو شجرة الزيتون المعروفة ، والنخل هو جمع نخلة ﴿ **وحدائق غلبا** ﴾ جمع حديقة ، وهى البستان ، والغلب : العظام الغلاظ الرقاب ، وقال مجاهد ومقاتل : الغلب : الملتف بعضها ببعض ، يقال : رجل أغلب : إذا كان عظيم الرقبة، ويقال للأسد : أغلب ؛ لأنه مصمت العنق لا يلتفت إلا جميعا . قال العجاج :

مازلت يوم البين ألوى صلبى والرأس حتى صرت مثل الأغلب

وجمع أغلب وغلباء: غلب ، كما جمع أحمر وحمراء على حمر ، وقال قتادة وابن زيد : الغلب : النخل الكرام، وعن ابن زيد أيضا وعكرمة : هى غلاظ الأوساط والجذوع . والفاكهة: ما يأكله الإنسان من ثمار الأشجار كالعنب والتين والخوخ ونحوها ، والأب: كل ما أنبتت الأرض مما لايأكله الناس ولا يزرعونه من الكلأ وسائر أنواع المرعى ، ومنه قول الشاعر :

جدنا قيس ونجد دارنا ولنا الأبّ بها والمكرع

قال الضحاك : الأبّ كل شىء ينبت على وجه الأرض ، وقال ابن أبى طلحة : هو الثمار الرطبة ، وروى عن الضحاك أيضا أنه قال : هو التين خاصة ، والأوّل أولى . ثم شرع سبحانه فى بيان أحوال المعاد فقال : ﴿ **فإذا جاءت الصاخة** ﴾ يعنى : صيحة يوم القيامة ،

وسميت صاخة لشدة صوتها لأنها تصخ الآذان ، أى تصمها فلا تسمع . وقيل : سميت صاخة لأنها يصيخ لها الأسماع ، من قولك : أصخ إلى كذا أى استمع إليه ، والأوّل أصح. قال الخليل : الصاخة : صيحة تصخ الآذان حتى تصمها بشدّة وقعها ، وأصل الكلمة فى اللغة مأخوذة من الصكّ الشديد ، يقال : صخه بالحجر : إذا صكه بها ، وجواب إذا محذوف يدل عليه قوله : ﴿ **لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه** ﴾ أى فإذا جاءت الصاخة اشتغل كل أحد بنفسه ، والظرف فى قوله : ﴿ **يوم يفرّ المرء من أخيه. وأمه وأبيه . وصاحبته وبنيه** ﴾ إما بدل من﴿ **إذا جاءت** ﴾، أو منصوب بمقدّر ، أى أعنى ، ويكون تفسيرا للصاخة ، أو بدلا منها مبنىّ على الفتح ، وخصّ هؤلاء بالذكر لأنهم أخصّ القرابة ، وأولاهم بالحنوّ والرأفة ، فالفرار منهم لا يكون إلا لهول عظيم وخطب فظيع . ﴿ **لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه** ﴾ أى لكل إنسان يوم القيامة شأن يشغله عن الأقرباء ويصرفه عنهم . وقيل : إنما يفرّ عنهم حذرا من مطالبتهم إياه بما بينهم . وقيل : يفرّ عنهم لئلا يروا ما هو فيه من الشدّة . وقيل : لعلمه أنهم لا ينفعونه ولا يغنون عنه شيئا كما قال تعالى : ﴿ يوم لا يغنى مولى عن مولى شيئا ﴾ [الدخان : ٤١ ] والجملة مستأنفة مسوقة لبيان سبب الفرار . قال ابن قتيبة : ﴿ **يغنيه**﴾ أى يصرفه عن قرابته ،ومنه يقال: أغن عنى وجهك، أى اصرفه. قرأ الجمهور : ﴿ **يغنيه** ﴾ بالغين المعجمة ، وقرأ ابن محيصن بالعين المهملة مع فتح الياء ، أى يهمه ، من عناه الأمر إذا أهمه .

﴿ **وجوه يومئذ مسفرة** ﴾ ﴿ **وجوه** ﴾ مبتدأ وإن كان نكرة ؛ لأنه فى مقام التفصيل ، وهو من مسوّغات الابتداء بالنكرة ، ويومئذ متعلق به ، ومسفرة خبره ، ومعنى ﴿ **مسفرة** ﴾ : مشرقة مضيئة ، وهى وجوه المؤمنين لأنهم قد علموا إذ ذاك مالهم من النعيم والكرامة ، يقال : أسفر الصبح : إذا أضاء ، قال الضحاك : مسفرة من آثار الوضوء . وقيل : من قيام الليل . ﴿**ضاحكة مستبشرة** ﴾ أى فرحة بما نالته من الثواب الجزيل . ثم لما فرغ من ذكر حال المؤمنين ذكر حال الكفار فقال : ﴿**ووجوه يومئذ عليها غبرة** ﴾ أى غبار وكدورة لما تراه مما أعدّه الله لها من العذاب . ﴿ **ترهقها قترة** ﴾ أى يغشاها ويعلوها سواد وكسوف . وقيل : ذلة . وقيل : شدة . والقتر فى كلام العرب :الغبار ،كذا قال أبو عبيدة ، وأنشد قول الفرزدق :

متوّج برداء الملك يتبعه فوج ترى فوقه الرايات والقترا

ويدفع ما قاله أبو عبيدة تقدم ذكر الغبرة فإنها واحدة الغبار ، وقال زيد بن أسلم : القترة: ما ارتفعت إلى السماء ، والغبرة : ما انحطت إلى الأرض ﴿ **أولئك** ﴾ يعنى : أصحاب الوجوه ﴿ **هم الكفرة الفجرة** ﴾ أى الجامعون بين الكفر بالله والفجور . يقال : فجر ، أى فسق ، وفجر ، أى كذب ، وأصله الميل ، والفاجر: المائل عن الحق .

وقد أخرج الترمذى وحسنه ، وابن المنذر وابن حبان ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه عن عائشة قالت : أنزلت : ﴿ **عبس وتولى** ﴾ فى ابن أمّ مكتوم الأعمى أتى رسول الله ﷺ

فجعل يقول : يارسول الله ، أرشدنى . وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين ، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول : «أترى بما أقول بأسا ؟ » . فيقول: لا . ففى هذا أنزلت[١] . وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وأبو يعلى عن أنس قال: جاء ابن أمّ مكتوم ، وهو يكلم أبىّ بن خلف ، فأعرض عنه ، فأنزل الله :﴿ **عبس وتولى . أن جاءه الأعمى**﴾ فكان النبىّ ﷺ بعد ذلك يكرمه [٢]. وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس قال : بينا رسول الله ﷺ يناجى عتبة بن ربيعة والعباس بن عبد المطلب وأبا جهل بن هشام وكان يتصدّى لهم كثيرا ويحرص عليهم أن يؤمنوا ، فأقبل عليه رجل أعمى يقال له : عبد الله بن أمّ مكتوم يمشى ، وهو يناجيهم ، فجعل عبد الله يستقرئ النبىّ ﷺ آية من القرآن قال : يارسول الله ، علمنى مما علمك الله ، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وعبس فى وجهه وتولى وكره كلامه وأقبل على الآخرين ، فلما قضى رسول الله ﷺ نجواه ، وأخذ ينقلب إلى أهله أمسك الله ببعض بصره ، ثم خفق برأسه ، ثم أنزل الله: ﴿ **عبس وتولى** ﴾ الآية ، فلما نزل فيه ما نزل أكرمه نبىّ الله ﷺ وكلمه وقال له : « ما حاجتك ؟ هل تريد من شىء ؟ » وإذا ذهب من عنده قال : « هل لك حاجة فى شىء ؟ » قال ابن كثير : فيه غرابة ، وقد تكلم فى إسناده[٣].

وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس : ﴿ **بأيدى سفرة** ﴾ قال : كتبة . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عنه : ﴿ **بأيدى سفرة** ﴾ قال : هم بالنبطية القرّاء . وأخرج ابن جرير عنه أيضا : ﴿ **كرام بررة** ﴾ قال : الملائكة . وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « الذى يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة، والذى يقرأه وهو عليه شاق له أجران »[٤]. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس : ﴿ **ثم السبيل يسره** ﴾ قال :يعنى بذلك خروجه من بطن أمه يسره له .

وأخرج ابن المنذر عن عبد الله بن الزبير فى قوله :﴿ **فلينظر الإنسان إلى طعامه** ﴾ قال:إلى مدخله ومخرجه. وأخرج ابن أبى الدنيا عن ابن عباس : ﴿ **فلينظر الإنسان إلى طعامه**﴾ قال : إلى خرئه . وأخرج ابن المنذر عنه: ﴿ **أنا صببنا الماء صبا** ﴾ قال : المطر ﴿ **ثم شققنا الأرض شقا** ﴾ قال : عن النبات . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا فى قوله : ﴿ **وقضبا** ﴾ قال : الفِصْفِصَة ، يعنى : القتّ ﴿ **وحدائق غلبا** ﴾ قال : طوالا ﴿ **وفاكهة وأبا** ﴾ قال : الثمار الطيبة . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا قال : الحدائق : كل ملتفّ ، والغلب : ماغلظ ، والأبّ : ما أنبتت الأرض مما تأكله

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) أبو يعلى (٣١٢٣ ) . (٣) ابن جرير ٣٠/ ٣٣ وقال ابن كثير ٧/ ٢١٣ : « وفيه غرابة ونكارة » .
(٤) البخارى فى التفسير ( ٤٩٣٧ ) ومسلم فى صلاة المسافرين ( ٧٩٨/ ٢٤٤ ) والترمذى فى فضائل القرآن (٤ ٢٩٠) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

الدواب ولا يأكله الناس . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنه أيضا : ﴿ وحدائق غلبا ﴾ قال: شجر فى الجنة يستظل به لا يحمل شيئا . وأخرج ابن جرير عنه أيضا قال : الأبّ : الكلأ والمرعى . وأخرج أبو عبيد فى فضائله ، وعبد بن حميد عن إبراهيم التيمى قال : سئل أبو بكر الصديق عن الأبّ ماهو ؟ . فقال : أىّ سماء تظلنى وأىّ أرض تقلنى إذا قلت فى كتاب الله مالا أعلم ؟ . وأخرج عبد بن حميد عن عبد الله بن يزيد : أن رجلا سأل عمر عن قوله : ﴿ وأبا ﴾ فلما رآهم يقولون أقبل عليهم بالدّرة . وأخرج ابن سعد وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر، والحاكم وصححه ، والبيهقى فى الشعب ، والخطيب عن أنس ؛ أن عمر قرأ على المنبر : ﴿ فأنبتنا فيها حبا . وعنبا ﴾ إلى قوله : ﴿وأبا﴾ قال: كل هذا قد عرفناه ، فما الأبّ ؟ ثم نقض عصى كانت فى يده فقال : هذا لعمر الله هو التكلف ، فما عليك أن لا تدرى ما الأبّ ، اتبعوا ما تبين لكم من هذا الكتاب فاعملوا عليه ، وما لم تعرفوه فكلوه إلى ربه[1] .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس قال : الصاخة من أسماء يوم القيامة وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ مسفرة ﴾ قال : مشرقة ، وفى قوله : ﴿ترهقها قترة ﴾ قال : تغشاها شدة وذلة. وأخرج ابن أبى حاتم عنه : ﴿ قترة ﴾ قال : سواد الوجه .

(١) ابن جرير ٣٠/٣٨ وصححه الحاكم ٢/ ٥١٤ ، ووافقه الذهبى .

# تفسير سورة التكوير

وهى تسع وعشرون آية . وهى مكية بلا خلاف . وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس قال : نزلت سورة ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ بمكة . وأخرج ابن مردويه عن عائشة وابن الزبير مثله . وأخرج أحمد ، والترمذى وحسنه ، وابن المنذر والطبرانى، والحاكم وصححه ، وابن مردويه عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ : « من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأى عين فليقرأ : ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ ، و﴿إذا السماء انفطرت ﴾، و ﴿ إذا السماء انشقت﴾ » (١) .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ الْجَوَارِ الْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ .

قوله : ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ ارتفاع الشمس بفعل محذوف يفسره ما بعده على الاشتغال، وهذا عند البصريين . وأما عند الكوفيين والأخفش فهو مرتفع على الابتداء ، والتكوير الجمع ، وهو مأخوذ من كار العمامة على رأسه يكورها . قال الزجاج : لفت كما تلف العمامة ، يقال : كورت العمامة على رأسى أكورها كورا ، وكورتها تكويرا : إذا لففتها . قال أبو عبيدة : كورت مثل تكوير العمامة تلف فتجمع . قال الربيع بن خثيم : ﴿كورت ﴾ أى رمى بها ، ومنه كورته فتكوّر، أى سقط ، وقال مقاتل وقتادة والكلبى : ذهب ضوؤها .

(١) أحمد ٢/ ٢٧ والترمذى فى التفسير ( ٣٣٣٣ ) وقال : « هذا حديث حسن غريب » وصححه الحاكم ٢/ ٥١٥ ، ووافقه الذهبى .

وقال مجاهد : اضمحلت . قال الواحدى : قال المفسرون : تجمع الشمس بعضها إلى بعض ثم تلف فيرمى بها . فالحاصل أن التكوير إما بمعنى لفّ جرمها ، أو لف ضوئها . أو الرمى بها. ﴿ **وإذا النجوم انكدرت** ﴾ أى تهافتت وانقضت وتناكرت ، يقال : انكدر الطائر من الهواء : إذا انقضّ ، والأصل فى الانكدار الانصباب قال الخليل : يقال : انكدر عليهم القوم : إذا جاؤوا أرسالا فانصبوا عليهم . قال أبو عبيدة : انصبت كما ينصب العقاب . قال الكلبى وعطاء : تمطر السماء يومئذ نجوما ، فلا يبقى نجم فى السماء إلا وقع على الأرض ، وقيل : انكدارها : طمس نورها : ﴿ **وإذا الجبال سيّرت** ﴾ أى قلعت عن الأرض ، وسيرت فى الهواء، ومنه قوله : ﴿ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة ﴾ [ الكهف : ٤٧ ] .

﴿ **وإذا العشار عطلت** ﴾ العشار : النوق الحوامل التى فى بطونها أولادها الواحدة عشراء، وهى التى قد أتى عليها فى الحمل عشرة أشهر ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع ، وخصّ العشار لأنها أنفس مال عند العرب ، وأعزّه عندهم ، ومعنى ﴿ **عطلت** ﴾ : تركت هملا بلا راع ، وذلك لما شاهدوا من الهول العظيم . قيل : وهذا على وجه المثل لأن يوم القيامة لا تكون فيه ناقة عشراء ، بل المراد أنه لو كان للرجل ناقة عشراء فى ذلك اليوم ، أو نوق عشار لتركها ولم يلتفت إليها اشتغالا بما هو فيه من هول يوم القيامة وسيأتى آخر البحث إن شاء الله ما يفيد أن هذا فى الدنيا . وقيل : العشار : السحاب، فإن العرب تشبهها بالحامل ، ومنه قوله: ﴿ فالحاملات وقرا ﴾ [ الذاريات : ٢ ] وتعطيلها عدم إمطارها قرأ الجمهور : ﴿**عطلت**﴾ بالتشديد ، وقرأ ابن كثير في رواية عنه بالتخفيف . وقيل : المراد أن الديار تعطل فلا تسكن . وقيل : الأرض التى تعشر زرعها تعطل فلا تزرع .

﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ الوحوش : ما توحش من دوابّ البرّ ، ومعنى ﴿ **حشرت** ﴾: بعثت حتى يقتص بعضها من بعض ، فيقتصّ للجماء من القرناء . وقيل : حشرها موتها . وقيل : إنها مع نفرتها اليوم من الناس وتبدّدها فى الصحارى تضم ذلك اليوم إليهم . قرأ الجمهور : ﴿ **حشرت** ﴾ بالتخفيف . وقرأ الحسن وعمرو بن ميمون بالتشديد : ﴿ **وإذا البحار سجرت** ﴾ أى أوقدت فصارت نارا تضطرم . وقال الفرّاء : ملئت بأن صارت بحرا واحدا وكثر ماؤها ، وبه قال الربيع بن خثيم والكلبى ومقاتل والحسن والضحاك . وقيل : أرسل عذبها على مالحها ومالحها على عذبها حتى امتلأت ، [يقال :سجرت الحوض أسجره سجرا: إذا ملأته] (١) . وقيل : فجرت فصارت بحرا واحدا ، وروى عن قتادة وابن حبان أن معنى الآية : يبست ولا يبقى فيها قطرة ، وقال القشيرى : هو من سجرت التنور أسجره سجرا : إذا

(١) ما بين المعقوفتين نقل إلى هذا الموضع ليستقيم المعنى ، وكان بالمخطوطة والمطبوعة بعد قول قتادة وابن حبان وهو غير مناسب .

أحميته. قال ابن زيد وعطية وسفيان ووهب وغيرهم : أوقدت فصارت نارا . وقيل : معنى سجرت : أنها صارت حمراء كالدم ، من قولهم عين سجراء ، أى حمراء . قرأ الجمهور : ﴿**سجرت**﴾ بتشديد الجيم . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بتخفيفها .

﴿ **وإذا النفوس زوّجت** ﴾ أى قرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح فى الجنة . وقرن بين رجل السوء مع رجل السوء فى النار ، وقال عطاء : زوّجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين . وقيل: قرن كل شكل إلى شكله فى العمل ، وهو راجع إلى القول الأوّل . وقيل : قرن كل رجل إلى من كان يلازمه من ملك أو سلطان كما فى قوله: ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ [ الصافات : ٢٢ ] وقال عكرمة : ﴿ **وإذا النفوس زوجت** ﴾ يعنى : قرنت الأرواح بالأجسام . وقال الحسن : ألحق كل امرئ بشيعته : اليهود باليهود ، والنصارى بالنصارى ، والمجوس بالمجوس ، وكل من كان يعبد شيئا من دون الله يلحق بعضهم ببعض ، والمنافقون بالمنافقين ، والمؤمنون بالمؤمنين . وقيل : يقرن الغاوى بمن أغواه من شيطان أو إنسان ، ويقرن المطيع بمن دعاه إلى الطاعة من الأنبياء والمؤمنين . وقيل : قرنت النفوس بأعمالها . ﴿ **وإذا الموؤودة سئلت** ﴾ أى المدفونة حية ، وقد كان العرب إذا ولدت لأحدهم بنت دفنها حية مخافة العار أو الحاجة ، يقال : وأد يئد [1] وأدا فهو وائد، والمفعول به موؤود ، وأصله مأخوذ من الثقل لأنها تدفن ، فيطرح عليها التراب فيثقلها فتموت ، ومنه : ﴿ولا يؤوده حفظهما﴾ [ البقرة : ٢٥٥ ] أى لا يثقله ، ومنه قول متمم بن نويرة :

وموؤودة مقبورة فى مغارة

ومنه قول الراجز :

سميتها إذ ولدت تموت  والقبر صهر ضامن رميت

قرأ الجمهور : ﴿ **الموؤودة** ﴾ بهمزة بين واوين ساكنين كالموعودة ، وقرأ البزى فى رواية عنه بهمزة مضمومة ثم واو ساكنة ، وقرأ الأعمش : « المودة » بزنة الموزة . وقرأ الجمهور : ﴿**سئلت**﴾ مبنيا للمفعول ، وقرأ الحسن بكسر السين من سال يسيل . وقرأ الجمهور : ﴿**قتلت**﴾ بالتخفيف مبنيا للمفعول . وقرأ أبو جعفر بالتشديد على التكثير ، وقرأ علىّ وابن مسعود وابن عباس سألت مبنيا للفاعل :« قتلت » بضم التاء الأخيرة ، ومعنى ﴿ **سئلت**﴾ على قراءة الجمهور : أن توجيه السؤال إليها لإظهار كمال الغيظ على قاتلها حتى كان لا يستحق أن يخاطب ويسأل عن ذلك ، وفيه تبكيت لقاتلها وتوبيخ له شديد . قال الحسن : أراد الله أن يوبخ قاتلها لأنها قتلت بغير ذنب ، وفى مصحف أبىّ : « وإذا الموؤودة سألت بأى ذنب

(١) فى المطبوعة : « يائد » ، والصحيح ما أثبتناه .

قتلتنى» . ﴿ وإذا الصحف نشرت ﴾ يعنى : صحائف الأعمال نشرت للحساب ، لأنها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب ، فيقف كل إنسان على صحيفته فيعلم ما فيها ، فيقول : ﴿ مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ﴾ [ الكهف : ٤٧ ]. قرأ نافع وعاصم وابن عامر وأبو عمرو : ﴿ نشرت ﴾ بالتخفيف . وقرأ الباقون بالتشديد على التكثير . ﴿ وإذا السماء كشطت ﴾ الكشط : قلع عن شدة التزاق ، فالسماء تكشط كما يكشط الجلد عن الكبش، والقشط بالقاف لغة فى الكشط ، وهى قراءة ابن مسعود . قال الزجاج : قلعت كما يقلع السقف . وقال الفراء : نزعت فطويت . وقال مقاتل : كشفت عما فيها . قال الواحدى: ومعنى الكشط : رفعك شيئا عن شىء قد غطاه .

﴿ وإذا الجحيم سعرت ﴾ أى أوقدت لأعداء الله إيقادا شديدا . قرأ الجمهور : « سعرت » بالتخفيف ، وقرأ نافع وابن ذكوان وحفص بالتشديد لأنها أوقدت مرّة بعد مرّة . قال قتادة : سعرها غضب الله وخطايا بنى آدم . ﴿ وإذا الجنة أزلفت ﴾ أى قرّبت إلى المتقين وأدنيت منهم. قال الحسن : إنهم يقربون منها لا أنها تزول عن موضعها. وقال ابن زيد : معنى ﴿أزلفت ﴾ : تزينت . والأوّل أولى لأن الزلفى فى كلام العرب القرب . قيل : هذه الأمور الاثنا عشر : ستّ منها فى الدنيا . وهى : من أول السورة إلى قوله : ﴿ وإذا البحار سجرت﴾ وستّ فى الآخرة وهى : ﴿ وإذا النفوس زوجت ﴾ إلى هنا . وجواب الجميع قوله : ﴿ علمت نفس ما أحضرت﴾ على أن المراد الزمان الممتدّ من الدنيا إلى الآخرة ، لكن لا بمعنى أنها تعلم ما تعلم فى كلّ جزء من أجزاء هذا الوقت الممتدّ ، بل المراد علمت ما أحضرته عند نشر الصحف : يعنى : ما عملت من خير أو شرّ . ومعنى ﴿ ما أحضرت ﴾ : ما أحضرت من أعمالها ، والمراد : حضور صحائف الأعمال ، أو حضور الأعمال نفسها ، كما ورد أن الأعمال تصوّر بصور تدلّ عليها وتعرف بها ، وتنكير نفس المفيد لثبوت العلم المذكور لفرد من النفوس، أو لبعض منها للإيذان بأن ثبوته لجميع أفرادها من الظهور والوضوح بحيث لا يخفى على أحد، ويدلّ على هذا قوله : ﴿ يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضرا ﴾ [ آل عمران : ٣٠ ] وقيل : يجوز أن يكون ذلك للإشعار بأنه إذا علمت حينئذ نفس من النفوس ما أحضرت وجب على كلّ نفس إصلاح عملها مخافة أن تكون هى تلك التى علمت ما أحضرت ، فكيف وكلّ نفس تعلمه على طريقة قولك لمن تنصحه : لعلك ستندم على ما فعلت ، وربما ندم الإنسان على فعله .

﴿ فلا أقسم بالخنس ﴾ « لا » زائدة كما تقدّم تحقيقه وتحقيق ما فيه من الأقوال في أول سورة القيامة ، أى فأقسم بالخنس ، وهى الكواكب ، وسميت بالخنس ، من خنس : إذا تأخر لأنها تخنس بالنهار فتخفى ولا ترى ، وهى زحل والمشترى والمريخ والزهرة وعطارد كما ذكره

أهل التفسير ووجه تخصيصها بالذكر من بين سائر النجوم إنها تستقبل الشمس وتقطع المجرّة ، وقال فى الصحاح : الخنس : الكواكب كلها ، لأنها تخنس فى المغيب، أو لأنها تخفى نهارا، أو يقال : هى الكواكب السيارة منها دون الثابتة . قال الفراء : إنها الكواكب الخمسة المذكورة ، لأنها تخنس فى مجراها وتكنس : أى تستتر كما تكنس الظباء فى المغار ، ويقال : سميت خنسا لتأخرها ، لأنها الكواكب المتحيرة التى ترجع وتستقيم ، يقال خنس عنه يخنس خنوسا : إذا تأخر ، وأخنسه غيره : إذا خلفه ومضى عنه ، والخنس : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل فى الأرنبة . ومعنى ﴿ الجوار ﴾ أنها تجرى مع الشمس والقمر ، ومعنى :﴿ الكنس ﴾ أنها ترجع حتى تخفى تحت ضوء الشمس ، فخنوسها رجوعها ، وكنوسها اختفائها تحت ضوئها . وقيل : خنوسها ، خفاؤها بالنهار ، وكنوسها : غروبها . قال الحسن وقتادة : هى النجوم التى تخنس بالنهار وإذا غربت ، والمعنى متقارب ؛ لأنها تتأخر فى النهار عن البصر لخفائها فلا ترى وتظهر بالليل وتكنس في وقت غروبها . وقيل : المراد بها بقر الوحش لأنها تتصف بالخنس وبالجوار وبالكنس . وقال عكرمة : الخنس : البقر ، والكنس : الظباء ، فهى تخنس : إذا رأت الإنسان وتنقبض وتتأخر وتدخل كناسها . وقيل : هى الملائكة ، والأوّل أولى لذكر الليل والصبح بعد هذا ، والكنس مأخوذ من الكناس الذى يختفى فيه الوحش ، والخنس جمع خانس وخانسة ، والكنس جمع كانس وكانسة .

﴿ والليل إذا عسعس ﴾ قال أهل اللغة : هو من الأضداد ، يقال : عسعس الليل : إذا أقبل ، وعسعس : إذا أدبر ، ويدل على أن المراد هنا أدبر قوله : ﴿ والصبح إذا تنفس ﴾ قال الفراء : أجمع المفسرون على أن معنى عسعس : أدبر ، كذا حكاه عنه الجوهرى ، وقال الحسن: أقبل بظلامه . قال الفراء : العرب تقول : عسعس الليل : إذا أقبل ، وعسعس الليل: إذا أدبر ، وهذا لا ينافى ما تقدّم عنه ، لأنه حكى عن المفسرين أنهم أجمعوا على حمل معناه فى هذه الآية على أدبر ، وإن كان فى الأصل مشتركا بين الإقبال والإدبار . قال المبرد : هو من الأضداد . قال: والمعنيان يرجعان إلى شىء واحد وهو ابتداء الظلام فى أوّله وإدباره فى آخره . قال رؤبة بن العجاج :

ياهند مـا أسرع ما تعسعسا  من بعد ما كان فتى ترعرعا

وقال امرؤ القيس :

عسعس حتى لونشاء إذ دنا  كـــان لنا من ناره مقتبس

وقوله :

والماء على الربع القديم تعسعسا

﴿ **والصبح إذا تنفس** ﴾ : التنفس فى الأصل : خروج النسيم من الجوف وتنفس الصبح إقباله ، لأنه يقبل بروح ونسيم ، فجعل ذلك تنفسا له مجازا . قال الواحدى : ﴿ **تنفس** ﴾ أى امتد ضوؤه حتى يصير نهارا ، ومنه يقال للنهار إذا زاد : تنفس ، وقيل : ﴿ **إذا تنفس** ﴾ : إذا انشق وانفلق ، ومنه : تنفست القوس ، أى تصدّعت . ثم ذكر سبحانه جواب القسم فقال : ﴿ **إنه لقول رسول كريم** ﴾ يعنى : جبريل لكونه نزل به من جهة الله سبحانه إلى رسوله ﷺ وأضاف القول إلى جبريل لكونه مرسلا به . وقيل : المراد بالرسول فى الآية : محمد ﷺ، والأول أولى . ثم وصف الرسول المذكور بأوصاف محمودة فقال : ﴿ **ذى قوّة عند ذى العرش مكين** ﴾ أى ذى قوّة شديدة فى القيام بما كلف به ، كما فى قوله : ﴿ شديد القوى ﴾ [النجم : ٥ ] ومعنى ﴿ **عند ذى العرش مكين** ﴾ : أنه ذو رفعة عالية ومكانة مكينة عند الله سبحانه ، وهو فى محل نصب على الحال من مكين ، وأصله الوصف ، فلما قدّم صار حالاً ويجوز ، أن يكون نعتا لرسول ، يقال : مكن فلان عند فلان مكانه ، أى صار ذا منزلة عنده ومكانة . قال أبو صالح : من مكانته عند ذى العرش أنه يدخل سبعين سرادقا بغير إذن ، ومعنى ﴿ **مطاع** ﴾ : أنه مطاع بين الملائكة يرجعون إليه ويطيعونه ﴿ **ثمّ أمين** ﴾ قرأ الجمهور بفتح :﴿ **ثمّ** ﴾ على أنها ظرف مكان للبعيد ، والعامل فيه مطاع أو ما بعده ، والمعنى : أنه مطاع فى السموات أو أمين فيها ، أى مؤتمن على الوحى وغيره ، وقرأ هشيم وأبو جعفر وأبو حيوة بضمها على أنها عاطفة ، وكان العطف بها للتراخى فى الرتبة لأن ما بعدها أعظم مما قبلها ، ومن قال : إن المراد بالرسول : محمد ﷺ فالمعنى : أنه ذو قوّة على تبليغ الرسالة إلى الأمة مطاع يطيعه ، من أطاع الله أمين على الوحى .

﴿ **وما صاحبكم بمجنون** ﴾ الخطاب لأهل مكة ، والمراد بصاحبهم : رسول الله ﷺ ، والمعنى : وما محمد يا أهل مكة بمجنون ، وذكره بوصف الصحبة للإشعار بأنهم عالمون بأمره، وأنه ليس مما يرمونه به من الجنون وغيره فى شىء ، وأنهم افتروا عليه ذلك عن علم منهم بأنه أعقل الناس وأكملهم ، وهذه الجملة داخلة فى جواب القسم ، فأقسم سبحانه بأن القرآن نزل به جبريل ، وأن محمدًا ﷺ ليس كما يقولون من أنه مجنون ، وأنه يأتى بالقرآن من جهة نفسه: ﴿ **ولقد رآه بالأفق المبين** ﴾ اللام جواب قسم محذوف ، أى وتالله لقد رأى محمد جبريل بالأفق المبين : أى بمطلع الشمس من قبل المشرق لأن هذا الأفق إذا كانت الشمس تطلع منه فهو مبين لأن من جهته ترى الأشياء . وقيل : الأفق المبين : أقطار السماء ونواحيها ، ومنه قول الشاعر:

أخذنا بأقطار السماء عليكم ... لنا قمراها والنجوم الطوالع

وإنما قال سبحانه : ﴿ **ولقد رآه بالآفق المبين** ﴾ مع أنه قد رآه غير مرّة ، لأنه رآه هذه المرّة

فى صورته ، له ستمائة جناح ، قال سفيان : إنه رآه فى أفق السماء الشرقى ، وقال ابن بحر : فى أفق السماء الغربى . وقال مجاهد: رآه نحو أجياد [١] وهو مشرق مكة . و﴿ المبين ﴾ صفة للأفق قاله الربيع . وقيل : صفة لمن رآه قاله مجاهد . وقيل : معنى الآية : ولقد رأى محمد ربه عزّ وجلّ ، وقد تقدّم القول فى هذا فى سورة النجم . ﴿ وما هو ﴾ أى محمد ﷺ ﴿ على الغيب ﴾ يعنى: خبر السماء وما اطلع عليه مما كان غائبا علمه عن أهل مكة ﴿ بضنين ﴾ بمتهم، أى هو ثقة فيما يؤدى عن الله سبحانه . وقيل : ﴿ بضنين ﴾ ببخيل ، أى لا يبخل بالوحى، ولا يقصر فى التبليغ ، وسبب هذا الاختلاف اختلاف القراء ، فقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائى : « بظنين » بالظاء المشالة، أى بمتهم ، والظنة التهمة ، واختار هذه القراءة أبو عبيد قال : لأنهم لم يبخلوا ولكن كذبوه . وقرأ الباقون: ﴿ بضنين ﴾بالضاد ، أى ببخيل ، من ضننت بالشىء أضنن ضنا : إذا بخلت ، قال مجاهد : أى لا يظنّ عليكم بما يعلم بل يعلم الخلق كلام الله وأحكامه . وقيل : المراد جبريل إنه ليس على الغيب بضنين ، والأوّل أولى.

﴿ وما هو بقول شيطان رجيم ﴾ أى وما القرآن بقول شيطان من الشياطين المسترقة للسمع المرجومة بالشهب. قال الكلبى : يقول : إن القرآن ليس بشعر ولا كهانة كما قالت قريش . قال عطاء : يريد بالشيطان : الشيطان الأبيض الذى كان يأتى النبىّ ﷺ فى صورة جبريل يريد أن يفتنه . ثم بكتهم سبحانه ووبخهم فقال : ﴿ فأين تذهبون ﴾ أى أين تعدلون عن هذا القرآن وعن طاعته كذا قال قتادة . وقال الزجاج : معناه : أى طريق تسلكون أبين من هذه الطريقة التى قد بينت لكم ، يقال : أين تذهب ، وإلى أين تذهب ؟ وحكى الفراء عن العرب: ذهبت الشام ، وخرجت العراق ، وانطلقت السوق ، أى إليها . قال سمعناه فى هذه الأحرف ، وأنشد لبعض بنى عقيل :

تصيح بنا حنيفة إذ رأتنا وأىّ الأرض تذهب بالصياح

تريد إلى أىّ الأرض تذهب ، فحذف إلى . ﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين ﴾ أى ما القرآن إلا موعظة للخلق أجمعين ، وتذكير لهم . وقوله . ﴿ لمن شاء منكم أن يستقيم ﴾ بدل من العالمين بإعادة الجار ومفعول المشيئة : ﴿ أن يستقيم ﴾ أى لمن شاء منكم الاستقامة على الحق والإيمان والطاعة . ﴿ وما تشاؤون إلا أن يشاء الله رب العالمين ﴾ أى وما تشاؤون الاستقامة إلا أن يشاء الله تلك المشيئة ، فأعلمهم سبحانه أن المشيئة فى التوفيق إليه ، وأنهم لا يقدرون على ذلك إلا بمشيئة الله وتوفيقه ، ومثل هذا قوله سبحانه : ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ﴾ [يونس : ١٠٠ ] وقوله : ﴿ ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل

(١) فى المطبوعة : « رآه نحوا جباب نحو أجياد » والصحيح ما أثبتناه من المخطوطة ومن القرطبى ١٠/ ٧٠٣٢ .

شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ﴾ [ الأنعام : ١١١ ] وقوله : ﴿ إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء﴾ [ القصص : ٥٦ ] والآيات القرآنية فى هذا المعنى كثيرة .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الشعب عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ قال : أظلمت ﴿ **وإذا النجوم انكدرت** ﴾ قال : تغيرت . وأخرج ابن أبى حاتم والديلمى عن أبى مريم أن النبى ﷺ . قال فى قوله : ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ [١] قال : كورت فى جهنم ﴿ **وإذا النجوم انكدرت** ﴾ قال : انكدرت فى جهنم . فكلّ من عبد من دون الله فهو فى جهنم إلا ما كان من عيسى وأمه ، ولو رضيا أن يعبدا لدخلاها . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن أبى العالية قال : ست آيات من هذه السورة فى الدنيا ، والناس ينظرون إليها ، وست فى الآخرة ﴿ **إذا الشمس كوّرت** ﴾ إلى ﴿ **وإذا البحار سجرت** ﴾ هذه فى الدنيا والناس ينظرون إليها ﴿ **وإذا النفوس زوّجت** ﴾ إلى ﴿ **وإذا الجنة أزلفت** ﴾ هذه فى الآخرة . وأخرج ابن أبى الدنيا فى الأهوال ، وابن جرير وابن أبى حاتم عن أبىّ بن كعب قال : ست آيات قبل يوم القيامة بينما الناس فى أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس ، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت واختلطت ، ففزعت الجنّ إلى الإنس والإنس إلى الجنّ واختلطت الدوابّ والطير والوحش فماجوا بعضهم فى بعض ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ قال : اختلطت ﴿ **وإذا العشار عطلت** ﴾ قال : أهملها أهلها ، ﴿**وإذا البحار سجرت** ﴾ قال : قالت الجن للإنس نحن نأتيكم بالخبر ، فانطلقوا إلى البحر فإذا هو نار تأجج ، فبينما هم كذلك إذ تصدّعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة وإلى السماء السابعة ، فبينما هم كذلك إذ جاءتهم ريح فأماتتهم [٢].

وأخرج الفريابى وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ قال : حشر البهائم موتها ، وحشر كلّ شيء الموت غير الجنّ والإنس فإنهما يوافيان يوم القيامة [٣] .وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم ، والخطيب فى المتفق والمفترق عنه فى قوله : ﴿ **وإذا الوحوش حشرت** ﴾ قال : يحشر كلّ شيء يوم القيامة حتى إن الدوابّ لتحشر . وأخرج البيهقى فى البعث عنه أيضا فى قوله : ﴿ **وإذا البحار سجرت** ﴾ قال : تسجر حتى تصير نارا . وأخرج الطبرانى عنه : ﴿**سجرت** ﴾ قال : اختلط ماؤها بماء الأرض . وأخرج عبد الرزاق والفريابى وسعيد بن منصور وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، وأبو نعيم فى الحلية ، والبيهقى فى البعث عن النعمان بن بشير عن عمر بن

---

(١) فى المطبوعة : « إذا السماء كورت » وهو خطأ .　　(٢) ابن جرير ٣٠/ ٤٣ .
(٣) صححه الحاكم ٢/ ٥١٥ على شرط الشيخين ووافقه الذهبى .

الخطاب فى قوله : ﴿ وإذا النفوس زوّجت ﴾ قال : يقرن بين الرجل الصالح مع الرجل الصالح فى الجنة ، ويقرن بين الرجل السوء مع الرجل السوء فى النار ، كذلك تزويج الأنفس : وفى رواية : ثم قرأ : ﴿ احشروا الذين ظلموا وأزواجهم ﴾ [ الصافات : ٢٢ ] . وأخرج نحوه ابن مردويه عن النعمان بن بشير مرفوعا . وأخرج البزار والحاكم فى الكنى ، والبيهقى فى سننه عن عمر بن الخطاب قال : جاء قيس بن عاصم التميمى إلى رسول الله ﷺ فقال : إنى وأدت ثمان بنات لى فى الجاهلية ، فقال له رسول الله ﷺ: « أعتق عن كل واحدة رقبة »، قال : إنى صاحب إبل . قال :« فأهد عن كل واحدة بدنة » (١) .

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس : ﴿ وإذا الجنة أزلفت ﴾ قال : قربت. وأخرج سعيد ابن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه من طرق عن على ابن أبى طالب فى قوله : ﴿ فلا أقسم بالخنس ﴾ قال : هى الكواكب تكنس بالليل وتخنس بالنهار فلا ترى . وأخرج ابن أبى حاتم عنه فى قوله : ﴿ لا أقسم بالخنس ﴾ قال : خمسة أنجم : زحل وعطارد والمشترى وبهرام والزهرة ، ليس شىء يقطع المجرة غيرها . وأخرج ابن مردويه ، والخطيب فى كتاب النجوم عن ابن عباس فى الآية قال : هى النجوم السبعة : زحل وبهرام وعطارد والمشترى والزهرة والشمس والقمر ، وخنوسها رجوعها ، وكنوسها تغيبها بالنهار . وأخرج عبد الرزاق والفريابى وابن سعد وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى ، والحاكم وصححه من طرق عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ بالخنس . الجوارى الكنس ﴾ قال : هى بقر الوحش . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : هى البقر تكنس إلى الظلّ . وأخرج ابن المنذر عنه قال : تكنس لأنفسها فى أصول الشجر تتوارى فيه . وأخرج ابن جرير عنه أيضا قال : هى الظباء . وأخرج ابن راهويه وعبد ابن حميد ، والبيهقىّ فى الشعب عن علىّ بن أبى طالب فى قوله : ﴿ الجوار الكنس ﴾ قال : هى الكواكب . وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس : ﴿ الخنس ﴾ البقر ﴿ والجوار الكنس﴾: الظباء ، ألم ترها إذا كانت فى الظلّ كيف تكنس بأعناقها ومدّت نظرها . وأخرج أبو أحمد الحاكم فى الكنى عن أبى العديس قال : كنا عند عمر بن الخطاب فأتاه رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ، ما ﴿ الجوار الكنس ﴾ ؟ فطعن عمر بمخصرة معه فى عمامة الرجل فألقاها عن رأسه، فقال عمر: أحرورىّ ؟ والذى نفس عمر بن الخطاب بيده لو وجدتك محلوقا لأنحيت القمل عن رأسك، وهذا منكر، فالحرورية لم يكونوا فى زمن عمر ولا كان لهم فى ذلك الوقت ذكر .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم من طرق عن ابن عباس فى قوله : ﴿ والليل إذا عسعس﴾ قال : إذا أدبر ﴿والصبح إذا تنفس ﴾ قال : إذا بدا النهار حين طلوع الفجر .

---

(١) البيهقى ٨/ ١١٦ .

وأخرج الطبرانى عنه : ﴿ **إذا عسعس** ﴾ قال : إقبال سواده . وأخرج ابن المنذر عنه أيضا : ﴿**إنه لقول رسول كريم** ﴾ قال : جبريل . وأخرج ابن مردويه ، وأبو نعيم فى الدلائل عن ابن مسعود : ﴿ **ولقد رآه بالأفق المبين** ﴾ قال : رأى جبريل له ستمائة جناح قد سدّ الأفق . وأخرج الطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس فى الآية قال : إنما عنى جبريل أن محمدا رآه فى صورته عند سدرة المنتهى . وأخرج ابن مردويه عنه ﴿ **بالأفق المبين** ﴾ قال : السماء السابعة. وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه من طرق عن ابن عباس أنه كان يقرأ: ﴿ **بضنين** ﴾ بالضاد ، وقال : ببخيل . وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه عن ابن مسعود أنه قرأ : « وما هو على الغيب بظنين » بالظاء قال : ليس بمتهم . وأخرج الدارقطنى فى الأفراد ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والخطيب فى تاريخه عن عائشة ؛ أن النبىّ ﷺ كان يقرؤه : « بظنين » بالظاء [1] . وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى هريرة قال : لما نزلت : ﴿ **لمن شاء منكم أن يستقيم** ﴾ قالوا : الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم ، فهبط جبريل على رسول الله ﷺ فقال : كذبوا يامحمد ﴿ **وما تشاؤون إلا أن يشاء الله ربّ العالمين** ﴾ .

(١) صححه الحاكم ٢/ ٢٥٢ وقال الذهبى : « إسحاق متروك » .

## تفسير سورة الانفطار

هى تسع عشرة آية . وهى مكية بلا خلاف . وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت : ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ بمكة . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله . وأخرج النسائى عن جابر قال : قام معاذ فصلى العشاء فطوّل ، فقال النبى ﷺ : « أفتان أنت يامعاذ ، أين أنت عن ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ ﴿والضحى﴾ و ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ » وأصل الحديث فى الصحيحين (١) ولكن بدون ذكر ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ وقد تفرّد بها النسائى ، وقد تقدّم فى سورة التكوير حديث : « من سرّه أن ينظر إلى يوم القيامة رأى عين فليقرأ: ﴿ إذا الشمس كورت﴾ و ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ و ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ »(٢) .

## بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلاَّ بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾ ﴾ .

قوله : ﴿ إذا السماء انفطرت ﴾ قال الواحدى : قال المفسرون : انفطارها انشقاقها كقوله: ﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ﴾ [ الفرقان : ٢٥ ] . والفطر : الشق ، يقال :فطرته فانفطر ، ومنه : فطر ناب البعير : إذا طلع ، قيل: والمراد : أنها انفطرت هنا لنزول الملائكة منها . وقيل : انفطرت لهيبة الله. ﴿ وإذا الكواكب انتثرت ﴾ أى تساقطت متفرقة ، يقال : نثرت الشىء أنثره نثرا . ﴿ وإذا البحار فجرت ﴾ أى فجر بعضها فى بعض فصارت بحرًا واحدا ، واختلط العذب منها بالمالح ، وقال الحسن : معنى ﴿ فجرت ﴾ : ذهب ماؤها ويبست ، وهذه الأشياء بين يدى الساعة كما تقدم فى السورة التى قبل هذه ﴿ وإذا القبور

(١) البخارى فى الأذان ( ٧٠٥ ) ومسلم فى الصلاة ( ٤٦٥ / ١٧٩ ) والنسائى فى التفسير (٦٧٢ ) .
(٢) سبق تخريجه .

**بعثرت** ﴾ أى قلب ترابها وأخرج الموتى الذين هم فيها ، يقال : بعثر يبعثر بعثرة : إذا قلب التراب ، ويقال : بعثر المتاع : قلبه ظهرا لبطن ، وبعثرت الحوض وبحثرته : إذا هدمته وجعلت أعلاه أسفله . قال الفراء : ﴿ **بعثرت** ﴾ أُخرِج ما فى بطنها من الذهب والفضة ، ذلك من أشراط الساعة أن تخرج الأرض ذهبها وفضتها .

ثم ذكر سبحانه الجواب عما تقدم فقال : ﴿ **علمت نفس ما قدّمت وأخرت** ﴾ والمعنى : أنها علمته عند نشر الصحف لا عند البعث لأنه وقت واحد من عند البعث إلى عند مصير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار ، والكلام فى إفراد نفس هنا كما تقدم فى السورة الأولى فى قوله : ﴿ علمت نفس ما أحضرت ﴾ [التكوير: ١٤ ] ومعنى ﴿ **ما قدمت وأخرت** ﴾ : ما قدمت من عمل خير أوشرّ ، وما أخرت من سنة حسنة أو سيئة لأن لها أجر ما سنته من السنن الحسنة وأجر من عمل بها ، وعليها وزر ما سنته من السنن السيئة ووزر من عمل بها، وقال قتادة : ما قدّمت من معصية وأخرت من طاعة، وقيل : ما قدّم من فرض وأخر من فرض. وقيل : أوّل عمله وآخره . وقيل : إن النفس تعلم عند البعث بما قدّمت وأخرت علما إجماليا لأن المطيع يرى آثار السعادة ، والعاصى يرى آثار الشقاوة ، وأما العلم التفصيلى فإنما يحصل عند نشر الصحف .

﴿ **يأيها الإنسان ما غرّك بربك الكريم** ﴾ هذا خطاب للكفار ، أى ما الذى غرّك وخدعك حتى كفرت بربك الكريم الذى تفضل عليك فى الدنيا بإكمال خلقك وحواسك ، وجعلك عاقلا فاهما ، ورزقك وأنعم عليك بنعمه التى لا تقدر على جحد شىء منها . قال قتادة : غرّه شيطانه المسلط عليه ، وقال الحسن : غرّه شيطانه الخبيث . وقيل : حمقه وجهله . وقيل : غرّه عفو الله إذا لم يعاجله بعقوبة أوّل مرّة ، كذا قال مقاتل . ﴿**الذى خلقك فسوّاك فعدلّك**﴾ أى خلقك من نطفة ولم تك شيئا ، فسوّاك رجلا تسمع وتبصر وتعقل ، ﴿**فعدلّك** ﴾ : جعلك معتدلا ، قال عطاء : جعلك قائما معتدلا حسن الصورة . وقال مقاتل : عدّل خلقك فى العينين والأذنين واليدين والرجلين ، والمعنى: عدل بين ما خلق لك من الأعضاء . قرأ الجمهور: ﴿ **فعدّلك** ﴾ مشدّدا ، وقرأ عاصم وحمزة والكسائى بالتخفيف ، واختار أبو حاتم وأبو عبيد القراءة الأولى ، قال الفراء وأبو عبيد : يدلّ عليها قوله : ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾ [ التين : ٤ ]، ومعنى القراءة الأولى : أنه سبحانه جعل أعضاءه متعادلة لا تفاوت فيها ، ومعنى القراءة الثانية : أنه صرفه وأماله إلى أىّ صورة شاء ، إما حسنا وإما قبيحا، وإما طويلا وإما قصيرا .

﴿ **فى أى صورة ما شاء ركبك** ﴾ فى أى صورة متعلق بركبك ، و« ما » مزيّدة ، و ﴿**شاء**﴾ صفة لصورة ، أى ركبك فى أىّ صورة شاءها من الصور المختلفة ، وتكون هذه الجملة كالبيان لقوله : ﴿ **فعدّلك** ﴾ والتقدير : فعدّلك : ركبك فى أىّ صورة شاءها ، ويجوز أن

يتعلق بمحذوف على أنه حال ، أى ركبك حاصلا فى أىّ صورة ، ونقل أبوحيان عن بعض المفسرين أنه متعلق بعدّلك ، واعترض عليه بأن «أىّ» لها صدر الكلام فلا يعمل فيها ما قبلها ، قال مقاتل والكلبى ومجاهد : فى أىّ شبه من أب أو أمّ أو خال أو عمّ ، وقال مكحول: إن شاء ذكر وإن شاء أنثى . وقوله : ﴿كلا﴾ للردع والزجر عن الاغترار بكرم الله وجعله ذريعة إلى الكفر به والمعاصى له ، ويجوز أن يكون بمعنى :حقا . وقوله : ﴿ بل تكذبون بالدين ﴾ إضراب عن جملة مقدّرة ينساق إليها الكلام كأنه قيل : بعد الردع وأنتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجاوزونه إلى ما هو أعظم منه من التكذيب بالدين وهو الجزاء ، أو بدين الإسلام . قال ابن الأنبارى : الوقف الجيد على الدين وعلى ركبك ، وعلى ﴿ كلا ﴾ قبيح ، والمعنى : بل تكذبون يا أهل مكة بالدين ، أى بالحساب، وبل لنفى شىء تقدّم وتحقيق غيره ، وإنكار البعث قد كان معلوما عندهم وإن لم يجر له ذكر . قال الفراء : كلا ليس الأمر كما غررت به، قرأ الجمهور : ﴿ تكذبون ﴾ بالفوقية على الخطاب ، وقرأ الحسن وأبو جعفر وشيبة بالتحتية على الغيبة .

وجملة : ﴿ وإن عليكم لحافظين ﴾ فى محل نصب على الحال من فاعل تكذبون ، أى تكذبون والحال أن عليكم من يرفع تكذيبكم ، ويجوز أن تكون مستأنفة مسوقة لبيان ما يبطل تكذيبهم ، والحافظين: الرقباء من الملائكة الذين يحفظون على العباد أعمالهم ويكتبونها فى الصحف ، ووصفهم سبحانه بأنهم كرام لديه يكتبون ما يأمرهم به من أعمال العباد ، وجملة ﴿ يعلمون ما تفعلون ﴾ فى محل نصب على الحال من ضمير كاتبين ، أو على النعت ، أو مستأنفة . قال الرازى : والمعنى : التعجيب من حالهم كأنه قال : إنكم تكذبون بيوم الدين ، وملائكة الله موكلون بكم يكتبون أعمالكم حتى تحاسبوا بها يوم القيامة ، ونظيره قوله تعالى : ﴿ عن اليمين وعن الشمال قعيد . ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾ [ق: ١٧ ، ١٨ ] .

ثم بين سبحانه حال الفريقين فقال : ﴿ إن الأبرار لفى نعيم . وإن الفجار لفى جحيم ﴾ والجملة مستأنفة لتقرير هذا المعنى الذى سيقت له ، وهى كقوله سبحانه : ﴿ فريق فى الجنة وفريق فى السعير ﴾ [ الشورى : ٧ ] . وقوله : ﴿يصلونها يوم الدين ﴾ صفة لـ﴿جحيم﴾ ، ويجوز أن تكون فى محل نصب على الحال من الضمير فى متعلق الجارّ والمجرور ، أو مستأنفة جواب سؤال مقدّر ، كأنه قيل : ما حالهم ؟ فقيل : ﴿ يصلونها يوم الدين ﴾ أى يوم الجزاء الذى كانوا يكذبون به، ومعنى ﴿ يصلونها ﴾ : أنهم يلزمونها مقاسين لوهجها وحرّها يومئذ . قرأ الجمهور: ﴿ يصلونها ﴾ مخففا مبنيا للفاعل، وقرئ بالتشديد مبنيا للمفعول . ﴿ وماهم عنها بغائبين ﴾ أى لا يفارقونها أبدا ولا يغيبون عنها ، بل هم فيها. وقيل: المعنى: وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون حرّها فى قبورهم . ثم عظم سبحانه ذلك اليوم فقال :﴿ وما أدراك ما يوم الدين . ثم ما أدراك ما يوم الدين ﴾ أى يوم الجزاء والحساب ، وكرره تعظيما لقدره وتفخيما لشأنه وتهويلا لأمره كما فى قوله :﴿القارعة. ما القارعة . وما

أدراك ما القارعة﴾[ القارعة : ١ـ٣ ]و﴿ الحاقة . ما الحاقة . وما أدراك ما الحاقة﴾ [الحاقة: ١ـ٣] والمعنى: أى شىء جعلك داريا ما يوم الدين . قال الكلبى: الخطاب للإنسان الكافر .

ثم أخبر سبحانه عن اليوم فقال : ﴿ **يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله** ﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو برفع « يوم » على أنه بدل من ﴿**يوم الدين**﴾، أو خبر مبتدأ محذوف . وقرأ أبو عمرو فى رواية : « يوم » بالتنوين ، والقطع عن الإضافة . وقرأ الباقون بفتحه على أنها فتحة إعراب بتقدير: أعنى أو اذكر ، فيكون مفعولا به ، أو على أنها فتحة بناء لإضافته إلى الجملة على رأى الكوفيين ، وهو فى محل رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أو على أنه بدل من ﴿**يوم الدين**﴾، قال الزجاج : يجوز أن يكون فى موضع رفع إلا أنه مبنى على الفتح لإضافته إلى قوله : ﴿ **لا تملك** ﴾ وما أضيف إلى غير المتمكن فقد يبنى على الفتح ، وإن كان فى موضع رفع ، وهذا الذى ذكره إنما يجوز عند الخليل وسيبويه إذا كانت الإضافة إلى الفعل الماضى ، وأما إلى الفعل المستقبل فلا يجوز عندهما ، وقد وافق الزجاج على ذلك أبو على الفارسى والفرّاء وغيرهما ، والمعنى : أنها لا تملك نفس من النفوس لنفس أخرى شيئا من النفع أو الضرّ . ﴿ **والأمر يومئذ لله**﴾ وحده لا يملك شيئا من الأمر غيره كائنًا ما كان . قال مقاتل : يعنى لنفس كافرة شيئا من المنفعة . قال قتادة : ليس ثم أحد يقضى شيئا أو يصنع شيئا إلا الله ربّ العالمين ، والمعنى : أن الله لا يملك أحدا فى ذلك اليوم شيئا من الأمور كما ملكهم فى الدنيا، ومثل هذا قوله : ﴿ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ﴾ [ غافر : ١٦ ] .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى البعث عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وإذا البحار فجرت**﴾ قال : بعضها فى بعض ، وفى قوله : ﴿ **وإذا القبور بعثرت** ﴾ قال : بحثت . وأخرج ابن المبارك فى الزهد ، وعبد بن حميد وابن أبى حاتم عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ **علمت نفس ما قدّمت وأخرت** ﴾ قال : ما قدمت من خير وما أخرت من سنة صالحة يعمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا ، أو سنة سيئة تعمل بعده ، فإن عليه مثل وزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيئا . وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس نحوه. وأخرج الحاكم وصححه عن حذيفة قال : قال النبىّ ﷺ : « من استنّ خيرا فاستنّ به ، فله أجره ومثل أجور من اتبعه من غير منتقص من أجورهم ، ومن استنّ شرا، فاستنّ به ، فعليه وزره ومثل أوزار من اتبعه من غير منتقص من أوزارهم » ، وتلا حذيفة : ﴿ **علمت نفس ما قدّمت وأخرت**﴾(١) . وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبى حاتم عن عمر بن الخطاب أنه قرأ هذه الآية : ﴿ **ما غرّك بربك الكريم** ﴾ قال : غرّه والله جهله . وأخرج ابن جريرعن ابن عباس قال : جعل الله على ابن آدم حافظين فى الليل وحافظين فى النهار يحفظان عمله ، ويكتبان أثره .

---

(١) صححه الحاكم ٢/ ٥١٦ على شرط الشيخين ووافقه الذهبى .

## تفسير سورة المطففين

هى ست وثلاثون آية . قال القرطبى : وهى مكية فى قول ابن مسعود والضحاك ومقاتل، ومدنية فى قول الحسن وعكرمة ، وقال مقاتل أيضا : هى أوّل سورة نزلت بالمدينة. وقال ابن عباس وقتادة : هى مدنية إلا ثمان آيات من قوله : ﴿إن الذين أجرموا﴾ إلى آخرها . وقال الكلبى وجابر بن زيد : نزلت بين مكة والمدينة [١] . وأخرج النحاس وابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت سورة المطففين بمكة . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله . وأخرج ابن الضريس عن ابن عباس قال : آخر ما نزل بمكة سورة المطففين . وأخرج ابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب ، قال السيوطى : بسند صحيح ، عن ابن عباس قال : لما قدم النبى ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا ، فأنزل الله : ﴿ويل للمطففين﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك[٢].

## بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلا يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلاَّ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ .

قوله : ﴿ ويل للمطففين ﴾ ويل مبتدأ ، وسوّغ الابتداء به كونه دعاء ، ولو نصب لجاز ، قال مكى : والمختار فى ويل وشبهه : إذا كان غير مضاف الرفع ، ويجوز النصب ، فإن كان مضافا أو معرّفا كان الاختيار فيه النصب نحو قوله: ﴿ويلكم لا تفتروا﴾ [ طه : ٦١ ] و﴿للمطففين﴾ خبره . والمطفف : المنقص ، وحقيقته الأخذ فى الكيل أو الوزن شيئا طفيفا ، أى نزرا حقيرا . قال أهل اللغة : المطفف مأخوذ من الطفف ، وهو القليل ، فالمطفف :هو المقلل حق صاحبه بنقصانه عن الحق فى كيل أو وزن . قال الزجاج : إنما قيل للذى ينقص المكيال والميزان : مطفف ؛ لأنه لا يكاد يسرق فى المكيال والميزان إلا الشىء اليسير الطفيف ،

---

(١) القرطبى ١٠/ ٧٠٤١ .

(٢) البيهقى فى الشعب (٣٠٤٩) وإسناده ضعيف .

قال أبو عبيدة والمبرد : المطفف : الذى يبخس فى الكيل والوزن . والمراد بالويل هنا : شدّة العذاب ، أو نفس العذاب ، أو الشر الشديد ، أو هو واد فى جهنم ، قال الكلبى : قدم رسول الله ﷺ المدينة وهم يسيئون كيلهم ووزنهم لغيرهم ، ويستوفون لأنفسهم ، فنزلت هذه الآية ، وقال السدّى : قدم رسول الله ﷺ المدينة ، وكان بها رجل يقال له : أبو جهينة ، ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر ، فأنزل الله هذه الآية . قال الفرّاء : هم بعد نزول هذه الآية أحسن الناس كيلا إلى يومهم هذا .

ثم بين سبحانه المطففين من هم ؟ فقال : ﴿ **الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون** ﴾ أى يستوفون الاكتيال والأخذ بالكيل . قال الفرّاء : يريد اكتالوا من الناس ، وعلى ومن فى هذا الموضع يعتقبان ، يقال : اكتلت منك ، أى استوفيت منك، وتقول : اكتلت عليك ، أى أخذت ما عليك . قال الزجاج : إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم الكيل ، ولم يذكر اتزنوا؛ لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فأحدهما يدل على الآخر . قال الواحدى : قال المفسرون : يعنى : الذين إذا اشتروا لأنفسهم استوفوا فى الكيل والوزن ، وإذا باعوا ووزنوا لغيرهم نقصوا ، وهو معنى قوله : ﴿ **وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون** ﴾ أى كالوا لهم أو وزنوا لهم فحذفت اللام فتعدّى الفعل إلى المفعول ، فهو من باب الحذف والإيصال، ومثله : نصحتك ونصحت لك ، كذا قال الأخفش والكسائى والفرّاء . قال الفرّاء : وسمعت أعرابية تقول : إذا صدر الناس أتينا التاجر فيكيلنا المدّ والمدّين إلى الموسم المقبل . قال : وهو من كلام أهل الحجاز ومن جاورهم من قيس . قال الزجاج : لا يجوز الوقف على كالوا حتى يوصل بالضمير ، ومن الناس من يجعله توكيدا ، أى توكيدا للضمير المستكنّ فى الفعل ، فيجيز الوقف على كالوا أو وزنوا . قال أبو عبيد وكان عيسى بن عمر يجعلهما حرفين ، ويقف على كالوا أو وزنوا، ثم يقول : هم يخسرون . قال : وأحسب قراءة حمزة كذلك . قال أبو عبيد: والاختيار أن يكونا كلمة واحدة من جهتين : إحداهما : الخط ، ولذلك كتبوهما بغير ألف ، ولو كانتا مقطوعتين لكانتا كالوا أو وزنوا بالألف ، والأخرى أنه يقال : كلتك ووزنتك بمعنى : كلت لك ووزنت لك هو كلام عربىّ ، كما يقال : صدتك وصدت لك ، وكسبتك وكسبت لك، وشكرتك وشكرت لك ونحو ذلك . وقيل : هو على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، والمضاف المكيل والموزون ، أى وإذا كالوا مكيلهم ، أو وزنوا موزونهم ، ومعنى ﴿ **يخسرون** ﴾ : ينقصون كقوله : ﴿ ولا تخسروا الميزان﴾ [ الرحمن : ٩ ] والعرب تقول : خسرت الميزان وأخسرته.

ثم خوّفهم سبحانه فقال : ﴿ **ألا يظنّ أولئك أنهم مبعوثون** ﴾ والجملة مستأنفة مسوقة لتهويل ما فعلوه من التطفيف وتفظيعه وللتعجيب من حالهم فى الاجتراء عليه ، والإشارة بقوله: ﴿ **أولئك** ﴾ إلى المطففين ، والمعنى: أنهم لا يخطرون ببالهم أنهم مبعوثون فمسؤولون عما يفعلون ، قيل : والظن هنا بمعنى اليقين ، أى لا يوقن أولئك، ولو أيقنوا مانقصوا الكيل

والوزن . وقيل : الظن على بابه ، والمعنى : إن كانوا لا يستيقنون البعث ، فهلا ظنوه حتى يتدبروا فيه ويبحثوا عنه ويتركوا ما يخشون من عاقبته ؟ واليوم العظيم : هو يوم القيامة ، ووصفه بالعظم ؛ لكونه زمانا لتلك الأمور العظام من البعث والحساب والعقاب ، ودخول أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، ثم أخبر عن ذلك اليوم ، فقال : ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين ﴾ انتصاب الظرف بـ ﴿ مبعوثون ﴾ المذكور قبله ، أو بفعل مقدّر يدل عليه مبعوثون ، أى يبعثون يوم يقوم الناس ، أو على البدل من محل ليوم ، أو بإضمار أعنى ، أو هو فى محلّ رفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف ، أو فى محلّ جرّ على البدل من لفظ ليوم ، وإنما بنى على الفتح فى هذين الوجهين لإضافته إلى الفعل . قال الزجاج :﴿ يوم ﴾ منصوب بقوله : ﴿مبعوثون﴾ ، المعنى : ألا يظنون أنهم يبعثون يوم القيامة ؟ ومعنى ﴿ يوم يقوم الناس ﴾ : يوم يقومون من قبورهم لأمر ربّ العالمين ، أو لجزائه ، أو لحسابه أو لحكمه وقضائه ، وفى وصف اليوم بالعظم مع قيام الناس لله خاضعين فيه ، ووصفه سبحانه بكونه ربّ العالمين دلالة على عظم ذنب التطفيف ، ومزيد إثمه وفظاعة عقابه . وقيل: المراد بقوله : ﴿ يوم يقوم الناس﴾ قيامهم فى رشحهم إلى أنصاف آذانهم . وقيل : المراد : قيامهم بما عليهم من حقوق للعباد وقيل : المراد : قيام الرسل بين يدى الله للقضاء ، والأوّل أولى . قوله : ﴿ كلا ﴾ هى للردع والزجر للمطففين الغافلين عن البعث وما بعده ، ثم استأنف فقال : ﴿ إن كتاب الفجار لفى سجين ﴾ وعند أبى حاتم أن ﴿كلا﴾ بمعنى : حقا متصلة بما بعدها على معنى : حقا إن كتاب الفجار لفى سجين ، وسجين هو ما فسره به سبحانه من قوله : ﴿ وما أدراك ما سجين . كتاب مرقوم ﴾ فأخبر بهذا أنه كتاب مرقوم، أى مسطور . قيل : هو كتاب جامع لأعمال الشرّ الصادر من الشياطين والكفرة والفسقة ، ولفظ سجين علم له ، وقال قتادة وسعيد ابن جبير ومقاتل وكعب : إنه صخرة تحت الأرض السابعة تقلب فيجعل كتاب الفجار تحتها ، وبه قال مجاهد ، فيكون فى الكلام على هذا القول مضاف محذوف ، والتقدير : محل كتاب مرقوم . وقال أبو عبيدة والأخفش والمبرد والزجاج : ﴿ لفى سجين﴾: لفى حبس وضيق شديد، والمعنى : كأنهم فى حبس ، جعل ذلك دليلا على خساسة منزلتهم وهوانها . وقال الواحدى : ذكر قوم أن قوله : ﴿ كتاب مرقوم ﴾ تفسير لسجين وهو بعيد ؛ لأنه ليس السجينَ من كتاب فى شىء على ما حكيناه عن المفسرين ، والوجه أن يجعل بيانا لكتاب المذكور فى قوله : ﴿ إن كتاب الفجار ﴾ على تقدير : هو كتاب مرقوم ، أى مكتوب قد بينت حروفه انتهى ، والأولى ما ذكرناه ، ويكون المعنى : إن كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون ، أى ما يكتب من أعمالهم أو كتابة أعمالهم لفى ذلك الكتاب المدوّن للقبائح المختصّ بالشر ، وهو سجين .

ثم ذكر ما يدل على تهويله وتعظيمه ، فقال : ﴿ وما أدراك ما سجين ﴾ ثم بينه بقوله :

﴿ كتاب مرقوم﴾ قال الزجاج : معنى قوله : ﴿ وما أدراك ما سجين ﴾ ليس ذلك مما كنت تعلمه أنت ولا قومك . قال قتادة : ومعنى ﴿مرقوم﴾: رقم لهم بشرّ كأنه أعلم بعلامة يعرف بها أنه كافر . وكذا قال مقاتل ، وقدا اختلفوا فى نون سجين ، فقيل: هى أصلية واشتقاقه من السجن ، وهو الحبس ، وهو بناء مبالغة كخمير وسكير وفسيق ، من الخمر والسكر والفسق ، وكذا قال أبو عبيدة والمبرد والزجاج . قال الواحدى : وهذا ضعيف ؛ لأن العرب ما كانت تعرف سجينا ، ويجاب عنه :بأن رواية هؤلاء الأئمة تقوم بها الحجة ، وتدل على أنه من لغة العرب ، ومنه قول ابن مقبل :

ورفقة يضربون البيض ضاحية ضربا تواصت به الأبطال سجينا

وقيل : النون بدل من اللام ، والأصل : سجيل ، مشتقا من السجل ، وهو الكتاب . قال ابن عطية : من قال : إن سجينا موضع ، فكتاب مرفوع على أنه خبر إن ، والظرف وهو قوله : ﴿ لفى سجين ﴾ ملغى ، ومن جعله عبارة عن الكتاب فكتاب خبر مبتدأ محذوف ، التقدير : هو كتاب ، ويكون هذا الكلام مفسر السجين ما هو ؟ كذا قال . قال الضحاك : مرقوم مختوم بلغة حميرَ وأصل الرقم الكتابة. قال الشاعر :

سأرقم بالمـــاء القراح إليـــكم على بعدكم إن كان للماء راقم

﴿ ويل يومئذ للمكذبين ﴾ هذا متصل بقوله : ﴿ يوم يقوم الناس لربّ العالمين ﴾ وما بينهما اعتراض ، والمعنى : ويل يوم القيامة لمن وقع منه التكذيب بالبعث وبما جاءت به الرسل، ثم بين سبحانه هؤلاء المكذبين فقال : ﴿ الذين يكذبون بيوم الدين ﴾ والموصول صفه للمكذبين ، أو بدل منه . ﴿ وما يكذب به إلا كل معتد أثيم ﴾ أى فاجر جائر متجاوز فى الإثم منهمك فى أسبابه . ﴿ إذا تتلى عليه آياتنا ﴾ المنزلة على محمد ﷺ ﴿ قال أساطير الأولين ﴾ أى أحاديثهم وأباطيلهم التى زخرفوها . قرأ الجمهور : ﴿ إذا تتلى ﴾ بفوقيتين ، وقرأ أبو حيوة وأبو السماك والأشهب العقيلى والسلمى بالتحتية،وقوله:﴿ كلا ﴾ للردع والزجر للمعتدى الأثيم عن ذلك القول الباطل وتكذيب له ، وقوله : ﴿ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ بيان للسبب الذى حملهم على قولهم بأن القرآن أساطير الأوّلين . قال أبو عبيدة : ران على قلوبهم : غلب عليها رينا وريونا ، وكل ما غلبك وعلاك فقد ران بك وران عليك . قال الفرّاء : هو أنها كثرت منهم المعاصى والذنوب فأحاطت بقلوبهم ، فذلك الرين عليها . قال الحسن : هو الذنب على الذنب حتى يعمى القلب ، قال مجاهد : القلب مثل الكف ، ورفع كفه فإذا أذنب انقبض وضم أصبعه ، فإذا أذنب ذنبا آخر انقبض وضم أخرى حتى ضم أصابعه كلها حتى يطبع على قلبه . قال : وكانوا يرون أن ذلك هو الرين ، ثم قرأ هذه الآية. قال أبو زيد : يقال : قد رين بالرجل ريـنا : إذا وقع فيما لا يستطيع الخروج منه ولا قبل له به. وقال أبو معاذ النحوى : الرين أن يسود القلب من الذنوب، والطبع أن يطبع على القلب

وهو أشدّ من الرين ، والإقفال أشد من الطبع . قال الزجاج: الرين هو كالصدأ يغشى القلب كالغيم الرقيق ، ومثله الغين .

ثم كررّ سبحانه الردع والزجر فقال : ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾ وقيل : كلا بمعنى :حقا ، أى حقا إنهم ، يعنى الكفار ، عن ربهم يوم القيامة لا يرونه أبدا . قال مقاتل : يعنى أنهم بعد العرض والحساب لا ينظرون إليه نظر المؤمنين إلى ربهم . قال الحسين ابن الفضل : كما حجبهم فى الدنيا عن توحيده حجبهم فى الآخرة عن رؤيته . قال الزجاج: فى هذه الآية دليل على أن الله عزّ وجلّ يرى فى القيامة ، ولولا ذلك ما كان فى هذه الآية فائدة . وقال جلّ ثناؤه :﴿وجوه يومئذ ناضرة . إلى ربها ناظرة ﴾ [ القيامة : ٢٢ ، ٢٣ ] فأعلم جلّ ثناؤه أن المؤمنين ينظرون ، وأعلم أن الكفار محجوبون عنه : وقيل : هو تمثيل لإهانتهم بإهانة من يحجب عن الدخول على الملوك . وقال قتادة وابن أبى مليكة : هو أن لا ينظر إليهم برحمته ولا يزكيهم . وقال مجاهد : محجوبون عن كرامته ، وكذا قال ابن كيسان. ﴿ **ثم إنهم لصالوا الجحيم** ﴾ أى داخلو النار وملازموها غير خارجين منها، وثم لتراخى الرتبة ؛ لأن صلى الجحيم أشدّ من الإهانة وحرمان الكرامة . ﴿ **ثم يقال هذا الذى كنتم به تكذبون** ﴾ أى تقول لهم خزنة جهنم تبكيتا وتوبيخا : هذا الذى كنتم به تكذبون فى الدنيا فانظروه وذوقوه.

وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوّهم ، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين » . وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن عمر ؛ أن النبىّ ﷺ قال : «﴿ **يوم يقوم الناس لربّ العالمين**﴾ حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه » (١) . وأخرج الطبرانى وأبو الشيخ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى البعث عن ابن عمر قال : قال رسول الله ﷺ فى هذه الآية : ﴿ **يوم يقوم الناس لرب العالمين** ﴾ قال :« فكيف إذا جمعكم الله كما يجمع النبل فى الكنانة خمسين ألف سنة لا ينظر إليكم ؟ » (٢) . وأخرج أبو يعلى وابن حبان وابن مردويه عن أبى هريرة عن النبىّ ﷺ : «﴿ **يوم يقوم الناس لرّب العالمين** ﴾ بمقدار نصف يوم من خمسين ألف سنة ، فيهون ذلك على المؤمن كتدلى الشمس إلى الغروب إلى أن تغرب » (٣) . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن مسعود قال : إذا حشر الناس قاموا أربعين عاما . وأخرجه ابن مردويه من حديثه مرفوعا . وأخرج الطبرانى عن ابن عمر أنه قال : يارسول الله ، كم مقام الناس بين يدى ربّ العالمين يوم القيامة ؟ قال : « ألف سنة لا يؤذن لهم » .

وأخرج ابن المبارك فى الزهد ، وعبد بن حميد وابن المنذر من طريق شمر بن عطية ؛ أن

---

(١) أحمد ٢/ ١٣ والبخارى فى التفسير (٤٩٣٨ ) ومسلم فى الجنة ( ٢٨٦٢ / ٦٠ ) .
(٢) صححه الحاكم ٢/ ٥٧٣ ووافقه الذهبى .
(٣) أبو يعلى (٦٠٢٥) وابن حبان ( ٧٢٨٩ ) .

ابن عباس سأل كعب الأحبار عن قوله : ﴿ كلا إن كتاب الفجار لفى سجين ﴾ قال : إن روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ، فيهبط بها إلى الأرض فتأبى أن تقبلها فيدخل بها تحت سبع أرضين حتى ينتهى بها إلى سجين، وهو خد إبليس ، فيخرج لها من تحت خد إبليس كتابا فيختم ويوضع تحت خد إبليس . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : ﴿ سجين ﴾ : أسفل الأرضين . وأخرج ابن جرير عن أبى هريرة عن النبىّ ﷺ قال : «الفلق جب فى جهنم مغطى ، وأما سجين فمفتوح » (١). قال ابن كثير : هو حديث غريب منكر لا يصحّ (٢) . وأخرج ابن مردويه عن عائشة عن النبىّ ﷺ قال : ﴿ سجين ﴾ الأرض السابعة السفلى . وأخرج ابن مردويه عن جابر نحوه مرفوعا . وأخرج عبد بن حميد وابن ماجة والطبرانى والبيهقى فى البعث عن عبد الله بن كعب بن مالك قال : لما حضرت كعبا الوفاة أتته أم بشر بنت البراء فقالت : إن لقيت ابنى فأقرئه منى السلام ، فقال : غفر الله لك يا أمّ بشر نحن أشغل من ذلك ، فقالت : أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إن نسمة المؤمن تسرح فى الجنة حيث شاءت ، وأن نسمة الكافر فى سجين ؟ » قال : بلى ، قالت : فهو ذلك. وأخرج ابن المبارك نحوه عن سلمان . وأخرج أحمد وعبد بن حميد ، والترمذى وصححه ، والنسائى وابن ماجة وابن جرير ، وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة عن النبىّ ﷺ قال : « إن العبد إذا أذنب ذنبا نكتت فى قلبه نكتة سوداء فإن تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ، وإن عاد زادت حتى تغلف قلبه ، فذلك الران الذى ذكره الله سبحانه فى القرآن ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾» (٣) .

﴿ كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ (١٨) وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ (١٩) كِتَابٌ مَّرْقُومٌ (٢٠) يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ (٢١) إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ (٢٨) إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ (٢٩) وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ (٣٠) وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ (٣١) وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاَءِ لَضَالُّونَ (٣٢) وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ (٣٣) فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ (٣٤) عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ (٣٥) هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا

---

(١) ابن جرير ٣٠ / ٦١ .
(٢) ابن كثير ٧/ ٢٣٩ .
(٣) أحمد ٢/ ٢٩٧ والترمذى (٣٣٣٤) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » والنسائى فى التفسير (٦٧٨) وابن ماجة فى الزهد ( ٤٢٤٤ ) وابن جرير ١/ ٨٧ وصححه الحاكم ٢/ ٥١٧ على شرط مسلم ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الشعب (٧٢٠٣) . طـ : دار الكتب .

**كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣٦)﴾** .

قوله : ﴿ **كلا** ﴾ للردع والزجر عما كانوا عليه ، والتكرير للتأكيد ، وجملة : ﴿ **إن كتاب الأبرار لفى عليين**﴾ مستأنفة لبيان ما تضمنته ، ويجوز أن يكون كلا بمعنى :حقا ، والأبرار: هم المطيعون ، وكتابهم صحائف حسناتهم . قال الفراء : عليين : ارتفاع بعد ارتفاع لا غاية له ، ووجه هذا أنه منقول من جمع علىّ من العلوّ . قال الزجاج : هو إعلاء الأمكنة . قال الفراء والزجاج : فأعرب كإعراب الجمع ؛ لأنه على لفظ الجمع ولا واحد له من لفظه نحو:ثلاثين وعشرين وقنسرين . قيل : هو علم لديوان الخير الذى دوّن فيه ما عمله الصالحون، وحكى الواحدى عن المفسرين أنه السماء السابعة ، قال الضحاك ومجاهد وقتادة : يعنى : السماء السابعة فيها أرواح المؤمنين . وقال الضحاك : هو سدرة المنتهى ينتهى إليه كل شىء من أمر الله لا يعدوها . وقيل : هو الجنة . وقال قتادة أيضا : هو فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى وقيل: إن عليين صفة للملائكة فإنهم فى الملأ الأعلى كما يقال : فلان فى بنى فلان ، أى فى جملتهم . ﴿ **وما أدراك ما عليون . كتاب مرقوم** ﴾ أى وما أعلمك يا محمد أىّ شىء عليون على جهة التفخيم والتعظيم لعليين ، ثم فسره فقال : ﴿**كتاب مرقوم** ﴾ أى مسطور ، والكلام فى هذا كالكلام المتقدم فى قوله : ﴿ **وَما أدراك ما سجين .كتاب مرقوم** ﴾ وجملة : ﴿ **يشهده المقربون** ﴾ صفة أخرى لكتاب ، والمعنى : أن الملائكة يحضرون ذلك الكتاب المرقوم . وقيل : يشهدون بما فيه يوم القيامة ، قال وهب وابن إسحاق: المقربون هنا : إسرافيل ، فإذا عمل المؤمن عمل البرّ صعدت الملائكة بالصحيفة ولها نور يتلألأ فى السموات كنور الشمس فى الأرض حتى تنتهى بها إلى إسرافيل فيختم عليها .

ثم ذكر سبحانه حالهم فى الجنة بعد ذكر كتابهم فقال : ﴿ **إنّ الأبرار لفى نعيم** ﴾ أى إن أهل الطاعة لفى تنعم عظيم لا يقادر قدره ﴿ **على الأرائك ينظرون** ﴾ الأرائك : الأسرة التى فى الحجال ، وقد تقدم أنها لا تطلق الأريكة على السرير إلا إذا كان فى حجلة . قال الحسن : ما كنا ندرى ما الأرائك حتى قدم علينا رجل من اليمن ، فزعم أن الأريكة عندهم الحجلة إذا كان فيها سرير . ومعنى ﴿ **ينظرون** ﴾ : أنهم ينظرون إلى ما أعدّ الله لهم من الكرامات ، كذا قال عكرمة ومجاهد وغيرهما . وقال مقاتل : ينظرون إلى أهل النار . وقيل : ينظرون إلى وجهه وجلاله . ﴿ **تعرف فى وجوههم نضرة النعيم**﴾ أى إذا رأيتهم عرفت أنهم من أهل النعمة لما تراه فى وجوههم من النور والحسن والبياض والبهجة والرونق ، والخطاب لكلّ راء يصلح لذلك ، يقال : أنضر النبات : إذا أزهر ونوّر . قال عطاء : وذلك أن الله زاد فى جمالهم وفى ألوانهم مالا يصفه واصف . قرأ الجمهور : ﴿ **تعرف** ﴾ بفتح الفوقية وكسر الراء، ونصب نضرة ، وقرأ أبو جعفر بن القعقاع ويعقوب وشيبة وطلحة وابن أبى إسحاق بضم الفوقية وفتح الراء على البناء للمفعول ، ورفع نضرة بالنيابة . ﴿**يسقون من رحيق مختوم** ﴾ قال

أبو عبيدة والأخفش والمبرد والزجاج : الرحيق من الخمر ما لاغشّ فيه ولا شيء يفسده ، والمختوم : الذى له ختام ، وقال الخليل : الرحيق: أجود الخمر ، وفى الصحاح : الرحيق : صفرة الخمر . وقال مجاهد : هو الخمر العتيقة البيضاء الصافية ، ومنه قول حسان :

يسقون من ورد البريص عليهم  بردى يصفق بالرحيق السلسل

قال مجاهد : ﴿ **مختوم** ﴾ : مطين كأنه ذهب إلى معنى الختم بالطين ، ويكون المعنى : أنه ممنوع من أن تمسه يد إلى أن يفك ختمه للأبرار . وقال سعيد بن جبير وإبراهيم النخعى : ختامه آخر طعمه ، وهو معنى قوله : ﴿**ختامه مسك** ﴾ أى آخر طعمه ريح المسك إذا رفع الشارب فاه من آخر شرابه وجد ريحه كريح المسك . وقيل : مختوم أوانيه من الأكواب والأباريق بمسك مكان الطين ، وكأنه تمثيل لكمال نفاسته وطيب رائحته والحاصل أن المختوم والختام إما أن يكون من ختام الشيء وهو آخره ، أو من ختم الشيء وهو جعل الخاتم عليه كما تختم الأشياء بالطين ونحوه . قرأ الجمهور : ﴿ **ختامه** ﴾ وقرأ علىّ وعلقمة وشقيق والضحاك وطاوس والكسائى : « خاتمه » بفتح الخاء والتاء وألف بينهما . قال علقمة : أما رأيت المرأة تقول للعطار : اجعل خاتمه مسكا ، أى آخره ، والخاتم والختام يتقاربان فى المعنى ، إلا أن الخاتم الاسم والختام المصدر ، كذا قال الفراء . قال فى الصحاح : والختام الطين الذى يختم به، وكذا قال ابن زيد . قال الفرزدق :

وبتن بجانبى مصرَعات  وبت أفضّ أغلاق الختام

﴿ **وفى ذلك فليتنافس المتنافسون** ﴾ أى فليرغب الراغبون . والإشارة بقوله : ﴿ **ذلك** ﴾ إلى الرحيق الموصوف بتلك الصفة . وقيل : إن فى بمعنى إلى ، أى وإلى ذلك فليتبادر المتبادرون فى العمل كما فى قوله : ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾ [ الصافات : ٦١ ] وأصل التنافس : التشاجر على الشيء والتنازع فيه ، بأن يحب كل واحد أن ينفرد به دون صاحبه ، يقال : نفست الشيء عليه أنفسه نفاسة ، أى ظننت به ولم أحبّ أن يصير إليه . قال البغوى: أصله من الشيء النفيس الذى تحرص عليه نفوس الناس فيريده كل واحد لنفسه ، وينفس به على غيره ، أى يضن به . قال عطاء : المعنى : فليستبق المستبقون . وقال مقاتل بن سليمان : فليتنازع المتنازعون . وقوله : ﴿ **ومزاجه من تسنيم** ﴾ معطوف على ﴿ **ختامه مسك**﴾ صفة أخرى لرحيق ، أى ولزاج ذلك الرحيق من تسنيم ، وهو شراب ينصّب عليهم من علوّ ، وهو أشرف شراب الجنة وأصل التسنيم فى اللغة : الارتفاع ، فهى عين ماء تجرى من علوّ إلى أسفل ، ومنه : سنام البعير لعلوّه من بدنه ، ومنه تسنيم القبور . ثم بيّن ذلك فقال :﴿ **عينا يشرب بها المقربون** ﴾ وانتصاب ﴿ **عينا** ﴾ على المدح . وقال الزجاج : على الحال ، وإنما جاز أن تكون ﴿ **عينا** ﴾ حالا مع كونها جامدة غير مشتقة لاتصافها بقوله : ﴿ **يشرب بها** ﴾ وقال الأخفش: إنها منصوبة بـ﴿**يسقون** ﴾ أى يسقون عينا ، أو من عين . وقال الفرّاء : إنها منصوبة بـ

﴿تسنيم﴾ على أنه مصدر مشتق من السنام ، كما فى قوله : ﴿ أو إطعام فى يوم ذى مسغبة . يتيما ﴾[ البلد : ١٤، ١٥ ] والأول أولى ، وبه قال المبرّد . قيل : والباء فى « بها » زائدة ، أى يشربها ، أو بمعنى : من ، أو يشرب منها . قال ابن زيد : بلغنا أنها عين تجرى من تحت العرش. قيل : يشرب بها المقربون صرفا ، ويمزج بها كأس أصحاب اليمين .

ثم ذكر سبحانه بعض قبائح المشركين فقال : ﴿ إن الذين أجرموا ﴾ وهم كفار قريش ومن وافقهم على الكفر ﴿كانوا من الذين آمنوا يضحكون ﴾ أى كانوا فى الدنيا يستهزئون بالمؤمنين، ويسخرون منهم . ﴿ وإذا مروا بهم ﴾ أى وإذا مرّ المؤمنون بالكفار وهم فى مجالسهم ﴿يتغامزون ﴾ من الغمز ، وهو الإشارة بالجفون والحواجب ، أى يغمز بعضهم بعضا ، ويشيرون بأعينهم وحواجبهم . وقيل : يعيرونهم بالإسلام ويعيبونهم به ﴿وإذا انقلبوا ﴾ أى الكفار ﴿إلى أهلهم﴾ من مجالسهم ﴿ انقلبوا فاكهين ﴾ أى معجبين بما هم فيه متلذذين به ، يتفكهون بذكر المؤمنين والطعن فيهم والاستهزاء بهم والسخرية منهم ، والانقلاب : الانصراف. قرأ الجمهور: « فاكهين » وقرأ حفص وابن القعقاع والأعرج والسلمى : ﴿فكهين﴾ بغير ألف . قال الفَراء : هما لغتان ، مثل : طمع وطامع ، وحذر وحاذر ، وقد تقدّم بيانه فى سورة الدخان أن الفكه : الأشر البطر ، والفاكه : الناعم المتنعم . ﴿وإذا رأوهم ﴾ أى إذا رأو الكفار المسلمين فى أى مكان ﴿قالوا إن هؤلاء لضالون ﴾ فى اتباعهم محمدًا ، وتمسكهم بما جاء به ، وتركهم التنعم الحاضر ، ويجوز أن يكون المعنى : وإذا رأى المسلمون الكافرين قالوا هذا القول والأوّل أولى ، وجملة : ﴿ وما أرسلوا عليهم حافظين ﴾ فى محل نصب على الحال من فاعل ﴿ قالوا ﴾ أى قالوا ذلك إنهم لم يرسلوا على المسلمين من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم أحوالهم وأعمالهم.

﴿ فاليوم الذين آمنوا ﴾ المراد باليوم : اليوم الآخر ﴿ من الكفار يضحكون ﴾ والمعنى : أن المؤمنين فى ذلك اليوم يضحكون من الكفار حين يرونهم أذلاء مغلوبين قد نزل بهم ما نزل من العذاب ، كما ضحك الكفار منهم فى الدنيا ، وجملة : ﴿ على الأرائك ينظرون ﴾ فى محل نصب على الحال من فاعل ﴿ يضحكون ﴾ أى يضحكون منهم ناظرين إليهم وإلى ماهم فيه من الحال الفظيع . وقد تقدّم تفسير الأرائك قريبا . قال الواحدى : قال المفسرون : إن أهل الجنة إذا أرادوا نظروا من منازلهم إلى أعداء الله وهم يعذبون فى النار ، فضحكوا منهم كما ضحكوا منهم فى الدنيا ، وقال أبو صالح : يقال لأهل النار : اخرجوا ويفتح لهم أبوابها ، فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج ، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك ، فإذا انتهوا إلى أبوابها غلقت دونهم ، فذلك قوله : ﴿ فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون ﴾. ﴿ هل ثوّب الكفار ما كانوا يفعلون ﴾ الجملة مستأنفة لبيان أنه قد وقع الجزاء للكفار بما كان يقع منهم فى الدنيا من الضحك من المؤمنين والاستهزاء بهم ، والاستفهام للتقرير ، وثوّب بمعنى : أثيب ، والمعنى : هل جوزى الكفار بما كانوا يفعلونه بالمؤمنين؟ وقيل : الجملة فى محل نصب

بـ ﴿ ينظرون ﴾ . وقيل : هى على إضمار القول ، أى يقول بعض المؤمنين لبعض : هل ثوّب الكفار ، والثواب ما يرجع على العبد فى مقابلة عمله ويطلق على الخير والشرّ .

وقد أخرج ابن المبارك فى الزهد ، وعبد بن حميد وابن المنذر من طريق شمر بن عطية ؛ أن ابن عباس سأل كعب الأحبار عن قوله : ﴿ إن كتاب الأبرار لفى عليين ﴾ قال : أرواح المؤمن إذا قبضت عرج بها إلى السماء ، فتفتح لها أبواب السماء وتلقاها الملائكة بالبشرى حتى تنتهى بها إلى العرش وتعرّج الملائكة ، فيخرج لها من تحت العرش رقّ فيرقم ويختم ويوضع تحت العرش لمعرفة النجاة لحساب يوم الدين . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس : ﴿ لفى عليين ﴾ قال الجنة ، وفى قوله : ﴿ يشهده المقرّبون ﴾ قال : أهل السماء. وأخرج أحمد وأبو داود والطبرانى وابن مردويه عن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : «صلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب فى عليين » (١) . وأخرج ابن المنذر عن علىّ بن أبى طالب فى قوله : ﴿ نضرة النعيم ﴾ قال : عين فى الجنة يتوضؤون منها ويغتسلون فتجرى عليهم نضرة النعيم .

وأخرج عبد بن حميد وسعيد بن منصور وابن أبى شيبة وهناد وابن المنذر ، والبيهقى فى البعث عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ يسقون من رحيق مختوم ﴾ قال : الرحيق : الخمر ، والمختوم يجدون عاقبتها طعم المسك . وأخرج ابن أبى شيبة وهناد وابن المنذر عنه فى قوله : ﴿مختوم ﴾ قال : ممزوج ﴿ ختامه مسك ﴾ قال : طعمه وريحه . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى البعث عن ابن عباس فى قوله : ﴿ من رحيق﴾ قال : خمر ، وقوله : ﴿ مختوم﴾ قال : ختم بالمسك . وأخرج الفريابى والطبرانى ، والحاكم وصححه ، والبيهقى عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ ختامه مسك ﴾ قال: ليس بخاتم يختم به ، ولكن خلطه مسك ، ألم تر إلى المرأة من نسائكم تقول خلطه من الطيب كذا وكذا . وأخرج ابن جرير وابن المنذر والبيهقى عن أبى الدرداء ﴿ختامه مسك ﴾ قال : هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم ، ولو أن رجلا من أهل الدنيا أدخل أصبعه فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريحها .

وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : ﴿تسنيم﴾ أشرف شراب أهل الجنة ، وهو صرف للمتقين ويمزج لأصحاب اليمين. وأخرج ابن المبارك وسعيد بن منصور وابن أبى شيبة وهناد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن مسعود ﴿ مزاجه من تسنيم ﴾ قال: عين فى الجنة تمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقرّبون صرفا . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن ابن عباس ؛ أنه سئل عن قوله : ﴿ومزاجه من تسنيم ﴾ قال : هذا مما قال الله : ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين ﴾ [ السجدة : ١٧ ] .

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه الإمام أحمد ٥/ ٢٦٨ وأبو داود فى الصلاة (٥٥٨) والطبرانى ( ٧٧٣٤) .

## تفسير سورة الانشقاق

هى ثلاث وعشرون آية . وقيل : خمس وعشرون آية وهى مكية بلا خلاف . وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقىّ عن ابن عباس قال : نزلت سورة الانشقاق بمكة . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله . وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى رافع قال : صليت مع أبى هريرة العتمة فقرأ : ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ فسجد . فقلت له ، فقال : سجدت خلف أبى القاسم ﷺ فلا أزال أسجد حتى ألقاه [١] . وأخرج مسلم وأهل السنن وغيرهم عن أبى هريرة قال : سجدنا مع رسول الله ﷺ فى : ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ و ﴿ اقرأ باسم ربك ﴾ [٢] . وأخرج ابن خزيمة، والروياني فى مسنده ، والضياء المقدسى فى المختارة عن بريدة ؛ أن النبى ﷺ كان يقرأ فى الظهر : ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ ونحوها[٣].

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

قوله : ﴿ إذا السماء انشقت ﴾ هو كقوله : ﴿ إذا الشمس كوّرت ﴾ [ التكوير : ١ ] فى إضمار الفعل وعدمه . قال الواحدى : قال المفسرون : انشقاقها من علامات القيامة ، ومعنى انشقاقها : انفطارها بالغمام الأبيض كما فى قوله: ﴿ويوم تشقق السماء بالغمام ﴾ [ الفرقان : ٢٥ ] وقيل : تنشقّ من المجرة ، والمجرة باب السماء . واختلف فى جواب إذا ، فقال الفرّاء :

(١) البخارى فى الأذان ( ٧٦٦ ، ٧٦٨ ) مسلم فى المساجد ومواضع الصلاة (٥٧٨ / ١٠٧ ) والنسائى فى الصلاة (٢/ ١٦١ ) وفى التفسير ( ٦٨٠ ) .

(٢) سبق تخريجه .

(٣) ابن خزيمة فى الصلاة (٥١٢) .

إنه أذنت ، والواو زائدة ، وكذلك ألقت . قال ابن الأنبارى : هذا غلط ، لأن العرب لا تقحم الواو إلا مع حتى إذا كقوله : ﴿ حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها ﴾ [ الزمر : ٧١ ] ومع لما كقوله : ﴿ فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه ﴾ [الصافات : ١٠٣ ، ١٠٤] ولا تقحم مع غير هذين . وقيل : إن الجواب قوله : ﴿**فملاقيه** ﴾ أى فأنت ملاقيه ، وبه قال الأخفش. وقال المبرد : إن فى الكلام تقديما وتأخيرا ، أى يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه إذا السماء انشقت . وقال المبرد أيضا : إن الجواب قوله : ﴿**فأما من أوتى كتابه بيمينه** ﴾ وبه قال الكسائى ، والتقدير : إذا السماء انشقت فمن أوتى كتابه بيمينه فحكمه كذا. وقيل : هو ﴿ **يأيها الإنسان** ﴾ على إضمار الفاء ، وقيل : إنه ﴿ **يأيها الإنسان** ﴾ على إضمار القول ، أى يقال له : يأيها الإنسان . وقيل : الجواب محذوف ، تقديره : بعثتم ، أو لاقى كل إنسان عمله . وقيل : هو ما صرّح به فى سورة التكوير ، أى علمت نفس هذا ، على تقدير أن إذا شرطية ، وقيل : ليست بشرطية وهى منصوبة بفعل محذوف ، أى اذكر ، أو هى مبتدأ وخبرها إذا الثانية والواو مزيدة ، وتقديره : وقت انشقاق السماء وقت مدّ الأرض، ومعنى ﴿ **وأذنت لربها** ﴾ : أنها أطاعته فى الانشقاق من الإذن ، وهو الاستماع للشىء والإصغاء إليه ﴿ **وحقت** ﴾ أى وحق لها أن تطيع وتنقاد وتسمع ، ومن استعمال الإذن فى الاستماع قول الشاعر :

صمّ إذا سمعوا خيرا ذكرت به     وإن ذكرت بسوء عندهم أذنوا

وقول الآخر :

إن يأذنوا ريبة طاروا بها فرحا     منى وما أذنوا من صالح دفنوا

وقيل : المعنى : وحقق الله عليها الاستماع لأمره بالانشقاق ، أى جعلها حقيقة بذلك . قال الضحاك : ﴿**حقت** ﴾: أطاعت ، وحقّ لها أن تطيع ربها لأنه خلقها ، يقال : فلان محقوق بكذا ، ومعنى طاعتها : أنها لا تمتنع مما أراده الله بها ، قال قتادة : حق لها أن تفعل ذلك ، ومن هذا قول كثير :

فإن تكن العتبى فأهلا ومرحبا     وحقت لها العتبى لدينا وقلت

﴿ **وإذا الأرض مدّت** ﴾ أى بسطت كما تبسط الأدم ، ودكت جبالها حتى صارت قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا أمتا . قال مقاتل : سوّيت كمدّ الأديم فلا يبقى عليها بناء ولا جبل إلا دخل فيها . وقيل : مدّت زيد فى سعتها ، من المدد ، وهو الزيادة . ﴿ **وألقت ما فيها**﴾ أى أخرجت ما فيها من الأموات والكنوز وطرحتهم إلى ظهرها ﴿ **وتخلت** ﴾ من ذلك. قال سعيد بن جبير : ألقت ما فى بطنها من الموتى وتخلت ممن على ظهرها من الأحياء ، ومثل هذا قوله : ﴿وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ [ الزلزلة : ٢] . ﴿ **وأذنت لربها** ﴾ أى سمعت

وأطاعت لما أمرها به من الإلقاء والتخلى ﴿**وحقت** ﴾ أى وجعلت حقيقة بالاستماع لذلك والانقياد له. وقد تقدم بيان معنى الفعلين قبل هذا ﴿ **يأيها الإنسان** ﴾ المراد : جنس الإنسان فيشمل المؤمن والكافر . وقيل : هو الإنسان الكافر . والأوّل أولى لما سيأتى من التفصيل ﴿**إنك كادح إلى ربك كدحا** ﴾ الكدح فى كلام العرب: السعى فى الشىء بجهد من غير فرق بين أن يكون ذلك الشىء خيرا أو شرا ، والمعنى : أنك ساع إلى ربك فى عملك ، أو إلى لقاء ربك . مأخوذ من كدح جلده : إذا خدشه ، قال ابن مقبل :

وما الدهر إلا تارتان فمنهما أموت وأخرى أبتغى العيش أكدح

قال قتادة والضحاك والكلبى : عامل لربك عملا ﴿ **فملاقيه** ﴾ أى فملاق عملك ، والمعنى: أنه لا محالة ملاق لجزاء عمله وما يترتب عليه من الثواب والعقاب . قال القتيبى : معنى الآية : ﴿ **إنك كادح** ﴾ أى عامل ناصب فى معيشتك إلى لقاء ربك والملاقاة بمعنى اللقاء، أى تلقى ربك بعملك ، وقيل : فملاق كتاب عملك ، لأن العمل قد انقضى ﴿ **فأما من أوتى كتابه بيمينه** ﴾ وهم المؤمنون . ﴿ **فسوف يحاسب حسابا يسيرا** ﴾ لامناقشة فيه . قال مقاتل : لأنها تغفر ذنوبه ولا يحاسب بها . وقال المفسرون : هو أن تعرض عليه سيئاته ثم يغفرها الله ، فهو الحساب اليسير . ﴿ **وينقلب إلى أهله مسرورا** ﴾ أى وينصرف بعد الحساب اليسير إلى أهله الذين هم فى الجنة من عشيرته ، أو إلى أهله الذين كانوا له فى الدنيا من الزوجات والأولاد وقد سبقوه إلى الجنة ، أو إلى من أعدّه الله له فى الجنة من الحور العين والولدان المخلدين . أو إلى جميع هؤلاء مسرورًا مبتهجا بما أوتى من الخير والكرامة .

﴿ **وأما من أوتى كتابه وراء ظهره** ﴾ قال الكلبى : لأن يمينه مغلولة إلى عنقه ، وتكون يده اليسرى خلفه . وقال قتادة ومقاتل : تفك ألواح صدره وعظامه ، ثم تدخل يده وتخرج من ظهره فيأخذ كتابه كذلك ﴿ **فسوف يدعو ثبورًا**﴾ أى إذا قرأ كتابه قال : ياويلاه ياثبوراه ، والثبور: الهلاك . ﴿ **ويصلى سعيرا** ﴾ أى يدخلها ويقاسى حرّ نارها وشدتها . قرأ أبو عمرو وحمزة وعاصم بفتح الياء وسكون الصاد وتخفيف اللام . وقرأ الباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديدها ، وروى إسماعيل المكى عن ابن كثير وكذلك خارجة عن نافع وكذلك روى إسماعيل المكى عن ابن كثير أنهم قرؤوا بضم الياء وإسكان الصاد من أصلى يصلى . ﴿ **إنه كان فى أهله مسرورا** ﴾ أى كان بين أهله فى الدنيا مسرورا باتباع هواه وركوب شهوته بطرا أشرا لعدم خطور الآخرة بباله ، والجملة تعليل لما قبلها ، وجملة : ﴿ **إنه ظن أن لن يحور** ﴾ تعليل لكونه كان فى الدنيا فى أهله مسرورا ، والمعنى : أن سبب ذلك السرور ظنه بأنه لا يرجع إلى الله ، ولا يبعث للحساب والعقاب لتكذيبه بالبعث وجحده للدار الآخرة ، و« أن » فى قوله : ﴿ **أن لن يحور** ﴾ هى المخففة من الثقيلة سادة مع ما فى حيزها مسدّ مفعولى ظنّ ، والحور فى اللغة : الرجوع ، يقال : حار يحور : إذا رجع . وقال الراغب : الحور: التردّد فى

الأمر ، ومنه : نعوذ بالله من الحور بعد الكور ، أى من التردّد فى الأمر بعد المضىّ فيه ، ومحاورة الكلام : مراجعته ، والمحار المرجع والمصير . قال عكرمة وداود بن أبى هند : يحور كلمة بالحبشية ومعناها : يرجع . قال القرطبى [١] : الحور فى كلام العرب : الرجوع ، ومنه : قوله ﷺ : « اللهم إنى أعوذ بك من الحور بعد الكور » [٢] يعنى : من الرجوع إلى النقصان بعد الزيادة ، وكذلك الحور بالضم ، وفى المثل : حور فى محار ، أى نقصان فى نقصان ، ومنه قول الشاعر :

والذم يبقى وزادُ القوم فى حُورِ

والحور أيضا : الهلكة ، ومنه قول الراجز :

فى بئر لا حُور سرى وما شعر

قال أبو عبيدة : أى فى بئر حور ، ولا زائدة . ﴿ **بلى إن ربه كان به بصيرا** ﴾ بلى إيجاب للمنفىّ بلن ، أى بلى ليحورنّ وليبعثن . ثم علل ذلك بقوله : ﴿ **إنّ ربه كان به بصيرا** ﴾ أى كان به وبأعماله عالمًا لا يخفى عليه منها خافية . قال الزجاج : كان به بصيرا قبل أن يخلقه عالمًا بأن مرجعه إليه . ﴿ **فلا أقسم بالشفق** ﴾« لا » زائدة كما تقدّم فى أمثال هذه العبارة ، وقد قدّمنا الاختلاف فيها فى سورة القيامة فارجع إليه . والشفق : الحمرة التى تكون بعد غروب الشمس إلى وقت صلاة العشاء الآخرة . قال الواحدى : هذا قول المفسرين وأهل اللغة جميعا. قال الفراء : سمعت بعض العرب يقول : عليه ثوب مصبوغ كأنه الشفق وكان أحمر ، وحكاه القرطبى عن أكثر الصحابة والتابعين والفقهاء ، وقال أسد بن عمر وأبو حنيفة : فى إحدى الروايتين عنه إنه البياض ، ولا وجه لهذا القول ولا متمسك له لا من لغة العرب ولا من الشرع. قال الخليل : الشفق : الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة ، قال فى الصحاح : الشفق بقية ضوء الشمس وحمرتها فى أوّل الليل إلى قريب العتمة ، وكتب اللغة والشرع مطبقة على هذا ، ومنه قول الشاعر :

قم ياغلام أعنى غير مرتبك ... على الزمان بكأس حشوها شفق

وقال آخر :

أحمر اللون كحمرة الشفق

وقال مجاهد : الشفق : النهار كله ألا تراه قال :﴿ **والليل وما وسق** ﴾ وقال عكرمة : هو ما بقى من النهار. وإنما قال هذا لقوله بعده : ﴿ **والليل وما وسق** ﴾ فكأنه تعالى أقسم بالضياء والظلام ، ولا وجه لهذا ، على أنه قد روى عن عكرمة أنه قال : الشفق : الذى يكون بين المغرب والعشاء ، وروى عن أسد بن عمر : الرجوع . ﴿**والليل وما وسق** ﴾ الوسق عند أهل

(١) القرطبى ١٠/ ٧٠٦٤ .

(٢) مسلم فى الحج ( ١٣٤٣/ ٤٢٦ ) .

اللغة : ضم الشيء بعضه إلى بعض ، يقال : استوسقت الإبل : إذا اجتمعت وانضمت، والراعى يسقها ، أى يجمعها . قال الواحدى : المفسرون يقولون : وما جمع وضم وحوى ولف ، والمعنى : أنه جمع وضمّ ما كان منتشرا بالنهار فى تصرّفه ، وذلك أن الليل إذا أقبل آوى كل شيء إلى مأواه ، ومنه قول ضابئ بن الحرث البرجُمِى :

فإنى وإياكم وسوقا إليكم كقابض شيئا لم تنله أنامله

وقال عكرمة : ﴿ وما وسق ﴾ أى وما ساق من شيء إلى حيث يأوى ، فجعله من السوق لا من الجمع ﴿وما وسق﴾ أى وما جُنَّ وستر . وقيل: ﴿ وما وسق ﴾ أى وما حمل ، وكل شيء حملته فقد وسقته ، والعرب تقول : لا أحمله ما وسقت عينى الماء ، أى حملته ، ووسقت الناقة تسق وسقا ، أى حملت . قال قتادة والضحاك ومقاتل بن سليمان : ﴿ وما وسق ﴾ : وما حمل من الظلمة ، أو حمل من الكواكب . قال القشيرى : ومعنى حمل: ضمّ وجمع ، والليل يحمل بظلمته كل شيء . وقال سعيد بن جبير: ﴿ وما وسق ﴾ أى وما عمل فيه من التهجد والاستغفار بالأسحار ، والأوّل أولى. ﴿ والقمر إذا اتسق ﴾ أى اجتمع وتكامل. قال الفراء: اتساقه: امتلاؤه واجتماعه واستواؤه ليلة ثالث عشر ورابع عشر إلى ست عشرة ، وقد افتعل من الوسق الذى هو الجمع . قال الحسن: اتسق: امتلأ واجتمع . وقال قتادة : استدار، يقال : وسقته فاتسق ، كما يقال : وصلته فاتصل ، ويقال : أمر فلان متسق ، أى مجتمع منتظم ، ويقال : اتسق الشيء : إذا تتابع .

﴿ لتركبَن طبقا عن طبق ﴾ هذا جواب القسم . قرأ حمزة والكسائى وابن كثير وأبو عمرو: « لتركبَن » : بفتح الموحدة على أنه خطاب للواحد، وهو النبّى ﷺ ، أو لكل من يصلح له ، وهى قراءة ابن مسعود وابن عباس وأبى العالية ومسروق وأبى وائل ومجاهد والنخعى والشعبى وسعيد بن جبير ، وقرأ الباقون بضم الموحدة خطابا للجمع وهم الناس . قال الشعبى و مجاهد : لتركبنَّ يامحمد سماء بعد سماء . قال الكلبى : يعنى : تصعد فيها ، وهذا على القراءة الأولى . وقيل : درجة بعد درجة ، ورتبة بعد رتبة فى القرب من الله ورفعة المنزلة . وقيل : المعنى : لتركبنَّ حالا بعد حال كل حالة منها مطابقة لأختها فى الشدّة . وقيل: المعنى : لتركبنَّ أيها الإنسان حالا بعد حال من كونك نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم حيا وميتا وغنيا وفقيرا ، فالخطاب للإنسان المذكور فى قوله : ﴿يأيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا﴾ واختار أبو عبيد وأبو حاتم القراءة الثانية قالا : لأن المعنى بالناس أشبه منه بالنبىّ ﷺ. وقرأ عمر : « ليركبنَّ » بالتحتية وضم الموحدة على الإخبار ، وروى عنه وعن ابن عباس أنهما قرآ بالغيبة وفتح الموحدة ، أى ليركبن الإنسان، وروى عن ابن مسعود وابن عباس أنهما قرآ بكسر حرف المضارعة وهى لغة ، وقرئ بفتح حرف المضارعة وكسر الموحدة على أنه خطاب للنفس . وقيل : إن معنى الآية : ليركبنّ القمر أحوالا من سرار واستهلال ، وهو بعيد ، قال مقاتل : ﴿ طبقا عن طبق ﴾ يعنى : الموت والحياة . وقال عكرمة : رضيع ثم فطيم ثم غلام

ثم شاب ثم شيخ ومحل ﴿ **عن طبق** ﴾ النصب على أنه صفة لـ﴿**طبقا** ﴾ أى طبقا مجاوزا لطبق، أو على الحال من ضمير لتركبن ، أى مجاوزين ، أو مجاوزا .

﴿ **فما لهم لا يؤمنون** ﴾ الاستفهام للإنكار ، والفاء لترتيب ما بعدها من الإنكار والتعجيب على ما قبلها من أحوال يوم القيامة أو من غيرها على الاختلاف السابق ، والمعنى : أىّ شىء للكفار لا يؤمنون بمحمد ﷺ وبما جاء به من القرآن مع وجود موجبات الإيمان بذلك.

﴿ **وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون** ﴾ هذه الجملة الشرطية وجوابها فى محل نصب على الحال ، أى أىّ مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم عند قراءة القرآن . قال الحسن وعطاء والكلبى ومقاتل : مالهم لا يصلون . وقال أبو مسلم : المراد : الخضوع والاستكانة . وقيل : المراد : نفس السجود المعروف بسجود التلاوة ، وقد وقع الخلاف هل هذا الموضع من مواضع السجود عند التلاوة أم لا ؟ وقد تقدم فى فاتحة هذه السورة الدليل على السجود : ﴿ **بل الذين كفروا يكذبون** ﴾ أى يكذبون بمحمد ﷺ وبما جاء به من الكتاب المشتمل على إثبات التوحيد والبعث والثواب والعقاب : ﴿**والله أعلم بما يوعون** ﴾ أى بما يضمرونه فى أنفسهم من التكذيب . وقال مقاتل : يكتمون من أفعالهم . وقال ابن زيد : يجمعون من الأعمال الصالحة والسيئة ، مأخوذ من الوعاء الذى يجمع ما فيه ، ومنه قول الشاعر :

الخير أبقى وإن طال الزمان به ... والشرّ أخبث ما أوعيت من زاد

ويقال : وعاه: حفظه ، ووعيت الحديث أعيه وعيا ، ومنه : ﴿ أذن واعية ﴾ [ الحاقة : ١٢ ] .﴿ **فبشرهم بعذاب أليم**﴾ أى اجعل ذلك بمنزلة البشارة لهم ، لأن علمه سبحانه بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم ، والأليم : المؤلم الموجع ، والكلام خارج مخرج التهكم بهم . ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون** ﴾ هذا الاستثناء منقطع ، أى لكن الذين جمعوا بين الإيمان بالله والعمل الصالح لهم أجر عند الله غير ممنون ، أى غير مقطوع ، يقال : مننت الحبل : إذا قطعته ، ومنه قول الشاعر :

فترى خلفهنّ من سرعة الرجـ ... ـع منينا كأنه أهباء

قال المبرد : المنين : الغبار ، لأنه تقطعه وراءها ، وكل ضعيف منين وممنون . وقيل : معنى ﴿ **غير ممنون** ﴾ : أنه لا يمنّ عليهم به ، ويجوز أن يكون الاستثناء متصلا إن أريد من آمن منهم .

وقد أخرج ابن أبى حاتم عن علىّ بن أبى طالب فى قوله : ﴿ **إذا السماء انشقت** ﴾ قال: تنشق السماء من المجرة . وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس : ﴿ **وأذنت لربها وحقت** ﴾ قال : سمعت حين كلمها . وأخرج ابن أبى حاتم عنه : ﴿**وأذنت لربها وحقت** ﴾ قال : أطاعت وحقت بالطاعة . وأخرج الحاكم عنه وصححه قال : سمعت وأطاعت ﴿ **وإذا الأرض مدّت** ﴾

قال : يوم القيامة ﴿ **وألقت مافيها** ﴾ قال : أخرجت ما فيها من الموتى ﴿**وتخلت** ﴾ عنهم . وأخرج ابن المنذر عنه أيضا : ﴿ **وألقت ما فيها** ﴾ قال : سوارى الذهب . وأخرج الحاكم، قال السيوطى : بسند جيد ، عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: « تمدّ الأرض يوم القيامة مدّ الأديم ، ثم لا يكون لابن آدم فيها إلا موضع قدميه » (١) . وأخرج ابن جرير عن ابن عباس : ﴿ **إنك كادح إلى ربك كدحا** ﴾ قال : عامل عملا . ﴿ **فملاقيه** ﴾ قال : فملاق عملك .

وأخرج البخارى ومسلم وغيرهم عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : « ليس أحد يحاسب إلا هلك»، فقلت : أليس يقول الله : ﴿ **فأما من أوتى كتابه بيمينه . فسوف يحاسب حسابا يسيرا** ﴾ ؟ قال : «ليس ذلك بالحساب. ولكن ذلك العرض ، ومن نوقش الحساب هلك» (٢) .

وأخرج أحمد وعبد بن حميد وابن جرير ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه عن عائشة قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول فى بعض صلاته : « اللهم حاسبنى حسابا يسيرا » ، فلما انصرف قلت : يارسول الله ، ما الحساب اليسير ؟ قال: « أن ينظر فى كتابه فيتجاوز له عنه ، إنه من نوقش الحساب هلك » (٣) وفى بعض ألفاظ الحديث الأوّل وهذا الحديث الآخر : « من نوقش الحساب عذّب » . وأخرج البزار ، والطبرانى فى الأوسط ، والبيهقى والحاكم عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من كنّ فيه يحاسبه الله حسابا يسيرا ويدخله الجنة برحمته : تعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، وتصل من قطعك » (٤) .

وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **يدعو ثبوراً** ﴾ قال : الويل . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه : ﴿ **إنه ظنّ أن لن يحور** ﴾ قال : يبعث . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضا ﴿ **أن لن يحور**﴾ قال : أن لن يرجع. وأخرج سمويه فى فوائده عن عمر ابن الخطاب قال : ﴿ **الشفق** ﴾ : الحمرة . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس مثله . وأخرج عبد الرزاق وابن أبى حاتم عن أبى هريرة قال : ﴿ **الشفق** ﴾ : النهار كله . وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **والليل وما وسق** ﴾ قال : وما دخل فيه . وأخرج أبو عبيد فى فضائله ، وابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر عنه : ﴿ **وما وسق** ﴾ قال: وما جمع . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم عنه أيضا فى قوله : ﴿**والقمر إذا اتسق** ﴾ قال : إذا استوى . وأخرج عبد بن حميد وابن الأنبارى من طرق عن ابن عباس ؛ أنه سئل عن قوله : ﴿ **والليل وما وسق** ﴾ قال : وما جمع ، أما سمعت قوله :

---

(١) هذا جزء من حديث طويل صححه الحاكم ٤/ ٥٧٠ على شرط الشيخين ووافقه الذهبى .
(٢) أحمد ٦/ ٤٧ ، ٩١ والبخارى فى التفسير ( ٤٩٣٩ ) ومسلم فى الجنة ( ٢٨٧٦ / ٧٩ ، ٨٠ ) .
(٣) أحمد ٦/ ٤٨ وابن جرير ٣٠/ ٧٤ وصححه الحاكم ٤/ ٥٨٠ على شرط مسلم ووافقه الذهبى .
(٤) قال الهيثمى فى المجمع ٨/ ١٥٧ : « رواه البزار والطبرانى فى الأوسط وفيه سليمان بن داود اليمامى وهو متروك » وصححه الحاكم ٢/ ٥١٨ وقال الذهبى : « سليمان ضعيف » .

إن لنـا قلائـصا نقـانـقا مستوسقات لو يجدن سائقا

وأخرج عبد بن حميد عنه ﴿ **والقمر إذا اتسق** ﴾ قال : ليلة ثلاثة عشر . وأخرج عبد بن حميد عن عمر بن الخطاب ﴿ **لتركبنّ طبقا عن طبق** ﴾ قال : حالا بعد حال . وأخرج البخارى عن ابن عباس ﴿ **لتركبنّ طبقا عن طبق**﴾ حالا بعد حال ، قال : هذا نبيكم ﷺ . وأخرج أبو عبيد فى القراءات ، وسعيد بن منصور وابن منيع وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس ؛ أنه كان يقرأ : « لتركبنّ طبقا عن طبق » يعنى : بفتح الباء من ﴿**تركبن**﴾ . وقال : يعنى : نبيكم ﷺ حالا بعد حال . وأخرج الطيالسى وعبد بن حميد وابن أبى حاتم والطبرانى عنه قال : ﴿**لتركبنّ**﴾ يا محمد السماء ﴿ **طبقا عن طبق** ﴾ .

وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر ، والحاكم فى الكنى ، والطبرانى وابن منده وابن مردويه عن ابن مسعود ؛ أنه قرأ : « لتركبنّ » : يعنى : بفتح الباء . وقال : لتركبنّ يامحمد سماء بعد سماء . وأخرج عبد الرزاق والفريابى وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب عنه : ﴿ **لتركبنّ طبقا عن طبق** ﴾ يعنى : السماء تنفطر ، ثم تنشق ، ثم تحمرّ . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر والبيهقى عنه أيضا فى الآية قال : السماء تكون كالمهل ، وتكون وردة كالدّهان ، وتكون واهية ، وتشقق فتكون حالا بعد حال . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿**والله أعلم بما يوعون** ﴾ قال : يسرّون .

## تفسير سورة البروج

هى اثنتان وعشرون آية . وهى مكية بلا خلاف . وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس قال : نزلت : ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ بمكة . وأخرج أحمد قال : حدّثنا عبد الصمد حدثنا زريق بن أبى سلمى حدّثنا أبو المهزم عن أبى هريرة ؛ أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى العشاء الآخرة بـ ﴿ السماء ذات البروج ﴾ ، و﴿ السماء والطارق ﴾ (١) . وأخرج الطيالسى وابن أبى شيبة فى المصنف ، وأحمد والدارمى وأبو داود ، والترمذى وحسنه ، والنسائى وابن حبان والطبرانى ، والبيهقى فى سننه عن جابر بن سمرة؛ أن النبىّ ﷺ كان يقرأ فى الظهر والعصر بـ ﴿ السماء والطارق ﴾ و﴿ السماء ذات البروج﴾ (٢) .

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ﴿١﴾ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ﴿٢﴾ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾ قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ .

قوله : ﴿ والسماء ذات البروج ﴾ قد تقدّم الكلام فى البروج عند تفسير قوله : ﴿جعل فى السماء بروجا ﴾ [الفرقان : ٦١ ] قال الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك: هى النجوم، والمعنى : والسماء ذات النجوم ، وقال عكرمة ومجاهد أيضا : هى قصور فى السماء . وقال المنهال بن عمرو : ذات الخلق الحسن .وقال أبو عبيدة ويحيى بن سلام وغيرهما : هى المنازل للكواكب ، وهى اثنا عشر برجا لاثنى عشر كوكبا ، وهى الحمل ، والثور ، والجوزاء ، والسرطان ،

(١) أحمد ٢ / ٣٢٧ .

(٢) ابن أبى شيبة ١ / ٣٥٦ وأحمد ٥ / ١٠٦ والدارمى ١ / ٢٩٥ وأبو داود فى الصلاة ( ٨٠٥ ) والترمذى فى الصلاة ( ٣٠٧ ) والنسائى فى الصلاة ٢ / ١٦٦ وابن حبان ( ١٨٢٤ ) والطبرانى ( ١٩٦٦ ) والبيهقى٢ / ٣٩١ .

والأسد ، والسنبلة ، والميزان ، والعقرب ، والقوس ، والجدى ، والدلو ، والحوت . والبروج فى كلام العرب : القصور ، ومنه قوله : ﴿ ولو كنتم فى بروج مشيدة ﴾ [ النساء : ٧٨ ] شبهت منازل هذه النجوم بالقصور لكونها تنزل فيها . وقيل : هى أبواب السماء . وقيل : هى منازل القمر . وأصل البرج : الظهور ، سميت بذلك لظهورها . ﴿ **واليوم الموعود** ﴾ أى الموعود به ، وهو يوم القيامة . قال الواحدى : فى قول جميع المفسرين .

﴿ **وشاهد ومشهود** ﴾ المراد بالشاهد : من يشهد فى ذلك اليوم من الخلائق ، أى يحضر فيه، والمراد بالمشهود : ما يشاهد فى ذلك اليوم من العجائب وذهب جماعة من الصحابة والتابعين إلى أن الشاهد : يوم الجمعة ، وأنه يشهد على كل عامل بما عمل فيه ، والمشهود : يوم عرفة ، لأنه يشهد الناس فيه موسم الحج ، وتحضره الملائكة ، قال الواحدى : وهذا قول الأكثر ، وحكى القشيرى عن ابن عمر وابن الزبير أن الشاهد : يوم الأضحى . وقال سعيد بن المسيب : الشاهد : يوم التروية ، والمشهود : يوم عرفة ، وقال النخعى : الشاهد يوم عرفة ، والمشهود : يوم النحر . وقيل : الشاهد : هو الله سبحانه ، وبه قال الحسن وسعيد بن جبير ، لقوله : ﴿ وكفى بالله شهيدا ﴾ [ النساء : ١٦٦ ] وقوله : ﴿ قل أىّ شىء أكبر شهادة قل الله شهيد بينى وبينكم ﴾ [ الأنعام : ١٩ ] . وقيل : الشاهد : محمد ﷺ لقوله : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ [ النساء : ٤١ ] وقوله : ﴿ يأيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ﴾ [ الأحزاب : ٤٥ ] وقوله : ﴿ ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ [ البقرة : ١٤٣ ] . وقيل : الشاهد : جميع الأنبياء لقوله : ﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد ﴾ [ النساء : ٤١ ] . وقيل : هو عيسى ابن مريم لقوله : ﴿وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم ﴾ [ المائدة : ١١٧ ] والمشهود على هذه الأقوال الثلاثة : إما أمة محمد ، أو أمم الأنبياء ، أو أمة عيسى . وقيل : الشاهد : آدم ، والمشهود : ذريته ، وقال محمد بن كعب : الشاهد : الإنسان لقوله : ﴿ كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾ [ الإسراء : ١٤ ] وقال مقاتل : أعضاؤه لقوله:﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾ [ النور : ٢٤ ] وقال الحسين بن الفضل : الشاهد : هذه الأمة ، والمشهود : سائر الأمم لقوله : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ [ البقرة : ١٤٣ ] . وقيل : الشاهد : الحفظة والمشهود : بنو آدم . وقيل : الأيام والليالى . وقيل : الشاهد : الخلق ، يشهدون لله عزّ وجلّ بالوحدانية ، والمشهود له بالوحدانية هو الله سبحانه ، وسيأتى بيان ما ورد فى تفسير الشاهد والمشهود ــ وبيان ما هو الحقّ إن شاء الله .

﴿ **قتل أصحاب الأخدود** ﴾ هذا جواب القسم ، واللام فيه مضمرة ، وهو الظاهر ، وبه قال الفراء وغيره . وقيل : تقديره : لقد قتل ، فحذفت اللام وقد ، وعلى هذا تكون الجملة خبرية ، والظاهر أنها دعائية ، لأن معنى ﴿ قتل ﴾ : لعن. قال الواحدى: فى قول الجميع ،

والدعائية لا تكون جوابا للقسم ، فقيل : الجواب قوله : ﴿ **إن الذين فتنوا المؤمنين** ﴾ . وقيل : قوله : ﴿ **إن بطش ربك لشديد** ﴾ وبه قال المبرد : واعترض عليه بطول الفصل . وقيل : هو مقدّر يدل عليه قوله : ﴿ **قتل أصحاب الأخدود** ﴾ كأنه قال أقسم بهذه الأشياء أن كفار قريش ملعونون كما لعن أصحاب الأخدود . وقيل : تقدير الجواب: لتبعثنّ ، واختاره ابن الأنبارى ، وقال أبو حاتم السجستانى وابن الأنبارى أيضا : فى الكلام تقديم وتأخير ، أى قتل أصحاب الأخدود والسماء ذات البروج ، واعترض عليه بأنه لا يجوز أن يقال : والله قام زيد . والأخدود : الشقّ العظيم المستطيل فى الأرض كالخندق ـ وجمعه أخاديد ، ومنه الخدّ لمجارى الدموع ، والمخدة لأن الخد يوضع عليها . ويقال : تخدد وجه الرجل : إذا صارت فيه أخاديد من خراج ، ومنه قول طرفة :

ووجه كأن الشمس ألقت رداءها عليه نقىّ اللون لم يتخدّد

وسيأتى بيان حديث أصحاب الأخدود إن شاء الله . قرأ الجمهور : ﴿ **النار ذات الوقود** ﴾ بجر النار على أنها بدل اشتمال من الأخدود لأن الأخدود مشتمل عليها ، ﴿ **وذات الوقود**﴾ وصف لها بأنها نار عظيمة . والوقود : الحطب الذى توقد به . وقيل : هو بدل كل من كل ، لا بدل اشتمال . وقيل : إن النار مخفوضة على الجوار ، كذا حكى مكى عن الكوفيين . وقرأ الجمهور بفتح الواو من الوقود ، وقرأ قتادة وأبو رجاء ونصر بن عاصم بضمها ، وقرأ أشهب العقيلى وأبو حيوة وأبو السماك العدوى وابن السميفع وعيسى برفع النار على أنها خبر مبتدأ محذوف ، أى هى النار ، أو على أنها فاعل فعل محذوف ، أى أحرقتهم النار . ﴿ **إذ هم عليها قعود** ﴾ العامل فى الظرف قتل ، أى لعنوا حين أحدقوا بالنار قاعدين على ما يدنو منها ، ويقرب إليها . قال مقاتل : يعنى: عند النار قعود يعرضونهم على الكفر ، وقال مجاهد : كانوا قعودا على الكراسى عند الأخدود . ﴿ **وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود** ﴾ أى الذين خدّوا الأخدود ، وهم الملك وأصحابه ، على ما يفعلون بالمؤمنين من عرضهم على النار ليرجعوا إلى دينهم شهود ، أى حضور ، أو يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأنه لم يقصر فيما أمر به . وقيل : يشهدون بما فعلوا يوم القيامة ، ثم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم .وقيل :«على» بمعنى مع ، والتقدير : وهم مع ما يفعلون بالمؤمنين شهود . قال الزجاج : أعلم الله قصة قوم بلغت بصيرتهم وحقيقة إيمانهم إلى أن صبروا على أن يحرقوا بالنار فى الله . ﴿ **وما نقموا منهم** ﴾ أى ما أنكروا عليهم ولا عابوا منهم ﴿ **إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد** ﴾ أى إلا أن صدقوا بالله الغالب المحمود فى كل حال . قال الزجاج : ما أنكروا عليهم ذنبًا إلا إيمانهم ، وهذا كقوله : ﴿ هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله ﴾ [ المائدة : ٥٩ ] وهذا من تأكيد المدح بما يشبه الذم كما فى قوله :

لا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم يسلو عن الأهل والأوطان والحشم

وقول الآخر :

ولا عيب فيهم غير شكلة عينهـا كذاك عتاق الطير شكلا عيونهـا

قرأ الجمهور : ﴿ **نقموا** ﴾ بفتح النون ، وقرأ أبو حيوة بكسرها ، والفصيح الفتح . ثم وصف سبحانه نفسه بما يدل على العظم والفخامة فقال: ﴿ **الذى له ملك السموات والأرض** ﴾ ومن كان هذا شأنه ، فهو حقيق بأن يؤمن به ويوحد. ﴿ **والله على كل شىء شهيد** ﴾ من فعلهم بالمؤمنين لا يخفى عليه منه خافية ، وفى هذا وعيد شديد لأصحاب الأخدود ، ووعد خير لمن عذبوه على دينه من أولئك المؤمنين . ثم بين سبحانه ما أعدّ لأولئك الذين فعلوا بالمؤمنين ما فعلوا من التحريق فقال : ﴿ **إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق** ﴾ أى حرقوهم بالنار ، والعرب تقول : فتنت الشىء ، أى أحرقته ، وفتنت الدرهم والدينار : إذا أدخلته النار لتنظر جودته . ويقال : دينار مفتون ويسمى الصائغ الفتان ، ومنه قوله : ﴿ يوم هم على النار يفتنون ﴾ [ الذاريات : ١٣ ] أى يحرقون . وقيل : معنى ﴿ **فتنوا المؤمنين** ﴾ : محنوهم فى دينهم ليرجعوا عنه ﴿ **ثم لم يتوبوا** ﴾ من قبيح صنعهم ويرجعوا عن كفرهم وفتنتهم ، ﴿ **فلهم عذاب جهنم** ﴾ أى لهم فى الآخرة عذاب جهنم بسبب كفرهم ، والجملة فى محل رفع على أنها خبر إن ، أو الخبر لهم ، وعذاب جهنم مرتفع به على الفاعلية ، والفاء لتضمن المبتدأ معنى الشرط ، ولا يضرّ نسخه بأنّ خلافا للأخفش ، ولهم عذاب الحريق ، أى ولهم عذاب آخر زائد على عذاب كفرهم ، وهو عذاب الحريق الذى وقع منهم للمؤمنين. وقيل : إن الحريق اسم من أسماء النار كالسعير . وقيل : إنهم يعذبون فى جهنم بالزمهرير ثم يعذبون بعذاب الحريق ، فالأوّل عذاب ببردها . والثانى عذاب بحرّها . وقال الربيع بن أنس : إن عذاب الحريق أصيبوا به فى الدنيا ، وذلك أن النار ارتفعت من الأخدود إلى الملك وأصحابه فأحرقتهم ، وبه قال الكلبى .

ثم ذكر سبحانه ما أعد للمؤمنين الذين أحرقوا بالنار فقال : ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ وظاهر الآية العموم ، فيدخل فى ذلك المحرقون فى الأخدود بسبب إيمانهم دخولا أوّليا ،والمعنى: أن الجامعين بين الإيمان وعمل الصالحات ﴿ **لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار** ﴾ أى لهم بسبب الإيمان والعمل الصالح جنات متصفة بهذه الصفة . وقد تقدّم كيفية جرى الأنهار من تحت الجنات فى غير موضع ، وأوضحنا أنه إن أريد بالجنات الأشجار فجرى الأنهار من تحتها واضح ، وإن أريد بها الأرض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جزئها الظاهر وهو الشجر لأنها ساترة لساحتها ، والإشارة بقوله : ﴿ **ذلك** ﴾ إلى ما تقدّم ذكره مما أعدّه الله لهم ، أى ذلك المذكور ﴿ **الفوز الكبير** ﴾ الذى لا يعدله فوز ولا يقاربه ولا يدانيه ، والفوز: الظفر بالمطلوب . وجملة: ﴿ **إن بطش ربك لشديد** ﴾ مستأنفة لخطاب النبىّ ﷺ مبينة لما عند الله سبحانه من الجزاء لمن عصاه ، والمغفرة لمن أطاعه ، أى أخذه للجبابرة والظلمة شديد .

والبطش : الأخذ بعنف ، ووصفه بالشدّة يدل على أنه قد تضاعف وتفاقم ، ومثل هذا قوله : ﴿ إن أخذه أليم شديد ﴾ [ هود : ١٠٢ ] ﴿ **إنه هو يبدئ ويعيد** ﴾ أى يخلق الخلق أولاً فى الدنيا ويعيدهم أحياء بعد الموت . كذا قال الجمهور. وقيل : يبدئ للكفار عذاب الحريق فى الدنيا ثم يعيده لهم فى الآخرة ، واختار هذا ابن جرير ، والأوّل أولى. ﴿ **وهو الغفور الودود** ﴾ أى بالغ المغفرة لذنوب عباده المؤمنين لا يفضحهم بها ، بالغ المحبة للمطيعين من أوليائه . قال مجاهد : الوادّ لأوليائه ، فهو فعول بمعنى فاعل . وقال ابن زيد : معنى الودود الرحيم . وحكى المبرد عن إسماعيل القاضى أن الودود هو الذى لا ولد له وأنشد :

وأركب فى الروع عريانة ذلول الجناح لقاحًا ودودًا

أى لا ولد لها تحنّ إليه . وقيل : الودود بمعنى المودود ، أى يودّه عباده الصالحون ويحبونه ، كذا قال الأزهرى . قال: ويجوز أن يكون فعول بمعنى فاعل ، أى يكون محبا لهم. قال : وكلتا الصفتين مدح ، لأنه جلّ ذكره إن أحب عباده المطيعين فهو فضل منه ، وإن أحبه عباده العارفون فلما تقرّر عندهم من كريم إحسانه . قرأ الجمهور : ﴿ **ذو العرش المجيد** ﴾ برفع المجيد على أنه نعت لـ ﴿ **ذو** ﴾ ، واختار هذه القراءة أبو عبيدة وأبو حاتم قالا : لأن المجد هو النهاية فى الكرم والفضل ، والله سبحانه هو المنعوت بذلك ، وقرأ الكوفيون إلا عاصمًا بالجر على أنه نعت للعرش . وقد وصف سبحانه عرشه بالكرم كما فى آخر سورة المؤمنون . وقيل : هو نعت لربك ، ولا يضرّ الفصل بينهما لأنها صفات لله سبحانه ، وقال مكى : هو خبر بعد خبر ، والأول أولى ، ومعنى ﴿ **ذو العرش** ﴾: ذو الملك والسلطان كما يقال : فلان على سرير ملكه ، ومنه قول الشاعر :

رأوا عرشى تثلم جانباء فلما أن تثلم أفردونى

وقول الآخر :

إن يقتلوك فقد ثللت عروشهم بعتيبة بن الحارث بن شهاب

وقيل : المراد : خالق العرش . ﴿ **فعال لما يريد** ﴾ أى من الإبداء والإعادة . قال عطاء : لا يعجز عن شىء يريده ولا يمتنع منه شىء طلبه ، وارتفاع فعال على أنه خبر مبتدأ محذوف . قال الفراء : هو رفع على التكرير والاستئناف ، لأنه نكرة محضة. قال ابن جرير: رفع فعال ، وهو نكرة محضة على وجه الاتباع لإعراب الغفور الودود ، وإنما قال : ﴿**فعال**﴾ لأن ما يريد ويفعل فى غاية الكثرة . ثم ذكر سبحانه خبر الجموع الكافرة فقال : ﴿ **هل أتاك حديث الجنود**﴾ والجملة مستأنفة مقرّرة لما تقدّم من شدّة بطشه سبحانه وكونه فعالا لما يريده ، وفيه تسلية لرسول الله ﷺ ، أى هل أتاك يامحمد خبر الجموع الكافرة المكذبة لأنبيائهم المتجندة عليها . ثم بينهم فقال : ﴿ **فرعون وثمود** ﴾ وهو بدل من الجنود ، والمراد بفرعون : هو وقومه ، والمراد بثمود :

القوم المعروفون ، والمراد بحديثهم: ما وقع منهم من الكفر والعناد وما وقع عليهم من العذاب، وقصتهم مشهورة قد تكرّر فى الكتاب العزيز ذكرها فى غير موضع ، واقتصر على الطائفتين لاشتهار أمرهما عند أهل الكتاب وعند مشركى العرب ودلّ بهما على أمثالهما .

ثم أضرب عن مماثلة هؤلاء الكفار الموجودين فى عصره ﷺ لمن تقدّم ذكره وبين أنهم أشد منهم فى الكفر والتكذيب فقال : ﴿ **بل الذين كفروا فى تكذيب** ﴾ أى بل هؤلاء المشركون من العرب فى تكذيب شديد لك ، ولما جئت به ، ولم يعتبروا بمن كان قبلهم من الكفار ﴿ **والله من ورائهم محيط** ﴾ أى يقدر على أن ينزل بهم ما أنزل بأولئك ، والإحاطة بالشىء : الحصر له من جميع جوانبه ، فهو تمثيل لعدم نجاتهم بعدم فوت المحاط به على المحيط . ثم ردّ سبحانه تكذيبهم بالقرآن فقال : ﴿ **بل هو قرآن مجيد** ﴾ أى متناه فى الشرف والكرم والبركة لكونه بيانا لما شرعه الله لعباده من أحكام الدين والدنيا ، وليس هو كما يقولون إنه شعر وكهانة وسحر ﴿**فى لوح محفوظ** ﴾ أى مكتوب فى لوح ، وهو أمّ الكتاب محفوظ عند الله من وصول الشياطين إليه . قرأ الجمهور محفوظ بالجرّ على أنه نعت للوح ،وقرأ نافع برفعه على أنه نعت للقرآن ، أى بل هو قرآن مجيد محفوظ فى لوح ، واتفق القراء على فتح اللام من ﴿ **لوح** ﴾ إلا يحيى بن يعمر وابن السميفع فإنهما قرآ بضمها. قال مقاتل: اللوح المحفوظ عن يمين العرش . قيل : والمراد باللوح بضم اللام : الهواء الذى فوق السماء السابعة . قال أبو الفضل: اللوح بضم اللام : الهواء ، وكذا قال ابن خالويه . قال فى الصحاح : اللوح بالضم : الهواء بين السماء والأرض .

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : ﴿ **البروج** ﴾ : قصور فى السماء (١) . وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله أن النبىّ ﷺ سئل عن ﴿ **السماء ذات البروج** ﴾ فقال: «الكواكب » ، وسئل عن قوله : ﴿ الذى جعل فى السماء بروجا ﴾ [ الفرقان : ٦١ ] قال : «الكواكب » ، وعن قوله : ﴿ فى بروج مشيدة ﴾ [ النساء : ٧٨ ] قال : «القصور » . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى قوله: ﴿ **واليوم الموعود . وشاهد ومشهود** ﴾ قال: اليوم الموعود : يوم القيامة ، والشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم عرفة ، وهو الحج الأكبر ، فيوم الجمعة جعله الله عيدا لمحمد وأمته وفضله بها على الخلق أجمعين وهو سيد الأيام عند الله ، وأحب الأعمال فيه إلى الله ، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلى يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه. وأخرج عبد بن حميد والترمذى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه ، والبيهقى فى سننه عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « اليوم الموعود : يوم القيامة ، واليوم المشهود : يوم عرفة ، والشاهد : يوم الجمعة ، وما طلعت الشمس ولا غربت على يوم أفضل منه ، فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله بخير إلا استجاب الله له ، ولا يستعيذ

(١) ابن جرير ٣٠ / ٨١ .

من شيء إلا أعاذه منه » (١) . وأخرج الحاكم وصححه ، وابن مردويه والبيهقى عن أبى هريرة رفعه : ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ قال : « الشاهد : يوم عرفة ويوم الجمعة ، والمشهود : هو الموعود يوم القيامة » (٢) . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن علىّ بن أبى طالب قال : اليوم الموعود : يوم القيامة ، والمشهود : يوم النحر ، والشاهد: يوم الجمعة .

وأخرج ابن جرير والطبرانى وابن مردويه من طريق شريح بن عبيد عن أبى مالك الأشعرى قال : قال رسول الله ﷺ: « اليوم الموعود : يوم القيامة ، والشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم عرفة » (٣) . وأخرج ابن مردويه وابن عساكر عن جبير بن مطعم قال : قال رسول الله ﷺ فى الآية « الشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم عرفة » . وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس وأبى هريرة مثله موقوفا . وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه عن سعيد بن المسيب قال : قال رسول الله ﷺ : « إن سيد الأيام يوم الجمعة وهو الشاهد ، والمشهود يوم عرفة » وهذا مرسل من مراسيل سعيد بن المسيب (٤) . وأخرج ابن ماجة والطبرانى وابن جرير عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ: «أكثروا من الصلاة علىّ يوم الجمعة ، فإنه يوم مشهود ، تشهده الملائكة » (٥) .

وأخرج عبد الرزاق والفريابى وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عن علىّ بن أبى طالب فى الآية قال : الشاهد : يوم الجمعة والمشهود : يوم عرفة . وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن الحسن بن علىّ أن رجلا سأله عن قوله : ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ قال : هل سألت أحدا قبلى ؟ قال : نعم سألت ابن عمر وابن الزبير فقالا : يوم الذبح ويوم الجمعة . قال : لا ولكن الشاهد : محمد ﷺ ، ثم قرأ : ﴿ وجئنا بك على هؤلاء شهيدا ﴾ [ النساء : ٤١ ] والمشهود : يوم القيامة ثم قرأ : ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ﴾ [ هود : ١٠٣ ]. وأخرج عبد بن حميد ، والطبرانى فى الأوسط والصغير ، وابن مردويه عن الحسن ابن علىّ فى الآية قال : الشاهد : جدّى رسول الله ﷺ .والمشهود :يوم القيامة ، ثم تلا : ﴿إنا أرسلناك شاهدا ﴾ [ الأحزاب : ٤٥ ] ﴿ وذلك يوم مشهود ﴾ . وأخرج عبد بن حميد والنسائى وابن أبى الدنيا والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وابن عساكر من طرق عن ابن عباس قال : اليوم الموعود : يوم القيامة والشاهد : محمد ﷺ ، والمشهود : يوم القيامة ،

---

(١) الترمذى فى التفسير ( ٣٣٣٩ ) وقال : « هذا حديث حسن غريب » وابن جرير ٣ / ٨٣ والبيهقى فى الجمعة ٣/ ١٧٠ .

(٢) صححه الحاكم ٢ / ٥١٩ على شرط الشيخين ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الجمعة ٣ / ١٧٠ .

(٣) ابن جرير ٣٠ / ٨٣ والطبرانى ( ٣٤٥٨ ) .

(٤) ابن جرير ٣٠ / ٨٣ .

(٥) ابن ماجة فى الجنائز ( ١٦٣٧ ) وفى الزوائد: «هذا الحديث صحيح إلا أنه منقطع فى موضعين ، لأن عبادة روايته عن أبى الدرداء مرسلة قاله العلاء ، وزيد بن أيمن عن عبادة مرسلة ، قاله البخارى » وابن جرير ٣٠ / ٨٤ .

ثم تلا : ﴿ ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود ﴾. وأخرج ابن جرير عنه قال : الشاهد : الله ، والمشهود : يوم القيامة .وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضا قال : الشاهد : الله. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا قال: الشاهد: الله ، والمشهود : يوم القيامة .

قلت : وهذه التفاسير عن الصحابة رضى الله عنهم قد اختلفت كما ترى ، وكذلك اختلفت تفاسير التابعين بعدهم واستدلّ من استدلّ منهم بآيات ذكر الله فيها أن ذلك الشيء شاهد أو مشهود ، فجعله دليلا على أنه المراد بالشاهد والمشهود فى هذه الآية المطلقة ، وليس ذلك بدليل يستدل به على أن الشاهد والمشهود المذكورين فى هذا المقام هو ذلك الشاهد والمشهود الذى ذكر فى آية أخرى ، وإلا لزم أن يكون قوله هنا : ﴿ وشاهد ومشهود ﴾ هو جميع ما أطلق عليه فى الكتاب العزيز أو السنة المطهرة أنه يشهد أو أنه مشهود ، وليس بعض ما استدلوا به مع اختلافه بأولى من بعض ، ولم يقل قائل بذلك . فإن قلت : هل فى المرفوع الذى ذكرته من حديثى أبى هريرة ، وحديث أبى مالك ، وحديث جبير بن مطعم ومرسل سعيد بن المسيب ما يعين هذا اليوم الموعود ، والشاهد والمشهود ؟ قلت:أما اليوم الموعود فلم تختلف هذه الروايات التى ذكر فيها ، بل اتفقت على أنه يوم القيامة ، وأما الشاهد ففى حديث أبى هريرة الأوّل أنه يوم الجمعة ، وفى حديثه الثانى أنه يوم عرفة ويوم الجمعة ، وفى حديث أبى مالك أنه يوم الجمعة ، وفى حديث جبير أنه يوم الجمعة ، وفى مرسل سعيد أنه يوم الجمعة ، فاتفقت هذه الأحاديث عليه ، ولا تضرّ زيادة يوم عرفة عليه فى حديث أبى هريرة الثانى ، وأما المشهود ففى حديث أبى هريرة الأوّل أنه يوم عرفة ، وفى حديثه الثانى أنه يوم القيامة ، وفى حديث أبى مالك أنه يوم عرفة، وفى حديث جبير بن مطعم أنه يوم عرفة ، وكذا فى حديث سعيد فقد تعين فى هذه الروايات أنه يوم عرفة ، وهى أرجح من تلك الرواية التى صرح فيها بأنه يوم القيامة . فحصل من مجموع هذا رجحان ما ذهب إليه الجمهور من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أن الشاهد : يوم الجمعة ، والمشهود : يوم عرفة ، وأما اليوم الموعود فقد قدّمنا أنه وقع الإجماع على أنه يوم القيامة .

وأخرج عبد الرزاق وابن أبى شيبة وأحمد وعبد بن حميد ومسلم والترمذى والنسائى والطبرانى (١) عن صهيب ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « كان ملك من الملوك فيمن كان قبلكم كان لذلك الملك كاهن يكهن له ، فقال له ذلك الكاهن : انظروا لى غلاما فهما ـ أو قال : فطنا لقنا فأعلمه علمى ، فإنى أخاف أن أموت فينقطع منكم هذا العلم ولا يكون فيكم من يعلمه ـ قال ـ : فنظروا له على ما وصف ، فأمروه أن يحضر ذلك الكاهن وأن يختلف إليه ، فجعل الغلام يختلف إليه، وكان على طريق الغلام راهب فى صومعة ، فجعل الغلام يسأل

---

(١) عبد الرزاق ( ٩٧٥١ ) وأحمد ٦ / ١٥ ومسلم فى الزهد والرقائق ( ٣٠٠٥ / ٧٣ ) والترمذى فى التفسير ( ٣٣٤٠ ) والنسائى فى التفسير ( ٦٨١ ) والطبرانى ( ٧٣١٩ ) .

ذلك الراهب كلما مرّ به ، فلم يزل به حتى أخبره فقال : إنما أعبد الله ، فجعل الغلام يمكث عند هذا الراهب ويبطئ على الكاهن ، فأرسل الكاهن إلى أهل الغلام أنه لا يكاد يحضرنى ، فأخبر الغلام الراهب بذلك ، فقال له الراهب: إذا قال لك : أين كنت ؟ فقل : عند أهلى ، وإذا قال لك أهلك : أين كنت ؟ فأخبرهم أنى كنت عند الكاهن ، فبينما الغلام على ذلك إذ مرّ بجماعة من الناس كثير قد حبستهم دابة ــ يقال : إنها كانت أسدا ــ فأخذ الغلام حجرا فقال : اللهم إن كان ما يقول ذلك الراهب حقا فأسألك أن أقتل هذه الدابة ، وإن كان ما يقول الكاهن حقا فأسألك أن لا أقتلها ثم رمى فقتل الدابة ، فقال الناس : من قتلها ؟ فقالوا : الغلام ، ففزع الناس وقالوا : قد علم هذا الغلام علما لم يعلمه أحد ، فسمع أعمى فجاءه فقال له : إن أنت رددت علىّ بصرى فلك كذا وكذا ، فقال الغلام : لا أريد منك هذا ، ولكن أرأيت إن رجع عليك بصرك أتؤمن بالذى ردّه عليك ؟ قال : نعم ، فدعا الله فردّ عليه بصره فآمن الأعمى ، فبلغ الملك أمرهم فبعث إليهم فأتى بهم فقال : لأقتلن كل واحد منكم قتلة لا أقتل بها صاحبه ، فأمر بالراهب والرجل الذى كان أعمى فوضع المنشار على مفرق أحدهما فقتله ، وقتل الآخر بقتلة أخرى ، ثم أمر بالغلام فقال : انطلقوا به إلى جبل كذا وكذا فألقوه من رأسه ، فانطلقوا به إلى ذلك الجبل ، فلما انتهوا إلى ذلك المكان الذى أرادوا أن يلقوه منه جعلوا يتهافتون من ذلك الجبل ويتردّون حتى لم يبق منهم إلا الغلام ، ثم رجع الغلام فأمر به الملك أن ينطلقوا به إلى البحر فيلقوه فيه ، فانطلقوا به إلى البحر ، فغرّق الله الذين كانوا معه وأنجاه ، فقال الغلام للملك : إنك لن تقتلنى حتى تصلبنى وترمينى وتقول إذا رميتنى : بسم الله ربّ الغلام ، فأمر به فصلب ثم رماه وقال: بسم الله ربّ الغلام ، فوقع السهم فى صدغه ، فوضع الغلام يده على موضع السهم ثم مات ، فقال الناس : لقد علم هذا الغلام علما ما علمه أحد ، فإنا نؤمن بربّ هذا الغلام ، فقيل للملك : أجزعت أن خالفك ثلاثة ، فهذا العالم كلهم قد خالفوك ، قال : فخد أخدودا ثم ألقى فيه الحطب والنار ، ثم جمع الناس فقال : من رجع عن دينه تركناه ، ومن لم يرجع ألقيناه فى هذه النار ، فجعل يلقيهم فى تلك الأخدود ــ فقال : يقول الله : ﴿ **قتل أصحاب الأخدود . النار ذات الوقود** ﴾ ــ حتى بلغ ــ ﴿ **العزيز الحميد** ﴾ . فأما الغلام فإنه دفن ، ثم أخرج ، فيذكر أنه أخرج فى زمن عمر بن الخطاب وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل » .

ولهذه القصة ألفاظ فيها بعض اختلاف ، وقد رواها مسلم فى أواخر الصحيح عن هدبة ابن خالد عن حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبى ليلى عن صهيب . وأخرج أحمد من طريق عفان عن حماد به . وأخرجها النسائى عن أحمد بن سليمان عن حماد بن سلمة به. وأخرجها الترمذى عن محمود بن غيلان ، وعبد بن حميد عن عبد الرزاق عن معمر عن ثابت به.

وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن علىّ بن أبى طالب فى قوله: ﴿ **أصحاب الأخدود** ﴾ قال : هم الحبشة . وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : هم ناس من بنى إسرائيل خدّوا أخدودا فى الأرض أوقدوا فيه نارا ، ثم أقاموا على ذلك الأخدود رجالا ونساء ، فعرضوا عليها. وأخرج ابن المنذر ، والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال : ﴿ **والسماء ذات البروج** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وشاهد ومشهود** ﴾ قال : هذا قسم على ﴿ **إن بطش ربك لشديد** ﴾ إلى آخرها . وأخرج ابن جرير عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **إنه هو يبدئ ويعيد** ﴾ قال : يبدئ العذاب ويعيده . وأخرج ابن جرير وابن المنذر، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **الودود** ﴾ قال : الحبيب ، وفى قوله : ﴿ **ذو العرش المجيد** ﴾ قال : الكريم . وأخرج ابن المنذر عنه فى قوله : ﴿ **فى لوح محفوظ** ﴾ قال : أخبرت أنه لوح الذكر لوح واحد فيه الذكر ، وإن ذلك اللوح من نور ، وإنه مسيرة ثلاثمائة سنة . وأخرج ابن جرير عن أنس قال : إن اللوح المحفوظ الذى ذكره الله فى قوله : ﴿ **بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ** ﴾ فى جبهة إسرافيل . وأخرج أبو الشيخ ، قال السيوطى: بسند جيد ، عن ابن عباس قال: خلق الله اللوح المحفوظ كمسيرة مائة عام ، فقال للقلم قبل أن يخلق الخلق : اكتب علمى فى خلقى ، فجرى ما هو كائن إلى يوم القيامة .

# تفسير سورة الطارق

هى سبع عشرة آية . وهى مكية بلا خلاف . وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس قال : نزلت ﴿ والسماء والطارق ﴾ بمكة . وأخرج أحمد ، والبخارى فى تاريخه ، والطبرانى وابن مردويه عن خالد العدوانى ؛ أنه أبصر رسول الله ﷺ فى سوق ثقيف وهو قائم على قوس أو عصى حين أتاهم يبتغى النصر عندهم ، فسمعه يقرأ: ﴿ والسماء والطارق ﴾ حتى ختمها ، قال : فوعيتها فى الجاهلية ، ثم قرأتها فى الإسلام ، قال : فدعتنى ثقيف فقالوا : ماذا سمعت من هذا الرجل ، فقرأتها ، فقال من معهم من قريش : نحن أعلم بصاحبنا ، لو كنا نعلم ما يقول حقا لاتبعناه [1] .

## بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ② النَّجْمُ الثَّاقِبُ ③ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ④ فَلْيَنظُرِ الإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ⑤ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ⑥ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ⑦ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ⑧ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ⑨ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ⑩ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ⑪ وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ⑫ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ⑬ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ⑭ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ⑮ وَأَكِيدُ كَيْدًا ⑯ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ⑰ ﴾ .

أقسم سبحانه بالسماء والطارق ، وهو النجم الثاقب كما صرّح به التنزيل. قال الواحدى : قال المفسرون : أقسم الله بالسماء والطارق ، يعنى : الكواكب تطرق بالليل وتخفى بالنهار ، قال الفرّاء : الطارق : النجم ؛ لأنه يطلع بالليل ، وما أتاك ليلا فهو طارق . وكذا قال الزجاج والمبرد ، ومنه قول امرئ القيس :

ومثلك حبلى قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذى تمائم محـول

وقوله أيضا :

ألم تريانى كلما جئت طارقـا وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

وقد اختلف فى الطارق هل هو نجم معين أو جنس النجم ؟ فقيل : هو زحل . وقيل :

---

(١) أحمد ٤ / ٣٣٥ والطبرانى ( ٤١٢٦ ، ٤١٢٧ ) .

الثريا. وقيل : هو الذى ترمى به الشياطين . وقيل : هو جنس النجم . قال فى الصحاح: ﴿ والطارق﴾ : النجم الذى يقال له . كوكب الصبح ، ومنه قول هند بنت عتبة :

نحن بنات طارق نمشى على النمارق

أى إن أبانا فى الشرف كالنجم المضىء ، وأصل الطروق : الدقّ ، فسمى قاصد الليل طارقا لاحتياجه فى الوصول إلى الدق. وقال قوم: إن الطروق قد يكون نهارا ، والعرب تقول : أتيتك اليوم طرقتين ، أى مرتين ، ومنه قوله ﷺ: « أعوذ بك من شرّ طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير » (١) ثم يبن سبحانه ما هو الطارق ، تفخيما لشأنه بعد تعظيمه بالإقسام به فقال : ﴿ **وما أدراك ما الطارق . النجم الثاقب** ﴾ الثاقب : المضىء ، ومنه يقال : ثقب النجم ثقوبا وثقابة : إذا أضاء ، وثقابه ضوؤه ، ومنه قول الشاعر :

أذاع به فى الناس حتى كأنه بعلياء نار أوقدت بثقوب

قال الواحدى : الطارق يقع على كل ما طرق ليلا ، ولم يكن النبى ﷺ يدرى ما المراد به لو لم يبينه بقوله : ﴿ **النجم الثاقب** ﴾ قال مجاهد : الثاقب : المتوهج . قال سفيان : كل ما فى القرآن ﴿ **وما أدراك** ﴾ فقد أخبره ، وكل شىء قال :﴿ وما يدريك ﴾ لم يخبره به ، وارتفاع قوله : ﴿ **النجم الثاقب** ﴾ على أنه خبر مبتدأ محذوف ، والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدّر نشأ مما قبله كأنه قيل : ماهو ؟ فقيل : هو النجم الثاقب . ﴿ **إن كل نفس لما عليها حافظ** ﴾ هذا جواب القسم ، وما بينهما اعتراض ، وقد تقدّم فى سورة هود اختلاف القراء فى «لما » فمن قرأ بتخفيفها كانت إن هنا هى المخففة من الثقيلة فيها ضمير الشأن المقدّر ، وهو اسمها ، واللام هى الفارقة ، وما مزيدة ، أى إن الشأن كل نفس لعليها حافظ ، ومن قرأ بالتشديد فإن نافية ، ولما بمعنى إلا ، أى ما كل نفس إلا عليها حافظ ، وقد قرأ هنا بالتشديد ابن عامر ، وعاصم وحمزة وقرأ الباقون بالتخفيف . قيل : والحافظ : هم الحفظة من الملائكة الذين يحفظون عليها عملها وقولها وفعلها ، ويحصون ما تكسب من خير وشرّ . وقيل : الحافظ : هو الله عزّ وجلّ . وقيل : هو العقل يرشدهم إلى المصالح ، ويكفهم عن المفاسد ، والأوّل أولى لقوله : ﴿ وإن عليكم لحافظين ﴾ [ الانفطار : ١٠ ] وقوله: ﴿ ويرسل عليكم حفظة ﴾ [ الأنعام : ٦١ ] وقوله : ﴿ له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه ﴾ [ الرعد : ١١ ] والحافظ على الحقيقة هو الله عزّ وجلّ كما فى قوله : ﴿ فالله خير حافظا ﴾ [ يوسف : ٦٥ ] وحفظ الملائكة من حفظه لأنهم بأمره .

﴿ **فلينظر الإنسان مم خلق** ﴾ الفاء للدلالة على أن كون على كل نفس حافظ يوجب على

(١) أحمد ٣ / ٤١٩ . وهو جزء من حديث طويل عن عبد الرحمن بن خنبش .

الإنسان أن يتفكر فى مبتدأ خلقه ليعلم قدرة الله على ما هو دون ذلك من البعث. قال مقاتل : يعنى : المكذب بالبعث ﴿ **ممّ خلق** ﴾ من أى شىء خلقه الله ، والمعنى : فلينظر نظر التفكر والاستدلال حتى يعرف أن الذى ابتدأه من نطفة قادر على إعادته . ثم بين سبحانه ذلك فقال : ﴿ **خلق من ماء دافق** ﴾ والجملة مستأنفة جواب سؤال مقدّر ، والماء : هو المنىّ ، والدفق : الصبّ . يقال : دفقت الماء ، أى صببته ، يقال : ماء دافق ، أى مدفوق ، مثل ﴿ عيشة راضية ﴾ [ القارعة : ٧ ] أى مرضية . قال الفرّاء والأخفش : ﴿ **ماء دافق** ﴾ أى مصبوب فى الرحم . قال الفراء: وأهل الحجاز يجعلون الفاعل بمعنى المفعول فى كثير من كلامهم كقولهم : سرّ كاتم أى مكتوم ، وهمّ ناصب أى منصوب ، وليل نائم ونحو ذلك . قال الزجاج : من ماء ذى اندفاق ، يقال : دارع وقايس ونابل ، أى ذو درع وقوس ونبل ، وأراد سبحانه ماء الرجل والمرأة لأن الإنسان مخلوق منهما ، لكن جعلهما ماء واحدا لامتزاجهما .

ثم وصف هذا الماء فقال : ﴿ **يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾ أى صلب الرجل ، وترائب المرأة ، والترائب جمع تريبة ، وهى موضع القلادة من الصدر ، والولد لا يكون إلا من الماءين. قرأ الجمهور: ﴿ **يخرج** ﴾ مبنيا للفاعل ، وقرأ بن أبى عبلة وابن مقسم مبنيا للمفعول ، وفى الصلب ، وهو الظهر ، لغات : قرأ الجمهور بضم الصاد وسكون اللام ، وقرأ أهل مكة بضم الصاد واللام . وقرأ اليمانى بفتحهما . ويقال : صالب على وزن قالب ، ومنه قول العباس بن عبد المطلب :

تنقل من صلب إلى رحم

فى أبياته المشهورة فى مدح النبى ﷺ ، وقد تقدّم كلام فى هذا عند تفسير قوله : ﴿الذين من أصلابكم ﴾ [ النساء : ٢٣ ] وقيل : الترائب : ما بين الثديين . وقال الضحاك: ترائب المرأة : اليدين والرجلين والعينين . وقال سعيد بن جبير : هى الجيد . وقال مجاهد : ما بين المنكبين والصدر ، وروى عنه أيضا أنه قال : هى الصدر ، وروى عنه أيضا أنه قال : هى التراقى ، وحكى الزجاج : أن الترائب عصارة القلب ، ومنه يكون الولد ، والمشهور فى اللغة أنها عظام الصدر والنحر ، ومنه قول دريد بن الصمة :

فإن تدبروا نأخذكم فى ظهوركم وإن تقبلوا نأخذكم فى الترائب

قال عكرمة : الترائب الصدر ، وأنشد :

نظـــامُ درّ علـــى ترائبهـــا

قال فى الصحاح : التريبة واحدة الترائب . وهى عظام الصدر ــ قال أبو عبيدة : جمع التربية تريب ، ومنه قول المثقب العبدى :

ومن ذهب يبـــين عـــلى تـــريب كلون العاج ليس بذى غضون

وقول امرئ القيس :

ترائبها مصقولة كالسجنجل (١)

وحكى الزجاج: أن الترائب أربعة أضلاع من يمنة الصدر، وأربعة أضلاع من يسرة الصدر، قال قتادة والحسن: المعنى: ويخرج من صلب الرجل وترائب المرأة. وحكى الفرّاء أن مثل هذا يأتي عن العرب يكون معنى ﴿ من بين الصلب ﴾: من الصلب. وقيل: إن ماء الرجل ينزل من الدماغ، ولا يخالف هذا ما فى الآية لأنه إذا نزل من الدماغ نزل من الصلب والترائب. وقيل: إن المعنى: يخرج من جميع أجزاء البدن، ولا يخالف هذا ما فى الآية، لأن نسبة خروجه إلى بين الصلب والترائب باعتبار أن أكثر أجزاء البدن هى الصلب والترائب وما يجاورها وما فوقها مما يكون تنزله منها. ﴿ إنه على رجعه لقادر ﴾ الضمير فى ﴿ إنه ﴾ يرجع إلى الله سبحانه لدلالة قوله: ﴿ خلق ﴾ عليه، فإن الذى خلقه هو الله سبحانه، والضمير فى ﴿ رجعه ﴾ عائد إلى الإنسان. والمعنى: أن الله سبحانه على رجع الإنسان، أى إعادته بالبعث بعد الموت ﴿ لقادر ﴾ هكذا قال جماعة من المفسرين: وقال مجاهد: على أن يردّ الماء فى الإحليل. وقال عكرمة والضحاك: على أن يرّد الماء فى الصلب. وقال مقاتل بن حيان: يقول: إن شئت رددته من الكبر إلى الشباب، ومن الشباب إلى الصبا، ومن الصبا إلى النطفة. وقال ابن زيد: إنه على حبس ذلك الماء حتى لا يخرج لقادر. والأوّل أظهر، ورجحه ابن جرير والثعلبى والقرطبى. ﴿ يوم تبلى السرائر ﴾ العامل فى الظرف على التفسير الأوّل هو ﴿ رجعه ﴾. وقيل: ﴿ لقادر ﴾. واعترض عليه بأنه يلزم تخصيص القدرة بهذا اليوم. وقيل: العامل فيه مقدّر، أى يرجعه يوم تبلى السرائر. وقيل: العامل فيه مقدّر، وهو اذكر، فيكون مفعولا به، وأما على قول من قال: إن المراد رجع الماء، فالعامل فى الظرف مقدّر، وهو اذكر، ومعنى ﴿ تبلى السرائر ﴾: تختبر وتعرف، ومنه قول الراجز:

قد كنت قبل اليوم تزدرينى　　　فاليوم أبلوك وتبتلينى

أى أختبرك وتختبرنى، وأمتحنك وتمتحننى، والسرائر: ما يسرّ فى القلوب من العقائد والنيات وغيرها، والمراد هنا: عرض الأعمال ونشر الصحف، فعند ذلك يتميز الحسن منها من القبيح، والغثّ من السمين ﴿ فماله من قوة ولا ناصر ﴾ أى فما للإنسان من قوّة فى نفسه يمتنع بها من عذاب الله، ولا ناصر ينصره مما نزل به، وقال عكرمة: هؤلاء الملوك مالهم يوم القيامة من قوّة ولا ناصر. قال سفيان: القوة: العشيرة، والناصر: الحليف، والأوّل أولى. ﴿ والسماء ذات الرجع ﴾ الرجع: المطر. قال الزجاج: الرجع: المطر؛ لأنه يجىء ويرجع ويتكرر، قال الخليل: الرجع المطر نفسه، والرجع نبات الربيع. قال أهل اللغة:

(١) السجنجل: المرآة أو سبيكة الفضة أو ماء الذهب.

الرجع : المطر ، قال المتنخّل يصف سيفًا له :

أبيض كالرجع رسوب إذا ماباح فى محتفل يختلى

قال الواحدى : الرجع : المطر فى قول جميع المفسرين ، وفى هذا الذى حكاه عن جميع المفسرين نظر ، فإن ابن زيد قال : الرجع : الشمس والقمر والنجوم يرجعن فى السماء تطلع من ناحية وتغيب فى أخرى . وقال بعض المفسرين : ﴿ ذات الرجع ﴾ : ذات الملائكة لرجوعهم إليها بأعمال العباد ، وقال بعضهم : معنى ﴿ ذات الرجع ﴾ : ذات النفع ، ووجه تسميتة المطر رجعا ما قاله القفال إنه مأخوذ من ترجيع الصوت وهو إعادته ، وكذا المطر لكونه يعود مرّة بعد أخرى سمى رجعا . وقيل : إن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ، ثم يرجعه إلى الأرض . وقيل : سمته العرب رجعا لأجل التفاؤل ليرجع عليهم . وقيل : لأن الله يرجعه وقتا بعد وقت . ﴿ والأرض ذات الصدع ﴾ هو ما تتصدع عنه الأرض من النبات والثمار والشجر. والصدع : الشقّ لأنه يصدع الأرض فتنصدع له . قال أبو عبيدة والفرّاء : تتصدّع بالنبات . قال مجاهد : والأرض ذات الطرق التى تصدعها المياه . وقيل : ذات الحرث لأنه يصدعها . وقيل : ذات الأموات لانصداعها عنهم عند البعث . والحاصل أن الصدع إن كان اسما للنبات فكأنه قال : والأرض ذات النبات ، وإن كان المراد به الشق فكأنه قال : والأرض ذات الشق الذى يخرج منه النبات ونحوه ، وجواب القسم قوله : ﴿إنه لقول فصل ﴾ أى إن القرآن لقول يفصل بين الحق والباطل بالبيان عن كل واحد منهما ﴿وما هو بالهزل ﴾ أى لم ينزل باللعب ، فهو جدّ ليس بالهزل ، والهزل ضدّ الجدّ . قال الكميت :

تجدّبنا فى كل يوم وتهزل

﴿ إنهم يكيدون كيدا ﴾ أى يمكرون فى إبطال ما جاء به رسول الله ﷺ من العرين الحق. قال الزجاج : يخاتلون النبى ﷺ ويظهرون ما هم على خلافه . ﴿ وأكيد كيدا ﴾ أى أستدرجهم من حيث لا يعلمون ، وأجازيهم جزاء كيدهم .قيل : هو ما أوقع الله بهم يوم بدر من القتل والأسر ﴿ فمهل الكافرين ﴾ أى أخرهم ،ولا تسأل الله سبحانه تعجيل هلاكهم، وارض بما يدبره لك فى أمورهم ، وقوله : ﴿ أمهلهم ﴾ بدل من مهل ، ومهل وأمهل بمعنى ، مثل نزل وأنزل ، والإمهال : الإنظار ، وتمهل فى الأمر : اتأد ، وانتصاب ﴿ رويدا ﴾ على أنه مصدر مؤكد للفعل المذكور ، أو نعت لمصدر محذوف ، أى أمهلهم إمهالا رويدا ، أى قريبا أو قليلا . قال أبو عبيدة : والرويد فى كلام العرب تصغير الرود ، وأنشد :

كأنها [ ثملٌ ] (١) تمشي على رود

أي مهل (٢) . وقيل : تصغير أرواد مصدر رود تصغير الترخيم ، ويأتي اسم فعل نحو رويد زيدا ، أي أمهله ، ويأتي حالا نحو سار القوم رويدا ، أي متمهلين ، ذكر معنى هذا الجوهريّ ، والبحث مستوفى في علم النحو .

وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس في قوله : ﴿ **والسماء والطارق** ﴾ قال : أقسم ربك بالطارق : وكل شيء طرقك بالليل فهو طارق . وأخرج ابن جرير عنه في قوله : ﴿ **إن كل نفس لما عليها حافظ** ﴾ قال : كل نفس عليها حفظة من الملائكة. وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ في العظمة عن ابن عباس في قوله : ﴿ **النجم الثاقب** ﴾ قال : النجم المضيء ﴿ **إن كل نفس لما عليها حافظ** ﴾ قال : إلا عليها حافظ. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنه : ﴿ **يخرج من بين الصلب والترائب** ﴾ قال: ما بين الجلد والنحر. وأخرج ابن أبي حاتم عنه في الآية قال : تريبة المرأة وهي موضع القلادة . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عنه أيضا قال : الترائب بين ثديي المرأة . وأخرج الحاكم وصححه أيضا قال : الترائب أربعة أضلاع من كلّ جانب من أسفل الأضلاع . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عنه أيضا ﴿ **إنه على رجعه لقادر** ﴾ قال : على أن يجعل الشيخ شابا والشابّ شيخا .

وأخرج عبد الرزاق والفريابي وعبد بن حميد ، والبخاري في تاريخه ، وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ في العظمة ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه من طرق عن ابن عباس في قوله : ﴿ **والسماء ذات الرجع** ﴾ قال : المطر بعد المطر ﴿**والأرض ذات الصدع** ﴾ قال : صدعها عن النبات . وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس : ﴿ **والأرض ذات الصدع** ﴾ تصدّع الأودية . وأخرج ابن منده والديلمي عن معاذ بن أنس مرفوعا : ﴿ **والأرض ذات الصدع** ﴾ قال : تصدع بإذن الله عن الأموال والنبات . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس في قوله: ﴿ **إنه لقول فصل** ﴾ قال :حقّ ،﴿ **وما هو بالهزل** ﴾ قال : بالباطل ، وفي قوله : ﴿ **أمهلهم رويدا** ﴾ قال : قريبا .

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من المطبوعة والمخطوطة وقد أثبتناه من القرطبي ١٠ / ٧١٠٢ .
(٢) في المطبوعة : « على مهل » والصحيح ما أثبتناه من المخطوطة .

## تفسير سورة الأعلى

ويقال : سورة سبح . هى تسع عشرة آية . وهى مكية فى قول الجمهور . وقال الضحاك : هى مدنية . وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس قال : نزلت سورة ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ بمكة . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير وعائشة مثله . وأخرج البخارى وغيره عن البراء بن عازب قال : أول من قدم علينا من أصحاب النبى ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، فجعلا يقرآننا القرآن ، ثم جاء عمار وبلال وسعد ، ثم جاء عمر بن الخطاب فى عشرين ، ثم جاء النبى ﷺ ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشىء فرحهم به ، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون : هذا رسول الله ﷺ قد جاء ، فما جاء حتى قرأت : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ فى سور مثلها (١) . وأخرج أحمد والبزار وابن مردويه عن على قال : كان رسول الله ﷺ يحب هذه السورة : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾(٢) . أخرجه أحمد عن وكيع عن إسرائيل عن ثوير بن أبى فاختة عن أبيه عن على .

وأخرج أحمد ، ومسلم ، وأهل السنن عن النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ كان يقرأ فى العيدين وفى الجمعة بـ ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ و ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾ ، وإن وافق يوم جمعة قرأهما جميعًا . وفى لفظ : وربما اجتمعا فى يوم واحد فقرأهما . وفى الباب أحاديث (٣) . وأخرج مسلم وغيره عن جابر بن سمرة أن النبى ﷺ كان يقرأ فى الظهر بسبح اسم ربك الأعلى (٤) . وأخرج أبو داود والنسائى وابن ماجة والدارقطنى والحاكم والبيهقى عن أبى بن كعب قال : كان رسول الله ﷺ يوتر بـ ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ و ﴿ قل يأيها الكافرون ﴾ و﴿ قل هو الله أحد ﴾ (٥) . وأخرج أبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجة ، والحاكم وصححه ، والبيهقى عن عائشة قالت : كان النبى ﷺ يقرأ فى الوتر فى الركعة الأولى بـ ﴿ سبح ﴾ ، وفى الثانية : ﴿ قل يأيها الكافرون ﴾ وفى الثالثة :﴿ قل هو الله أحد ﴾ والمعوذتين (٦) . وفى الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ : « هلا صليت بـ ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ ، ﴿ والشمس وضحاها ﴾ ، ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ » (٧) .

---

(١) أحمد ٤ / ٢٨٤ والبخارى فى التفسير ( ٤٩٤١ ) . (٢) أحمد ١ / ٩٦ .

(٣) أحمد ٤ / ٢٧١ ومسلم فى الجمعة ( ٨٧٨ / ٦٢ ) . (٤) مسلم فى الصلاة ( ٤٦٠ / ١٧١ ) .

(٥) أبو داود فى الصلاة ( ١٤٢٣ ) والنسائى فى الصلاة ٣ / ٢٤٤ وابن ماجة فى إقامة الصلاة (١١٧١) والدارقطنى ٢ / ٣١ وصححه الحاكم ٢ / ٢٥٧ ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الصلاة ٣ / ٣٨ .

(٦) أبو داود فى الصلاة ( ١٤٢٤ ) والترمذى فى الصلاة ( ٤٦٣ ) وقال : « هذا حديث حسن غريب » وابن ماجة فى إقامة الصلاة ( ١١٧٣ ) وصححه الحاكم ٢ / ٥٢٠ على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الصلاة ٣ / ٣٧ .

(٧) البخارى فى الأدب ( ٦١٠٦ ) ومسلم فى الصلاة ( ٤٦٥ / ١٧٨ ) .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ فَلا تَنسَىٰ ﴿٦﴾ إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لا يَمُوتُ فِيهَا وَلا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾ بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾ .

قوله : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ أى نزهه عن كل مالا يليق به: قال السدى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ أى عظمه ، قيل : والاسم هنا مقحم لقصد التعظيم ، كما فى قول لبيد:

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ومن يبك حولاً كاملاً فقد اعتذر

والمعنى : سبح ربك الأعلى . قال ابن جرير : المعنى : نزه اسم ربك أن يسمى به أحد سواه ، فلا تكون على هذا مقحمة . وقيل : المعنى : نزه تسمية ربك وذكرك إياه أن تذكره إلا وأنت خاشع معظم ، ولذكره محترم . وقال الحسن : معنى ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ : صل له . وقيل: المعنى: صل بأسماء الله ، لا كما يصلى المشركون بالمكاء والتصدية . وقيل: المعنى : ارفع صوتك بذكر ربك . ومنه قول جرير :

قبح الإلـه وجوه تغلب كلمـا سبح الحجيج وكبروا تكبيـرا

والأعلى صفه للرب . وقيل : للاسم . والأول أولى . وقوله : ﴿ الذى خلق فسوى ﴾ صفة أخرى للرب . قال الزجاج : خلق الإنسان مستويًا . ومعنى سوى : عدل قامته . قال الضحاك : خلقه فسوى خلقه. وقيل : خلق الأجساد فسوى الأفهام . وقيل : خلق الإنسان وهيأه للتكليف . ﴿ والذى قدر فهدى ﴾ صفة أخرى للرب ، أو معطوف على الموصول الذى قبله . قرأ على بن أبى طالب ، والكسائى والسلمى: « قدر » مخففًا . وقرأ الباقون بالتشديد . قال الواحدى : قال المفسرون : قدر خلق الذكر والأنثى من الدواب ، فهدى الذكر للأنثى كيف يأتيها . وقال مجاهد : هدى الإنسان لسبيل الخير والشر ، والسعادة والشقاوة . وروى عنه أيضًا أنه قال فى معنى الآية : قدر السعادة والشقاوة ، وهدى للرشد والضلالة ، وهدى الأنعام لمراعيها . وقيل : قدر أرزاقهم وأقواتهم ، وهداهم لمعايشهم إن كانوا إنسًا ، ولمراعيهم إن كانوا وحشًا . وقال عطاء : جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له . وقيل : خلق المنافع فى

الأشياء ، وهدى الإنسان أوجه استخراجها منها . وقال السدى : قدر مدة الجنين فى الرحم تسعة أشهر وأقل وأكثر ، ثم هداه للخروج من الرحم . قال الفراء : أى قدر فهدى ، وأضل، فاكتفى بأحدهما . وفى تفسير الآية أقوال غير ما ذكرنا . والأولى عدم تعيين فرد أو أفراد مما يصدق عليه قدر وهدى ، إلا بدليل يدل عليه ، ومع عدم الدليل يحمل على ما يصدق عليه معنى الفعلين ،إما على البدل أو على الشمول .والمعنى: قدر أجناس الأشياء ، وأنواعها ، وصفاتها، وأفعالها ، وأقوالها ، وآجالها، فهدى كل واحد منها إلى ما يصدر عنه وينبغى له ، ويسره لما خلق له ، وألهمه إلى أمور دينه ودنياه . ﴿ **والذى أخرج المرعى** ﴾ صفة أخرى للرب، أى: أنبت العشب وما ترعاه النعم من النبات الأخضر . ﴿ **فجعله غثاء أحوى** ﴾ أى فجعله بعد أن كان أخضر غثاء ، أى : هشيمًا جافًا كالغثاء الذى يكون فوق السيل .﴿**أحوى**﴾ أى أسود بعد اخضراره . وذلك أن الكلأ إذا يبس اسود قال قتادة : الغثاء : الشىء اليابس . ويقال للبقل والحشيش إذا انحطم ويبس : غثاء وهشيم ، قال امرؤ القيس :

كأن ذرى رأس المجيمر وغدوه  من السَّيل والأغثَاءِ فلْكَة مَغْزِلِ

وانتصاب ﴿ **غثاء** ﴾ على أنه المفعول الثانى ، أو على الحال ، و ﴿ **أحوى** ﴾ صفة له . وقال الكسائى : هو حال من المرعى ، أى أخرجه أحوى من شدة الخضرة والرى .﴿ **فجعله غثاء**﴾ بعد ذلك . والأحوى مأخوذ من الحوة ، وهى سواد يضرب إلى الخضرة . قال فى الصحاح : والحوة سمرة الشفة ، ومنه قول ذى الرمة :

لمياء فى شفتيهـا حـوة لعس  وفى اللثات وفى أنيابها شنب

﴿ **سنقرئك فلا تنسى** ﴾ أى سنجعلك قارئًا بأن نلهمك القراءة . فلا تنسى ما تقرؤه ، والجملة مستأنفة لبيان هدايته ﷺ الخاصة به بعد بيان الهداية العامة . وهى هدايته ﷺ لحفظ القرآن . قال مجاهد والكلبى : كان النبى ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحى لم يفرغ جبريل من آخر الآية حتى يتكلم النبى ﷺ بأولها مخافة أن ينساها ، فنزلت : ﴿ **سنقرئك فلا تنسى** ﴾ . وقوله : ﴿ **إلا ما شاء الله** ﴾ استثناء مفرغ من أعم المفاعيل . أى لا تنسى مما تقرؤه شيئًا من الأشياء إلا ما شاء الله أن تنساه . قال الفراء : وهو لم يشأ سبحانه أن ينسى محمد ﷺ شيئًا كقوله : ﴿ خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك ﴾ [ هود : ٧ ] . وقيل : إلا ما شاء الله أن تنسى ، ثم تذكر بعد ذلك ، فإذن قد نسى ولكنه يتذكر ولا ينسى شيئًا نسيانًا كليًا . وقيل : بمعنى النسخ ، أى إلا ما شاء الله أن ينسخه مما نسخ تلاوته . وقيل : معنى ﴿ **فلا تنسى** ﴾ : فلا تترك العمل إلا ما شاء الله أن تتركه لنسخه ورفع حكمه . وقيل : المعنى : إلا ما شاء الله أن يؤخر إنزاله . وقيل : « لا » فى قوله : ﴿ **فلا تنسى** ﴾ للنهى . والألف مزيدة لرعاية الفاصلة كما فى قوله : ﴿ فأضلونا السبيلا ﴾ [ الأحزاب : ٦٧ ] يعنى

فلا تغفل قراءته وتذكره . ﴿ **إنه يعلم الجهر وما يخفى** ﴾ الجملة تعليل لما قلبها ، أى يعلم ما ظهر وما بطن ، والإعلان والإسرار . وظاهره العموم فيندرج تحته ما قيل : إن الجهر ما حفظه رسول الله ﷺ من القرآن . وما يخفى هو ما نسخ من صدره ، ويدخل تحته أيضًا ما قيل من أن الجهر هو إعلان الصدقة ، وما يخفى هو إخفاؤها ، ويدخل تحته أيضًا ما قيل : إن الجهر جهره ﷺ بالقرآن مع قراءة جبريل مخافة أن يتفلت عليه ، وما يخفى ما فى نفسه مما يدعوه إلى الجهر .

﴿ **ونيسرك لليسرى** ﴾ معطوف على ﴿ **سنقرئك** ﴾ ، وما بينهما اعتراض . قال مقاتل : أى نهون عليك عمل الجنة . وقيل : نوفقك للطريقة التى هى أيسر وأسهل . وقيل : للشريعة اليسرى . وهى الحنيفية السهلة . وقيل : نهون عليك الوحى حتى تحفظه وتعمل به . والأولى حمل الآية على العموم ، أى نوفقك للطريقة اليسرى فى الدين والدنيا ، فى كل أمر من أمورها التى تتوجه إليك . ﴿ **فذكر إن نفعت الذكرى** ﴾ أى عظ يا محمد الناس بما أوحينا إليك وأرشدهم إلى سبل الخير ، واهدهم إلى شرائع الدين. قال الحسن : تذكرة للمؤمن ، وحجة على الكافر . قال الواحدى : إن نفعت أو لم تنفع ، لأن النبى ﷺ بعث مبلغًا للإعذار والإنذار ، فعليه التذكير فى كل حال نفع أو لم ينفع ، ولم يذكر الحالة الثانية كقوله : ﴿سرابيل تقيكم الحر ﴾ الآية [ النحل : ٨١ ] . قال الجرجانى: التذكير واجب وإن لم ينفع . فالمعنى : إن نفعت الذكرى أو لم تنفع . وقيل : إنه مخصوص فى قوم بأعيانهم . وقيل : «إن » بمعنى « ما » ، أى فذكر ما نفعت الذكرى . لأن الذكرى نافعة بكل حال . وقيل : إنها بمعنى « قد » . وقيل : إنها بمعنى « إذ » . وما قال الواحدى والجرجانى أولى . وقد سبقهما إلى القول به الفراء والنحاس . قال الرازى : إن قوله : ﴿ **إن نفعت الذكرى** ﴾ للتنبيه على أشرف الحالين ، وهو وجود النفع الذى لأجله شرعت الذكرى ، والمعلق بإن على شىء لا يلزم أن يكون عدمًا عند عدم ذلك الشىء . ويدل عليه آيات منها الآية . ومنها قوله تعالى : ﴿واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون ﴾ [ البقرة : ١٧٢ ] . ومنها قوله : ﴿ فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة إن خفتم ﴾ [ النساء : ١٠١ ] فإن القصر جائز عند الخوف وعدمه . ومنها قوله : ﴿ فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله ﴾ [ البقرة : ٢٣٠ ] والمراجعة جائزة بدون هذا الظن . فهذا الشرط فيه فوائد . منها ما تقدم ، ومنها البعث على الانتفاع بالذكرى كما يقول الرجل لمن يرشده : قد أوضحت لك إن كنت تعقل . وهو تنبيه للنبى ﷺ على أنها لا تنفعهم الذكرى ، أو يكون هذا فى تكرير الدعوة . فأما الدعاء الأول فعام . انتهى .

ثم بين سبحانه الفرق بين من تنفعه الذكرى ومن لا تنفعه فقال : ﴿ سيذكر من يخشى ﴾

أى سيتعظ بوعظك من يخشى الله ، فيزداد بالتذكير خشية وصلاحًا . ﴿ **ويتجنبها الأشقى** ﴾ أى ويتجنب الذكرى ويبعد عنها الأشقى من الكفار لإصراره على الكفر بالله وانهماكه فى معاصيه . ثم وصف الأشقى فقال : ﴿ **الذى يصلى النار الكبرى** ﴾ أى العظيمة الفظيعة ، لأنها أشد حرًا من غيرها . قال الحسن : ﴿ **النار الكبرى** ﴾ : نار جهنم . والنار الصغرى : نار الدنيا . وقال الزجاج : هى السفلى من أطباق النار . ﴿ **ثم لا يموت فيها ولا يحيى** ﴾ أى لا يموت فيها فيستريح مما هو فيه من العذاب ، ولا يحيا حياة ينتفع بها ، ومنه قول الشاعر :

ألا ما لنفس لا تموت فينقضى عناها ولا تحيا حياة لها طعم

و « ثم » للتراخى فى مراتب الشدة ، لأن التردد بين الموت والحياة أفظع من صلى النار الكبرى . ﴿ **قد أفلح من تزكى** ﴾ أى من تطهر من الشرك فآمن بالله ووحده وعمل بشرائعه . قال عطاء ، والربيع : من كان عمله ذاكيًا ناميًا . وقال قتادة : تزكى بعمل صالح . قال قتادة وعطاء وأبو العالية : نزلت فى صدقة الفطر . قال عكرمة : كان الرجل يقول : أقدم زكاتى بين يدى صلاتى . وأصل الزكاة فى اللغة : النماء. وقيل : المراد بالآية : زكاة الأموال كلها . وقيل : المراد بها زكاة الأعمال ، لا زكاة الأموال ، لأن الأكثر أن يقال فى الأموال : زكى لا تزكى . ﴿ **وذكر اسم ربه فصلى** ﴾ قيل : المعنى : ذكر اسم ربه بالخوف فعبده وصلى له . وقيل : ذكر اسم ربه بلسانه فصلى ، أى فأقام الصلوات الخمس . وقيل : ذكر موقفه ومعاده فعبده . وهو كالقول الأول . وقيل : ذكر اسم ربه بالتكبير فى أول الصلاة لأنها لا تنعقد إلا بذكره ، وهو قوله : الله أكبر . وقيل : ذكر اسم ربه فى طريق المصلى فصلى . وقيل : هو أن يتطوع بصلاة بعد زكاة . وقيل : المراد بالصلاة هنا : صلاة العيد . كما أن المراد بالتزكى فى الآية الأولى زكاة الفطر ، ولا يخفى بُعد هذا القول لأن السورة مكية ، ولم تفرض زكاة الفطر وصلاة العيد إلا بالمدينة .

﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا** ﴾ هذا إضراب عن كلام مقدر يدل عليه السياق ، أى لا تفعلون ذلك ، بل تؤثرون اللذات الفانية فى الدنيا . قرأ الجمهور: ﴿ **تؤثرون** ﴾ بالفوقية على الخطاب. ويؤيدها قراءة أبىّ : « بل أنتم تؤثرون » . وقرأ أبو عمرو بالتحتية على الغيبة . وقيل : المراد بالآية : الكفرة . والمراد بإيثار الحياة الدنيا : هو الرضا بها والاطمئنان إليها والإعراض عن الآخرة بالكلية . وقيل : المراد بها جميع الناس من مؤمن وكافر . والمراد بإيثارها : ما هو أعم من ذلك مما لا يخلو عنه غالب الناس من تأثير جانب الدنيا على الآخرة ، والتوجه إلى تحصيل منافعها والاهتمام بها اهتمامًا زائدًا على اهتمامه بالطاعات . وجملة : ﴿ **والآخرة خير وأبقى** ﴾ فى محل نصب على الحال من فاعل تؤثرون، أى والحال أن الدار الآخرة التى هى الجنة أفضل وأدوم من الدنيا . قال مالك بن دينار : لو كانت الدنيا من ذهب يفنى ، والآخرة من خزف

يبقى ، لكان الواجب أن يؤثر خزف يبقى على ذهب يفنى ، فكيف والآخرة من ذهب يبقى ، والدنيا من خزف يفنى ؟

والإشارة بقوله : ﴿ **إن هذا** ﴾ إلى ما تقدم من فلاح من تزكى وما بعده . وقيل : إنه إشارة إلى جميع السورة . ومعنى ﴿ **لفى الصحف الأولى** ﴾ أى ثابت فيها . وقوله: ﴿ **صحف إبراهيم وموسى** ﴾ بدل من الصحف الأولى . قال قتادة وابن زيد : يريد بقوله : ﴿ **إن هذا** ﴾ والآخرة خير وأبقى . وقالا : تتابعت كتب الله عز وجل أن الآخرة خير وأبقى من الدنيا . وقال الحسن : تتابعت كتب الله جل ثناؤه إن هذا لفى الصحف الأولى ، وهو قوله : ﴿ **قد أفلح** ﴾ إلى آخر السورة قرأ الجمهور : ﴿ **لفى الصحف الأولى . صحف إبراهيم** ﴾ بضم الحاء في الموضعين . وقرأ الأعمش ، وهارون ، وأبو عمرو فى رواية عنه بسكونها فيهما . وقرأ الجمهور ﴿ **إبراهيم** ﴾ بالألف بعد الراء ، وبالياء بعد الهاء . وقرأ أبو رجاء بحذفهما وفتح الهاء . وقرأ أبو موسى وابن الزبير : « إبراهام » بألفين .

وقد أخرج أحمد وأبو داود وابن ماجة وابن المنذر وابن مردويه عن عقبة بن عامر الجهنى قال : لما نزلت : ﴿ فسبح باسم ربك العظيم ﴾ [ الواقعة : ٧٤ ] ، قال لنا رسول الله ﷺ : « اجعلوها فى ركوعكم » . فلما نزلت : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ ، قال : « اجعلوها فى سجودكم » . ولا مطعن فى إسناده (١) . وأخرج أحمد وأبو داود والطبرانى وابن مردويه ، والبيهقى فى سننه عن ابن عباس ؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا قرأ: ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى**﴾ قال : « سبحان ربى الأعلى » (٢) . قال أبو داود : خولف فيه وكيع ، فرواه شعبة عن أبى إسحاق عن سعيد عن ابن عباس موقوفًا . وأخرجه موقوفًا أيضًا عبد الرزاق وابن أبى شيبة ، وعبد بن حميد وابن جرير عن ابن عباس ؛ أنه كان إذا قرأ :﴿ **سبح اسم ربك الأعلى**﴾ قال: «سبحان ربى الأعلى». وفى لفظ لعبد بن حميد عنه قال: إذا قرأت: ﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾ فقل : سبحان ربى الأعلى . وأخرج الفريابى وابن أبى شيبة وعبد بن حميد ، وابن الأنبارى فى المصاحف عن على بن أبى طالب أنه قرأ : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ فقال : سبحان ربى الأعلى ، وهو فى الصلاة ، فقيل له: أتزيد فى القرآن ؟ قال: لا ، إنما أمرنا بشىء فقلته. وأخرج الفريابى وسعيد بن منصور وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر عن أبى موسى الأشعرى ؛ أنه قرأ في الجمعة بـ ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ فقال : سبحان ربى الأعلى .

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير ، وابن المنذر ، والحاكم وصححه عن

---

(١) أحمد ٤ / ١٥٥ وأبو داود فى الصلاة ( ٨٦٩ ) وابن ماجة فى إقامة الصلاة ( ٨٨٧ ) .

(٢) أحمد ١ / ٢٣٢ وأبو داود فى الصلاة ( ٨٨٣ ) والطبرانى ( ١٢٣٣٥ ) والبيهقى ٢ / ٣١٠ .

سعيد بن جبير قال : سمعت ابن عمر يقرأ : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ فقال : سبحان ربى الأعلى . وكذلك هى فى قراءة أبى بن كعب . وأخرج ابن أبى شيبة عن عمر أنه قال : إذا قرأ ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ قال : سبحان ربى الأعلى . وأخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد عن عبد الله بن الزبير ؛ أنه قرأ ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ فقال: سبحان ربى الأعلى ، وهو فى الصلاة . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله: ﴿ **فجعله غثاء** ﴾ قال : هشيمًا ﴿ **أحوى** ﴾ ، قال : متغيرًا . وأخرج ابن مردويه عنه قال : كان النبى ﷺ يستذكر القرآن مخافة أن ينسى ، فقيل له : قد كفيناك ذلك ، ونزلت: ﴿ **سنقرئك فلا تنسى** ﴾. وأخرج الحاكم عن سعد بن أبى وقاص نحوه . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس : ﴿ **إلا ما شاء الله** ﴾ يقول : إلا ما شئت أنا فأنسيك . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضًا : ﴿ **ونيسرك لليسرى** ﴾ قال : للخير. وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن مسعود : ﴿ **ونيسرك لليسرى** ﴾ قال: الجنة . وأخرج البزار وابن مردويه عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ فى قوله : ﴿ **قد أفلح من تزكى** ﴾ قال : «من شهد أن لا إله الله ، وقطع الأنداد ، وشهد أنى رسول الله» . ﴿**وذكر اسم ربه فصلى** ﴾ قال:« هى الصلوات الخمس ، والمحافظة عليها والاهتمام بمواقيتها ». قال البزار: لا يروى عن جابر إلا من هذا الوجه . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **قد أفلح من تزكى** ﴾ قال : من الشرك ﴿ **وذكر اسم ربه** ﴾ قال : وحد الله ﴿ **فصلى** ﴾ قال : الصلوات الخمس . وأخرج البيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عباس : ﴿ **قد أفلح من تزكى** ﴾ قال : من قال : لا إله إلا الله . وأخرج البزار ، وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والحاكم فى الكنى ، وابن مردويه ، والبيهقى فى سننه عن كثير بن عبد الله ابن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ ؛ أنه كان يأمر بزكاة الفطر قبل أن يصلى صلاة العيد ، ويتلو هذه الآية : ﴿ **قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى** ﴾ (١) . وفى لفظ قال : سئل النبى ﷺ عن زكاة الفطر فقال : ﴿ **قد أفلح من تزكى** ﴾ قال : « هى زكاة الفطر » . وكثير بن عبد الله ضعيف جدًا . قال فيه أبو داود : هو ركن من أركان الكذب . وقد صحح الترمذى حديثًا من طريقه ، وخطئ فى ذلك ، ولكنه يشهد له ما أخرجه ابن مردويه عن أبى سعيد الخدرى قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « ﴿ **قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى** ﴾ ثم يقسم الفطرة قبل أن يغدو إلى المصلى يوم الفطر » . وليس فى هذين الحديثين ما يدل على أن ذلك سبب النزول ، بل فيهما أنه ﷺ تلا الآية ، وقوله : «هى زكاة الفطر » يمكن أن يراد به أنها مما يصدق عليه التزكى ، وقد قدمنا أن السورة مكية ، ولم تكن فى مكة صلاة عيد ولا فطر. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن أبى سعيد الخدرى :

(١) البزار ( ٩٠٥ ) والبيهقى فى الزكاة ٤ / ١٥٩ .

﴿ **قد أفلح من تزكى** ﴾ ، قال : أعطى صدقة الفطر قبل أن يخرج إلى العيد . ﴿ **وذكر اسم ربه فصلى** ﴾ قال : خرج إلى العيد وصلى . وأخرج ابن مردويه والبيهقى عن ابن عمر قال : إنما أنزلت هذه الآية فى إخراج صدقة الفطر قبل صلاة العيد (١) : ﴿ **قد أفلح من تزكى . وذكر اسم ربه فصلى** ﴾ . وأخرج ابن أبى حاتم عن عطاء قال : قلت لابن عباس : أرأيت قوله : ﴿ **قد أفلح من تزكى** ﴾ للفطر ؟ قال : لم أسمع بذلك ، ولكن للزكاة كلها . ثم عاودته فقال لى : والصدقات كلها .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر والطبرانى ، والبيهقى فى شعب الإيمان عن عرفجة الثقفى قال: استقرأت ابن مسعود : ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ فلما بلغ: ﴿ **بل تؤثرون الحياة الدنيا**﴾ ترك القراءة وأقبل على أصحابه : آثرنا الدنيا على الآخرة . فسكت القوم ، فقال : آثرنا الدنيا لأنَّا رأينا زينتها ، ونساءها ، وطعامها ، وشرابها ،وزويت عنا الآخرة ، فاخترنا هذا العاجل ، وتركنا الآجل. وقال : « بل يؤثرون الحياة الدنيا » بالياء . وأخرج البزار وابن المنذر ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **إن هذا لفى الصحف الأولى . صحف إبراهيم وموسى** ﴾ قال رسول الله ﷺ : « هى كلها فى صحف إبراهيم وموسى » . وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عنه فى الآية ، قال : نسخت هذه السورة من صحف إبراهيم وموسى . وفى لفظ : هذه السورة فى صحف إبراهيم وموسى . وأخرج عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر عن أبى ذر قال : قلت : يارسول الله ، كم أنزل الله من كتاب ؟ قال :« مائة كتاب وأربعة كتب . . . » الحديث.

(١) البيهقى فى الزكاة ٤ / ١٥٩ .

## تفسير سورة الغاشية

هى ست وعشرون آية . وهى مكية بلا خلاف . وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس قال: نزلت سورة الغاشية بمكة . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله . وقد تقدم حديث النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ كان يقرأ : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ والغاشية فى صلاة العيد ويوم الجمعة (١) .

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لا يُسْمِنُ وَلا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لا تَسْمَعُ فِيهَا لاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلاَّ مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ اللَّهُ الْعَذَابَ الأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿٢٦﴾ ﴾.

قوله : ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ﴾ قال جماعة من المفسرين : هل هنا بمعنى قد . وبه قال قطرب ، أى قد جاءك يا محمد حديث الغاشية ، وهى القيامة ؛ لأنها تغشى الخلائق بأهوالها . وقيل : إن بقاء « هل » هنا على معناها الاستفهامى المتضمن للتعجيب بما فى خبره، والتشويق إلى استماعه أولى . وقد ذهب إلى أن المراد بالغاشية هنا : القيامة أكثرُ المفسرين . وقال سعيد بن جبير ومحمد بن كعب : الغاشية : النار . تغشى وجوه الكفار كما فى قوله : ﴿وتغشى وجوههم النار﴾ [إبراهيم : ٥٠ ] وقيل : الغاشية : أهل النار لأنهم يغشونها ويقتحمونها . والأول أولى . قال الكلبى : المعنى : إن لم يكن أتاك حديث الغاشية ، فقد أتاك . ﴿وجوه يومئذ خاشعة﴾ الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر ، كأنه قيل: ما هو ؟ أو مستأنفة استئنافًا نحويًا لبيان ما تضمنته من كون ثم وجوه فى ذلك اليوم متصفة بهذه الصفة المذكورة. ووجوه مرتفع على الابتداء ، وإن كانت نكرة لوقوعه فى مقام التفصيل . وقد تقدم

(١) سبق تخريجه .

مثل هذا فى سورة القيامة ، وفى سورة النازعات . والتنوين فى ﴿يومئذ﴾ عوض عن المضاف إليه ، أى يوم غشيان الغاشية . والخاشعة : الذليلة الخاضعة . وكل متضائل ساكن يقال له: خاشع . يقال : خشع الصوت : إذا خفى ، وخشع فى صلاته : إذا تذلل ونكس رأسه ، والمراد بالوجوه هنا : أصحابها . قال مقاتل : يعنى الكفار لأنهم تكبروا عن عبادة الله . قال قتادة وابن زيد : خاشعة فى النار . وقيل : أراد وجوه اليهود والنصارى على الخصوص . والأول أولى .

قوله : ﴿عاملة ناصبة﴾ : معنى ﴿عاملة﴾ : أنها تعمل عملاً شاقًا . قال أهل اللغة : يقال للرجل إذا دأب فى سيره : عمل يعمل عملاً . ويقال للسحاب إذا دام برقه : قد عمل يعمل عملاً . قيل : وهذا العمل هو جر السلاسل والأغلال والخوض فى النار . ﴿ناصبة﴾أى تعبة . يقال : نصب بالكسر ينصب نصبًا إذا تعب . والمعنى : أنها فى الآخرة تعبة لما تلاقيه من عذاب الله . وقيل : إن قوله: ﴿عاملة﴾ فى الدنيا ، إذ لا عمل فى الآخرة ، أى تعمل فى الدنيا بالكفر والمعاصى وتنصب فى ذلك . وقيل : إنها عاملة فى الدنيا ، ناصبة فى الآخرة. والأول أولى . قال قتادة : ﴿ عاملة ناصبة ﴾ : تكبرت فى الدنيا عن طاعة الله ، وأنصبها فى النار بجر السلاسل الثقال ، وحمل الأغلال ، والوقوف حفاة عراة فى العرصات ﴿فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ [ المعارج : ٤ ] قال الحسن وسعيد بن جبير : لم تعمل لله فى الدنيا ولم تنصب ، فأعملها وأنصبها فى جهنم . قال الكلبى : يجرون على وجوههم فى النار . وقال أيضًا : يكلفون ارتقاء جبل من حديد فى جهنم ، فينصبون فيها أشد ما يكون من النصب بمعالجة السلاسل والأغلال والخوض فى النار كما تخوض الإبل فى الوحل. قرأ الجمهور : ﴿ عاملة ناصبة﴾ بالرفع فيهما على أنهما خبران آخران للمبتدأ ، أو على تقدير مبتدأ ، وهما خبران له . وقرأ ابن محيصن وعيسى وحميد وابن كثير فى رواية عنه بنصبهما على الحال أو على الذم . وقوله : ﴿تصلى نارا حامية﴾ خبر آخر للمبتدأ ، أى تدخل نارًا متناهية فى الحر . يقال : حمى النهار ، وحمى التنور ، أى اشتد حرهما . قال الكسائى : يقال : اشتد حمى النهار وحموه بمعنى . قرأ الجمهور : « تصلى » بفتح التاء مبنيًا للفاعل . وقرأ أبو عمرو ويعقوب وأبو بكر بضمها مبنيًا للمفعول . وقرأ أبو رجاء بضم التاء وفتح الصاد وتشديد اللام . والضمير راجع إلى الوجوه على جميع هذه القراءات . والمراد أصحابها كما تقدم . وهكذا الضمير ﴿ تسقى من عين آنية ﴾ والمراد بالعين الآنية : المتناهية فى الحر . والآنى الذى قد انتهى حره ، من الإيناء بمعنى التأخر يقال: آناه يؤنيه إيناء ، أى أخره وحبسه كما فى قوله: ﴿ يطوفون بينها وبين حميم آن﴾ [ الرحمن : ٤٤ ] قال الواحدى : قال المفسرون : لو وقعت منها نقطة على جبال الدنيا ، لذابت .

ولما ذكر سبحانه شرابهم ، عقبه بذكر طعامهم فقال : ﴿ ليس لهم طعام إلا من ضريع﴾ ،

هو نوع من الشوك يقال له: الشبرق فى لسان قريش إذا كان رطبًا ، فإذا يبس ، فهو الضريع كذا قال مجاهد وقتادة، وغيرهما من المفسرين . قيل : وهو سم قاتل . وإذا يبس لا تقربه دابة ولا ترعاه . وقيل : هو شىء يرمى به البحر يسمى الضريع من أقوات الأنعام ، لا من أقوات الناس ، فإذا رعت منه الإبل لم تشبع وهلكت هزالاً . قال الخليل : الضريع نبات أخضر منتن الريح ، يرمى به البحر ، وجمهور أهل اللغة والتفسير قالوا بالأول . ومنه قول أبى ذؤيب:

رعى الشبرق الريان حتى إذا ذوى وعاد ضريعًا بان عنه التحايص

وقال الهذلى ، يذكر إبلاً وسوء مرعاها :

وحبسن فى هَزْم الضريع وكلها قرناء دامية اليدين جرود

وقال سعيد بن جبير : الضريع : الحجارة . وقيل : هو شجرة فى نار جهنم . وقال الحسن : هو بعض ما أخفاه الله من العذاب . وقال ابن كيسان : هو طعام يضرعون عنده ويذلون ويتضرعون إلى الله بالخلاص منه ، فسمى بذلك لأن آكله يتضرع إلى الله فى أن يعض عنه لكراهته وخشونته . قال النحاس : قد يكون مشتقًا من الضارع وهو الذليل ، أى من شربه يلحقه ضراعة وذلة . وقال الحسن أيضًا : هو الزقوم . وقيل : هو واد فى جهنم . وقد تقدم فى سورة الحاقة : ﴿ فليس له اليوم ها هنا حميم . ولا طعام إلا من غسلين ﴾ [ الحاقة : ٣٥، ٣٦ ] : والغسلين غير الضريع كما تقدم . وجمع بين الآيتين بأن النار دركات . فمنهم من طعامه الضريع ، ومنهم من طعامه الغسلين . ثم وصف سبحانه الضريع فقال: ﴿ **لا يسمن ولا يغنى من جوع** ﴾ أى لا يسمن الضريع آكله ولا يدفع عنه ما به من الجوع . قال المفسرون : لما نزلت هذه الآية ، قال المشركون:إن إبلنا تسمن من الضريع، فنزلت : ﴿ **لا يسمن ولا يغنى من جوع** ﴾ وكذبوا فى قولهم هذا ، فإن الإبل لا تأكل الضريع ولا تقربه . وقيل : اشتبه عليهم أمره فظنوه كغيره من النبات النافع .

ثم شرع سبحانه فى بيان حال أهل الجنة بعد الفراغ من بيان حال أهل النار ، فقال : ﴿**وجوه يومئذ ناعمة**﴾ أى ذات نعمة وبهجة . وهى وجوه المؤمنين : صارت وجوههم ناعمة لما شاهدوا من عاقبة أمرهم ، وما أعده الله لهم من الخير الذى يفوق الوصف . ومثله قوله : ﴿تعرف فى وجوههم نضرة النعيم ﴾ [ المطففين : ٢٤ ] ثم قال : ﴿**لسعيها راضية**﴾ أى لعملها الذى عملته فى الدنيا راضية ؛ لأنها قد أعطيت من الأجر ما أرضاها وقرت به عيونها . والمراد بالوجوه هنا : أصحابها ، كما تقدم . ﴿**فى جنة عالية**﴾ أى عالية المكان ، مرتفعة على غيرها من الأمكنة ، أو عالية القدر ؛ لأن فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين .﴿**لا تسمع فيها لاغية**﴾ قرأ الجمهور : ﴿**لا تسمع**﴾ بفتح الفوقية ونصب ﴿**لاغية**﴾ أى لا تسمع أنت أيها المخاطب ، أو لا تسمع تلك الوجوه . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتحتية مضمومة مبنيًا للمفعول ورفع ﴿**لاغية**﴾ وقرأ نافع بالفوقية مضمومة مبنيًا للمفعول ، ورفع ﴿**لاغية**﴾ ، وقرأ الفضل والجحدرى

بفتح التحتية مبنيًا للفاعل ، ونصب ﴿لاغية﴾. واللغو: الكلام الساقط . قال الفراء والأخفش: أى لا تسمع فيها كلمة لغو . قيل : المراد بذلك : الكذب ، والبهتان ، والكفر . قاله قتادة . وقال مجاهد : أى الشتم . وقال الفراء : لا تسمع فيها حالفًا يحلف بكذب . وقال الكلبى : لا تسمع فى الجنة حالفًا بيمين برة ولا فاجرة . وقال الفراء أيضًا : لا تسمع فى كلام أهل الجنة كلمة تلغى لأنهم لا يتكلمون إلا بالحكمة وحمد الله تعالى على ما رزقهم من النعيم الدائم . وهذا أرجح الأقوال ؛ لأن النكرة فى سياق النفى من صيغ العموم . ولا وجه لتخصيص هذا بنوع من اللغو خاص إلا بمخصص يصلح للتخصيص . و﴿ لاغية ﴾ إما صفة موصوف محذوف، أى كلمة لاغية أو نفس لاغية ، أو مصدر ، أى لا تسمع فيها لغوًا .

﴿ فيها عين جارية ﴾ قد تقدم فى سورة الإنسان أن فيها عيونًا . والعين هنا بمعنى العيون كما فى قوله ﴿علمت نفس﴾ [ التكوير : ١٨ ] ومعنى ﴿ جارية ﴾ أنها تجرى مياهها وتتدفق بأنواع الأشربة المستلذة . قال الكلبى : لا أدرى بماء أو بغيره . ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ أى عالية مرتفعة السمك ، أو عالية القدر . ﴿وأكواب موضوعة﴾ قد تقدم أن الأكواب جمع كوب وأنه القدح الذى لا عروة له . ومعنى ﴿موضوعة﴾ : أنها موضوعة بين أيديهم يشربون منها . ﴿ونمارق مصفوفة ﴾ النمارق : الوسائد . قال الواحدى : فى قول الجميع: واحدتها نُمرقة بضم النون . وزاد الفراء سماعًا عن العرب : نِمرقة بكسرها. قال الكلبى : وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض ، ومنه قول الشاعر :

وإنا لنجرى الكأس بين شروبنا ... وبين أبى قابوس فوق النمارق

وقال الآخر :

كهول وشبان حسان وجوههم ... على سرر مصفوفة ونمارق

قال فى الصحاح : النمرق والنمرقة وسادة صغيرة ، وكذلك النمرقة بالكسر لغة حكاها يعقوب . ﴿ وزرابى مبثوثة ﴾ يعنى : البسط . واحدها زربى وزربية . قال أبو عبيدة والفراء: الزرابى : الطنافس التى لها خمل رقيق . واحدها زربية . والمبثوثة : المبسوطة ، قاله قتادة. وقال عكرمة : بعضها فوق بعض . قال الواحدى : ويجوز أن يكون المعنى : أنها مفرقة فى المجالس . وبه قال القتيبى . وقال الفراء : معنى ﴿ مبثوثة ﴾ : كثيرة . والظاهر أن معنى البث : التفرق مع كثرة . ومنه : ﴿ وبث فيها من كل دابة ﴾ [ البقرة : ١٦٤ ] .

﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ الاستفهام للتقريع والتوبيخ ، والفاء للعطف على مقدر كما فى نظائره مما مر غير مرة . والجملة مسوقة لتقرير أمر البعث والاستدلال عليه. وكذا ما بعدها . و ﴿ كيف ﴾ منصوبة بما بعدها ، والجملة فى محل جر على أنها بدل اشتمال من الإبل . والمعنى : أينكرون أمر البعث ، ويستبعدون وقوعه ؟! أفلا ينظرون إلى الإبل التى هى غالب مواشيهم، وأكثر ما يشاهدونه من المخلوقات ﴿ كيف خلقت ﴾ على ما هى عليه من

الخلق البديع ، من عظم جثتها ، ومزيد قوتها ، وبديع أوصافها ؟ قال أبو عمرو بن العلاء : إنما خص الإبل لأنها من ذوات الأربع ، تبرك فتحمل عليها الحمولة ، وغيرها من ذوات الأربع لا يحمل عليه إلا وهو قائم . قال الزجاج : نبههم على عظيم من خلقه ، قد ذلله للصغير يقوده ، وينيخه ، وينهضه ، ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو بارك ، فينهض بثقل حمله ، وليس ذلك فى شىء من الحوامل غيره. فأراهم عظيمًا من خلقه ليدل بذلك على توحيده . وسئل الحسن عن هذه الآية ، وقيل له : الفيل أعظم فى الأعجوبة؟ فقال : أما الفيل فالعرب بعيدة العهد به . ثم هو خنزير لا يركب ظهره ، ولا يؤكل لحمه ، ولا يحلب دره . والإبل من أعز مال العرب وأنفسه ، تأكل النوى ، والقت، وتخرج اللبن . ويأخذ الصبى بزمامها ، فيذهب بها حيث شاء مع عظمها فى نفسها. وقال المبرد : الإبل هنا : هى القطع العظيمة من السحاب ، وهو خلاف ما ذكره أهل التفسير واللغة . وروى عن الأصمعى أنه قال : من قرأ ﴿**خلقت**﴾ بالتخفيف ، عنى به البعير . ومن قرأ بالتشديد ، عنى به السحاب . ﴿**وإلى السماء كيف رفعت**﴾ أى رفعت فوق الأرض بلا عمد على وجه لا يناله الفهم ولا يدركه العقل . وقيل: رفعت فلا ينالها شىء . ﴿**وإلى الجبال كيف نصبت**﴾ على الأرض مرساة راسخة لا تميد، ولا تميل ، ولا تزول . ﴿**وإلى الأرض كيف سطحت**﴾ أى بسطت . والسطح : بسط الشىء. يقال لظهر البيت إذا كان مستويًا : سطح . قرأ الجمهور : ﴿ **سطحت** ﴾ مبنيًا للمفعول مخففًا . وقرأ الحسن بالتشديد . وقرأ على بن أبى طالب وابن السميفع ، وأبو العالية: «خلقت» و« رفعت » و« نصبت » و« سطحت » على البناء للفاعل ، وضم التاء فيها كلها. ثم أمر سبحانه رسوله ﷺ بالتذكير فقال : ﴿ **فذكر** ﴾ . والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها ، أى فعظهم يا محمد وخوفهم . ثم علل الأمر بالتذكير فقال : ﴿ **إنما أنت مذكر**﴾ أى ليس عليك إلا ذلك . و﴿ **لست عليهم بمسيطر** ﴾ المصيطر والمسيطر بالسين والصاد : المسلط على الشىء ليشرف عليه ويتعهد أحواله . كذا فى الصحاح ، أى لست عليهم بمصيطر حتى تكرههم على الإيمان . وهذا منسوخ بآية السيف . قرأ الجمهور: ﴿**بمصيطر**﴾ بالصاد . وقرأ هشام وقنبل فى رواية بالسين . وقرأ خلف بإشمام الصاد زايًا . وقرأ هارون الأعور بفتح الطاء اسم مفعول . ﴿ **إلا من تولى وكفر**﴾ هذا استثناء منقطع، أى لكن من تولى عن الوعظ والتذكير . ﴿**فيعذبه الله العذاب الأكبر** ﴾ وهو عذاب جهنم الدائم. وقيل: هو استثناء متصل من قوله : ﴿**فذكر**﴾ أى فذكر كل أحد إلا من انقطع طمعك عن إيمانه ، وتولى فاستحق العذاب الأكبر . والأول أولى . وإنما قال : ﴿ **الأكبر**﴾ لأنهم قد عذبوا فى الدنيا بالجوع والقحط والقتل والأسر . وقرأ ابن مسعود:« فإنه يعذبه الله » . وقرأ ابن عباس وقتادة : ﴿**إلا من تولى وكفر**﴾ على أنها « إلا » التى للتنبيه والاستفتاح . ﴿ **إن إلينا إيابهم** ﴾ أى رجوعهم بعد الموت . يقال : آب يؤوب: إذا رجع ، ومنه قول عبيد بن الأبرص :

وكل ذى غيبة يؤوب  وغائب الموت لا يؤوب

قرأ الجمهور : ﴿ **إيابهم** ﴾ بالتخفيف . وقرأ جعفر وشيبة بالتشديد . قال أبو حاتم : لا يجوز التشديد ، ولو جاز لجاز مثله فى الصيام والقيام . وقيل : هما لغتان بمعنى . قال الواحدى: وأما « إيابهم » بتشديد الياء ، فإنه شاذ ، لم يجزه أحد غير الزجاج . ﴿ **ثم إن علينا حسابهم** ﴾ يعنى: جزاءهم بعد رجوعهم إلى الله بالبعث . و« ثم » للتراخى فى الرتبة لبعد منزلة الحساب فى الشدة عن منزلة الإياب .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : الغاشية من أسماء القيامة . وأخرج ابن أبى حاتم عنه : ﴿ **هل أتاك حديث الغاشية** ﴾ قال :الساعة . ﴿**وجوه يومئذ خاشعة . عاملة ناصبة** ﴾ قال : تعمل وتنصب فى النار ﴿ **تسقى من عين آنية** ﴾ قال: هى التى قد طال أنيها . ﴿ **ليس لهم طعام إلا من ضريع** ﴾ قال : الشبرق . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضًا : ﴿ **وجوه يومئذ خاشعة . عاملة ناصبة** ﴾ قال : يعنى : اليهود والنصارى تخشع ولا ينفعها عملها . ﴿ **تسقى من عين آنية** ﴾ قال: قد أنى غليانها . وأخرج ابن جرير، وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضًا فى قوله : ﴿ **تصلى نارا حامية** ﴾ قال : حارة . ﴿**تسقى من عين آنية** ﴾ قال: انتهى حرها ، ﴿ **ليس لهم طعام إلا من ضريع** ﴾ يقول : من شجر من نار. وأخرج عبد بن حميد عنه أيضًا : ﴿ **إلا من ضريع** ﴾ قال: الشبرق اليابس .

وأخرج ابن جرير عنه أيضاً : ﴿ **لا تسمع فيها لاغية** ﴾ يقول: لا تسمع أذى ولا باطل. وفى قوله : ﴿**فيها سرر مرفوعة** ﴾ قال : بعضها فوق بعض . ﴿ **وأكواب** ﴾ قال : مجالس . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه أيضًا : ﴿ **وأكواب** ﴾ قال: المرافق . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضًا : ﴿ **لست عليهم بمصيطر**﴾ قال : جبار . ﴿**إلا من تولى وكفر**﴾ قال : حسابه على الله . وأخرج أبو داود فى ناسخه عنه أيضًا : ﴿**لست عليهم بمصيطر**﴾ ثم نسخ ذلك فقال : ﴿ اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾ [التوبة: ٥] وأخرج ابن المنذر عنه أيضا : ﴿ **إن علينا إيابهم** ﴾ قال: مرجعهم .

## تفسير سورة الفجر

هى ثلاثون آية . وقيل : تسع وعشرون آية . وهى مكية بلا خلاف . وأخرج ابن الضريس ، والنحاس فى ناسخه ، وابن مردويه والبيهقى من طرق عن ابن عباس قال : نزلت ﴿ والفجر﴾ بمكة . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير وعائشة مثله .وأخرج النسائى عن جابر قال: صلى معاذ صلاة ، فجاء رجل فصلى معه فطول ، فصلى فى ناحية المسجد ، ثم انصرف ، فبلغ ذلك معاذ ، فقال : منافق. فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، جئت أصلى فطول علىّ ، فانصرفت فصليت فى ناحية المسجد ، فعلفت ناضحى ، فقال رسول اللّه ﷺ: «أفتان أنت يا معاذ ؟ أين أنت من ﴿ سبح اسم ربك الأعلى﴾ ﴿ والشمس وضحاها ﴾ ﴿ والفجر ﴾ ﴿ والليل إذا يغشى ﴾» (١) .

﴿ وَالْفَجْرِ ① وَلَيَالٍ عَشْرٍ ② وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ③ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ④ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ ⑤ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ⑥ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ⑦ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ⑧ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ⑨ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ⑩ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ⑪ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ⑫ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ⑬ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ⑭ ﴾ .

أقسم سبحانه بهذه الأشياء ، كما أقسم بغيرها من مخلوقاته . واختلف فى الفجر الذى أقسم الله به هنا ، فقيل : هو الوقت المعروف . وسمى فجرًا لأنه وقت انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم . وقال قتادة : إنه فجر أول يوم من شهر محرم ؛ لأن منه تتفجر السنة . وقال مجاهد : يريد يوم النحر . وقال الضحاك : فجر ذى الحجة، لأن الله قرن الأيام به فقال: ﴿ وليال عشر ﴾ أى ليالى عشر من ذى الحجة . وبه قال السدى والكلبى. وقيل : المعنى : وصلاة الفجر ، أو رب الفجر . والأول أولى، وجواب هذا القسم وما بعده وهو قوله : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ كذا قال ابن الأنبارى . وقيل : محذوف لدلالة السياق عليه ، أى ليجازين كل أحد بما عمل ، أو ليعذبن . وقدره أبو حيان بما دلت عليه خاتمة السورة التى قبله ، أى ﴿ والفجر ... ﴾ إلخ لإيابهم علينا وحسابهم علينا . وهذا ضعيف جدًا . وأضعف منه قول من قال : إن الجواب قوله : ﴿ هل فى ذلك قسم لذى حجر ﴾ . وأن هل بمعنى قد ؛ لأن هذا لا يصح أن يكون مقسمًا عليه أبدًا . ﴿ وليال عشر ﴾ هى عشر ذى الحجة فى قول جمهور

(١) النسائى فى التفسير ( ٦٩٣ ) .

المفسرين . وقال الضحاك : إنها الأواخر من رمضان . وقيل : العشر الأول من محرم إلى عاشرها يوم عاشوراء . قرأ الجمهور : ﴿ ليال ﴾ بالتنوين و ﴿عشر﴾ صفة لها . وقرأ ابن عباس : « وليالى عشر » بالإضافة . قيل : والمراد : ليالى أيام عشر . وكان حقه على هذا أن يقال : عشرة لأن المعدود مذكر . وأجيب عنه : بأنه إذا حذف المعدود ، جاز الوجهان .

﴿ والشفع والوتر﴾ الشفع والوتر يعمان كل الأشياء شفعها ووترها . وقيل : شفع الليالى ووترها . وقال قتادة : الشفع والوتر : شفع الصلاة ووترها ؛ منها شفع ومنها وتر . وقيل : الشفع يوم عرفة ، ويوم النحر ، والوتر: ليلة يوم النحر. وقال مجاهد وعطية العوفى : الشفع: الخلق ، والوتر : الله الواحد الصمد . وبه قال محمد بن سيرين ومسروق وأبو صالح وقتادة . وقال الربيع بن أنس وأبو العالية: هى صلاة المغرب فيها ركعتان،والوتر الركعة.وقال الضحاك: الشفع عشر ذى الحجة ، والوتر: أيام منى الثلاثة. وبه قال عطاء . وقيل : هما آدم وحواء لأن آدم كان وتراً ، فشفع بحواء . وقيل : الشفع : درجات الجنة ، وهى ثمان ، والوتر : دركات النار ، وهى سبع . وبه قال الحسين بن الفضل.وقيل: الشفع : الصفا والمروة ، والوتر : الكعبة . وقال مقاتل : الشفع : الأيام والليالى ، والوتر:اليوم الذى لا ليلة بعده ، وهو يوم القيامة . وقال سفيان بن عيينة : الوتر هو الله سبحانه ، وهو الشفع أيضًا لقوله : ﴿ ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم . . . ﴾ الآية [ المجادلة : ٧ ] ،وقال الحسن : المراد بالشفع والوتر: العدد كله ؛لأن العدد لا يخلو عنهما . وقيل : الشفع مسجد مكة والمدينة ، والوتر : مسجد بيت المقدس . وقيل : الشفع حجج القرآن ، والوتر الإفراد .وقيل : الشفع : الحيوان لأنه ذكر وأنثى ، والوتر : الجماد . وقيل : الشفع : ما سمى ، والوتر : ما لا يسمى .

ولا يخفاك ما فى غالب هذه الأقوال من السقوط البين والضعف الظاهر ، والاتكال فى التعيين على مجرد الرأى الزائف ، والخاطر الخطأ . والذى ينبغى التعويل عليه ويتعين المصير إليه ما يدل عليه معنى الشفع والوتر فى كلام العرب ، وهما معروفان واضحان . فالشفع عند العرب : الزوج ، والوتر: الفرد . فالمراد بالآية إما نفس العدد ، أو ما يصدق عليه من المعدودات بأنه شفع أو وتر. وإذا قام دليل على تعيين شىء من المعدودات فى تفسير هذه الآية ، فإن كان الدليل يدل على أنه المراد نفسه دون غيره ، فذاك . وإن كان الدليل يدل على أنه مما تناولته هذه الآية ، لم يكن ذلك مانعاً من تناولها لغيره . قرأ الجمهور : ﴿ والوتر ﴾ بفتح الواو . وقرأ حمزة ، والكسائى ، وخلف بكسرها . وهى قراءة ابن مسعود وأصحابه ، وهما لغتان . والفتح لغة قريش وأهل الحجاز . والكسر لغة تميم . قال الأصمعى : كل فرد وتر. وأهل الحجاز يفتحون فيقولون : وتر فى الفرد . وحكى يونس عن ابن كثير أنه قرأ بفتح الواو وكسر التاء . فيحتمل أن تكون لغة ثالثة . ويحتمل أنه نقل كسرة الراء إلى التاء إجراء للوصل

مجرى الوقف .

﴿ **والليل إذا يسر** ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ **يسر** ﴾ بحذف الياء وصلاً وواقفا اتباعاً لرسم المصحف . وقرأ نافع وأبو عمرو بحذفها فى الوقف ، وإثباتها فى الوصل . وقرأ ابن كثير وابن محيصن ويعقوب بإثباتها فى الوصل والوقف .

قال الخليل : تسقط الياء منها موافقة لرؤوس الآى . قال الزجاج : والحذف أحب إلىَّ لأنها فاصلة ، والفواصل تحذف منها الياءات . قال الفراء : قد تحذف العرب الياء وتكتفى بكسر ما قبلها . وأنشد بعضهم :

كفاك كَفٌّ ما تُلِيقُ دِرهَمًا جُودًا وأخرى تعط بالسَّيف دما

ما تليق : أى ما تمسك . قال المؤرج : سألت الأخفش عن العلة فى إسقاط الياء من ﴿ **يسر** ﴾ ، فقال : لا أجيبك حتى تبيت على باب دارى سنة . فبت على باب داره سنة ، فقال: الليل لا يسرى . وإنما يسرى فيه، فهو مصروف عن جهته ، وكل ما صرفته عن جهته ، بخسته من إعرابه ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ وما كانت أمك بغيا ﴾ [ مريم : ٢٨ ] ولم يقل : بغية ؛ لأنه صرفها من باغية . وفى كلام الأخفش هذا نظر . فإن صرف الشىء عن معناه لسبب من الأسباب لا يستلزم صرف لفظه عن بعض ما يستحقه . ولو صح ذلك للزم فى كل المجازات العقلية واللفظية ؛ واللازم باطل ، فالملزوم مثله . والأصل ههنا إثبات الياء ؛ لأنها لام الفعل المضارع المرفوع ، ولم تحذف لعلة من العلل إلا لاتباع رسم المصحف وموافقة رؤوس الآى ، إجراء للفواصل مجرى القوافى . ومعنى﴿ **والليل إذا يسر** ﴾ : إذا يمضى ، كقوله : ﴿ والليل إذا أدبر ﴾ [ المدثر : ٣٣ ] ﴿ والليل إذا عسعس ﴾ [التكوير : ١٧ ] وقيل : معنى ﴿ **يسر** ﴾ : يسار فيه . كما يقال : ليل نائم ، ونهار صائم ،كما فى قول الشاعر :

لقد لمتنا يا أم غيلان فى السرى ونمت وما ليل المطى بنائم

وبهذا قال الأخفش والقتيبى وغيرهما من أهل المعانى . وبالأول قال جمهور المفسرين . وقال قتادة وأبو العالية: ﴿ **والليل إذا يسر** ﴾ أى : جاء وأقبل . وقال النخعى : أى استوى . قال عكرمة وقتادة والكلبى ومحمد بن كعب : هى ليلة المزدلفة خاصة لاختصاصها باجتماع الناس فيها لطاعة الله سبحانه . وقيل : ليلة القدر لسراية الرحمة فيها . والراجح عدم تخصيص ليلة من الليالى دون الأخرى . ﴿ **هل فى ذلك قسم لذى حجر** ﴾ ؟ هذا الاستفهام لتقرير تعظيم ما أقسم سبحانه به وتفخيمه من هذه الأمور المذكورة . والإشارة بقوله :﴿ **ذلك** ﴾ إلى تلك الأمور ، والتذكير بتأويل المذكور ، أى هل فى ذلك المذكور من الأمور التى أقسمنا بها قسم ، أى مقسم به حقيق بأن تؤكد به الأخبار . ﴿ **لذى حجر** ﴾ أى عقل ولب . فمن كان ذا

عقل ولب علم أن ما أقسم الله به من هذه الأشياء حقيق بأن يقسم به . ومثل هذا قوله: ﴿ وإنه لقسم لو تعلمون عظيم ﴾ [ الواقعة : ٧٦ ] . قال الحسن : ﴿ **لذى حجر** ﴾ أى لذى حلم . وقال أبو مالك : لذى ستر من الناس . وقال الجمهور : الحجر : العقل . قال الفراء : الكل يرجع إلى معنى واحد لذى عقل ، ولذى حلم ، ولذى ستر . والكل بمعنى العقل . وأصل الحجر : المنع . يقال لمن ملك نفسه ومنعها : إنه لذو حجر . ومنه سمى الحجر لامتناعة بصلابته . ومنه : حجر الحاكم على فلان ، أى منعه . قال : والعرب تقول : « إنه لذو حجر » إذا كان قاهرًا لنفسه ضابطًا لها .

ثم ذكر سبحانه على طريقة الاستشهاد ما وقع من عذابه على بعض طوائف الكفار بسبب كفرهم وعنادهم وتكذيبهم للرسل ، تحذيرا للكفار فى عصر نبينا ﷺ . وتخويفًا لهم أن يصيبهم ما أصابهم فقال : ﴿ **ألم تر كيف فعل ربك بعاد . إرم ذات العماد** ﴾ قرأ الجمهور بتنوين ﴿ **عاد** ﴾ على أن يكون ﴿ **إرم** ﴾ عطف بيان لعاد . والمراد بعاد : اسم أبيهم . وإرم اسم القبيلة أو بدلاً منه. وامتناع صرف إرم للتعريف والتأنيث .وقيل: المراد بعاد: أولاد عاد، وهم عاد الأولى . ويقال لمن بعدهم : عاد الأخرى . فيكون ذكر إرم على طريقة عطف البيان أوالبدل للدلالة على أنهم عاد الأولى ، لا عاد الأخرى . ولابد من تقدير مضاف على كلا القولين ، أى أهل إرم ، أوسبط إرم . فإن إرم هو جد عاد ، لأنه عاد بن عوض بن إرم بن سام بن نوح . وقرأ الحسن وأبو العالية بإضافة عاد إلى إرم . وقرأ الجمهور ﴿ **إرم** ﴾ بكسر الهمزة وفتح الراء والميم ، وقرأ الحسن ومجاهد وقتادة والضحاك : «أَرَم » بفتح الهمزة والراء . وقرأ معاذ بسكون الراء تخفيفًا . وقرأ بإضافة « إرم » إلى « ذات العماد » . قال مجاهد: من قرأ بفتح الهمزة ، شبههم بالإرم التى هى الأعلام . وإحداها إرم . وفى الكلام تقديم وتأخير ، أى والفجر ، وكذا وكذا ﴿ **إن ربك لبالمرصاد** ﴾ .﴿ **ألم تر** ﴾ أى ألم ينته علمك إلى ما فعل ربك بعاد . وهذه الرؤيا رؤية القلب . والخطاب للنبى ﷺ ، أو لكل من يصلح له . وقد كان أمر عاد وثمود مشهوراً عند العرب ؛ لأن ديارهم متصلة بديار العرب ، وكانوا يسمعون من أهل الكتاب أمر فرعون . وقال مجاهد أيضًا : إرم أمة من الأمم . وقال قتادة : هى قبيلة من عاد . وقيل : هما عادان . فالأولى هى إرم . ومنه قول قيس بن الرقيات :

مجدًا تليدًا بناه أولهم  أدرك عادا وقبله إرم

قال معمر : إرم إليه مجتمع عاد وثمود . وكان يقال : عاد إرم وعاد ثمود . وكانت القبيلتان تنسب إلى إرم. قال أبو عبيدة : هما عادان . فالأولى إرم. ومعنى ﴿ **ذات العماد** ﴾ : ذات القوة والشدة ، مأخوذة من قوة الأعمدة ، كما قال الضحاك . وقال قتادة ومجاهد : إنهم كانوا أهل عمد سيارة فى الربيع . فإذا هاج النبت ، رجعوا إلى منازلهم . وقال مقاتل : ذات

العماد : يعنى طولهم . كان طول الرجل منهم اثنا عشر ذراعًا . ويقال : رجل طويل العماد ، أى القامة .

قال أبو عبيدة : ذات العماد : ذات الطول . يقال : رجل معمد : إذا كان طويلاً . وقال مجاهد وقتادة أيضًا : كان عمادًا لقومهم . يقال : فلان عميد القوم وعمودهم ، أى سيدهم . وقال ابن زيد : ذات العماد : يعنى إحكام البنيان بالعمد . قال فى الصحاح : والعماد الأبنية الرفيعة ، تذكر وتؤنث ، قال عمرو بن كلثوم :

ونحنُ إِذَا عِمَادُ الحىِّ خَرَّت على الأحْفاض نمنعُ مَنْ يَلِينا

وقال عكرمة وسعيد المقبرى : هى دمشق . ورواه ابن وهب ، وأشهب عن مالك . وقال محمد بن كعب : هى الإسكندرية . ﴿ **التى لم يخلق مثلها فى البلاد** ﴾ هذه صفة لعاد ، أى لم يخلق مثل تلك القبيلة فى الطول والشدة والقوة ، وهم الذين قالوا : ﴿ من أشد منا قوة ﴾ [ فصلت : ١٥ ] أو صفة للقرية على قول من قال : إن إرم اسم لقريتهم ، أو للأرض التى كانوا فيها ، والأول أولى ، ويدل عليه قراءة أبىٍّ : ﴿ **التى لم يخلق مثلهم فى البلاد** ﴾ . وقيل : الإرم : الهلاك . قال الضحاك : ﴿ **إرم ذات العماد** ﴾ أى أهلكهم فجعلهم رميمًا . وبه قال شهر بن حوشب . وقد ذكر جماعة من المفسرين أن إرم ذات العماد اسم مدينة مبنية بالذهب والفضة ، قصورها ، ودورها ، وبساتينها ، وأن حصباءها جواهر ، وترابها مسك ، وليس بها أنيس ، ولا فيها ساكن من بنى آدم ، وإنها لا تزال تنتقل من موضع إلى موضع ، فتارة تكون باليمن ، وتارة تكون بالشام ، وتارة تكون بالعراق ، وتارة تكون بسائر البلاد . وهذا كذب بحت لا يتفق على من له أدنى تميز . وزاد الثعلبى فى تفسيره فقال : إن عبد اللّه بن قلابة فى زمان معاوية دخل هذه المدينة . وهذا كذب على كذب ، وافتراء على افتراء . وقد أصيب الإسلام وأهله بداهية دهياء ، وفاقرة عظمى ، ورزية كبرى من أمثال هؤلاء الكذابين الدجالين الذى يجترئون على الكذب ، تارة على بنى إسرائيل ، وتارة على الأنبياء ، وتارة على الصالحين ، وتارة على رب العالمين . وتضاعف هذا الشر وزاد كثرة بتصدر جماعة من الذين لا علم لهم بصحيح الرواية من ضعيفها من موضوعها للتصنيف والتفسير للكتاب العزيز ، فأدخلوا هذه الخرافات المختلفة ، والأقاصيص المنحولة ، والأساطير المفتعلة فى تفسير كتاب الله سبحانه ، فحرفوا وغيروا وبدلوا . ومن أراد أن يقف على بعض ما ذكرنا فلينظر فى كتابى الذى سميته « الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة » .

ثم عطف سبحانه القبيلة الآخرة ، وهى ثمود على قبيلة عاد فقال : ﴿ **وثمود الذين جابوا**

**الصخر بالواد** ﴾ وهم قوم صالح ، سموا باسم جدهم ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح . ومعنى ﴿ **جابوا الصخر** ﴾ : قطعوه. والجواب القطع . ومنه جاب البلاد : إذا قطعها . ومنه سمى جيب القميص لأنه جيبَ ، أى قطع . قال المفسرون : أول من نحت الجبال والصخور ثمود ، فبنوا من المدائن ألفًا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة . ومنه قوله سبحانه: ﴿ وتنحتون من الجبال بيوتًا فارهين [1]﴾ [ الشعراء : ١٤٩ ] ،وكانوا ينحتون الجبال وينقبونها ، ويجعلون تلك الأنقاب بيوتًا يسكنون فيها . وقوله : ﴿ **بالواد** ﴾ متعلق بـ ﴿ **جابوا** ﴾ ، أو بمحذوف على أنه حال من الصخر ، وهو وادى القرى . قرأ الجمهور: ﴿ **ثمود** ﴾ بمنع الصرف على أنه اسم للقبيلة ، ففيه التأنيث والتعريف . وقرأ يحيى بن وثاب بالصرف على أنه اسم لأبيها . وقرأ الجمهور أيضًا بالواد بحذف الياء وصلاً ووقفًا اتباعًا لرسم المصحف . وقرأ ابن كثير بإثباتها فيهما . وقرأ قنبل فى رواية بإثباتها فى الوصل دون الوقف .

﴿ **وفرعون ذى الأوتاد** ﴾ أى ذو الجنود الذين لهم خيام كثيرة يشدونها بالأوتاد . أو جعل الجنود أنفسهم أوتادًا لأنهم يشدون الملك كما تشد الأوتاد الخيام . وقيل : كان له أوتاد يعذب الناس بها ، ويشدهم إليها . وقد تقدم بيان هذا فى سورة ص . ﴿ **الذين طغوا فى البلاد** ﴾ الموصول صفة لعاد وثمود وفرعون، أى طغت كل طائفة منهم فى بلادهم وتمردت وعتت . والطغيان : مجاوزة الحد . ﴿ **فأكثروا فيها الفساد** ﴾ بالكفر ومعاصى الله والجور على عباده . ويجوز أن يكون الموصول فى محل رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أى هم الذين طغوا ، أو فى محل نصب على الذم . ﴿ **فصب عليهم ربك سوط عذاب** ﴾ أى أفرغ عليهم وألقى على تلك الطوائف سوط عذاب ، وهو ما عذبهم به . قال الزجاج : جعل سوطه الذى ضربهم به العذاب . يقال : صب على فلان خلعة ، أى ألقاها عليه . ومنه قول النابغة :

فصب الله عليه أحسن صبغة ... وكان له بين البرية ناصر [2]

ومنه قول الآخر :

ألم تر أن الله أظهر دينه ... وصب على الكفار سوط عذاب

ومعنى ﴿ **سوط عذاب** ﴾: نصيب عذاب . وذكر السوط إشارة إلى أن ما أحله بهم فى الدنيا من العذاب العظيم هو بالنسبة إلى ما أعدّه لهم فى الآخرة كالسوط ، إذا قيس إلى سائر ما يعذب به . وقيل : ذكر السوط للدلالة على شدة ما نزل بهم، وكان السوط عندهم هو نهاية

---

(١) فى المخطوطة : « آمنين » وهو خطأ .

(٢) هكذا فى الأصل ، وصحتها : « ناصراً » ، والبيت من قصيدة للنابغة مطلعها :

كتمتك ليلاً بالجمومين ساهراً ... وهمين . . هما مستكنا وظاهرا

ما يعذب به . قال الفراء : هى كلمة تقولها العرب لكل نوع من أنواع العذاب . وأصل ذلك أن السوط هو عذابهم الذى يعذبون به ، فجرى لكل عذاب إذا كان فيه عندهم غاية العذاب. وقيل: معناه عذاب يخالط اللحم والدم من قولهم : ساطه يسوطه سوطًا ، أى خلطه . فالسوط خلط الشيء بعضه ببعض . ومنه قول كعب بن زهير :

لكنها خلة قد سيط من دمها فجع وولع وإخلاف وتبديل

وقال الآخر :

أحارث إنا لو تساط دماؤنا تزايلن حتى لا يمس دم دما

وقال آخر :

فسطها ذميم الرأى غير موفق فلست على تسويطها بمعان

﴿ **إن ربك لبالمرصاد** ﴾ قد قدمنا قول من قال : إن هذا جواب القسم . والأولى أن الجواب محذوف ، وهذه الجملة تعليل لما قبلها . وفيها إرشاد إلى أن كفار قومه ﷺ سيصيبهم ما أصاب أولئك الكفار . ومعنى ﴿ **بالمرصاد** ﴾ : أنه يرصد عمل كل إنسان حتى يجازيه عليه بالخير خيرًا وبالشر شرًا . قال الحسن وعكرمة : أى عليه طريق العباد لا يفوته أحد . والرصد والمرصاد : الطريق . وقد تقدم بيانه فى سورة براءة ، وتقدم أيضًا عند قوله : ﴿ إن جهنم كانت مرصادًا ﴾ [النبأ : ٢١ ] .

وقد أخرج الفريابى وابن جرير وابن أبى حاتم والحاكم وصححه ، والبيهقى فى الشعب عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **والفجر** ﴾ قال : فجر النهار . وأخرج سعيد بن منصور ، والبيهقى فى الشعب ، وابن عساكر عنه أيضًا فى قوله : ﴿ **والفجر** ﴾ قال : هو المحرم فجر السنة . وقد ورد فى فضل صوم شهر محرم أحاديث صحيحة ، ولكنها لا تدل على أنه المراد بالآية ، لا مطابقة ولا تضامنًا ولا التزامًا . وأخرج أحمد والنسائى والبزار وابن جرير وابن المنذر ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب عن جابر؛أن النبى ﷺ قال : ﴿ **والفجر . وليال عشر . والشفع والوتر** ﴾ قال:« إن العشر عشر الأضحى ، والوتر يوم عرفة ، والشفع يوم النحر » . وفى لفظ : « هى ليالى من ذى الحجة » (١) . وأخرج عبد بن حميد عن طلحة بن عبد الله ؛ أنه دخل على ابن عمر هو وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، فدعاهم ابن عمر إلى العشاء يوم عرفة ، فقال أبو سلمة : أليس هذه الليالى العشر التى ذكرها الله فى القرآن ؟ فقال ابن عمر : وما يدريك ؟ قال : ما أشك . قال : بلى فاشكك . وقد ورد فى فضل هذه العشر أحاديث ، وليس فيها ما يدل على أنها المرادة بما فى القرآن هنا بوجه من

(١) أحمد ٣ / ٣٢٧ والنسائى فى التفسير ( ٦٩١ ، ٦٩٢ ) وابن جرير ٣٠/ ١٠٨ وصححه الحاكم ٤/ ٢٢٠ على شرط مسلم ، ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الشعب ( ٣٤٦٨ ) ورجاله موثقون .

الوجوه .

وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **وليال عشر** ﴾ قال : هى العشر الأواخر من رمضان . وأخرج أحمد وعبد بن حميد والترمذى وابن جرير وابن المنذر ، وابن أبى حاتم وصححه ، وابن مردويه عن عمران بن حصين ؛ أن النبىّ ﷺ سئل عن الشفع والوتر ، فقال : « هى الصلاة بعضها شفع وبعضها وتر» (١) . وفى إسناده رجل مجهول . وهو الراوى له عن عمران بن حصين . وقد روى عن عمران بن عصام عن عمران بن حصين بإسقاط الرجل المجهول . وقال الترمذى بعد إخراجه بالإسناد الذى فيه الرجل المجهول : هو حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث قتادة . قال ابن كثير : وعندى أن وقفه على عمران بن حصين أشبه . والله أعلم. قال:ولم يجزم ابن جرير بشىء من هذه الأقوال فى الشفع والوتر . وقد روى هذا الحديث موقوفًا على عمران بن حصين عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير . فهذا يقوى ما قاله ابن كثير .

وأخرج عبد بن حميد عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **والشفع والوتر** ﴾ فقال : كل شىء شفع ، فهو اثنان . والوتر واحد . وأخرج الطبرانى وابن مردويه ـ قال السيوطى : بسند ضعيف ـ عن أبى أيوب عن النبى ﷺ ؛ أنه سئل عن الشفع والوتر فقال : « يومان وليلة ، يوم عرفة ويوم النحر ، والوتر ليلة النحر ليلة جمع » . وأخرج ابن جرير عن جابر أن رسول الله ﷺ قال : « الشفع : اليومان ، والوتر : اليوم الثالث » (٢) . وأخرج عبد الرزاق وسعيد ابن منصور وابن سعد وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن عبد الله بن الزبير ؛ أنه سئل عن الشفع والوتر فقال : الشفع : قول الله : ﴿ فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ﴾ [ البقرة : ٢٠٣ ] والوتر : اليوم الثالث. وفى لفظ : الوتر أوسط أيام التشريق. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب من طرق عن ابن عباس قال : الشفع : يوم النحر ، والوتر:يوم عرفة.وأخرج ابن جرير عنه : ﴿ **والليل إذا يسر** ﴾ ، قال: إذا ذهب.وأخرج ابن المنذر عن ابن مسعود أنه قرأ : ﴿ **والفجر** ﴾ إلى قوله : ﴿ **إذا يسر** ﴾ ، قال : هذا قسم على ﴿ **إن ربك لبالمرصاد** ﴾ .

وأخرج الفريابى وابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الشعب من طرق عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **قسم لذى حجر**﴾ قال : لذى حجى وعقل ونهى . وأخرج ابن جرير عنه فى قوله : ﴿ **بعاد . إرم** ﴾ ، يعنى بالإرم : الهالك . ألا ترى أنك تقول : أرم بنو فلان . ﴿ **ذات العماد** ﴾ يعنى: طولهم مثل العماد . وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن المقدام بن معدى كرب عن النبىّ ﷺ ؛أنه ذكر ﴿ **إرم**

(١) أحمد ٤/٤٣٨ والترمذى فى التفسير (٣٣٤٢) وقال : « هذا حديث حسن غريب » وابن جرير ٣٠/١٠٩ .
(٢) ابن جرير ٣٠/١٠٨ .

ذات العماد ﴾ فقال : « كان الرجل منهم يأتى إلى الصخرة فيحملها على كاهله ، فيلقيها على أى حى أراد فيهلكهم ». وفى إسناده رجل مجهول ؛ لأن معاوية بن صالح رواه عمن حدثه عن المقدام . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ جابوا الصخر بالواد﴾ قال: خرقوها. وأخرج ابن جرير عنه فى الآية قال: كانوا ينحتون من الجبال بيوتًا . ﴿ وفرعون ذى الأوتاد ﴾ قال : الأوتاد : الجنود الذين يشدون له أمره . وأخرج الحاكم وصححه عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ ذى الأوتاد ﴾ قال : وتد فرعون لامرأته أربعة أوتاد، ثم جعل على ظهرها رحى عظيمة حتى ماتت . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والبيهقى عن ابن عباس فى قوله : ﴿ إن ربك لبالمرصاد﴾ قال : يسمع ويرى . وأخرج الحاكم وصححه ، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ قال : من وراء الصراط جسور ، جسر عليه الأمانة ، وجسر عليه الرحم ، وجسر عليه الرب عز وجل .

﴿ فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلاَّ بَل لاَّ تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (١٧) وَلا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (١٨) وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمًّا (١٩) وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا (٢٠) كَلاَّ إِذَا دُكَّتِ الأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (٢٢) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لاَّ يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (٢٥) وَلا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ (٢٦) يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) ﴾ .

لما ذكر سبحانه أنه بالمرصاد ، ذكر ما يدل على اختلاف أحوال عباده عند إصابة الخير وعند إصابة الشر ، وأن مطمع أنظارهم ، ومعظم مقاصدهم هو الدنيا فقال : ﴿ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه ﴾ أى امتحنه واختبره بالنعم ﴿ فأكرمه ونعمه ﴾ أى أكرمه بالمال ، ووسع عليه رزقه ﴿ فيقول ربى أكرمن ﴾ فرحًا بما نال ، وسرورًا بما أعطى غير شاكر لله على ذلك ، ولا خاطر بباله أن ذلك امتحان له من ربه واختبار لحاله ، وكشف لما يشتمل عليه من الصبر والجزع والشكر للنعمة وكفرانها . و « ما » فى قوله : ﴿ إذا ما ﴾ زائدة . وقوله : ﴿ فأكرمه ونعمه ﴾ تفسير للابتلاء . ومعنى ﴿ أكرمن ﴾ أى فضلنى بما أعطانى من المال ، وأسبغه علىَّ من النعم لمزيد استحقاقى لذلك ، وكونى موضعًا له ، والإنسان مبتدأ ،وخبره :﴿ فيقول ربى أكرمن ﴾. ودخلت الفاء فيه لتضمن إما معنى الشرط . والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر ، وإن تقدم

لفظًا ، فهو مؤخر فى المعنى. أى فأما الإنسان فيقول: ربى أكرمنى وقت ،ابتلائه بالإنعام. قال الكلبى : الإنسان هو الكافر أُبى بن خلف . وقال مقاتل : نزلت فى أمية بن خلف . وقيل : نزلت فى عتبة بن ربيعة وأبى حذيفة بن المغيرة .

﴿ **وأما إذا ما ابتلاه** ﴾ أى اختبره وعامله معاملة من يختبره ﴿ **فقدر عليه رزقه** ﴾ أى ضيقه ولم يوسعه له، ولا بسط له فيه . ﴿ **فيقول ربى أهانن** ﴾ أى أولانى هوانًا . وهذه صفة الكافر الذى لا يؤمن بالبعث ، لأنه لا كرامة عنده إلا الدنيا ، والتوسع فى متاعها ، ولا إهانة عنده إلا فوتها وعدم وصوله إلى ما يريد من زينتها . فأما المؤمن فالكرامة عنده أن يكرمه الله بطاعته، ويوفقه لعمل الآخرة ، ويحتمل أن يراد الإنسان على العموم لعدم تيقظه أن ما صار إليه من الخير ، وما أصيب به من الشر فى الدنيا ليس إلا للاختبار والامتحان ، وأن الدنيا بأسرها لا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ولو كانت تعدل جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء . قرأ نافع بإثبات الياء فى ﴿ **أكرمن** ﴾ و ﴿ **أهانن** ﴾ وصلاً ، وحذفهما وقفًا . وقرأ ابن كثير فى رواية البزى عنه ، وابن محيصن ، ويعقوب بإثباتهما وصلاً ووقفًا . وقرأ الباقون بحذفهما فى الوصل والوقف اتباعًا لرسم المصحف ، ولموافقة رؤوس الآى . والأصل إثباتها ، لأنها اسم . ومن الحذف قول الشاعر :

ومن كاشح ظاهر غمره  إذا ما انتصبت له أنكرن

أى : أنكرنى . وقرأ الجمهور : ﴿ **فقدر** ﴾ بالتخفيف . وقرأ ابن عامر بالتشديد ، وهما لغتان . وقرأ الحرميان، وأبو عمرو : « ربى » بفتح الياء فى الموضعين ، وأسكنها الباقون . وقوله : ﴿ **كلا** ﴾ ردع للإنسان القائل فى الحالتين ما قال وزجر له ، فإن الله سبحانه قد يوسع الرزق ويبسط النعم للإنسان ، لا لكرامته ، ويضيقه عليه ، لا لإهانته ، بل للاختبار والامتحان كما تقدم . قال الفراء : كلا فى هذا الموضع بمعنى أنه لم يكن ينبغى للعبد أن يكون هكذا ، ولكن يحمد الله على الغنى والفقر .

ثم انتقل سبحانه من بيان سوء أقوال الإنسان إلى بيان سوء أفعاله فقال : ﴿ **بل لا تكرمون اليتيم** ﴾ ، والالتفات إلى الخطاب لقصد التوبيخ والتقريع على قراءة الجمهور بالفوقية وقرأ أبو عمرو ويعقوب بالتحتية على الخبر . وهكذا اختلفوا فيما بعد هذا من الأفعال ، فقرأ الجمهور ﴿ **تحاضون** ﴾ ، و ﴿ **تأكلون** ﴾ و ﴿ **تحبون** ﴾ بالفوقية على الخطاب فيها . وقرأ أبو عمرو ويعقوب بالتحتية فيها .والجمع فى هذه الأفعال باعتبار معنى الإنسان لأن المراد به الجنس، أى بل لكم أفعال هى أقبح مما ذكر ، وهى أنكم تتركون إكرام اليتيم ، فتأكلون ماله وتمنعونه من فضل أموالكم . قال مقاتل : نزلت فى قدامة بن مظعون ، وكان يتيمًا فى حجر أمية بن

خلف . ﴿ **ولا تحاضون على طعام المسكين** ﴾ قرأ الجمهور « تحضون » من حضه على كذا ، أى أغراه به ، ومفعوله محذوف ، أى لا تحضون أنفسكم. أولا يحض بعضكم بعضًا على ذلك ، ولا يأمر به ، ولا يرشد إليه . وقرأ الكوفيون ﴿**تحاضون**﴾ بفتح التاء والحاء بعدها ألف ، وأصله تتحاضون ، فحذف إحدى التاءين . أى لا يحض بعضكم بعضًا . وقرأ الكسائى فى رواية عنه ، والسلمى : « تحاضون » بضم التاء من الحض ، وهو الحث . وقوله : ﴿ **على طعام المسكين** ﴾ متعلق بـ ﴿ **تحاضون** ﴾ . وهو إما اسم مصدر ، أى على إطعام المسكين ، أو اسم للمطعوم ، ويكون على حذف مضاف ، أى على بذل طعام المسكين ، أو على إعطاء طعام المسكين ، ﴿ **وتأكلون التراث** ﴾ أصله الوراث ، فأبدلت التاء من الواو المضمومة كما فى تجاه ووجاه . والمراد به أموال اليتامى الذين يرثونه من قراباتهم . وكذلك أموال النساء . وذلك أنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ، ويأكلون أموالهم أكلاً لما ، أى أكلاً شديدًا . وقيل : معنى ﴿ **لما** ﴾ جمعًا من قولهم: لممت الطعام: إذا أكلته جميعًا. قال الحسن: يأكل نصيبه ونصيب اليتيم . وكذا قال أبو عبيدة . وأصل اللم فى كلام العرب: الجمع. يقال لممت الشيء ألُمه لما جمعته . ومنه قولهم: لمَّ الله شعثه ، أى جمع ما تفرق من أموره .ومنه قول النابغة :

ولست بمستبق أخًا لا تلمه  على شعث أى الرجال المهذب

قال الليث : اللم : الجمع الشديد . ومنه حجر ملموم ، وكتيبة ملومة . وللآكل يلم الثريد ، فيجمعه ثم يأكله . وقال مجاهد : يسفه سفًا . وقال ابن زيد : هو إذا أكل ماله ، ألمّ بمال غيره فأكله ، ولا يفكر فيما أكل من خبيث وطيب . ﴿ **وتحبون المال حباً جماً** ﴾ أى حبًا كثيرًا . والجم : الكثير ، يقال : جم الماء فى الحوض إذا كثر واجتمع . والجمة : المكان الذى يجتمع فيه الماء .

ثم كرر سبحانه الردع لهم ،والزجر فقال: ﴿ **كلا** ﴾ أى ما هكذا ينبغى أن يكون عملكم . ثم استأنف سبحانه فقال : ﴿ **إذا دكت الأرض دكا دكا** ﴾، وفيه وعيد لهم بعد الردع والزجر . والدك: الكسر والدق . والمعنى هنا : إنها زلزلت وحركت تحريكًا بعد تحريك . قال ابن قتيبة: دكت جبالها حتى استوت. قال الزجاج : أى تزلزلت ، فدك بعضها بعضًا . قال المبرد: أى بسطت وذهب ارتفاعها . قال : والدك : حط المرتفع بالبسط . وقد تقدم الكلام على الدك فى سورة الأعراف ، وفى سورة الحاقة ، والمعنى : أنها دكت مرة بعد أخرى . وانتصاب ﴿**دكا**﴾ الأول على أنه مصدر مؤكد للفعل . و﴿ **دكا** ﴾ الثانى تأكيد للأول . كذا قال ابن عصفور ، ويجوز أن يكون النصب على الحال ، أى حال كونها مدكوكة مرة بعد مرة كما يقال: علمته الحساب بابًا بابا ، وعلمته الخط حرفًا حرفا . والمعنى : أنه كرر الدك عليها حتى صارت هباء منبثًا .

﴿ **وجاء ربك** ﴾ أى جاء أمره وقضاؤه ، وظهرت آياته . وقيل : المعنى : أنها زالت الشُّبَهُ فى ذلك اليوم ، وظهرت المعارف ، وصارت ضرورية ، كما يزول الشك عند مجىء الشىء الذى كان يشك فيه . وقيل : جاء قهر ربك وسلطانه وانفراده بالأمر والتدبير من دون أن يجعل إلى أحد من عباده شيئًا من ذلك . ﴿ **والملك صفا صفا** ﴾ انتصاب ﴿ **صفًا صفا** ﴾ على الحال ، أى مصطفين ، أو ذوى صفوف . قال عطاء : يريد صفوف الملائكة . وأهل كل سماء صف على حدة . قال الضحاك : أهل كل سماء إذا نزلوا يوم القيامة كانوا صفا محيطين بالأرض ومن فيها ، فيكونون سبعة صفوف . ﴿ **وجىء يومئذ بجهنم** ﴾ ﴿ **يومئذ** ﴾ منصوب بـ ﴿**جىء** ﴾ والقائم مقام الفاعل ﴿ **بجهنم** ﴾ . وجوز مكى أن يكون ﴿**يومئذ**﴾ هو القائم مقام الفاعل ، وليس بذاك . قال الواحدى : قال جماعة من المفسرين : جىء بها يوم القيامة مزمومة بسبعين ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش ، فلا يبقى ملك مقرب ولا نبى مرسل إلا جثا لركبتيه ، يقول : يارب ، نفسى نفسى . وسيأتى الذى هذا نَقْلُه عن جماعة المفسرين مرفوعًا إلى رسول الله إن شاء الله .

﴿ **يومئذ يتذكر الإنسان** ﴾ : ﴿ **يومئذ** ﴾ هذا بدل من ﴿ **يومئذ** ﴾ الذى قبله، أى : يوم جىء بجهنم يتذكر الإنسان، أى: يتعظ . ويذكر ما فرط منه ، ويندم على ما قدمه فى الدنيا من الكفر والمعاصى . وقيل : إن قوله يومئذ الثانى بدل من قوله : ﴿ **إذا دكت** ﴾ ، والعامل فيهما هو قوله : ﴿ **يتذكر الإنسان** ﴾ . ﴿ **وأنى له الذكرى** ﴾ أى ومن أين له التذكر والاتعاظ. وقيل : هو على حذف مضاف أى ومن أين له منفعة الذكرى . قال الزجاج : يظهر التوبة ، ومن أين له التوبة . ﴿ **يقول ياليتنى قدمت لحياتى** ﴾ الجملة مستأنفة جواب سؤال مقدر ، كأنه قيل : ماذا يقول الإنسان ؟ ويجوز أن تكون بدل اشتمال من قوله : ﴿ **يتذكر** ﴾ . والمعنى: يتمنى أنه قدم الخير والعمل الصالح . واللام فى ﴿**لحياتى** ﴾ بمعنى : لأجل حياتى . والمراد : حياة الآخرة ، فإنها الحياة بالحقيقة ، لأنها دائمة غير منقطعة . وقيل : إن اللام بمعنى « فى» . والمراد حياة الدنيا ، أى يا ليتنى قدمت الأعمال الصالحة فى وقت حياتى فى الدنيا ،أنتفع بها هذا اليوم . والأول أولى . قال الحسن : علم والله أنه صادف حياة طويلة لا موت فيها .

﴿ **فيومئذ لا يعذب عذابه أحد** ﴾ أى يوم يكون زمان ما ذكر من الأحوال لا يعذب كعذاب الله أحد ، ﴿**ولا يوثق** ﴾ كـ ﴿ **وثاقه أحد** ﴾ أو لا يتولى عذاب الله ووثاقه أحد سواه ، إذ الأمر كله له . والضميران على التقديرين فى عذابه ووثاقه لله عز وجل ، وهذا على قراءة الجمهور ﴿ **يعذب** ﴾ و ﴿ **يوثق** ﴾ مبنيين للفاعل . وقرأ الكسائى على البناء للمفعول فيهما ، فيكون الضميران راجعين إلى الإنسان أى لا يعذب كعذاب ذلك الإنسان أحد ، ولا يوثق كوثاقه أحد . والمراد بالإنسان الكافر ، أى لا يعذب من ليس بكافر كعذاب الكافر . وقيل : إبليس . وقيل : المراد به أبى بن خلف . قال الفراء : المعنى أنه لا يعذب كعذاب هذا الكافر

المعين أحد ، ولا يوثق بالسلاسل والأغلال كوثاقه أحد ، لتناهيه فى الكفر والعناد . وقيل : المعنى : أنه لا يعذب مكانه أحد ، ولا يوثق مكانه أحد ، فلا تؤخذ منه فدية . وهو كقوله : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ [ الأنعام : ١٦٤ ] ،والعذاب بمعنى التعذيب ، والوثاق بمعنى التوثيق . واختار أبو عبيد وأبو حاتم قراءة الكسائى . قال : وتكون الهاء فى الموضعين ضمير الكافر ، لأنه معروف أنه لا يعذب أحد كعذاب الله . قال أبو على الفارسى : يجوز أن يكون الضمير للكافر على قراءة الجماعة ، أى لا يعذب أحد أحدًا مثل تعذيب هذا الكافر .

ولما فرغ سبحانه من حكاية أحوال الأشقياء ، ذكر بعض أحوال السعداء فقال : ﴿ **ياأيتها النفس المطمئنة** ﴾ المطمئنة هى : الساكنة الموقنة بالإيمان وتوحيد الله ، الواصلة إلى ثلج اليقين بحيث لا يخالطها شك ولا يعتريها ريب . قال الحسن هى المؤمنة الموقنة . وقال مجاهد : الراضية بقضاء الله ، التى علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها ، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها . وقال مقاتل : هى الآمنة المطمئنة . وقال ابن كيسان : المطمئنة بذكر الله . وقيل : المخلصة . قال ابن زيد : المطمئنة لأنها بشرت بالجنة عند الموت وعند البعث . ﴿ **ارجعى إلى ربك**﴾ أى ارجعى إلى الله ﴿ **راضية** ﴾ بالثواب الذى أعطاك . ﴿ **مرضية** ﴾ عنده . وقيل : ارجعى إلى موعده ، وقيل : إلى أمره . وقال عكرمة وعطاء : معنى ﴿ **ارجعى إلى ربك** ﴾ : إلى جسدك الذى كنت فيه ، واختاره ابن جرير . ويدل على هذا قراءة ابن عباس : « فادخلى فى عبدى » بالإفراد . والأول أولى . ﴿ **فادخلى فى عبادى** ﴾ أى فى زمرة عبادى الصالحين ، وكونى من جملتهم ، وانتظمى فى سلكهم .﴿ **وادخلى جنتى** ﴾ معهم . قيل : إنه يقال لها : ارجعى إلى ربك عند خروجها من الدنيا . ويقال لها : ادخلى فى عبادى وادخلى جنتى يوم القيامة . والمراد بالآية كل نفس مطمئنة على العموم ، ولا ينافى ذلك نزولها فى نفس معينة . فالاعتبار بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب .

وقد أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **أكلاً لما** ﴾ قال : سفا . وفى قوله : ﴿ **حبا جما** ﴾ قال : شديدًا . وأخرج ابن جرير عنه : ﴿**أكلا لما** ﴾ قال: شديدًا . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه أيضًا فى قوله : ﴿ **إذا دكت الأرض دكا دكا** ﴾ ، قال : تحريكها . وأخرج مسلم والترمذى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام ، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها » [1] . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس : ﴿ **وأنى له الذكرى** ﴾ يقول : وكيف له . وأخرج ابن أبى حاتم فى

(١) مسلم فى الجنة ( ٢٨٤٢/ ٢٩) والترمذى فى صفة جهنم ( ٢٥٧٣ ) وابن جرير ٣٠/ ١٢٠ .

قوله :﴿فيومئذ لا يعذب ... ﴾ الآية قال : لا يعذب بعذاب الله أحد ، ولا يوثق بوثاقه الله أحد . وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه ، والضياء فى المختارة عنه أيضًا فى قوله : ﴿ يأيتها النفس المطمئنة ﴾ قال : المؤمنة ﴿ ارجعى إلى ربك ﴾ يقول : إلى جسدك . قال : نزلت هذه الآية وأبو بكر جالس ، فقال : يا رسول الله ، ما أحسن هذا ، فقال :« أما أنه سيقال لك هذا » (١) .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه ، وأبو نعيم فى الحلية عن سعيد بن جبير نحوه مرسلاً . وأخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول نحوه عن أبى بكر الصديق .

وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ ياأيتها النفس المطمئنة ﴾ قال : هو النبى ﷺ . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عنه قال : النفس المطمئنة : المصدقة . وأخرج ابن جرير عنه أيضًا فى الآية قال : ترد الأرواح يوم القيامة فى الأجساد . وأخرج ابن أبى حاتم عنه أيضًا فى قوله : ﴿ ارجعى إلى ربك راضية ﴾ قال: بما أعطيت من الثواب ﴿ مرضية ﴾ عنها بعملها . ﴿ فادخلى فى عبادى ﴾ المؤمنين . وأخرج ابن أبى حاتم والطبرانى عن سعيد بن جبير قال : مات ابن عباس بالطائف ، فجاء طير لم ير على خلقته فدخل نعشه ، ثم لم ير خارجاً منه . فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا ندرى من تلاها : ﴿ ياأيتها النفس المطمئنة . ارجعى إلى ربك راضية مرضية . فادخلى فى عبادى . وادخلى جنتى ﴾ . وأخرج أبو نعيم فى الدلائل عن عكرمة مثله .

---

(١) قال ابن كثير ٧/ ٢٩٠ : « حديث مرسل حسن » .

## تفسير سورة البلد

ويقال :سورة ﴿ لا أقسم ﴾ . هى عشرون آية وهى مكية بلا خلاف . وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس ، قال : نزلت سورة ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ بمكة . وأخرج ابن مردويه ، عن ابن الزبير مثله .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالاً لُّبَدًا (٦) أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ (٧) أَلَمْ نَجْعَل لَّهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ (١٠) فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (١١) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (١٢) فَكُّ رَقَبَةٍ (١٣) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (١٥) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (١٦) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (١٧) أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (١٨) وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ (١٩) عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ (٢٠) ﴾ .

قوله : ﴿ لا أقسم ﴾ « لا » زائدة ، والمعنى : أقسم بهذا البلد . وقد تقدم الكلام على هذا فى تفسير ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ﴾ [ القيامة : ١ ] ، ومن زيادة « لا » فى الكلام فى غير القسم قول الشاعر :

تذكرت ليلى فاعترتنى صبابة وكاد صميم القلب لا يتصدع

أى يتصدع . ومن ذلك قوله : ﴿ ما منعك أن لا تسجد ﴾ [ الأعراف : ١٢ ] أى أن تسجد . قال الواحدى: أجمع المفسرون على أن هذا قسم بالبلد الحرام ، وهو مكة . قرأ الجمهور : ﴿ لا أقسم ﴾ ، وقرأ الحسن والأعمش: « لأقسم » من غير ألف . وقيل : هو نفى للقسم . والمعنى : لا أقسم بهذا البلد إذا لم تكن فيه بعد خروجك منه . وقال مجاهد : إن «لا » رد على من أنكر البعث ، ثم ابتدأ فقال : أقسم . والمعنى : ليس الأمر كما تحسبون . والأول أولى . والمعنى : أقسم بالبلد الحرام الذى أنت حل فيه . وقال الواسطى : إن المراد بالبلد : المدينة . وهو مع كونه خلاف إجماع المفسرين هو أيضا مدفوع لكون السورة مكية لا مدنية . وجملة قوله : ﴿ وأنت حل بهذا البلد ﴾ معترضة . والمعنى : أقسم بهذا البلد ﴿ووالد وما ولد . لقد خلقنا الإنسان فى كبد ﴾ واعترض بينهما بهذه الجملة . والمعنى : ومن المكابد أن مثلك على عظيم حرمته يستحل بهذا البلد ، كما يستحل الصيد فى غير الحرم .

وقال الواحدى : الحل والحلال والمحل واحد . وهو ضد المحرم . أحل الله لنبيه ﷺ مكة

يوم الفتح حتى قاتل . وقد قال ﷺ : « لم تحل لأحد قبلى ، ولا تحل لأحد بعدى ، ولم تحل لى إلا ساعة من نهار » (١) . قال : والمعنى أن اللّه لما ذكر القسم بمكة ، دل ذلك على عظم قدرها مع كونها حراماً ، وعد نبيه ﷺ أن يحلها له حتى يقاتل فيها، ويفتحها على يده ، فهذا وعد من اللّه تعالى بأن يحلها له حتى يكون بها حلاً . انتهى . فالمعنى : وأنت حل بهذا البلد فى المستقبل ، كما فى قوله:﴿ إنك ميت وإنهم ميتون ﴾ [ الزمر : ٣٠ ] . قال مجاهد : المعنى : ما صنعت فيه من شىء فأنت حل . قال قتادة : أنت حل به لست بآثم ، يعنى : أنك غير مرتكب فى هذا البلد ما يحرم عليك ارتكابه ، لا كالمشركين الذين يرتكبون فيه الكفر والمعاصى . وقيل : المعنى : لا أقسم بهذا البلد وأنت حال به ، ومقيم فيه وهو محلك . فعلى القول بأن « لا » نافية غير زائدة يكون المعنى : لا أقسم به وأنت حال به. فأنت أحق بالإقسام بك . وعلى القول بأنها زائدة يكون المعنى : أقسم بهذا البلد الذى أنت مقيم به تشريفا لك وتعظيماً لقدرك ، لأنه قد صار بإقامتك فيه عظيماً شريفاً ، وزاد على ما كان عليه من الشرف والعظم . ولكن هذا إذا تقرر فى لغة العرب أن لفظ « حل » يجىء بمعنى حال ، وكما يجوز أن تكون الجملة معترضة يجوز أن تكون فى محل نصب على الحال .

﴿ **ووالد وما ولد** ﴾ عطف على البلد . قال قتادة ومجاهد والضحاك والحسن وأبو صالح : ﴿ **ووالد** ﴾ أى آدم ﴿**وما ولد** ﴾ أى وما تناسل من ولده ، أقسم بهم لأنهم أعجب ما خلق اللّه على وجه الأرض ، لما فيهم من البيان والعقل والتدبير ، وفيهم الأنبياء والعلماء والصالحون . وقال أبو عمران الجونى : الوالد : إبراهيم . وما ولد : ذريته . قال الفراء : إن « ما » عبارة عن الناس ، كقوله : ﴿ ما طاب لكم ﴾ [ النساء : ٣ ] . وقيل : الوالد : إبراهيم ، والولد: إسماعيل ومحمد ﷺ . وقال عكرمة وسعيد بن جبير : ﴿ **ووالد** ﴾ يعنى : الذى يولد له ﴿**وما ولد** ﴾ يعنى : العاقر الذى لا يولد له . وكأنهما جعلا « ما » نافية . وهو بعيد . ولا يصح ذلك إلا بإضمار موصول ، أى ووالد والذى ما ولد . ولا يجوز إضمار الموصول عند البصريين. وقال عطية العوفى : هو عام فى كل والد ومولود من جميع الحيوانات . واختار هذا ابن جرير . ﴿ **لقد خلقنا الإنسان فى كبد** ﴾ هذا جواب القسم . والإنسان هو هذا النوع الإنسانى. والكبد : الشدة والمشقة . يقال : كابدت الأمر : قاسيت شدته . والإنسان لا يزال فى مكابدة الدنيا ومقاساة شدائدها حتى يموت . وأصل الكبد : الشدة . ومنه تكبد اللبن : إذا غلظ واشتد . يقال : كبد الرجل : إذا وجعت كبده . ثم استعمل فى كل شدة ومشقة ، ومنه قول أبى الأصبغ :

لى ابن عم لو أن الناس فى كبد لظل محتجرا بالنبل يرمينى

قال الحسن : يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة ،وقال أيضا :يكابد الشكر على السراء، ويكابد الصبر على الضراء . لا يخلو عن أحدهما . قال الكلبى : نزلت هذه الآية فى رجل من بنى جمح ، يقال له : أبوالأشدين . وكان يأخذ الأديم العكاظى ، ويجعله تحت رجليه

(١) البخارى فى المغازى ( ٤٣١٣ ) عن مجاهد .

ويقول : من أزالنى عنه فله كذا . فيجذبه عشرة حتى يتمزق ولا تزول قدماه ، وكان من أعداء النبى ﷺ . وفيه نزل : ﴿ **أيحسب أن لن يقدر عليه أحد** ﴾ يعنى : لقوته . ويكون معنى ﴿**فى كبد** ﴾ على هذا فى شدة خلق . وقيل : معنى ﴿ **فى كبد** ﴾ : أنه جرىء القلب ، غليظ الكبد . ﴿ **أيحسب أن لن يقدر عليه أحد** ﴾ أى يظن ابن آدم أن لن يقدر عليه ولا ينتقم منه أحد ، أو يظن أبو الأشدين أن لن يقدر عليه أحد ، وأن هى المخففة من الثقيلة ، واسمها ضمير شأن مقدر .

ثم أخبر سبحانه عن مقال هذا الإنسان فقال : ﴿ **يقول أهلكت مالاً لبداً** ﴾ أى كثيراً مجتمعاً بعضه على بعض . قال الليث : مال لبد : لا يخاف فناؤه من كثرته. قال الكلبى ومقاتل : يقول : أهلكت فى عداوة محمد مالاً كثيراً . وقال مقاتل: نزلت فى الحارث بن عامر ابن نوفل ، أذنب فاستفتى النبى ﷺ فأمره أن يكفِّر فقال : لقد ذهب مالى فى الكفارات والنفقات منذ دخلت فى دين محمد . قرأ الجمهور : ﴿ **لبدا** ﴾ بضم اللام وفتح الباء مخففا . وقرأ مجاهد وحميد بضم اللام والباء مخففا . وقرأ أبو جعفر بضم اللام وفتح الباء مشددا . قال أبو عبيدة: لبد فعل من التلبيد ، وهو المال الكثير بعضه على بعض . قال الزجاج : فعل للكثرة . يقال : رجل حطم : إذا كان كثير الحطم . قال الفراء : واحدته لبدة ، والجمع لبد . وقد تقدم بيان هذا فى سورة الجن . ﴿ **أيحسب أن لم يره أحد** ﴾ أى أيظن أنه لم يعاينه أحد . قال قتادة : أيظن أن اللّه سبحانه لم يره ولا يسأله عن ماله من أين كسبه ، وأين أنفقه ؟ وقال الكلبى : كان كاذباً لم ينفق ما قال ، فقال اللّه : أيظن أن اللّه لم ير ذلك منه ، فعل أو لم يفعل ، أنفق أو لم ينفق .

ثم ذكر سبحانه ما أنعم به عليهم ليعتبروا فقال : ﴿ **ألم نجعل له عينين** ﴾ يبصر بهما ﴿**ولسانا** ﴾ ينطق به ﴿**وشفتين**﴾ يستر بهما ثغره . قال الزجاج : المعنى : ألم نفعل به ما يدل على أن اللّه قادر على أن يبعثه ، والشفة محذوفة اللام ، وأصلها شفهة بدليل تصغيرها على شفيهة . ﴿ **وهديناه النجدين** ﴾ النجد : الطريق فى ارتفاع . قال المفسرون : بينا له طريق الخير ، وطريق الشر . قال الزجاج : المعنى : ألم نعرفه طريق الخير وطريق الشر مبينتين كتبين الطريقين العاليتين . وقال عكرمة وسعيد بن المسيب والضحاك : النجدان : الثديان لأنهما كالطريقين لحياة الولد ورزقه . والأول أولى . وأصل النجد : المكان المرتفع ، وجمعه نجود . ومنه سميت نجد لارتفاعها عن انخفاض تهامة . فالنجدان : الطريقان العاليان . ومنه قول امرئ القيس :

فريقان منهم قاطع بطن نخلة وآخر منهم قاطع نجد كبكب

﴿ **فلا اقتحم العقبة** ﴾ الاقتحام :الرمى بالنفس فى شىء من غير روية ، يقال منه :قحم فى الأرض قحوما ، أى رمى بنفسه فيه من غير روية . وتقحيم النفس فى الشىء : إدخالها فيه من غير روية . والقحمة بالضم : المهلكة . والعقبة فى الأصل الطريق التى فى الجبل ، سميت

بذلك لصعوبة سلوكها . وهو مثل ضربه سبحانه لمجاهدة النفس والهوى والشيطان فى أعمال البر ، فجعله كالذى يتكلف صعود العقبة . قال الفراء والزجاج : ذكر سبحانه هنا « لا » مرة واحدة . والعرب لا تكاد تفرد « لا » مع الفعل الماضى فى مثل هذا الموضع حتى يعيدوها فى كلام آخر كقوله : ﴿ فلا صدق ولا صلى ﴾ [القيامة : ٣١ ] وإنما أفردها هنا لدلالة آخر الكلام على معناه ، فيجوز أن يكون قوله : ﴿ **ثم كان من الذين آمنوا** ﴾ قائماً مقام التكرير كأنه قال : فلا اقتحم العقبة ، ولا آمن . قال المبرد وأبو على الفارسى : إن « لا » هنا بمعنى لم ، أى فلم يقتحم العقبة . وروى نحو ذلك عن مجاهد ، فلهذا لم يحتج إلى التكرير ، ومنه قول زهير :

وكان طوى كشحاً على مستكنة فلا هو أبداها ولم يتقدم

أى فلم يبدها ولم يتقدم . وقيل: هوجارى مجرى الدعاء كقولهم : لا نجاء . قال أبو زيد وجماعة من المفسرين: معنى الكلام هنا الاستفهام الذى بمعنى الإنكار . تقديره : أفلا اقتحم العقبة ، أو هلا اقتحم العقبة . ثم بين سبحانه العقبة فقال : ﴿ **وما أدراك ما العقبة** ﴾ أى أىّ شىء أعلمك ما اقتحامها . ﴿ **فك رقبة** ﴾ أى هى إعتاق رقبة وتخليصها من أسار الرق. وكل شىء أطلقته ، فقد فككته . ومنه فك الرهن ، وفك الكتاب . فقد بين سبحانه أن العقبة هى هذه القرب المذكورة التى تكون بها النجاة من النار . قال الحسن وقتادة : هى عقبة شديدة فى النار ، دون الجسر ، فاقتحموها بطاعة اللّه .وقال مجاهد والضحاك والكلبى : هى الصراط الذى يضرب على جهنم كحد السيف . وقال كعب : هى نار دون الجسر . قيل : وفى الكلام حذف ، أى وما أدراك ما اقتحام العقبة ؟ قرأ أبو عمرو وابن كثير والكسائى : « فكَّ رقبةً » على أنه فعل ماضى ، ونصب رقبة على المفعولية. وهكذا قرآ : « أو أطعم » على أنه فعل ماضى . وقرأ الباقون : « فك أو إطعام » على أنهما مصدران ، وجر رقبة بإضافة المصدر إليها، فعلى القراءة الأولى يكون الفعلان بدلاً من اقتحم أو بيانا له كأنه قيل : فلا فك ولا أطعم . والفك فى الأصل : حل القيد ، سمى العتق فكاً لأن الرق كالقيد . وسمى المرقوق رقبة لأنه بالرق كالأسير المربوط فى رقبته . ﴿ **أو إطعام فى يوم ذى مسغبة** ﴾ والمسغبة : المجاعة، والسغب : الجوع . والساغب : الجائع. قال الراغب : يقال منه : سغب الرجل سغباً وسغوباً ، فهو ساغب وسغبان . والمسغبة : مفعلة منه . وأنشد أبو عبيدة :

فلو كنت حراً يابن قيس بن عاصم لما بت شبعاناً وجارك ساغباً

قال النخعى : ﴿ **فى يوم ذى مسغبة** ﴾ : أى عزيز فيه الطعام . ﴿ **يتيماً ذا مقربة** ﴾ أى قرابة. يقال : فلان ذو قرابتى وذو مقربتى . واليتيم فى الأصل : الضعيف . يقال : يتم الرجل : إذا ضعف . واليتيم عند أهل اللغة : من لا أب له. وقيل : هو من لا أب له ولا أم. ومنه قول قيس بن الملوح :

إلى اللّه أشكو فقد ليلى كما شكا إلى اللّه فقد الوالدين يتيم

﴿ **أو مسكيناً ذا متربة**﴾أى لا شىء له كأنه لصق بالتراب لفقره وليس له مأوى إلا التراب، يقال : ترب الرجل يترب تربا ومتربة : إذا افتقر حتى لصق بالتراب ضراً . قال مجاهد : هو الذى لا يقيه من التراب لباس ولا غيره . وقال قتادة: هو ذو العيال . وقال عكرمة : هو المديون . وقال أبو سنان : هو ذو الزمانة . وقال ابن جبير: هو الذى ليس له أحد . وقال عكرمة : هو البعيد التربة ، الغريب عن وطنه . والأول أولى ، ومنه قول الهذلى:

وكنا إذا ما الضيف حل بأرضنا سفكنا دماء البدن فى تربة الحال

قرأ الجمهور : ﴿ **ذى مسغبة** ﴾ على أنه صفة ليوم . و « يتيماً » هو مفعول إطعام . وقرأ الحسن : « ذا مسغبة » بالنصب على أنه مفعول إطعام ، أى يطعمون ذا مسغبة ويتيماً بدل منه. ﴿ **ثم كان من الذين آمنوا** ﴾ عطف على المنفى بلا . وجاء بثم للدلالة على تراضى رتبة الإيمان، ورفعة محله . وفيه دليل على أن هذه القرب إنما تنفع مع الإيمان . وقيل : المعنى : ثم كان من الذين آمنوا بأن هذا نافع لهم . وقيل : المعنى : أنه أتى بهذه القرب لوجه الله . ﴿ **وتواصوا بالصبر** ﴾ معطوف على ﴿ **آمنوا** ﴾ أى أوصى بعضهم بعضا بالصبر على طاعة الله وعن معاصيه، وعلى ما أصابهم من البلايا والمصائب . ﴿ **وتواصوا بالمرحمة** ﴾ أى بالرحمة على عباد الله ، فإنهم إذا فعلوا ذلك ، رحموا اليتيم والمسكين ، واستكثروا من فعل الخير بالصدقة ونحوها . والإشارة بقوله :﴿ **أولئك** ﴾ إلى الموصول باعتبار اتصافه بالصفات المذكورة ﴿**هم أصحاب الميمنة** ﴾ أى أصحاب جهة اليمين ، أو أصحاب اليُمن . أو الذين يعطون كتبهم بأيمانهم . وقيل غير ذلك مما قد قدمنا ذكره فى سورة الواقعة . ﴿**والذين كفروا بآياتنا** ﴾ أى بالقرآن أو بما هو أعم منه ، فتدخل الآيات التنزيلية والآيات التكوينية التى تدل على الصانع سبحانه ﴿ **هم أصحاب المشأمة** ﴾ أى أصحاب الشمال أو أصحاب الشؤم . أوالذين يعطون كتبهم بشمالهم ، أو غير ذلك مما تقدم . ﴿ **عليهم نار مؤصدة** ﴾ أى مطبقة مغلقة ، يقال : أصدت الباب وأوصدته : إذا أغلقته وأطبقته ، ومنه قول الشاعر :

تحــن إلى أجبـال مكــة ناقـتى ومن دونها أبواب صنعاء مؤصده

قرأ الجمهور : « موصدة » بالواو . وقرأ أبو عمرو ، وحمزة ، وحفص بالهمزة مكان الواو. وهما لغتان . والمعنى واحد.

وقد أخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **لا أقسم بهذا البلد** ﴾ قال: مكة ﴿ **وأنت حل بهذا البلد** ﴾ يعنى بذلك : النبى ﷺ : أحل الله له يوم دخل مكة أن يقتل من شاء ويستحيى من شاء . فقتل له يومئذ ابن خَطَل صَبْراً ، وهو آخذ بأستار الكعبة ، فلم يحل لأحد من الناس بعد النبى ﷺ أن يفعل فيها حراماً حرمه الله ، فأحل الله له ما صنع بأهل مكة [1] . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عنه فى قوله : ﴿**لا أقسم بهذا**

(١) ابن جرير ٣٠ / ١٢٤ .

البلد ﴾ قال : مكة . ﴿ وأنت حل بهذا البلد ﴾ قال : أنت يا محمد يحل لك أن تقاتل فيه . وأما غيرك فلا . وأخرج ابن مردويه عن أبى برزة الأسلمى قال : نزلت هذه الآية : ﴿ لا أقسم بهذا البلد . وأنت حل بهذا البلد ﴾ فىَّ ، خرجت فوجدت عبد الله بن خطل وهو معلق بأستار الكعبة ، فضربت عنقه بين الركن والمقام .

وأخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس : ﴿ لا أقسم بهذا البلد ﴾ ، قال : أحل له أن يصنع فيه ما شاء . ﴿ووالد وما ولد ﴾ ، قال : يعنى بالوالد : آدم . وما ولد : ولده . وأخرج الفريابى وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه فى الآية قال : الوالد : الذى يلد ، ﴿ وما ولد ﴾ : العاقر لا يلد من الرجال والنساء . وأخرج ابن جرير والطبرانى عنه أيضاً : ﴿ ووالد ﴾ : قال : آدم . ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى كبد ﴾ قال : فى اعتدال وانتصاب . وأخرج ابن جرير عنه أيضا : ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى كبد ﴾ ، قال : فى نصب . وأخرج ابن جرير عنه أيضاً : ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى كبد ﴾ قال : فى شدة . وأخرج الفريابى وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضاً : ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى كبد ﴾ قال : فى شدة خلق ولادته ، ونبت أسنانه ، ومعيشته ، وختانه . وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا : ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى كبد﴾ قال : خلق الله كل شيء يمشى على أربعة إلا الإنسان فإنه خلق منتصباً . وأخرج ابن أبى حاتم ، وأبو الشيخ فى العظمة عنه أيضا : ﴿ لقد خلقنا الإنسان فى كبد ﴾ قال : منتصباً فى بطن أمه أنه قد وكل به ملك إذا نامت الأم أو اضطجعت رفع رأسه لولا ذلك لغرق فى الدم . وأخرج ابن جرير عنه أيضا فى قوله: ﴿مالا لبدا ﴾ قال : كثيرا .

وأخرج عبد الرزاق والفريابى وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والطبرانى ، والحاكم وصححه عن ابن مسعود فى قوله : ﴿ وهديناه النجدين ﴾ قال : سبيل الخير والشر . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس : ﴿ وهديناه النجدين ﴾ قال : الهدى والضلالة . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير عنه قال : سبيل الخير والشر. وأخرج ابن أبى حاتم من طريق سنان بن سعد عن أنس قال : قال النبى ﷺ : « هما نجدان ، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير» . تفرد به سنان بن سعد . ويقال : سعد بن سنان . وقد وثقه يحيى بن معين . وقال الإمام أحمد والنسائى والجوزجانى: منكر الحديث . وقال أحمد : تركت حديثه لاضطرابه، قد روى خمسة عشر حديثاً منكرة كلها، ما أعرف منها حديثاً واحداً ، يشبه حديثه حديث الحسن البصرى ، لا يشبه حديث أنس. وأخرجه عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن مردويه من طرق عن الحسن قال : ذكر لنا أن النبى ﷺ كان يقول . . . . . . . .فذكره (١) . وهذا مرسل . وكذا رواه قتادة مرسلاً . أخرجه عنه ابن جرير ، ويشهد له ما أخرج الطبرانى عن أبى أمامة ؛ أن النبى ﷺ قال :

(١) ابن جرير ١٢٨/٣٠ .

«يأيها الناس ، إنهما نجدان : نجد خير ونجد شر ، فما جعل نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير » (١) . ويشهد له أيضاً ما أخرجه ابن مردويه عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال : « إنما هما نجدان : نجد الخير ، ونجد الشر ، فلا يكن نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير» . وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم من طرق عن ابن عباس فى قوله: ﴿**وهديناه النجدين** ﴾ قال : الثديين .

وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عمر فى قوله : ﴿ **فلا اقتحم العقبة**﴾ قال : جبل زلال فى جهنم . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : العقبة : النار . وأخرج عبد بن حميد عنه قال : عقبة بين الجنة والنار. وأخرج الحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى سننه عن عائشة قالت : لما نزل ﴿ **فلا اقتحم العقبة** ﴾ قيل : يارسول الله ، ما عند أحدنا ما يعتق إلا أن عند أحدنا الجارية السوداء تخدمه ، فلو أمرناهن بالزنا فجئن بالأولاد فأعتقناهم ، فقال رسول اللّه ﷺ : « لأن أمتع بسوط فى سبيل الله أحب إلىَّ من أن آمر بالزنا ثم أعتق الولد » (٢) . وأخرجه ابن جرير عنها بلفظ : « لعلاقة سوط فى سبيل اللّه أعظم أجراً من هذا ». وقد ثبت الترغيب فى عتق الرقاب بأحاديث كثيرة ، منها فى الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من أعتق رقبة مؤمنة ، أعتق اللّه بكل عضو منها عضواً منه من النار ، حتى الفرج بالفرج » (٣) .

وأخرج الفريابى وابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس : ﴿ **فى يوم ذى مسغبة** ﴾ قال: مجاعة . وأخرج الفريابى وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم عنه ﴿ **فى يوم ذى مسغبة**﴾ قال :جوع . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا : ﴿ **يتيماً ذا مقربة** ﴾ قال : ذا قرابة . وفى قوله : ﴿ **ذا متربة** ﴾ قال : بعيد التربة ، أى غريباً عن وطنه . وأخرج الفريابى وسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه عنه أيضاً : ﴿ **أو مسكيناً ذا متربة** ﴾ قال : هو المطروح الذى ليس له بيت . وفى لفظ للحاكم : هو الذى لا يقيه من التراب شىء . وفى لفظ : هو اللازق بالتراب من شدة الفقر . وأخرج ابن مردويه عن ابن عمر عن النبى ﷺ : ﴿ **مسكيناً ذا متربة** ﴾ قال : « الذى مأواه المزابل » . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس: ﴿ **وتواصوا بالمرحمة** ﴾ يعنى بذلك: رحمة الناس كلهم . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه: ﴿ **مؤصدة**﴾ قال : مغلقة الأبواب . وأخرج الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عن أبى هريرة ﴿ **مؤصدة** ﴾ قال : مطبقة .

---

(١) الطبرانى (٨٠٢٠) وهو جزء من حديث طويل .

(٢) صححه الحاكم ٢/ ٢١٥ على شرط مسلم ، وقال الذهبى : « وسلمة لم يحتج به وقد وثق وضعفه ابن راهويه » والبيهقى ١٠/ ٥٨ .

(٣) البخارى فى العتق (٢٥١٧) ومسلم فى العتق (١٥٠٩/ ٢٢ ، ٢٣) والبيهقى ١٠/ ٢٧٢ .

## تفسير سورة الشمس

هي خمس عشرة آية وهي مكية بلا خلاف . وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت ﴿ والشمس وضحاها ﴾ بمكة . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله . وأخرج أحمد ، والترمذي وحسنه ، والنسائي عن بريدة ؛ أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة العشاء : ﴿ والشمس وضحاها﴾ وأشباهها من السور[١] . وقد تقدم حديث جابر في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال لمعاذ : « هلا صليت بـ ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ ﴿والشمس وضحاها ﴾ ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ »[٢] . وأخرج الطبراني عن ابن عباس أن النبي ﷺ أمره أن يقرأ في صلاة الصبح بـ ﴿ الليل إذا يغشى ﴾ ﴿ والشمس وضحاها﴾[٣] . وأخرج البيهقي في الشعب عن عقبة بن عامر قال : أمرنا رسول الله ﷺ أن نصلي ركعتي الضحى بسورتيهما بـ ﴿ الشمس وضحاها ﴾ و ﴿ الضحى ﴾ .

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤) وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا (٥) وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا (٦) وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا (١٠) كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلا يَخَافُ عُقْبَاهَا (١٥) ﴾ .

أقسم سبحانه بهذه الأمور ، وله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته . وقال قوم : إن القسم بهذه الأمور ونحوها مما تقدم ومما سيأتي هو على حذف مضاف ، أي ورب الشمس ورب القمر ، وهكذا سائرها ، ولا ملجئ إلى هذا ولا موجب له . وقوله : ﴿ وضحاها ﴾ هو قسم ثان . قال مجاهد : ﴿ وضحاها ﴾ أي ضوئها وإشراقها . وأضاف الضحى إلى الشمس لأنه إنما يكون عند ارتفاعها ، وكذا قال الكلبي . وقال قتادة : ﴿ ضحاها ﴾ : نهارها كله . قال الفراء: الضحى هو النهار. وقال المبرد : أصل الضحى : الصبح ، وهو نور الشمس . قال أبو الهيثم : الضحى نقيض الظل . وهو نور الشمس على وجه الأرض . وأصله الضحى . فاستثقلوا الياء فقلبوها ألفاً . قيل : والمعروف عند العرب أن الضحى إذا طلعت الشمس وبعيد ذلك قليلاً ، فإذا زاد فهو الضحاء بالمد . قال المبرد : الضحى والضحوة مشتقان من الضح ،

(١) أحمد ٥/ ٣٥٤ والترمذي في الصلاة (٣٠٩) والنسائي في الصلاة ٢/ ١٧٣ .
(٢) سبق تخريجه .
(٣) الطبراني (١١٢٧٦) وقال الهيثمي في المجمع ٢/ ١٢٢ : « فيه ابن لهيعة وفيه كلام » .

وهو النور ، فأبدلت الألف والواو من الحاء .

واختلف فى جواب القسم ماذا هو ؟ فقيل : هو قوله : ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾ . قاله الزجاج وغيره . قال الزجاج : وحذفت اللام لأن الكلام قد طال فصار طوله عوضاً منها . وقيل : الجواب محذوف ، أى والشمس وكذا لتبعثن . وقيل : تقديره : ليدمدمن الله على أهل مكة لتكذيبهم رسول الله ﷺ كما دمدم على ثمود لأنهم كذبوا صالحاً . وأما ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾ فكلام تابع لقوله : ﴿ **فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ على سبيل الاستطراد ، وليس من جواب القسم فى شىء . وقيل : هو على التقديم والتأخير بغير حذف ، والمعنى : قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها والشمس وضحاها . والأول أولى .

﴿ **والقمر إذا تلاها** ﴾ أى تبعها ، وذلك بأن طلع بعد غروبها . يقال : تلا يتلو تلوا : إذا تبع . قال المفسرون : وذلك فى النصف الأول من الشهر إذا غربت الشمس ، تلاها القمر فى الإضاءة ، وخلفها فى النور . قال الزجاج : تلاها حين استدار ، فكان يتلو الشمس فى الضياء والنور . يعنى : إذا كمل ضوؤه ، فصار تابعاً للشمس فى الإنارة ، يعنى : كان مثلها فى الإضاءة ، وذلك فى الليالى البيض . وقيل : إذا تلا طلوعه طلوعها . قال قتادة : إن ذلك ليلة الهلال إذا سقطت ، رؤى الهلال . قال ابن زيد : إذا غربت الشمس فى النصف الأول من الشهر ، تلاها القمر بالطلوع . وفى آخر الشهر يتلوها بالغروب . وقال الفراء : تلاها : أخذ منها . يعنى أن القمر يأخذ من ضوء الشمس. ﴿ **والنهار إذا جلاها** ﴾ أى جلى الشمس . وذلك أن الشمس عند انبساط النهار تنجلى تمام الانجلاء ، فكأنه جلاها مع أنها التى تبسطه . وقيل : الضمير عائد إلى الظلمة ، أى جلى الظلمة ، وإن لم يجر للظلمة ذكر ، لأن المعنى معروف . قال الفراء : كما تقول : أصبحت باردة ، أى أصبحت غداتنا باردة . والأول أولى، ومنه قول قيس بن الخطيم :

تجلت لنا كالشمس تحت غمامة بدا حاجب منها وضنت بحاجب

وقيل : المعنى : جلى ما فى الأرض من الحيوانات وغيرها بعد أن كانت مستترة فى الليل. وقيل : جلى الدنيا . وقيل: جلى الأرض . ﴿ **والليل إذا يغشاها** ﴾ أى يغشى الشمس ، فيذهب بضوئها ، فتغيب وتظلم الآفاق . وقيل : يغشى الآفاق. وقيل : الأرض ، وإن لم يجر لهما ذكر ، لأن ذلك معروف . والأول أولى . ﴿ **والسماء وما بناها** ﴾ يجوز أن تكون ما مصدرية أى والسماء وبنيانها ويجوز أن تكون موصولة ، أى والذى بناها . وإيثار « ما » على « من » لإرادة الوصفية لقصد التفخيم كأنه قال : والقادر العظيم الشأن الذى بناها . ورجح الأول الفراء والزجاج . ولا وجه لقول من قال : إن جعلها مصدرية مخل بالنظم . ورجح الثانى ابن جرير . ﴿ **والأرض وما طحاها** ﴾ الكلام فى « ما » هذه كالكلام فى التى قبلها. ومعنى ﴿ **طحاها** ﴾ بسطها . كذا قال عامة المفسرين ، كما فى قوله : ﴿ **دحاها** ﴾ قالوا : طحاها ودحاها واحد ، أى بسطها من كل جانب . والطحو : البسط . وقيل : معنى

**﴿طحاها﴾** : قسمها . وقيل : خلقها ، ومنه قول الشاعر :

وما يدرى جذيمة من طحاها ولا من ساكن العرش الرفيع

والأول أولى . والطحو أيضا الذهاب . قال أبوعمرو بن العلاء : طحا الرجل إذا ذهب فى الأرض . يقال : ما أدرى أين طحا ؟ ويقال : طحا به قلبه : إذا ذهب به ، ومنه قول الشاعر :

طحا بك قلب فى الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

**﴿ ونفس وما سواها ﴾** ، والكلام فى « ما » هذه كما تقدم . ومعنى **﴿ سواها ﴾** : خلقها وأنشأها ، وسوى أعضاءها . قال عطاء : يرد جميع ما خلق من الجن والإنس . والتنكير للتفخيم . وقيل : المراد : نفس آدم . **﴿فألهمها فجورها وتقواها ﴾** أى عرفها وأفهمها حالهما، وما فيهما من الحسن والقبح . قال مجاهد : عرفها طريق الفجور والتقوى والطاعة والمعصية . قال الفراء : فألهمها : عرفها طريق الخير ، وطريق الشر ، كما قال : **﴿وهديناه النجدين ﴾** [ البلد : ١٠]. قال محمد بن كعب : إذا أراد اللّه بعبده خيراً ألهمه الخير فعمل به . وإذا أراد به الشر ألهمه الشر فعمل به . قال ابن زيد : جعل فيها ذلك بتوفيقه إياها للتقوى ، وخذلانه إياها للفجور . واختار هذا الزجاج ، وحمل الإلهام على التوفيق والخذلان. قال الواحدى : وهذا هو الوجه لتفسير الإلهام . فإن التبيين والتعليم والتعريف دون الإلهام ، والإلهام أن يوقع فى قلبه ويجعل فيه ، وإذا أوقع الله فى قلب عبده شيئاً ، ألزمه ذلك الشىء. قال : وهذا صريح فى أن الله خلق فى المؤمن تقواه، وفى الكافر فجوره .

**﴿ قد أفلح من زكاها ﴾** أى قد فاز من زكى نفسه وأنماها وأعلاها بالتقوى بكل مطلوب ، وظفر بكل محبوب . وقد قدمنا أن هذا جواب القسم على الراجح . وأصل الزكاة النمو والزيادة، ومنه : زكا الزرع إذا كثر . **﴿وقد خاب من دساها﴾** أى خسر من أضلها وأغواها . قال أهل اللغة : دساها أصله دسسها من التدسيس وهو إخفاء الشىء فى الشىء . فمعنى **﴿دساها ﴾** فى الآية : أخفاها وأخملها ، ولم يشهرها بالطاعة والعمل الصالح . وكانت أجواد العرب تنزل الأمكنة المرتفعة ليشتهر مكانها ، فيقصدها الضيوف . وكانت لئام العرب تنزل الهضاب والأمكنة المنخفضة ليخفض مكانها عن الوافدين . وقيل : معنى **﴿ دساها ﴾** : أغواها، ومنه قول الشاعر:

وأنت الذى دسيت عمرا فأصبحت حلائله منه أرامل ضيعا

وقال ابن الأعرابى : **﴿ وقد خاب من دساها ﴾** أى دس نفسه فى جملة الصالحين وليس منهم . **﴿ كذبت ثمود بطغواها ﴾** الطغوى : اسم من الطغيان ، كالدعوى من الدعاء . قال الواحدى : قال المفسرون : كذبت ثمود بطغيانها ، أى الطغيان حملتهم على التكذيب .

والطغيان : مجاوزة الحد فى المعاصى ، والباء للسببية . وقيل : ﴿**كذبت ثمود بطغواها**﴾ أى بعذابها الذى وعدت به . وسمى العذاب طغوى لأنه طغى عليهم ، فتكون الباء على هذا للتعدية . وقال محمد بن كعب: ﴿ **بطغواها** ﴾ أى بأجمعها . قرأ الجمهور: ﴿ **بطغواها** ﴾ بفتح الطاء . وقرأ الحسن والجحدرى ومحمد بن كعب وحماد بن سلمة بضم الطاء . فعلى القراءة الأولى هو مصدر بمعنى الطغيان . وإنما قلبت الياء والواو للفرق بين الاسم والصفة؛ لأنهم يقلبون الياء فى الأسماء كثيراً ، نحو تقوى وسروى . وعلى القراءة الثانية هو مصدر كالرجعى والحسنى ، ونحوهما . وقيل : هما لغتان . ﴿ **إذ انبعث أشقاها** ﴾ ، العامل فى الظرف ﴿ **كذبت** ﴾ ، أو ﴿ **بطغواها** ﴾ ، أى حين قام أشقى ثمود ، وهو قدار بن سالف ، فعقر الناقة . ومعنى ﴿**انبعث** ﴾ : انتدب لذلك وقام به . يقال : بعثته على الأمر فانبعث له . وقد تقدم بيان هذا فى الأعراف .

﴿ **فقال لهم رسول الله** ﴾ يعنى : صالحاً ﴿ **ناقة الله** ﴾ . قال الزجاج : ﴿ **ناقة الله** ﴾ منصوبة على معنى : ذروا ناقة الله . قال الفراء : حذرهم إياها . وكل تحذير فهو نصب . ﴿**وسقياها** ﴾ معطوف على ناقة ، وهو شربها من الماء . قال الكلبى ومقاتل : قال لهم صالح: ذروا ناقة الله ، فلا تعقروها ، وذروا سقياها ، وهو شربها من النهر فلا تعرضوا له يوم شربها، فكذبوا بتحذيره إياهم . ﴿ **فعقروها** ﴾ أى عقرها الأشقى . وإنما أسند العقر إلى الجميع لأنهم رضوا بما فعله . قال قتادة : إنه لم يعقرها حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم . قال الفراء : عقرها اثنان . والعرب تقول : هذان أفضل الناس ، وهذان خير الناس. فلهذا لم يقل أشقياها .

﴿ **فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها** ﴾ أى أهلكهم وأطبق عليهم العذاب . وحقيقة الدمدمة تضعيف العذاب وترديده . يقال : دمدمت على الشىء ، أى أطبقت عليه . ودمدم عليه القبر ، أى أطبقه . وناقة مدمومة : إذا لبسها الشحم ، والدمدمة : إهلاك باستئصال . كذا قال المؤرج . قاله فى الصحاح : دمدمت الشىء : إذا ألزقته بالأرض وطحطحته . ودمدم الله عليهم ، أى أهلكهم . وقال ابن الأعرابى : دمدم إذا عذب عذاباً تاماً . والضمير فى ﴿**فسواها** ﴾ يعود إلى الدمدمة ، أى فسوى الدمدمة عليهم وعمهم بها فاستوت على صغيرهم وكبيرهم . وقيل : يعود إلى الأرض ، أى فسوى الأرض عليهم فجعلهم تحت التراب . وقيل: يعود إلى الأمة ،أى ثمود . قال الفراء : سوى الأمة : أنزل العذاب بصغيرها وكبيرها ، بمعنى سوى بينهم .قرأ الجمهور : فدمدم بميم بين الدالين . وقرأ ابن الزبير: فدهدم بهاء بين الدالين. قال القرطبى: وهما لغتان كما يقال : امتقع لونه ، واهتقع لونه. ﴿ **ولا يخاف عقباها** ﴾ أى فعل الله ذلك بهم غيرخائف من عاقبة ولا تبعة . والضمير فى ﴿ **عقباها** ﴾ يرجع إلى الفعلة أو إلى الدمدمة المدلول عليها بدمدم . وقال السدى والضحاك والكلبى : إن الكلام يرجع إلى العاقر ، لا إلى الله سبحانه ، أى لم يخف الذى عقرها عقبى ما صنع . وقيل : لا يخاف

رسول الله ﷺ عاقبة إهلاك قومه ولا يخشى ضرراً يعود عليه من عذابهم ، لأنه قد أنذرهم . والأول أولى .قرأ الجمهور : ﴿ **ولا يخاف** ﴾ بالواو . وقرأ نافع وابن عامر بالفاء .

وقد أخرج الحاكم وصححه عن ابن عباس : ﴿ **وضحاها** ﴾ قال : ضوؤها . ﴿ **والقمر إذا تلاها** ﴾ قال : تبعها . ﴿**والنهار إذا جلاها** ﴾ قال : أضاءها . ﴿ **والسماء وما بناها** ﴾ قال : الله بنى السماء . ﴿ **والأرض وما طحاها** ﴾ قال : دحاها . ﴿ **فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ قال: علمها الطاعة والمعصية . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه : ﴿**والأرض وماطحاها** ﴾ يقول : قسمها . ﴿ **فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ قال : من الخير والشر . وأخرج الحاكم وصححه عنه أيضا : ﴿ **فألهمها** ﴾ قال : ألزمها فجورها وتقواها . وأخرج أحمد وعبد ابن حميد ومسلم وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عمران بن حصين ؛ أن رجلاً قال : يا رسول الله ، أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه ، شيء قد قضى عليهم ، ومضى فى قدر قد سبق ، أو فيما يستقبلون مما أتاهم نبيهم ، واتخذت عليهم به الحجة ، قال : « بل شيء قد قضى عليهم » . قال : فلم يعملون إذن ؟ قال : « من كان الله خلقه لواحدة من المنزلتين يهيئه لعملها ، وتصديق ذلك فى كتاب الله ﴿ **ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ » (١) . وسيأتى فى السورة التى بعد هذه نحو هذا الحديث. وأخرج ابن أبى شيبة وأحمد والنسائى عن زيد بن أرقم قال : كان رسول الله ﷺ يقول : « اللهم آت نفسى تقواها، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها » (٢) . وأخرجه ابن المنذر والطبرانى وابن مردويه من حديث ابن عباس. وزاد : كان إذا تلا هذه الآية : ﴿ **ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ قال : فذكره . وزاد أيضاً وهو فى الصلاة (٣) . وأخرج حديث زيد بن أرقم مسلم أيضا (٤) . وأخرج نحوه أحمد من حديث عائشة(٥) .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن عباس : ﴿ **قد أفلح من زكاها** ﴾ : يقول : قد أفلح من زكى الله نفسه . ﴿ **وقد خاب من دساها** ﴾ يقول : قد خاب من دس الله نفسه فأضله . ﴿ **ولا يخاف عقباها** ﴾ قال : لا يخاف من أحد تبعة . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه : ﴿ **وقد خاب من دساها** ﴾ يعنى : مكر بها . وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن مردويه والديلمى من طريق جويبر عن الضحاك عن ابن عباس : سمعت رسول الله ﷺ يقول فى قوله : ﴿**قد أفلح من زكاها** ... ﴾ الآية : « أفلحت نفس زكاها الله ، وخابت نفس خيبها الله من كل خير » . وجويبر ضعيف(٦) . وأخرج ابن جرير عنه أيضا

(١) أحمد ٤/٤٣٨ ومسلم فى القدر ( ٢٦٥٠/ ١٠ ) وابن جرير ٣٠/ ١٣٥ .
(٢) ابن أبى شيبة ( ٩١٧٣ ) وأحمد ٤/ ٣٧١ والنسائى فى الاستعاذة ٨/ ٢٦٠ .
(٣) الطبرانى ( ١١١٩١ ) .
(٤) مسلم فى الذكر ( ٢٧٢٢ / ٧٣ ) . (٥) أحمد ٦/ ٢٠٩ .
(٦) قال ابن كثير ٧/ ٣٠١ : « جويبرمتروك الحديث ، والضحاك لم يلق ابن عباس ».

﴿بطغواها﴾ قال : اسم العذاب الذى جاءها الطغوى ، فقال : كذبت ثمود بعذابها . وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن زمعة ، قال : خطب رسول الله ﷺ ، فذكر الناقة ، وذكر الذى عقرها ، فقال : ﴿ إذا انبعث أشقاها ﴾ قال : « انبعث لها رجل عارم عزيز منيع فى رهطه مثل أبى زمعة » (١) . وأخرج أحمد وابن أبى حاتم والبغوى والطبرانى وابن مردويه والحاكم ، وأبو نعيم فى الدلائل عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله ﷺ لعلى : « ألا أحدثك بأشقى الناس ؟» قال : بلى . قال : « رجلان : أحيمر ثمود الذى عقر الناقة ، والذى يضربك على هذا ــ يعنى » قرنه ــ حتى تبتل منه هذه ــ يعنى : لحيته » (٢) .

(١) البخارى فى التفسير ( ٤٩٤٢ ) ومسلم فى الجنة وصفة نعيمها ( ٢٨٥٥/ ٤٩ ) والنسائى فى التفسير ( ٦٩٥ ) .
(٢) أحمد ٤ / ٢٦٣ ، وصححه الحاكم ٣ / ١٤٠ ، ١٤١ ووافقه الذهبى ، وقال الهيثمى فى المجمع ٩ / ١٣٩ : « رواه أحمد والطبرانى والبزار باختصار ورجال الجميع موثقون ، إلا أن التابعى لم يسمع من عمار » .

## تفسير سورة الليل

هى إحدى وعشرون آية . وهى مكية عند الجمهور . وقيل : مدنية . وأخرج ابن الضريس والنحاس والبيهقى عن ابن عباس قال : نزلت سورة : ﴿ **والليل إذا يغشى** ﴾ بمكة . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله . وأخرج البيهقى فى سننه عن جابر بن سمرة قال : كان النبى ﷺ يقرأ فى الظهر والعصر : ﴿ **والليل إذا يغشى** ﴾ ونحوها (١) . وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن أنس أن رسول الله ﷺ صلى بهم الهاجرة فرفع صوته فقرأ : ﴿ والشمس وضحاها ﴾ ، ﴿**والليل إذا يغشى**﴾ فقال له أبى بن كعب : يا رسول الله أمرت فى هذه الصلاة بشىء ؟ قال : « لا ، ولكن أردت أن أوقت لكم » (٢) . وقد تقدم حديث : « فهلا صليت بـ﴿سبح اسم ربك الأعلى ﴾ ﴿ والشمس وضحاها ﴾ ﴿ **والليل إذا يغشى** ﴾ ؟» . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : إنى لأقول : إن هذه السورة نزلت فى السماحة والبخل : ﴿**والليل إذا يغشى**﴾ .

## بسم الله الرحمن الرحيم

**﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ (١) وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ (٣) إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ (٥) وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ (٦) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ (٧) وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ (١١) إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ (١٢) وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ (١٣) فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ (١٤) لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى (١٥) الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ (١٦) وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ (٢٠) وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ (٢١) ﴾** .

قوله : ﴿ **والليل إذا يغشى** ﴾ أى يغطى بظلمته ما كان مضيئًا . قال الزجاج : يغشى الليل الأفق ، وجميع ما بين السماء والأرض ، فيذهب ضوء النهار ، وقيل: يغشى النهار . وقيل : يغشى الأرض . والأول أولى. ﴿ **والنهار إذا تجلى**﴾ أى ظهر وانكشف ووضح لزوال الظلمة التى كانت فى الليل، وذلك بطلوع الشمس .﴿ **وما خلق الذكر والأنثى** ﴾ « ما » هنا هى الموصولة ، أى والذى خلق الذكر والأنثى ، وعبر عن من بما للدلالة على الوصفية ، ولقصد التفخيم ، أى والقادر العظيم الذى خلق صنفى الذكر والأنثى . قال الحسن والكلبى :

(١) البيهقى ٢ / ٣٩١ .
(٢) رواه الطبرانى فى الأوسط وقال الهيثمى فى المجمع ٢ / ١١٩ : « وفيه أبو الرجال الأنصارى البصرى وهو منكر الحديث » .

معناه : والذى خلق الذكر والأنثى ، فيكون قد أقسم بنفسه . قال أبو عبيدة : ﴿ **وما خلق** ﴾ أى ومن خلق . وقال مقاتل : يعنى: وخلق الذكر والأنثى ، فتكون « ما» على هذا مصدرية . قال الكلبى ومقاتل : يعنى : آدم وحواء ، والظاهر العموم . قرأ الجمهور : ﴿ **وما خلق الذكر والأنثى** ﴾ . وقرأ ابن مسعود : « والذكر والأنثى » بدون « ما خلق » . ﴿ **إن سعيكم لشتى** ﴾ هذا جواب القسم ، أى إن عملكم لمختلف ، فمنه عمل للجنة ، ومنه عمل النار . قال جمهور المفسرين : السعى : العمل ، فساع فى فكاك نفسه ، وساع فى عطبها . و﴿ **شتى** ﴾ جمع شتيت ، كمرض ومريض . وقيل للمختلف : شتى لتباعد ما بين بعضه وبعض .

﴿ **فأما من أعطى واتقى** ﴾ أى بذل ماله فى وجوه الخير ،واتقى محارم الله التى نهى عنها. ﴿ **وصدق بالحسنى** ﴾ أى بالخلف من الله . قال المفسرون : فأما من أعطى المعسرين . وقال قتادة : أعطى حق الله الذى عليه. وقال الحسن: أعطى الصدق من قلبه. ﴿ **وصدق بالحسنى** ﴾ أى بلا إله إلا الله . وبه قال الضحاك والسلمى . وقال مجاهد : بالحسنى : بالجنة. وقال زيد ابن أسلم : بالصلاة والزكاة والصوم . والأول أولى . قال قتادة : ﴿ **بالحسنى** ﴾ أى بموعود الله الذى وعده أن يثيبه . قال الحسن : بالخلف من عطائه . واختار هذا ابن جرير . ﴿ **فسنيسره لليسرى** ﴾ أى فسنهيئه للخصلة الحسنى ، وهى عمل الخير . والمعنى : فسنيسر له الإنفاق فى سبيل الخير ، والعمل بالطاعة لله . قال الواحدى : قال المفسرون: نزلت هذه الآيات فى أبى بكر الصديق اشترى ستة نفرمن المؤمنين كانوا فى أيدى أهل مكة يعذبونهم فى الله(١).

﴿ **وأما من بخل واستغنى** ﴾ أى بخل بماله فلم يبذله فى سبل الخير ﴿ **واستغنى** ﴾ أى زهد فى الأجر والثواب ، أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة . ﴿ **وكذب بالحسنى** ﴾ أى بالخلف من الله عز وجل . وقال مجاهد : بالجنة ، وروى عنه أيضًا أنه قال: بلا إله إلا الله . ﴿ **فسنيسره للعسرى** ﴾ أى فسنهيئه للخصلة العسرى ونسهلها له حتى تتعسر عليه أسباب الخير والصلاح ، ويضعف عن فعلها ، فيؤديه ذلك إلى النار. قال مقاتل : يعسر عليه أن يعطى خيرا . قيل : العسرى : الشر . وذلك أن الشر يؤدى إلى العذاب . والعسرة فى العذاب . والمعنى : سنهيئة للشر بأن نجريه على يديه .وقال الفراء : سنيسره : سنهيئه. والعرب تقول : قد يسرت الغنم: إذا ولدت أو تهيأت للولادة . قال الشاعر :

هما سيِّدانا يزعمان وإنَّما يَسُودانِنا إن يَسَّرت غَنَماهُمَا

﴿ **وما يغنى عنه ماله إذا تردى** ﴾ أى لايغنى عنه شيئًا ماله الذى بخل به، أو أى شىء يغنى عنه إذا تردى ، أى هلك. يقال : ردى الرجل يردى ردى . وتردى يتردى : إذا هلك .

(١) الواحدى فى أسباب النزول ص ٢٥٥ .

وقال قتادة وأبو صالح وزيد بن أسلم : ﴿ **إذا تردى** ﴾ إذا سقط فى جهنم . يقال : ردى فى البئر وتردى : إذا سقط فيها . ويقال : ما أدرى أين ردى ، أى أين ذهب ؟ ﴿ **إن علينا للهدى** ﴾ هذه الجملة مستأنفة مقررة لما قبلها ، أى إن علينا البيان . قال الزجاج : علينا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال . قال قتادة : على الله البيان ، بيان حرامه وطاعته ومعصيته . قال الفراء: من سلك الهدى ، فعلى الله سبيله لقوله: ﴿ وعلى الله قصد السبيل ﴾ [ النحل : ٩ ] يقول : من أراد الله فهو على السبيل القاصد . قال الفراء أيضًا : المعنى : إن علينا للهدى والإضلال ، فحذف الإضلال كقوله: ﴿ سرابيل تقيكم الحر ﴾ [ النحل ٨١ ] وقيل : المعنى : إن علينا ثواب هداه الذى هديناه . ﴿ **وإن لنا للآخرة والأولى** ﴾ أى لنا كل ما فى الآخرة ، وكل ما فى الدنيا نتصرف به كيف نشاء . فمن أرادهما أو إحداهما فليطلب ذلك منا . وقيل : المعنى : إن لنا ثواب الآخرة وثواب الدنيا .

﴿ **فأنذرتكم نارًا تلظى** ﴾ أى حذرتكم وخوفتكم نارًا تتوقد وتتوهج . وأصله : تتلظى ، فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا .وقرأ على الأصل عبيد بن عمير ويحيى بن يعمر وطلحة بن مصرف. ﴿ **لا يصلاها إلا الأشقى** ﴾ أى يصلاها صليًا لازمًا على جهة الخلود إلا الأشقى ، وإن صليها غيره من العصاة فليس صليه كصليه . والمراد بقوله :﴿ **يصلاها** ﴾ : يدخلها أو يجد صلاها ، وهو حرها . ثم وصف الأشقى فقال :﴿ **الذى كذب وتولى** ﴾ أى كذب بالحق الذى جاءت به الرسل ، وأعرض عن الطاعة والإيمان . قال الفراء : ﴿ **إلا الأشقى** ﴾ : إلا من كان شقيًا فى علم الله جل ثناؤه . قال أيضًا : لم يكن كذب برد ظاهر ، ولكن قصر عما أمر به من الطاعة ؛ فجعل تكذيبًا كما تقول : لقى فلان العدو فكذب : إذا نكل ورجع عن اتباعه . قال الزجاج : هذه الآية هى التى من أجلها قال أهل الإرجاء بالإرجاء . فزعموا أنه لا يدخل النار إلا كافر. ولأهل النار منازل . فمنها أن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ، والله سبحانه كل ما وعد عليه بجنس من العذاب، فجدير أن يعذب به . وقد قال : ﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ﴾ [ النساء : ٤٨ ] فلو كان كل من لم يشرك لم يعذب ، لم يكن فى قوله : ﴿ ويغفرما دون ذلك لمن يشاء ﴾ فائدة . وقال فى الكشاف : الآية واردة فى الموازنة بين حالتى عظيم من المشركين ، وعظيم من المؤمنين ، فأريد أن يبالغ فى صفتيهما المتناقضتين، فقيل : الأشقى ، وجعل مختصا بالصلى ، كأن النار لم تخلق إلا له . وقيل : الأتقى ، وجعل مختصا بالنجاة ، كأن الجنة لم تخلق إلا له .

وقيل : المراد بالأشقى : أبو جهل ، أو أمية بن خلف ، وبالأتقى : أبو بكر الصديق . ومعنى ﴿ **سيجنبها الأتقى** ﴾: سيباعد عنها المتقى للكفر اتقاء بالغا . قال الواحدى : الأتقى : أبو بكر الصديق فى قول جميع المفسرين (١) . انتهى . والأولى حمل الأشقى والأتقى على كل متصف بالصفتين المذكورتين . ويكون المعنى : أنه لا يصلاها صليا تاما لازمًا إلا الكامل

---

(١) الواحدى فى أسباب النزول ص ٢٥٥ .

فى الشقاء وهو الكافر . ولا يجنبها ويبعد عنها تبعيدًا كاملاً بحيث لا يحوم حولها فضلاً عن أن يدخلها إلا الكامل فى التقوى . فلا ينافى هذا دخول بعض العصاة من المسلمين النار دخولاً غير لازم ، ولا تبعيد بعض من لم يكن كامل التقوى عن النار تبعيدًا غير بالغ مبلغ تبعيد الكامل فى التقوى عنها .

والحاصل أن من تمسك من المرجئة بقوله : ﴿ **لا يصلاها إلا الأشقى** ﴾ زاعما أن الأشقى الكافر ، لأنه الذى كذب وتولى . ولم يقع التكذيب من عصاة المسلمين . فيقال له : فما تقول فى قوله : ﴿ **وسيجنبها الأتقى** ﴾ فإنه يدل على أنه لا يجنب النار إلا الكامل فى التقوى . فمن لم يكن كاملاً فيها كعصاة المسلمين ، لم يكن ممن يجنب النار . فإن أولت الأتقى بوجه من وجوه التأويل ، لزمك مثله فى الأشقى ، فخذ إليك هذه مع تلك ، وكن كما قال الشاعر :

على أننى راض بأن أحمل الهوى وأخرج منه لا علىَّ ولا ليه

وقيل : أراد بالأشقى والأتقى : الشقى والتقى ، كما قال طرفة بن العبد :

تمنى رجال أن أموت وإن أمت فتلك سبيل لست فيها بأوحد

أى بواحد . ولا يخفاك أنه ينافى هذا وصف الأشقى بالتكذيب . فإن ذلك لا يكون إلا من الكافر . فلا يتم ما أراده قائل هذا القول من شمول الوصفين لعصاة المسلمين . ثم ذكر سبحانه صفة الأتقى فقال : ﴿ **الذى يؤتى ماله** ﴾ أى يعطيه ويصرفه فى وجوه الخير . وقوله : ﴿ **يتزكى** ﴾ فى محل نصب على الحال من فاعل يؤتى ، أى حال كونه يطلب أن يكون عند الله زكياً لا يطلب رياء ولا سمعة . ويجوز أن يكون بدلاً من يؤتى داخلاً معه فى حكم الصلة . قرأ الجمهور: ﴿ **يتزكى** ﴾ مضارع « تزكى ».وقرأ على بن الحسين بن على: «تزكى» بإدغام التاء فى الزاى . ﴿ **وما لأحد عنده من نعمة تجزى** ﴾ الجملة مستأنفة ، لتقرير ما قبلها من كون التزكى على جهة الخلوص غير مشوب بشائبة تنافى الخلوص ، أى ليس ممن يتصدق بماله ليجازى بصدقته نعمة لأحد من الناس عنده ويكافئه عليها . وإنما يبتغى بصدقته وجه الله تعالى . ومعنى الآية : أنه ليس لأحد من الناس عنده نعمة من شأنها أن يجازى عليها حتى يقصد بإيتاء ما يؤتى من ماله مجازاتها . وإنما قال : ﴿ **تجزى** ﴾ مضارعًا مبنيا للمفعول لأجل الفواصل . والأصل يجزيها إياه ، أو يجزيه إياها .

﴿ **إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى** ﴾ قرأ الجمهور : ﴿ **إلا ابتغاء** ﴾ بالنصب على الاستثناء المنقطع لعدم اندراجه تحت جنس النعمة ، أى لكن ابتغاء وجه ربه الأعلى . ويجوز أن يكون منصوبًا على أنه مفعول له على المعنى ، أى لا يؤتى إلا لابتغاء وجه ربه ، لا لمكافأة نعمة . قال الفراء : هو منصوب على التأويل ، أى ما أعطيتك ابتغاء جزائك ، بل ابتغاء وجه الله . وقرأ يحيى بن وثاب بالرفع على البدل من محل نعمة ؛ لأن محلها الرفع ، إما على الفاعلية ، وإما على الابتداء . و« من» مزيدة ، والرفع لغة تميم ، لأنهم يجوزون البدل فى المنقطع ،

ويجرونه مجرى المتصل . قال مكى : وأجاز الفراء الرفع فى «ابتغاء» على البدل من موضع نعمة ، وهو بعيد . قال شهاب الدين : كأنه لم يطلع عليها قراءة واستبعاده هو البعيد ، فإنها لغة فاشية . وقرأ الجمهور أيضًا : ﴿ ابتغاء ﴾ بالمد . وقرأ ابن أبى عبلة بالقصر ، و﴿الأعلى﴾ نعت للرب . ﴿ ولسوف يرضى ﴾ اللام هى الموطئة للقسم ، أى وتالله لسوف يرضى بما نعطيه من الكرامة والجزاء العظيم . قرأ الجمهور : ﴿ يرضى﴾ مبنيًا للفاعل . وقرئ مبنيًا للمفعول .

وقد أخرج ابن المنذر عن ابن عباس : ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ قال : إذا أظلم . وأخرج ابن أبى حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر عن ابن مسعود قال : إن أبا بكر الصديق اشترى بلالاً من أمية بن خلف وأبى بن خلف ببردة وعشر أواق ، فأعتقه لله . فأنزل الله : ﴿ والليل إذا يغشى ﴾ إلى قوله : ﴿ إن سعيكم لشتى ﴾ سعى أبى بكر ، وأمية ، وأبى ، إلى قوله : ﴿وكذب بالحسنى ﴾ قال : لا إله إلا الله ، إلى قوله : ﴿ فسنيسره للعسرى ﴾ قال : النار . وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عباس فى قوله :﴿ فأما من أعطى ﴾ من الفضل : ﴿ واتقى ﴾ قال : اتقى ربه . ﴿ وصدق بالحسنى ﴾ قال : صدق بالخلف من اللّه . ﴿فسنيسره لليسرى ﴾ قال : للخير من الله .﴿ وأما من بخل واستغنى﴾ قال : بخل بماله واستغنى عن ربه . ﴿وكذب بالحسنى﴾، قال بالخلف من الله . ﴿ فسنيسره للعسرى ﴾ قال : للشر من الله . وأخرج ابن جرير عنه : ﴿ وصدق بالحسنى ﴾ قال : أيقن بالخلف . وأخرج ابن جرير عنه أيضًا ﴿وصدق بالحسنى ﴾ يقول : صدق بلا إله إلا الله . ﴿ وأما من بخل واستغنى ﴾ يقول: من أغناه الله فبخل بالزكاة .

وأخرج ابن جرير وابن عساكر عن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : كان أبو بكر يعتق على الإسلام بمكة ، وكان يعتق عجائز ونساء إذا أسلمن ، فقال له أبوه : أى بنى ، أراك تعتق أناسا ضعافًا ، فلو أنك تعتق رجالاً جلدًا يقومون معك ، ويمنعونك ويدفعون عنك . قال: أى أبت ، إنما أريد ما عند الله . قال: فحدثنى بعض أهل بيتى أن هذه الآية نزلت فيه : ﴿فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى . فسنيسره لليسرى ﴾ (١).وأخرج عبد بن حميد وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس فى قوله :﴿ فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى ﴾ قال: أبو بكر الصديق .﴿ وأما من بخل واستغنى. وكذب بالحسنى ﴾ قال : أبو سفيان بن حرب . وأخرج البخارى ، ومسلم وأهل السنن وغيرهم عن على بن أبى طالب قال : كنا مع النبى ﷺ فى جنازة فقال : « ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار » . فقالوا : يا رسول الله ، أفلا نتكل ؟ قال: « اعملوا فكل ميسر لما خلق له. أما من كان من أهل السعادة فييسر لعمل أهل السعادة .وأما من كان من أهل الشقاء فييسر لعمل أهل الشقاء ». ثم قرأ : ﴿ فأما من أعطى واتقى . وصدق بالحسنى ﴾ إلى قوله: ﴿للعسرى ﴾ (٢). وأخرج أحمد

(١) ابن جرير ٣٠/ ١٤٢ .

(٢) البخارى فى التفسير ( ٤٩٤٥ ) ومسلم فى القدر ( ٢٦٤٧ / ٧ ) وأبو داود فى السنة ( ٤٦٩٤ ) والترمذى فى القدر ( ٢١٣٦ ) وقال : «هذا حديث حسن صحيح » والنسائى فى التفسير ( ٦٩٨ ) وابن ماجة فى المقدمة (٧٨ ) وابن جرير ٣٠ / ١٤٣ .

ومسلم وغيرهما عن جابر بن عبد الله أن سراقة بن مالك قال : يا رسول الله فى أى شىء نعمل ؟ أفى شىء ثبتت فيه المقادير وجرت به الأقلام أم فى شىء يستقبل فيه العمل ؟ قال: «بل فى شىء ثبتت فيه المقادير، وجرت فيه الأقلام » . قال سراقة : ففيم العمل إذن يا رسول الله ؟ قال : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » . وقرأ رسول ﷺ هذه الآية : ﴿ **فأما من أعطى واتقى** ﴾ إلى قوله : ﴿ **فسنيسره للعسرى** ﴾ (١) . وقد تقدم حديث عمران بن حصين فى السورة التى قبل هذه . وفى الباب أحاديث من طريق جماعة من الصحابة .

وأخرج ابن جرير عن أبى هريرة قال : لتدخلن الجنة إلا من يأبى . قالوا : ومن يأبى أن يدخل الجنة ؟ فقرأ : ﴿ **الذى كذب وتولى** ﴾ (٢) . وأخرج سعيد بن منصور وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن أبى أمامة قال : لا يبقى أحد من هذه الأمة إلا أدخله الله الجنة ، إلا من شرد على الله كما يشرد البعير السوء على أهله . فمن لم يصدقنى ، فإن الله يقول : ﴿**لا يصلاها إلا الأشقى . الذى كذب وتولى** ﴾ كذب بما جاء به محمد ﷺ وتولى عنه . وأخرج أحمد والحاكم والضياء عن أبى أمامة الباهلى ؛ أنه سئل عن ألين كلمة سمعها من رسول اللّه ﷺ ، فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ألا كلكم يدخل الله الجنة إلا من شرد على الله شراد البعير على أهله » (٣) . وأخرج أحمد وابن ماجة وابن مردويه عن أبى هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ :« لا يدخل النار إلا شقى» . قيل:ومن الشقى؟ قال: « الذى لا يعمل لله بطاعة ، ولا يترك لله معصية » (٤) .

وأخرج أحمد والبخارى عنه قال : قال رسول اللّه ﷺ : « كل أمتى تدخل الجنة يوم القيامة إلا من أبى » . قالوا : ومن يأبى يا رسول الله ؟ قال : « من أطاعنى دخل الجنة ، ومن عصانى فقد أبى » (٥) .

وأخرج ابن أبى حاتم عن عروة أن أبا بكر الصديق أعتق سبعة كلهم يعذب فى الله: بلال وعامر بن فهيرة والنهدية وابنتها وزنيرة وأم عيسى وأمة بنى المؤمل.وفيه نزلت: ﴿**وسيجنبها الأتقى** ﴾ إلى آخر السورة . وأخرج الحاكم وصححه عن عامر بن عبد الله بن الزبير ما قدمنا عنه ، وزاد فيه : فنزلت فيه هذه الآية : ﴿ **فأما من أعطى واتقى** ﴾ إلى قوله : ﴿ **وما لأحد عنده من نعمة تجزى . إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى . ولسوف يرضى** ﴾.وأخرج البزار وابن جرير وابن المنذر والطبرانى وابن مردويه وابن عساكر عنه نحو هذا من وجه آخر . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿**وسيجنبها الأتقى** ﴾ قال : هو أبو بكر الصديق .

---

(١) أحمد ٣ / ٣٠٤ ومسلم فى القدر ( ٢٦٤٨ / ٨ ) وابن ماجة فى المقدمة ( ٩١ ) .
(٢) ابن جرير ٣٠ / ١٤٥ .
(٣) أحمد ٥ / ٢٥٨ وصححه الحاكم ١ / ٥٥ ووافقه الذهبى .
(٤) أحمد ٢ / ٣٤٩ وابن ماجة فى الزهد ( ٤٢٩٨ ) وفى الزوائد : « فى إسناده ابن لهيعة وهو ضعيف » .
(٥) أحمد ٢ / ٣٩١ والبخارى فى الاعتصام ( ٧٢٨٠ ) .

## تفسير سورة الضحى

هى إحدى عشرة آية . وهى مكية بلا خلاف . وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس : نزلت ﴿ والضحى ﴾ بمكة. وأخرج الحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب من طريق أبى الحسن المقرى قال : سمعت عكرمة بن سليمان يقول : قرأت على إسماعيل بن قسطيطين ، فلما بلغت : ﴿ والضحى ﴾ قالً : كبر حتى تختم . وأخبره عبد الله بن كثير أنه قرأ على مجاهد فأمره بذلك . وأخبره مجاهد أن ابن عباس أمره بذلك . وأخبره ابن عباس أن أبى بن كعب أمره بذلك . وأخبره أبى أن رسول الله ﷺ أمره بذلك ، وأبو الحسن المقرى المذكور هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبى بزة المقرى . قال ابن كثير: فهذه سنة تفرد بها أبو الحسن أحمد بن محمد بن عبد الله البزى من ولد القاسم بن أبى بزة ، وكان إمامًا فى القراءات ، وأما فى الحديث فقد ضعفه أبو حاتم الرازى وقال : لا أخذت عنه . وكذلك أبو جعفر العقيلى، قال:هو منكر الحديث . قال ابن كثير : ثم اختلف القراء فى موضع هذا التكبير وكيفيته . فقال بعضهم : يكبر من آخر الليل إذا يغشى . وقال آخرون : من آخر الضحى . وكيفية التكبير عند بعضهم أن يقول : الله أكبر ويقتصر . ومنهم من يقول : الله أكبر لا إله إلا الله ، الله أكبر .

وذكروا فى مناسبة التكبير من أول الضحى أنه لما تأخر الوحى عن رسول الله ﷺ ، وفتر تلك المدة ، ثم جاء الملك، فأوحى إليه ﴿ والضحى . والليل إذا سجى ﴾ السورة ، كبَّر فرحًا وسرورًا، ولم يرووا ذلك بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف. وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن جندب البجلى، قال: اشتكى النبى ﷺ ، فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا ، فأتته امرأة فقالت: يا محمد ، ما أرى شيطانك إلا قد تركك ،لم يقربك ليلتين أو ثلاثًا ، فأنزل الله: ﴿والضحى والليل إذا سجى . ما ودعك ربك وما قلى ﴾ (١). وأخرج الفريابى وعبد بن حميد وسعيد بن منصور وابن جرير والطبرانى وابن مردويه عن جندب قال:أبطأ جبريل عن النبى ﷺ ،فقال المشركون:قد ودع محمد. فنزلت:﴿ ما ودعك ربك وما قلى ﴾ (٢). وأخرج الطبرانى عن جندب قال: احتبس جبريل عن النبى ﷺ ، فقالت بعض بنات عمه:ما أرى صاحبك إلا قد قلاك. فنزلت :﴿ والضحى ﴾ (٣). وأخرجه الترمذى وصححه،وابن أبى حاتم عن جندب وفيه: فقالت امرأة : ما أرى شيطانك إلا قد تركك ، فنزلت:﴿والضحى﴾ (٤).

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ

---

(١) أحمد ٤ / ٣١٢ والبخارى فى التفسير ( ٤٩٥٠ ) ومسلم فى الجهاد والسير ( ١٧٩٧ / ١١٤ ، ١١٥ ) .
(٢) ابن جرير ٣٠ / ١٤٨ والطبرانى ( ١٧١٢ ) . (٣) الطبرانى ( ١٧١٠ ) .
(٤) الترمذى فى التفسير ( ٣٣٤٥ ) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » .

﴿ مِنَ الأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴿٩﴾ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾ ﴾ .

والمراد بالضحى هنا : النهار كله ؛ لقوله : ﴿ والليل إذا سجى ﴾ . فلما قابل الضحى بالليل ، دل على أن المراد به النهار كله لا بعضه . وهو فى الأصل اسم لوقت ارتفاع الشمس كما تقدم فى قوله : ﴿ والشمس وضحاها ﴾ [ الشمس : ١ ] . والظاهر أن المراد به الضحى من غير تعيين . وقال قتادة ومقاتل ،وجعفر الصادق : إن المراد به الضحى الذى كلم الله فيه موسى . والمراد بقوله : ﴿ والليل إذا سجى ﴾ ليلة المعراج .وقيل: المراد بالضحى: هو الساعة التى خر فيها السحرة سجدًا ، كما فى قوله : ﴿ وأن يحشر الناس ضحى ﴾ [ طه : ٥٩ ] . وقيل : المقسم به مضاف مقدر كما تقدم فى نظائره، أى ورب الضحى . وقيل : تقديره : وضحاوة الضحى . ولا وجه لهذا ، فلله سبحانه أن يقسم بما شاء من خلقه .وقيل: الضحى : نور الجنة . والليل : ظلمة النار . وقيل : الضحى : نور قلوب العارفين . والليل : سواد قلوب الكافرين . ﴿والليل إذا سجى ﴾ أى سكن . كذا قال قتادة ومجاهد وابن زيد وعكرمة وغيرهم . يقال : ليلة ساجية ، أى ساكنة. ويقال للعين إذا سكن طرفها : ساجية.يقال: سجا الشيء يسجو سجوًا : إذا سكن . قال عطاء : سجا : إذا غطى بالظلمة . وروى ثعلب عن ابن الأعرابى : سجا : امتد ظلامه . وقال الأصمعى : سجو الليل : تغطيته النهار ، مثل ما يسجى الرجل بالثوب . وقال الحسن : غشى بظلامه . وقال سعيد بن جبير : أقبل . وقال مجاهد أيضا : استوى . والأول أولى. وعليه جمهور المفسرين وأهل اللغة . ومعنى سكونه : استقرار ظلامه واستواؤه ، فلا يزاد بعد ذلك . ﴿ ما ودعك ربك ﴾ هذا جواب القسم ، أى ما قطعك قطع المودع .قرأ الجمهور: ﴿ ما ودعك ﴾ بتشديد الدال من التوديع وهو توديع المفارق . وقرأ ابن عباس وعروة بن الزبير وابنه هاشم وابن أبى عبلة وأبوحيوة بتخفيفها من قولهم : ودعه أى تركه . ومنه قول الشاعر :

سل أميرى ما الذى غيره عن وصالى اليوم حتى ودعه ؟

والتوديع أبلغ فى الودع ؛ لأن من ودعك مفارقًا فقد بالغ فى تركك .قال المبرد: لا يكادون يقولون : ودع ولا وذر لضعف الواو إذا قدمت واستغنوا عنها بترك . قال أبو عبيدة : ودعك من التوديع كما يودع المفارق . وقال الزجاج: لم يقطع الوحى. وقد قدمنا سبب نزول هذه الآية فى فاتحة هذه السورة . ﴿ وما قلى ﴾ القلى : البغض . يقال : قلاه يقليه قلاء قال الزجاج : وما أبغضك . وقال : ﴿ وما قلى ﴾ ولم يقل : وما قلاك ؛ لموافقة رؤوس الآى . والمعنى : وما أبغضك ومنه قول امرئ القيس :

ولست بمقلى الخلال ولا قالى

﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾ اللام جواب قسم محذوف، أى الجنة خير لك من الدنيا، مع أنه ﷺ قد أوتى فى الدنيا من شرف النبوة ما يصغر عنده كل شرف ، ويتضاءل بالنسبة إليه كل مكرمة فى الدنيا ، ولكنها لما كانت الدنيا بأسرها مشوبة بالأكدار ، منغصة بالعوارض البشرية ، وكانت الحياة فيها كأحلام نائم ، أو كظل زائل ، لم تكن بالنسبة إلى الآخرة شيئًا . ولما كانت طريقًا إلى الآخرة ، وسببًا لنيل ما أعده الله لعباده الصالحين من الخير العظيم بما يفعلونه فيها من الأعمال الموجبة للفوز بالجنة ، كان فيها خير فى الجملة من هذه الحيثية . ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ هذه اللام قيل : هى لام الابتداء ، دخلت على الخبر لتأكيد مضمون الجملة، والمبتدأ محذوف تقديره : ولأنت سوف يعطيك . . . إلخ، وليست للقسم ؛ لأنها لا تدخل على المضارع إلا مع النون المؤكدة . وقيل: هى للقسم . قال أبو على الفارسى : ليست هذه اللام هى التى فى قولك : إن زيدًا لقائم . بل هى التى فى قولك : لأقومن ، ونابَت« سوف » عن إحدى نونى التأكيد ، فكأنه قال : وليعطينك . قيل : المعنى : ولسوف يعطيك ربك الفتح فى الدنيا ، والثواب فى الآخرة فترضى. وقيل: الحوض والشفاعة . وقيل : ألف قصر من لؤلؤ أبيض ، ترابه المسك . وقيل : غير ذلك . والظاهر أنه سبحانه يعطيه ما يرضى به من خيرى الدنيا والآخرة . ومن أهم ذلك عنده وأقدمه لديه قبول شفاعته لأمته .

﴿ ألم يجدك يتيما فآوى ﴾ هذا شروع فى تعداد ما أفاضه الله سبحانه عليه من النعم ، أى وجدك يتيمًا لا أب لك ﴿ فآوى ﴾ أى جعل لك مأوى تأوى إليه. قرأ الجمهور: ﴿ فآوى ﴾ بألف بعد الهمزة رباعيًا من آواه يؤويه . وقرأ أبو الأشهب : « فأوى » ثلاثيًا . وهى إما بمعنى الرباعى ، أو هو من أوى له إذا رحمه . وعن مجاهد معنى الآية : ألم يجدك واحدًا فى شرفك لا نظير لك ، فآواك الله بأصحاب يحفظونك ، ويحوطونك ، فجعل يتيمًا من قولهم : درة يتيمة . وهو بعيد جدا . والهمزة لإنكار النفى ، وتقرير المنفى على أبلغ وجه ، فكأنه قال : قد وجدك يتيمًا فآوى . والوجود بمعنى العلم. و﴿يتيمًا ﴾ مفعوله الثانى . وقيل : بمعنى المصادفة . و ﴿ يتيمًا ﴾ حال من مفعوله ﴿ ووجدك ضالا فهدى ﴾ معطوف على المضارع المنفى. وقيل : هو معطوف على ما يقتضيه الكلام الذى قبله كما ذكرنا ، أى قد وجدك يتيمًا فآوى، ووجدك ضالا فهدى . والضلال هنا بمعنى الغفلة ، كما فى قوله : ﴿ لا يضل ربى ولا ينسى ﴾ [ طه:٥٢ ] ، وكما فى قوله : ﴿ وإن كنت من قبله لمن الغافلين ﴾ [ يوسف : ٣ ] . والمعنى: أنه وجدك غافلاً عما يراد بك من أمر النبوة . واختار هذا الزجاج . وقيل: معنى ضالا : لم تكن تدرى القرآن ، ولا الشرائع ، فهداك لذلك . وقال الكلبى والسدى والفراء : وجدك فى قوم ضلال ، فهداهم الله لك . وقيل : وجدك طالبًا للقبلة، فهداك إليها كما فى قوله: ﴿ قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها ﴾ [ البقرة : ١٤٤ ] . ويكون الضلال بمعنى: الطلب. وقيل : وجدك ضائعًا فى قومك فهداك إليه . ويكون الضلال بمعنى :

الضياع. وقيل: وجدك محبًا للهداية، فهداك إليها، ويكون الضلال بمعنى: المحبة، ومنه قول الشاعر:

عجبًا لعزة فى اختيار قطيعتى بعد الضلال فحبلها قد أخلقا

وقيل: وجدك ضالاً فى شعاب مكة فهداك. أى: ردك إلى جدك عبد المطلب. ﴿**ووجدك عائلاً فأغنى**﴾ أى وجدك فقيرًا لا مال لك فأغناك. يقال: عال الرجل يعيل عيلة: إذا افتقر. ومنه قول أحيحة بن الجلاح:

فما يدرى الفقير متى غناه وما يدرى الغنى متى يعيل

أى يفتقر. قال الكلبى: ﴿ **فأغنى** ﴾ أى رضاك بما أعطاك من الرزق. واختار هذا الفراء. قال: لأنه لم يكن غنيًا من كثرة، ولكن الله سبحانه رضاه بما آتاه. وذلك حقيقة الغنى. وقال الأخفش: ﴿ **عائلاً** ﴾: ذا عيال، ومنه قول جرير:

الله أنزل فى الكتاب فريضة لابن السبيل وللفقير العائل

وقيل: فأغنى بما فتح لك من الفتوح. وفيه نظر؛ لأن السورة مكية. وقيل: بمال خديجة بنت خويلد، وقيل: وجدك فقيرًا من الحجج والبراهين فأغناك بها. قرأ الجمهور: ﴿**عائلاً**﴾. وقرأ محمد بن السميفع واليمانى: « عيلاً » بكسر الياء المشددة كسيد. ثم أوصاه سبحانه باليتامى والفقراء فقال: ﴿ **فأما اليتيم فلا تقهر** ﴾ أى لا تقهره بوجه من وجوه القهر كائنا ما كان. قال مجاهد: لا تحقر اليتيم فقد كنت يتيمًا. قال الأخفش: لا تسلط عليه بالظلم، ادفع إليه حقه، واذكر يتمك. قال الفراء والزجاج: لا تقهره على ماله فتذهب بحقه لضعفه. وكذا كانت العرب تفعل فى حق اليتامى تأخذ أموالهم، وتظلمهم حقوقهم. وكان رسول الله ﷺ يحسن إلى اليتيم ويبره، ويوصى باليتامى قرأ الجمهور: ﴿ **فلا تقهر**﴾ بالقاف. وقرأ ابن مسعود، والنخعى والشعبى والأشهب العقيلى: « تكهر » بالكاف، والعرب تعاقب بين القاف والكاف. قال النحاس: إنما يقال: كهره: إذا اشتد عليه وغلظ. وقيل: القهر: الغلبة. والكهر: الزجر. قال أبو حيان: هى لغة. يعنى قراءة الكاف مثل قراءة الجمهور. و﴿ **اليتيم** ﴾ منصوب بـ﴿ **تقهر** ﴾. ﴿ **وأما السائل فلا تنهر** ﴾ يقال: نهره وانتهره: إذا استقبله بكلام يزجره. فهو نهى عن زجر السائل والإغلاظ له، ولكن يبذل له اليسير، أو يرده بالجميل. قال الواحدى: قال المفسرون: يريد السائل على الباب. يقول: لا تنهره إذا سألك فقد كنت فقيرًا. فإما أن تطعمه، وإما أن ترده ردًا لينًا. قال قتادة: معناه: رد السائل برحمة ولين. وقيل: المراد بالسائل: الذى يسأل عن الدين. فلا تنهره بالغلظة والجفوة، وأجبه برفق ولين. كذا قال سفيان. و﴿ **السائل** ﴾ منصوب بـ ﴿ **تنهر** ﴾. والتقدير: مهما يكن من شىء، فلا تقهر اليتيم ولا تنهر السائل.

﴿ وأما بنعمة ربك فحدث ﴾ أمره سبحانه بالتحدث بنعم الله عليه وإظهارها للناس ، وإشهارها بينهم . والظاهر النعمة على العموم من غير تخصيص بفرد من أفرادها ، أو نوع من أنواعها . وقال مجاهد والكلبى : المراد بالنعمة هنا : القرآن. قال الكلبى : وكان القرآن أعظم ما أنعم الله به عليه ، فأمره أن يقرأه . قال الفراء : وكان يقرؤه ويحدث به. وقال مجاهد أيضًا : المراد بالنعمة : النبوة التى أعطاه الله. واختار هذا الزجاج ، فقال : أى بلغ ما أرسلت به وحدث بالنبوة التى آتاك الله ، وهى أجل النعم . وقال مقاتل : يعنى : اشكر ما ذكر من النعمة عليك فى هذه السورة من الهدى بعد الضلالة ، وجبر اليتيم ، والإغناء بعد العيلة ، فاشكر هذه النعم ، والتحدث بنعمة الله شكر . والجار والمجرور متعلق بحدث . والفاء غير مانعة من تعلقه به . وهذه النواهى لرسول الله ﷺ هى نواه له ولأمته ، لأنهم أسوته . فكل فرد من أفراد هذه الأمة منهى بكل فرد من أفراد هذه النواهى .

وقد أخرج ابن جرير عن ابن عباس : ﴿ والليل إذا سجى ﴾ قال : إذا أقبل . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عنه : ﴿ إذا سجى ﴾ ، قال : إذا ذهب . ﴿ما ودعك ربك ﴾ قال :ما تركك ﴿ وما قلى ﴾ ، قال : ما أبغضك . وأخرج الطبرانى فى الأوسط ، والبيهقى فى الدلائل عنه أيضًا قال : قال رسول الله ﷺ : « عرض علىَّ ما هو مفتوح لأمتى بعدى. فأنزل الله: ﴿ وللآخرة خير لك من الأولى ﴾ »[1]. وأخرج ابن أبى شيبة وعبد بن حميد وابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى ، والحاكم وصححه، وابن مردويه والبيهقى وأبو نعيم عنه أيضًا ، قالا : عرض على رسول الله ﷺ ماهو مفتوح على أمته من بعده ، فسر بذلك ، فأنزل الله : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ فأعطاه فى الجنة ألف قصر من لؤلؤ ، ترابه المسك ، فى كل قصر ما ينبغى له من الأزواج والخدم [2].وأخرج البيهقى فى الشعب عن ابن عباس فى قوله : ﴿ ولسوف يعطيك ربك فترضى ﴾ قال:رضاه أن يدخل أمته كلهم الجنة. وأخرج ابن جرير عنه أيضًا فى الآية ، قال : من رضا محمد ألا يدخل أحد من أهل بيته النار. وأخرج الخطيب فى التلخيص من وجه آخر عنه أيضًا فى الآية ، قال: لا يرضى محمد وأحد من أمته فى النار . ويدل على هذا ما أخرجه مسلم عن ابن عمرو؛ أن النبى ﷺ تلا قول الله فى إبراهيم : ﴿ فمن تبعنى فإنه منى ﴾ [ إبراهيم: ٣٦ ] ،وقول عيسى:﴿ إن تعذبهم فإنهم عبادك ﴾ الآية [المائدة: ١١٨ ] فرفع يديه وقال : « اللهم أمتى أمتى ، وبكى » . فقال الله : يا جبريل ، اذهب إلى محمد فقل له : إنا سنرضيك فى أمتك ولا نسوؤك [3] .

(١) قال الهيثمى فى المجمع ٧ / ١٤٢ : « رواه الطبرانى فى الكبير والأوسط وفيه معاوية بن العباس ولم أعرفه ، وبقية رجاله ثقات ، وإسناد الكبير حسن » والبيهقى فى الدلائل ٧ / ٦١ .

(٢) ابن أبى شيبة ( ١٥٨٢٧ ) وابن جرير ٣٠ / ١٤٩ والطبرانى ( ١٠٦٥٠ ) وصححه الحاكم ( ٢ / ٥٢٦ ) وقال الذهبى : « تفرد به عصام بن رواد عن أبيه وقد ضعف » وأبو نعيم ٣ / ٢١٢ وقال : « هذا حديث غريب من حديث على بن عبد الله بن العباس ، لم يروه عنه إلا إسماعيل ، ورواه سفيان الثورى عن الأوزاعى عن إسماعيل مثله » .

(٣) مسلم فى الإيمان ( ٢٠٢ / ٣٤٦ ) .

وأخرج ابن المنذر وابن مردويه ، وأبونعيم فى الحلية من طريق حرب بن شريح قال : قلت لأبى جعفر محمد بن على بن الحسين : أرأيت هذه الشفاعة التى يتحدث بها أهل العراق أحق هى ؟ قال : إى والله ، حدثنى محمد بن الحنفية عن على؛ أن رسول الله ﷺ قال: « أشفع لأمتى حتى يناديني ربى : أرضيت يا محمد ؟ فأقول : نعم يا رب رضيت » . ثم أقبل على فقال : إنكم تقولون يا معشر أهل العراق : إن أرجى آية فى كتاب الله : ﴿ يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعًا ﴾ [ الزمر : ٥٣ ] . قلت: إنا لنقول ذلك. قال: فكنا أهل البيت نقول: إن أرجى آية فى كتاب الله: ﴿**ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ ، وهى الشفاعة .[١] . وأخرج ابن أبى شيبة عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : « إنَّا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى**﴾ »[٢] . وأخرج العسكرى فى المواعظ ، وابن مردويه وابن النجار عن جابر بن عبد الله قال : دخل رسول الله ﷺ على فاطمة وهى تطحن بالرحى ، وعليها كساء من جلد الإبل . فلما نظر إليها ، قال : « يا فاطمة ، تعجلى مرارة الدنيا بنعيم الآخرة » ، فأنزل الله : ﴿ **ولسوف يعطيك ربك فترضى** ﴾ .

وأخرج ابن أبى حاتم والطبرانى ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه والبيهقى وأبو نعيم وابن عساكر عن ابن عباس ؛ أن النبى ﷺ قال : « سألت ربى مسألة وددت أنى لم أكن سألته . قلت: قد كانت قبلى أنبياء منهم من سخرت له الريح ، ومنهم من كان يحيى الموتى، فقال تعالى: يا محمد ، ألم أجدك يتيمًا فآويتك ؟ ألم أجدك ضالاً فهديتك ؟ ألم أجدك عائلاً فأغنيتك ؟ ألم أشرح لك صدرك ؟ ألم أضع عنك وزرك ؟ ألم أرفع لك ذكرك ؟ قلت بلى: يا رب »[٣] . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿ **والضحى** ﴾ على رسول الله ﷺ . قال رسول الله ﷺ . « يمن علىَّ ربى وأهل أن يمن ربى » . وأخرج ابن مردويه عنه فى قوله : ﴿ **ووجدك ضالاً فهدى** ﴾ قال: وجدك بين الضالين فاستنقذك من ضلالتهم. وأخرج ابن أبى حاتم عن الحسن بن على فى قوله : ﴿ **وأما بنعمة ربك فحدث** ﴾ قال : ما علمت من الخير . وأخرج ابن أبى حاتم عنه فى الآية قال : إذا أصبت خيرًا فحدث إخوانك .

وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد المسند ، والبيهقى فى الشعب ، والخطيب فى المتفق ، قال السيوطى: بسند ضعيف ، عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ على المنبر: « من لم يشكر القليل لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله. والتحدث بنعمة الله شكر ، وتركها كفر ، والجماعة رحمة »[٤]. وأخرج أبو داود ، والترمذى وحسنه ، وأبو يعلى

---

(١) أبو نعيم ٣ / ١٧٩ وقال : « هذا حديث لم نكتبه إلا من حديث حرب بن شريح ، ولا رواه عنه إلا عمرو بن عاصم وهو بصرى ثقة » .

(٢) ابن أبى شيبة ( ١٥٥٧٣ ) .

(٣) الطبرانى ( ١٢٢٨٩ ) وصححه الحاكم ٢ / ٥٢٦ ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الدلائل ٧ / ٦٣ .

(٤) البيهقى فى الشعب ( ٩١١٩ ) .

وابن حبان والبيهقى والضياء عن جابر بن عبد الله عن النبى ﷺ قال: « من أبلى بلاء فذكره، فقد شكره ، وإن كتمه فقد كفره » [١] .وأخرج البخارى فى الأدب ، وأبو داود والضياء عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من أعطى عطاء فوجد فليجز به ، فإن لم يجد فليثن به ، فمن أثنى به فقد شكره ، ومن كتمه فقد كفره ، ومن تحلى بما لم يعط ، فإنه كلابس ثوبى زور» [٢]. وأخرج أحمد ، والطبرانى فى الأوسط ، والبيهقى عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ : «من أولى معروفًا فليكافئ به ، فإن لم يستطع فليذكره ، فإن من ذكره فقد شكره»[٣] .

(١) أبو داود فى الأدب ( ٤٨١٤ ) والترمذى فى البر والصلة ( ٢٠٣٤ ) وقال : « حديث حسن غريب » وأبو يعلى ( ٢١٣٧ ) وقال : « إسناده ضعيف وفيه جهالة » ووصله البخارى فى الأدب المفرد ( ٢١٥ ) من طريق يحيى بن أيوب عن عمارة بن غزية عن شرحبيل مولى الأنصار عن جابر ، وابن حبان فى صدقة التطوع ( ٣٤٠٦ ) والبيهقى ٦ / ١٨٢ .

(٢) أبو داود فى الأدب ( ٤٨١٣ ) .

(٣) أحمد ٦ / ٩٠ وقال الهيثمى فى المجمع ٨ / ١٨٤ : « رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه صالح بن أبى الأخضر ، وقد وثق على ضعفه ، وبقية رجال أحمد ثقات » .

## تفسير سورة ألم نشرح

هى ثمان آيات . وهى مكية بلا خلاف . وأخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس قال: نزلت ﴿ ألم نشرح ﴾ بمكة . وزاد بعضهم بعد الضحى . وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت : نزلت سورة ﴿ ألم نشرح ﴾ بمكة .

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ① وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ② الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ ③ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ④ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑤ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ⑥ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ⑦ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ⑧ ﴾ .

معنى شرح الصدر : فتحه بإذهاب ما يصد عن الإدراك . والاستفهام إذا دخل على النفى قرره ، فصار المعنى : قد شرحنا لك صدرك . وإنما خص الصدر ؛ لأنه محل أحوال النفس من العلوم والإدراكات . والمراد: الامتنان عليه ﷺ بفتح صدره وتوسيعه حتى قام بما قال به من الدعوة ، وقدر على ما قدر عليه من حمل أعباء النبوة ، وحفظ الوحى. وقد مضى القول فى هذا عند تفسير قوله : ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ﴾ [ الزمر : ٢٢]. ﴿ ووضعنا عنك وزرك ﴾ معطوف على معنى ما تقدم ، لا على لفظه ، أى قد شرحنا لك صدرك ، ووضعنا . . . إلخ . ومنه قول جرير يمدح عبد الملك بن مروان :

ألستم خير من ركب المطايا وأندى العالمين بطون راح

أى أنتم خير من ركب المطايا ، وأندى . . . إلخ . قرأ الجمهور : ﴿ نشرح ﴾ بسكون الحاء بالجزم . وقرأ أبو جعفر المنصور العباسى بفتحها . قال الزمخشرى : قالوا : لعله بين الحاء وأشبعها فى مخرجها ، فظن السامع أنه فتحها . وقال ابن عطية : إن الأصل : « ألم نشرحن » ، بالنون الخفيفة ، ثم إبدالها ألفًا . ثم حذفها تخفيفًا ، كما أنشد أبو زيد :

من أى يومىَّ من الموت أفر أيوم لم يقدر أم يوم قدر

بفتح الراء من « لم يقدر » . ومثله قوله :

اضرب عنك الهموم طارقها ضربك بالسيف قونس الفرس

بفتح الباء من اضرب . وهذا مبنى على جواز توكيد المجزوم بـ « لم » وهو قليل جدًا كقوله :

يحسبه الجاهل ما لم يعلما شيخًا على كرسيه معمما

فقد تركبت هذه القراءة من ثلاثة أصول ، كلها ضعيفة . الأول: توكيد المجزوم بـ « لم »، وهو ضعيف . الثانى : إبدالها ألفًا ، وهو خاص بالوقف ، فإجراء الوصل مجرى الوقف ضعيف . والثالث : حذف الألف، وهو ضعيف أيضًا ؛ لأنه خلاف الأصل. وخرجها بعضهم على لغة بعض العرب الذين ينصبون بـ « لم » ويجزمون بـ « لن » . ومنه قول الشاعر :

في كل ما هم أمضى رأيه قدمًا ... ولم يشاورَ في إقدامه أحدا

بنصب الراء من « يشاور » . وهذه اللغة لبعض العرب ما أظنها تصح . وإن صحت فليست من اللغات المعتبرة ، فإنها جاءت بعكس ما عليه لغة العرب بأسرها . وعلى كل حال فقراءة هذا الرجل مع شدة جوره ، ومزيد ظلمه ، وكثرة جبروته، وقلة علمه ليست بحقيقة بالاشتغال بها . والوزر : الذنب ، أي وضعنا عنك ما كنت فيه من أمر الجاهلية . قال الحسن وقتادة والضحاك ومقاتل : المعنى : حططنا عنك الذي سلف منك في الجاهلية ، وهذا كقوله : ﴿ ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ﴾ [ الفتح : ٢ ] ثم وصف هذا الوزر فقال : ﴿**الذي أنقض ظهرك** ﴾ . قال المفسرون : أي أثقل ظهرك . قال الزجاج : أثقله حتى سمع له نقيض ، أي صوت . وهذا مثل معناه : أنه لو كان حملاً يحمل ، لسمع نقيض ظهره . وأهل اللغة يقولون : أنقض الحمل ظهر الناقة : إذا سمع له صرير . ومنه قول جميل :

وحتى تداعت بالنقيض حباله ... وهمت ثواني زوره أن تحطما

وقول العباس بن مرداس :

وأنقض ظهري ما تطويت منهم ... وكنت عليهم مشفقًا متحننًا

قال قتادة : كان للنبي ﷺ ذنوب قد أثقلته ، فغفرها الله له . وقوم يذهبون إلى أن هذا تخفيف أعباء النبوة التي تثقل الظهر من القيام بأمرها ، سهل الله ذلك عليه حتى تيسرت له . وكذا قال أبو عبيدة ، وغيره . وقرأ ابن مسعود :« وحللنا عنك وقرك » . ثم ذكرسبحانه منته عليه وكرامته فقال: ﴿ **ورفعنا لك ذكرك** ﴾ قال الحسن : وذلك أن الله لا يذكر في موضع إلا ذكر معه ﷺ . قال قتادة : رفع الله ذكره في الدنيا والآخرة ، فليس خطيب ، ولا متشهد ، ولا صاحب صلاة إلا ينادي فيقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدًا رسول الله . قال مجاهد : ورفعنا لك ذكرك ، يعني : بالتأذين . وقيل : المعنى : ذكرناك في الكتب المنزلة على الأنبياء قبله ، وأمرناهم بالبشارة به . وقيل : رفعنا ذكرك عند الملائكة في السماء وعند المؤمنين في الأرض . والظاهر أن هذا الرفع لذكره الذي امتن الله به عليه يتناول جميع هذه الأمور . فكل واحد منها من أسباب رفع الذكر . وكذلك أمره بالصلاة والسلام عليه وإخباره ﷺ عن الله عز وجل أن من صلى عليه واحدة ، صلى الله عليه بها عشرًا . وأمر الله بطاعته كقوله : ﴿ أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ [ النساء : ٥٩ ] ، وقوله : ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ [ الحشر : ٧ ] ، وقوله : ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني

يحببكم الله ﴾ [آل عمران: ٣١] وغير ذلك. وبالجملة فقد ملأ ذكره الجليل السموات والأرضين ، وجعل الله له من لسان الصدق والذكر الحسن ، والثناء الصالح ما لم يجعله لأحد من عباده ، ﴿ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ [ الحديد : ٢١ ] اللهم صل وسلم عليه وعلى آله عدد ما صلى عليه المصلون بكل لسان فى كل زمان . وما أحسن قول حسان:

أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهود يلوح ويشهد

وضم الإله اسم النبى إلى اسمه ... إذا قال فى الخمس المؤذن أشهد

وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمود وهذا محمد

﴿ فإن مع العسر يسرا ﴾ أى إن مع الضيقة سعة ، ومع الشدة رخاء ، ومع الكرب فرج . وفى هذا وعد منه سبحانه بأن كل عسير يتيسر ، وكل شديد يهون ، وكل صعب يلين . ثم زاد سبحانه هذا الوعد تقريرًا وتأكيدًا فقال مكررًا له بلفظ: ﴿ إن مع العسر يسرا ﴾ أى إن مع ذلك العسر المذكور سابقًا يسرًا آخر لما تقرر من أنه إذا أعيد المعرف يكون الثانى عين الأول ، سواء كان المراد به الجنس أو العهد ، بخلاف المنكر إذا أعيد ، فإنه يراد بالثانى فرد مغاير لما أريد بالفرد الأول فى الغالب. ولهذا قال النبى ﷺ فى معنى هذه الآية : « لن يغلب عسر يسرين». قال الواحدى :وهذا قول النبى ﷺ والصحابة والمفسرين ، على أن العسر واحد ، واليسر اثنان. قال الزجاج: ذكر العسر مع الألف واللام ، ثم ثنى ذكره ، فصار المعنى: إن مع العسر يسرين. قيل : والتنكير فى اليسر للتفخيم والتعظيم ، وهو فى مصحف ابن مسعود غير مكرر. قرأ الجمهور بسكون السين فى العسر واليسر فى الموضعين . وقرأ يحيى بن وثاب وأبو جعفر وعيسى بضمها فى الجميع .

﴿ فإذا فرغت فانصب ﴾ أى إذا فرغت من صلاتك أو من التبليغ، أو من الغزو فانصب، أى فاجتهد فى الدعاء ، واطلب من الله حاجتك ، أو فانصب فى العبادة .والنصب : التعب. يقال : نصب ينصب نصبًا ، أى تعب . قال قتادة والضحاك ومقاتل والكلبى : إذا فرغت من الصلاة المكتوبة فانصب إلى ربك فى الدعاء ، وارغب إليه فى المسألة يعطك ، وكذا قال مجاهد . قال الشعبى : إذا فرغت من التشهد ، فادعو لدنياك وآخرتك. وكذا قال الزهرى. وقال الكلبى أيضًا : إذا فرغت من تبليغ الرسالة فانصب ، أى استغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات . وقال الحسن وقتادة : إذا فرغت من جهاد عدوك فانصب لعبادة ربك . وقال مجاهد أيضًا: إذا فرغت من دنياك فانصب فى صلاتك ، ﴿ وإلى ربك فارغب ﴾ قال الزجاج: أى اجعل رغبتك إلى الله وحده . قال عطاء : يريد أنه يضرع إليه راهبًا من النار ، راغبًا فى الجنة .والمعنى: أنه يرغب إليه سبحانه لا إلى غيره كائنًا من كان ، فلا يطلب حاجاته إلا منه، ولا يعول فى جميع أموره إلا عليه قرأ الجمهور: ﴿ فارغب ﴾ وقرأ زيد بن على وابن أبى عبلة: « فرغب » بتشديد الغين ، أى فرغب الناس إلى الله ، وشوقهم إلى ماعنده من الخير .

وقد أخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ألم نشرح لك صدرك** ﴾ ، قال : شرح الله صدره للإسلام . وأخرج أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن حبان وابن مردويه ، وأبو نعيم فى الدلائل عن أبى سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال : « أتانى جبريل فقال : إن ربك يقول : تدرى كيف رفعت ذكرك ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : إذا ذكرت ذكرت معى » . وإسناد ابن جرير هكذا : حدثنى يونس أخبرنا ابن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث عن دراج عن أبى الهيثم عن أبى سعيد ، وأخرجه أبو يعلى من طريق ابن لهيعة عن دراج . وأخرجه ابن أبى حاتم من طريق يونس بن عبد الأعلى به. وأخرج ابن عساكر من طريق الكلبى عن أبى صالح ، عن ابن عباس فى قوله: ﴿**ورفعنا لك ذكرك** ﴾ الآية ، قال : لا يذكر الله إلا ذكر معه .

وأخرج البزار وابن أبى حاتم ، والطبرانى فى الأوسط ، والحاكم وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب عن أنس ، قال : كان النبى ﷺ جالسًا وحياله جحر، فقال :« لو دخل العسر هذا الجحر ، لجاء اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه » . فأنزل الله : ﴿ **فإن** (١) **مع العسر يسرا** ﴾ ﴿**إن مع العسر يسرا** ﴾ (٢) .ولفظ الطبرانى : وتلا رسول الله ﷺ : ﴿ **فإن مع العسر يسرًا . إن مع العسر يسرا** ﴾ . وأخرج ابن النجار عنه مرفوعًا نحوه . وأخرج الطبرانى وابن مردويه عنه أيضًا مرفوعًا نحوه ، قال السيوطى : وسنده ضعيف . وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وعبد بن حميد ، وابن أبى الدنيا فى الصبر ، وابن المنذر ، والبيهقى فى الشعب عن ابن مسعود مرفوعًا : « لو كان العسر فى جحر ، لتبعه اليسر حتى يدخل فيه فيخرجه ، ولن يغلب عسر يسرين ، إن الله يقول: ﴿ **فإن** (٣) **مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا** ﴾ » (٤) قال البزار: لا نعلم رواه عن أنس إلا عائذ بن شريح . قال فيه أبو حاتم الرازى : فى حديثه ضعف، ولكن رواه شعبة عن معاوية بن قرة عن رجل . عن عبد الله بن مسعود . وأخرج عبد الرزاق وابن جرير والحاكم والبيهقى عن الحسن قال : خرج رسول الله ﷺ يومًا فرحًا مسرورًا ، وهو يضحك ويقول :« لن يغلب عسر يسرين ،﴿ **فإن** (٥) **مع العسر يسرا . إن مع العسر يسرا**﴾ » (٦). وهذا مرسل . وروى نحوه مرفوعًا مرسلا عن قتادة .

وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه من طرق عن

---

(١) فى المخطوطة : « إن ».

(٢) قال الهيثمى فى المجمع ٧ / ١٤٢ : « رواه الطبرانى فى الأوسط والبزار بنحوه ، وفيه عائذ بن شريح وهو ضعيف » والحاكم ٢ / ٢٥٥ وقال : «هذا حديث عجيب غير أن الشيخين لم يحتجا بعائذ بن شريح » وقال الذهبى : «انفرد به حميد بن حماد عن عائذ ، وحميد منكر الحديث كعائذ » والبيهقى فى الشعب ( ١٠٠١٢ ) ط . دار الكتب العلمية .

(٣) فى المطبوعة : « إن» . (٤) البيهقى فى الشعب ( ١٠٠١١ ) ط . دار الكتب العلمية .

(٥) فى المطبوعة : « إن » . (٦) ابن جرير ٣٠ / ١٥١ وسكت عنه الحاكم ٢ / ٥٢٨ وقال الذهبى : « مرسل » .

ابن عباس فى قوله: ﴿ **فإذا فرغت فانصب** ﴾ الآية ، قال : إذا فرغت من الصلاة فانصب فى الدعاء ، واسأل الله وارغب إليه . وأخرج ابن مردويه عنه قال :قال الله لرسوله:« إذا فرغت من الصلاة وتشهدت فانصب إلى ربك واسأله حاجتك » . وأخرج ابن أبى الدنيا فى الذكر عن ابن مسعود : ﴿ **فإذا فرغت فانصب** ﴾ إلى الدعاء . ﴿ **وإلى ربك فارغب** ﴾ فى المسألة . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عنه : ﴿ **فإذا فرغت فانصب** ﴾ قال : إذا فرغت من الفرائض فانصب فى قيام الليل .

## تفسير سورة التين

هى ثمان آيات . وهى مكية فى قول الجمهور . وروى القرطبى عن ابن عباس أنها مدنية . ويخالف هذه الرواية ما أخرجه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس قال : أنزلت سورة التين بمكة . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله . وأخرج البخارى ومسلم وأهل السنن ، وغيرهم عن البراء بن عازب ، قال: كان النبى ﷺ فى سفر ، فصلى العشاء ، فقرأ فى إحدى الركعتين : بـ ﴿ التين والزيتون ﴾ فما سمعت أحداً أحسن صوتاً ولا قراءة منه [١] . وأخرج الخطيب عنه قال: صليت مع رسول الله ﷺ المغرب ، فقرأ: بـ ﴿ التين والزيتون ﴾. وأخرج ابن أبى شيبة فى المصنف، وعبد بن حميد فى مسنده، والطبرانى عن عبد الله بن يزيد ؛ أن النبى ﷺ قرأ فى المغرب : ﴿ والتين والزيتون﴾ [٢] . وأخرج ابن قانع وابن السكن ،والشيرازى فى الألقاب عن زرعة بن خليفة قال: أتيت النبى ﷺ من اليمامة ، فعرض علينا الإسلام فأسلمنا ، فلما صلينا الغداة ، قرأ بـ ﴿ التين والزيتون ﴾ و﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القدر ﴾. [القدر : ١ ] .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ۝٥ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨ ﴾ .

قال أكثر المفسرين : هو التين الذى يأكله الناس ، والزيتون الذى يعصرون منه الزيت . وإنما أقسم بالتين ؛ لأنه فاكهة مخلصة من شوائب التنغيص ، وفيها أعظم عبرة لدلالتها على من هيأها لذلك ، وجعلها على مقدار اللقمة . قال كثير من أهل الطب : إن التين أنفع الفواكه للبدن ، وأكثرها غذاء . وذكروا له فوائد كما فى كتب المفردات والمركبات . وأما الزيتون فإنه يعصر منه الزيت الذى هو إدام غالب البلدان ودهنهم ، ويدخل فى كثير من الأدوية. وقال الضحاك : التين : المسجد الحرام . والزيتون :المسجد الأقصى . وقال ابن زيد : التين : مسجد دمشق. والزيتون : مسجد بيت المقدس. وقال قتادة : التين: الجبل الذى عليه دمشق. والزيتون: الجبل الذى عليه بيت المقدس . وقال عكرمة وكعب الأحبار : التين : دمشق . والزيتون :

---

(١) البخارى فى التفسير ( ٤٩٥٢ ) ومسلم فى الصلاة ( ٤٦٤ / ١٧٥ ) وأبو داود فى الصلاة ( ١٢٢١ ) والترمذى فى الصلاة ( ٣١٠ ) والنسائى فى التفسير ( ٧٠٢ ) وابن ماجة فى الصلاة ( ٨٣٤ ، ٨٣٥ ) .

(٢) ابن أبى شيبة ١/ ٣٥٨ .

بيت المقدس .

وليت شعرى ما الحامل لهؤلاء الأئمة على العدول عن المعنى الحقيقى فى اللغة العربية ، والعدول إلى هذه التفسيرات البعيدة عن المعنى ، المبنية على خيالات لا ترجع إلى عقل ولا نقل. وأعجب من هذا اختيار ابن جرير للآخر منها مع طول باعه فى علم الرواية والدراية . قال الفراء : سمعت رجلاً يقول : التين : جبال حلوان إلى همدان . والزيتون : جبال الشام. قلت : هب أنك سمعت هذا الرجل فكان ماذا ؟ فليس بمثل هذا تثبت اللغة ، ولا هو نقل عن الشارع . وقال محمد بن كعب : التين : مسجد أصحاب الكهف . والزيتون : مسجد إيلياء .وقيل : إنه على حذف مضاف ، أى ومنابت التين والزيتون . قال النحاس : لا دليل على هذا من ظاهر التنزيل ، ولا من قول من لا يجوز خلافه.

﴿ **وطور سينين** ﴾: هو الجبل الذى كلم الله عليه موسى، اسمه الطور. ومعنى ﴿سينين﴾: المبارك الحسن بلغة الحبشة ، قاله قتادة .وقال مجاهد : هو المبارك بالسريانية ، وقال مجاهد والكلبى : ﴿ **سينين** ﴾ : كل جبل فيه شجر مثمر، فهو سينين ، وسيناء بلغة النبط . قال الأخفش : طور : جبل ، وسينين : شجر ، واحدته سينة . قال أبو على الفارسى : سينين : فعليل ، فكررت اللام التى هى نون فيه ، ولم ينصرف سنين ، كما لم ينصرف سيناء ؛ لأنه جعل اسماً للبقعة . وإنما أقسم بهذا الجبل لأنه بالشام ، وهى الأرض المقدسة كما فى قوله : ﴿إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله ﴾ [الإسراء: ١] . وأعظم بركة حلت به ووقعت عليه تكليم الله لموسى عليه . قرأ الجمهور: ﴿ **سينين** ﴾ بكسر السين. وقرأ ابن إسحاق وعمرو بن ميمون وأبو رجاء بفتحها ، وهى لغة بكر وتميم . وقرأ عمر بن الخطاب وابن مسعود والحسن وطلحة : « سيناء » بالكسر والمد . ﴿ **وهذا البلد الأمين** ﴾ يعنى : مكة . سماه أميناً لأنه آمن، كما قال : ﴿ أَنَّا جعلنا حرماً آمناً ﴾ [العنكبوت: ٦٧ ] . يقال : أمن الرجل أمانة فهو أمين . قال الفراء وغيره : الأمين بمعنى الآمن . ويجوز أن يكون فعيلا بمعنى مفعول من أمنه ؛ لأنه مأمون الغوائل .

﴿ **لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم** ﴾ هذا جواب القسم ، أى خلقنا جنس الإنسان كائنا فى أحسن تقويم وتعديل. قال الواحدى : قال المفسرون : إن الله خلق كل ذى روح مكباً على وجهه إلا الإنسان ، خلقه مديد القامة ، يتناول مأكوله بيده . ومعنى التقويم : التعديل . يقال : قومته فاستقام . قال القرطبى : هو اعتداله واستواء شأنه . كذا قال عامة المفسرين . قال ابن العربى : ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان ، فإن الله خلقه حيا ، عالما ، قادرا ، مريدا ، متكلما ، سميعا ، بصيرا ، مدبرا ، حكيما . وهذه صفات الرب سبحانه . وعليها حمل بعض العلماء قوله ﷺ : « إن الله خلق آدم على صورته » [1] يعنى على صفاته التى

(١) مسلم فى البر والصلة ( ٢٦١٢/ ١١٥ ) .

تقدم ذكـرها . قلت: وينبغي أن يضـم إلى كلامـه هـذا قوله سبحانه: ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ [الشورى : ١١ ] وقوله : ﴿ ولا يحيطون به علما ﴾ [ طه : ١١٠ ] ومن أراد أن يقف على حقيقة ما اشتمل عليه الإنسان من بديع الخلق وعجيب الصنع ، فلينظر فى كتاب : « العبر والاعتبار » للجاحظ . وفى الكتاب الذى عقده النيسابورى على قوله : ﴿ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ﴾ [ الذاريات : ٢١ ] وهو في مجلدين ضخمين .

﴿ **ثم رددناه أسفل سافلين** ﴾ أى رددناه إلى أرذل العمر ، وهو الهرم والضعف ، بعد الشباب والقوة ، حتى يصير كالصبى ، فيخرف وينقص عقله . كذا قال جماعة من المفسرين . قال الواحدى : والسافلون : هم الضعفاء ، والزمناء ، والأطفال . والشيخ الكبير أسفل هؤلاء جميعاً . وقال مجاهد وأبو العالية والحسن : المعنى : ثم رددنا الكافر إلى النار ، وذلك أن النار درجات ، بعضها أسفل من بعض . فالكافر يرد إلى أسفل الدرجات السافلة . ولا ينافى هذا قوله تعالى : ﴿إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ﴾ [ النساء : ٤٥ ] فلا مانع من كون الكفار والمنافقين مجتمعين فى ذلك الدرك الأسفل . وقوله : ﴿ **أسفل سافلين** ﴾ إما حال من المفعول ، أى رددناه حال كونه أسفل سافلين ، أو صفة لمقدر محذوف ، أى مكانا أسفل سافلين . ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ هذا الاستثناء على القول الأول منقطع ، أى لكن الذين آمنوا . . . إلخ . ووجهه أن الهرم والرد إلى أرذل العمر يصاب به المؤمن كما يصاب به الكافر ، فلا يكون لاستثناء المؤمنين على وجه الاتصال معنى . وعلى القول الثانى يكون الاستثناء متصلا من ضمير ﴿ **رددناه** ﴾ ، فإنه فى معنى الجمع ، أى رددنا الإنسان أسفل سافلين من النار ، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴿ **فلهم أجر غير ممنون** ﴾ أى غير مقطوع ، أى فلهم ثواب دائم غير منقطع على طاعتهم . فهذه الجملة على القول الأول مبينة لكيفية حال المؤمنين ، وعلى القول الثانى مقررة لما يفيده الاستثناء من خروج المؤمنين عن حكم الرد . وقال: ﴿ **أسفل سافلين** ﴾ على الجمع ؛ لأن الإنسان فى معنى الجمع . ولو قال : أسفل سافل لجاز ؛ لأن الإنسان باعتبار اللفظ واحد . وقيل : معنى ﴿ **رددناه أسفل سافلين** ﴾ : رددناه إلى الضلال ، كما قال : ﴿ إن الإنسان لفى خسر . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ [ العصر: ٢ ، ٣ ] أى إلا هؤلاء فلا يردون إلى ذلك .

﴿ **فما يكذبك بعد بالدين** ﴾ الخطاب للإنسان الكافر . والاستفهام للتقريع والتوبيخ وإلزام الحجة ، أى إذا عرفت أيها الإنسان أن الله خلقك فى أحسن تقويم ، وأنه يردك أسفل سافلين ، فما يحملك على أن تكذب بالبعث والجزاء ؟ وقيل : الخطاب للنبى ﷺ ، أى أى شيء يكذبك يا محمد بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة ، فاستيقن مع ما جاءك من الله أنه أحكم الحاكمين . قال الفراء والأخفش : المعنى : فمن يكذبك أيها الرسول بعد هذا البيان بالدين . كأنه قال : من يقدر على ذلك ؟ أى على تكذيبك بالثواب والعقاب بعد ما ظهر من قدرتنا على خلق الإنسان ما ظهر . واختار هذا ابن جرير . والدين : الجزاء ، ومنه قول الشاعر :

دنا تميماً كما كانت أوائلنا دانت أوائلهم من سالف الزمن

وقال الآخر :

ولما صرح الشر فأمسى وهو عريان

ولم يبق سوى العدوا ن دنَّاهم كما دانوا

﴿ **أليس الله بأحكم الحاكمين** ﴾ أى أليس الذى فعل ما فعل مما ذكرنا بأحكم الحاكمين صنعاً وتدبيراً ؟ حتى تتوهم عدم الإعادة والجزاء . وفيه وعيد شديد للكفار . ومعنى ﴿ **أحكم الحاكمين** ﴾ : أتقن الحاكمين فى كل ما يخلق . وقيل: أحكم الحاكمين قضاء وعدلاً . والاستفهام إذا دخل على النفى صار الكلام إيجاباً كما تقدم تفسير قوله : ﴿ ألم نشرح لك صدرك ﴾ [ الشرح : ١ ] .

وقد أخرج الخطيب وابن عساكر ، قال السيوطى : بسند فيه مجهول ، عن الزهرى عن أنس قال : لما أنزلت سورة ﴿**التين والزيتون** ﴾ على رسول الله ﷺ ، فرح فرحا شديدا ، حتى تبين لنا شدة فرحه ، فسألنا ابن عباس عن تفسيرها، فقال : التين : بلاد الشام . والزيتون : بلاد فلسطين . وطور سيناء : الذى كلم الله عليه موسى . ﴿**وهذا البلد الأمين** ﴾ : مكة ﴿ **لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم** ﴾ : محمدا ﴿ **ثم رددناه أسفل سافلين**﴾: عبدة اللات والعزى . ﴿ **إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون** ﴾ : أبو بكر وعمر وعثمان وعلى ﴿**فما يكذبك بعد بالدين . أليس الله بأحكم الحاكمين** ﴾ إذ بعثك فيهم نبياً ، وجمعك على التقوى يا محمد . ومثل هذا التفسير من ابن عباس لا تقوم به حجة لما تقدم من كون فى إسناده ذلك المجهول .

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **والتين والزيتون** ﴾ قال : مسجد نوح الذى بنى على الجودى ﴿ **والزيتون** ﴾ قال : بيت المقدس ﴿**وطور سينين** ﴾ قال : مسجد الطور . ﴿**وهذا البلد الأمين** ﴾ قال: مكة ﴿ **لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم . ثم رددناه أسفل سافلين** ﴾ يقول : يرد إلى أرذل العمر ، كبر حتى ذهب عقله . هم نفر كانوا على عهد رسول الله ﷺ ، فسئل رسول الله ﷺ حين سفهت عقولهم ، فأنزل الله عذرهم أن لهم أجرهم الذى عملوا قبل أن تذهب عقولهم . ﴿ **فما يكذبك بعد بالدين** ﴾ يقول : بحكم الله . وأخرج ابن مردويه عنه نحوه . وأخرج ابن أبى حاتم ، والحاكم وصححه عنه أيضا : ﴿ **والتين والزيتون** ﴾ قال : الفاكهة التى يأكلها الناس ﴿**وطور سينين** ﴾ قال : الطور : الجبل . السينين : المبارك . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه أيضا قال: ﴿ **سينين** ﴾ : هو الحسن . وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عنه أيضا : ﴿ **لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم** ﴾ قال : فى أعدل خلق ﴿ **ثم رددناه أسفل سافلين** ﴾ يقول : إلى أرذل العمر ﴿ **إلا الذين آمنوا**

**وعملوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون ﴾** يعنى : غير منقوص . يقول : فإذا بلغ المؤمن أرذل العمر، وكان يعمل فى شبابه عملاً صالحاً ، كتب له من الأجر مثل ما كان يعمل فى صحته وشبابه ، ولم يضره ما عمل فى كبره ، ولم تكتب عليه الخطايا التى يعمل بعد ما يبلغ أرذل العمر .

وأخرج الحاكم وصححه ، والبيهقى فى الشعب عن ابن عباس قال : من قرأ القرآن ، لم يرد إلى أرذل العمر ، وذلك قوله : ﴿ **ثم رددناه أسفل سافلين . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾** قال : لا يكون حتى لا يعلم من بعد علم شيئا . وأخرج ابن أبى حاتم عنه : ﴿**ثم رددناه أسفل سافلين ﴾** يقول : إلى الكبر وضعفه . فإذا كبر وضعف عن العمل ، كتب له مثل أجر ما كان يعمل فى شبيبته . وأخرج أحمد والبخارى وغيرهما عن أبى موسى قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مرض العبد أو سافر ، كتب الله له من الأجر مثل ما كان يعمل صحيحا مقيماً»(١) . وأخرج الترمذى وابن مردويه عن أبى هريرة مرفوعا : « من قرأ : ﴿ **التين والزيتون ﴾** فقرأ : ﴿ **أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾** فليقل : بلى ، وأنا على ذلك من الشاهدين » (٢) . وأخرج ابن مردويه عن جابر مرفوعا : « إذا قرأت: ﴿ **التين والزيتون ﴾** فقرأت : ﴿ **أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾** فقل : بلى » . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس ؛ أنه كان إذا قرأ: ﴿ **أليس الله بأحكم الحاكمين ﴾** قال : سبحانك اللهم فبلى . ا . هـ .

---

(١) أحمد ٤/ ٤١٠ والبخارى فى الجهاد ( ٢٩٩٦ ) .

(٢) الترمذى فى التفسير ( ٣٣٤٧ ) .

## تفسير سورة اقرأ

ويقال : سورة العلق . وهى تسع عشرة آية . وقيل : عشرون آية . وهى مكية بلا خلاف. وهى أول ما نزل من القرآن. وأخرج ابن مردويه من طرق عن ابن عباس ، قال : أول ما نزل من القرآن : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ . وأخرج ابن أبى شيبة ،وابن الضريس وابن الأنبارى والطبرانى ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه وأبو نعيم فى الحلية عن أبى موسى الأشعرى قال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ أول سورة أنزلت على محمد(١). وأخرج ابن جرير ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى وصححه عن عائشة قالت : إن أول ما نزل من القرآن : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾(٢) ويدل على أن هذه السورة أول ما نزل ، الحديث الطويل الثابت فى البخارى ومسلم وغيرهما من حديث عائشة، وفيه : «فجاءه الحق وهو فى غار حراء فقال له : ﴿ اقرأ ﴾ . . . » الحديث (٣) . وفى الباب أحاديث وآثار عن جماعة من الصحابة . وقد ذهب الجمهور إلى أن هذه السورة أول ما نزل من القرآن .

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلاَّ إِنَّ الإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ﴿٦﴾ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجْعَىٰ ﴿٨﴾ أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلاَّ لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلاَّ لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴿١٩﴾ ﴾ .

قرأ الجمهور : ﴿ اقرأ ﴾ بسكون الهمزة أمرًا من القراءة ، وقرأ عاصم فى رواية عنه بفتح الراء ، وكأنه قلب الهمزة ألفا ، ثم حذفها للأمر . والأمر بالقراءة يقتضى مقروءًا فالتقدير : اقرأ ما يوحى إليك ، أوما نزل عليك ، أو ما أمرت بقراءته وقوله : ﴿ باسم ربك ﴾ متعلق بمحذوف هو حال ، أى اقرأ ملتبسًا باسم ربك ، أو مبتدئًا باسم ربك ، أو مفتتحًا . ويجوز أن تكون الباء زائدة ، والتقدير : اقرأ اسم ربك ، كقول الشاعر :

سود المحاجر لا يَقْرأن بالسور

---

(١) ابن أبي شيبة ( ١٠٢٦٩ ) وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ١٤٢ : « رواه الطبرانى ورجاله رجال الصحيح » وأبو نعيم فى الحلية ١/ ٢٥٦ .

(٢) ابن جرير ٣٠/ ١٦١ وصححه الحاكم ٢/ ٥٢٩ على شرط مسلم ووافقه الذهبى ، والبيهقى ٩/ ٦.

(٣) البخارى فى بدء الوحى (٣) ومسلم فى الإيمان ( ١٦٠/ ٢٥٢ ).

قاله أبو عبيدة . وقال أيضا : الاسم صلة ، أى اذكر ربك وقيل : الباء بمعنى على ، أى اقرأ على اسم ربك ، يقال: افعل كذا باسم اللّه ، وعلى اسم اللّه . قاله الأخفش . وقيل : الباء للاستعانة ، أى مستعينًا باسم ربك . ووصف الرب بقوله: ﴿ **الذى خلق** ﴾ لتذكير النعمة؛ لأن الخلق هو أعظم النعم ، وعليه يترتب سائر النعم . قال الكلبى : يعنى الخلائق. ﴿ **خلق الإنسان من علق** ﴾ يعنى : بنى آدم . والعلقة : الدم الجامد . وإذا جرى فهو المسفوح. وقال : ﴿ **من علق** ﴾ بجمع علق ؛ لأن المراد بالإنسان الجنس . والمعنى : خلق جنس الإنسان؛ من جنس العلق . وإذا كان المراد بقوله : ﴿**الذى خلق** ﴾ كل المخلوقات ، فيكون تخصيص الإنسان بالذكر تشريفًا له لما فيه من بديع الخلق وعجيب الصنع . وإذا كان المراد بالذى خلق : الذى خلق الإنسان ، فيكون الثانى تفسيرًا للأول . والنكتة ما فى الإبهام ثم التفسير ، من التفات الذهن وتطلعه إلى معرفة ما أبهم أولا ، ثم فسر ثانيًا . ثم كرر الأمر بالقراءة للتأكيد والتقرير فقال : ﴿ **اقرأ وربك الأكرم**﴾ أى افعل ما أمرت بـه من القراءة وجملـة : ﴿ **وربك الأكـرم** ﴾ مستأنفة لإزاحة ما اعتذر به ﷺ من قوله : « ما أنا بقارئ » يريد أن القراءة شأن من يكتب ويقرأ، وهو أمى . فقيل له: اقرأ وربك الذى أمرك بالقراءة هو الأكرم . قال الكلبى: يعنى الحليم عن جهل العباد ، فلم يعجل بعقوبتهم . وقيل : إنه أمره بالقراءة أولا لنفسه ، ثم أمره بالقراءة ثانيًا للتبليغ ، فلا يكون من باب التأكيد . والأول أولى.

﴿ **الذى علم بالقلم** ﴾ أى علم الإنسان الخط بالقلم . فكان بواسطة ذلك يقدر على أن يعلم كل مكتوب . قال الزجاج : علم الإنسان الكتابة بالقلم . قال قتادة : القلم نعمة من اللّه عز وجل عظيمة ، لولا ذلك لم يقم دين ، ولم يصلح عيش . فدل على كمال كرمه بأنه علم عباده ما لم يعلموا ، ونقلهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم . ونبه على فضل علم الكتاب لما فيه من المنافع العظيمة التى لا يحيط بها إلا هو . وما دونت العلوم ، ولا قيدت الحكم ، ولا ضبطت أخبار الأولين ومقالاتهم ، ولا كتب الله المنزلة ، إلا بالكتابة . ولولا هى ما استقامت أمور الدين ، ولا أمور الدنيا . وسمى قلمًا؛ لأنه يقلم ، أى يقطع .﴿ **علم الإنسان ما لم يعلم**﴾ هذه الجملة بدل اشتمال من التى قبلها ، أى علمه بالقلم من الأمور الكلية والجزئية ما لم يعلم به منها . قيل : المراد بالإنسان هنا : آدم كما فى قوله : ﴿ وعلم آدم الأسماء كلها ﴾ [البقرة:٣١] . وقيل : الإنسان هنا :رسول الله ﷺ . والأولى حمل الإنسان على العموم ، والمعنى : أن من علمه الله سبحانه من هذا الجنس بواسطة القلم ، فقد علمه ما لم يعلم.

وقوله : ﴿ **كلا** ﴾ ردع وزجر لمن كفر نعم الله عليه بسبب طغيانه . وإن لم يتقدم له ذكر. ومعنى ﴿ **إن الإنسان ليطغى** ﴾ : أنه يجاوز الحد ، ويستكبر على ربه . وقيل : المراد بالإنسان هنا : أبو جهل . وهو المراد بهذا وما بعده . . . إلى آخر السورة . وأنه تأخر نزول هذا وما بعده عن الخمس الآيات المذكورة فى أول هذه السورة . وقيل :﴿ **كلا** ﴾ هنا بمعنى حقًا. قاله الجرجانى .وعلل ذلك بأنه ليس قبله ولا بعده شىء يكون «كلا» ردا له . وقوله :

﴿ **أن رآه استغنى** ﴾ علة ليطغى ، أى ليطغى أن رأى نفسه مستغنيًا ، أو لأن رأى نفسه مستغنيًا. والرؤية هنا بمعنى العلم . ولو كانت البصرية لامتنع الجمع بين الضميرين فى فعلها لشىء واحد ؛ لأن ذلك من خواص باب علم ونحوه . قال الفراء : لم يقل رأى نفسه، كما قيل : قتل نفسه ؛ لأن رأى من الأفعال التى تريد اسمًا وخبرًا نحو الظن والحسبان . فلا يقتصر فيه على مفعول واحد والعرب تطرح النفس من هذا الجنس ، تقول : رأيتنى وحسبتنى، ومتى تراك خارجًا ، ومتى تظنك خارجًا . قيل :والمراد هنا : أنه استغنى بالعشيرة والأنصار والأموال. قرأ الجمهور :﴿ **أن رآه** ﴾ بمد الهمزة . وقرأ قنبل عن ابن كثير بقصرها . قال مقاتل: كان أبو جهل إذا أصاب مالا ، زاد فى ثيابه ومركبه وطعامه وشرابه فذلك طغيانه . وكذا قال الكلبى .

ثم هدد سبحانه وخوف ، فقال : ﴿ **إن إلى ربك الرجعى** ﴾ ، أى المرجع . والرجعى والمرجع والرجوع مصادر . يقال : رجع إليه مرجعًا ورجوعًا ورجعى . وتقدم الجار والمجرور للقصر ، أى الرجعى إليه سبحانه ، لا إلى غيره . ﴿**أرأيت الذى ينهى . عبدًا إذا صلى** ﴾ قال المفسرون : الذى ينهى : أبو جهل . والمراد بالعبد : محمد ﷺ . وفيه تقبيح لصنعه وتشنيع لفعله ، حتى كأنه بحيث يراه كل من تتأتى منه الرؤية . ﴿ **أرأيت إن كان على الهدى** ﴾ يعنى: العبد المنهى إذا صلى ، وهو محمد ﷺ . ﴿ **أو أمر بالتقوى** ﴾ أى بالإخلاص والتوحيد، والعمل الصالح الذى تتقى به النار . ﴿ **أرأيت إن كذب وتولى** ﴾ يعنى أبا جهل . كذب بما جاء به رسول الله ﷺ ، وتولى عن الإيمان .

وقوله : ﴿ **أرأيت** ﴾ فى الثلاثة المواضع بمعنى أخبرنى ؛ لأن الرؤية كما كانت سببا للإخبار عن المرئى ، أجرى الاستفهام عنها مجرى الاستفهام عن متعلقها . والخطاب لكل من يصلح له . وقد ذكر هنا :﴿ **أرأيت** ﴾ ثلاث مرات ، وصرح بعد الثالثة منها . بجملة استفهامية ، فتكون فى موضع المفعول الثانى لها . ومفعولها الأول محذوف ، وهو ضمير يعود على﴿ **الذى ينهى** ﴾ الواقع مفعولا أول لـ﴿ **أرأيت** ﴾ الأولى ، ومفعول ﴿ **أرأيت**﴾ الأولى الثانى محذوف . وهو جملة استفهامية كالجملة الواقعة بعد ﴿ **أرأيت** ﴾ الثانية . وأما ﴿**أرأيت**﴾ الثانية فلم يذكر لها مفعول لا أول ولا ثانى ، حذف الأول لدلالة مفعول ﴿ **أرأيت** ﴾ الثالثة عليه ، فقد حذف الثانى من الأولى ، والأول من الثالثة ، والاثنان من الثانية. وليس طلب كل من رأيت للجملة الاستفهامية على سبيل التنازع ؛ لأنه يستدعى إضمارًا ، والجمل لا تضمر ، إنما تضمر المفردات ، وإنما ذلك من باب الحذف للدلالة . وأما جواب الشرط المذكور مع ﴿**أرأيت** ﴾ فى الموضعين الآخرين فهو محذوف تقديره : إن كان على الهدى أو أمر بالتقوى ﴿**ألم يعلم بأن الله يرى** ﴾ ، وإنما حذف لدلالة ذكره فى جواب الشرط الثانى . ومعنى ﴿ **ألم يعلم بأن الله يرى** ﴾ أى يطلع على أحواله ، فيجازيه بها ، فكيف اجترأ على ما اجترأ عليه؟

والاستفهام للتقريع والتوبيخ . وقيل : ﴿ أرأيت ﴾ الأولى مفعولها الأول الموصول ، ومفعولها الثانى الشرطية الأولى بجوابها المحذوف المدلول عليه بالمذكور . و﴿ أرأيت ﴾ فى الموضعين تكرير للتأكيد . وقيل :كل واحدة من ﴿ أرأيت ﴾ بدل من الأولى . و ﴿ ألم يعلم بأن اللّه يرى ﴾ الخبر .

قوله : ﴿ كلا ﴾ ردع للناهى . واللام فى قوله : ﴿ لئن لم ينته ﴾ هى الموطئة للقسم ، أى واللّه لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر ﴿ لنسفعا بالناصية ﴾ السفع : الجذب الشديد . والمعنى : لنأخذن بناصيته ، ولنجرنه إلى النار . وهذا قوله: ﴿ فيؤخذ بالنواصى والأقدام ﴾ [الرحمن : ٤١ ] ويقال : سفعت الشىء : إذا قبضته وجذبته.. ويقال :سفع بناصية فرسه. قال الراغب : السفع : الأخذ بسفعة الفرس ، أى بسواد ناصيته . وباعتبار السواد . وقيل : به سفعة غضب. اعتبارًا بما يعلو من اللون الدخانى وجه من اشتد به الغضب .. وقيل للصقر : أسفع . لما فيه من لمع السواد . وامرأة سفعاء اللون . انتهى . وقيل : هو مأخوذ من سفع النار والشمس إذا غيرت وجهه إلى سواد ، ومنه قول الشاعر :

أثافى سفعًا فى معرس مرجل

وقوله : ﴿ ناصية ﴾ بدل من الناصية . وإنما أبدل النكرة من المعرفة لوصفها بقوله : ﴿كاذبة خاطئة ﴾ وهذا على مذهب الكوفيين ، فإنهم لا يجيزون إبدال النكرة من المعرفة ، إلا بشرط وصفها ، وأما على مذهب البصريين فيجوز إبدال النكرة من المعرفة بلا شرط ، وأنشدوا:

فلا وأبيك خير منك إنى ليؤذينى التحمحم والصهيل

قرأ الجمهور بجر :﴿ ناصية كاذبة خاطئة ﴾ والوجه ما ذكرنا . وقرأ الكسائى فى رواية عنه برفعها على إضمار مبتدأ، أى هى ناصية . وقرأ أبو حيوة وابن أبى عبلة وزيد بن على بنصبها على الذم . قال مقاتل : أخبر عنه بأنه فاجر خاطئ ، فقال : ناصية كاذبة خاطئة . تأويلها : صاحبها كاذب خاطئ . ﴿ فليدع ناديه ﴾ أى أهل ناديه . والنادى : المجلس الذى يجلس فيه القوم ويجتمعون فيه من الأهل والعشيرة . والمعنى : ليدع عشيرته وأهله ليعينوه وينصروه ، ومنه قول الشاعر :

واستب بعدك يا كليب المجلس

أى أهله . قيل : إنا أبا جهل قال لرسول اللّه ﷺ :أتهددنى وأنا أكثر الوادى ناديًا ؟ فنزلت : ﴿ فليدع ناديه . سندع الزبانية ﴾ أى الملائكة الغلاظ الشداد كذا قال الزجاج . قال الكسائى والأخفش وعيسى بن عمر : واحدهم : زابن. وقال أبو عبيدة : زبنية . وقيل : زبانى . وقيل : هو اسم للجمع لا واحد له من لفظه كعباديد وأبابيل . وقال قتادة: هم الشرط فى كلام العرب . وأصل الزبن : الدفع ، ومنه قول الشاعر :

ومستعجب مما يرى من أناتنا ولو زبنته الحرب لم يترمرم

والعرب تطلق هذا الاسم على من اشتد بطشه ، ومنه قول الشاعر :

مطاعيم فى القصوى مطاعين فى الوغى زبانية غلب عظام حلومها

قرأ الجمهور: ﴿ سندع ﴾ بالنون ، ولم ترسم الواو كما فى قوله : ﴿ يوم يدع الداع ﴾ [القمر : ٦ ] . وقرأ ابن أبى عبلة:« سيدعى » على البناء للمفعول ، ورفع الزبانية على النيابة. ثم كرر الردع والزجر فقال : ﴿كلا لا تطعه ﴾ أى لا تطعه فيما دعاك إليه من ترك الصلاة ﴿ واسجد ﴾ أى صل لله غير مكترث به ، ولا مبال بنهيه ﴿ واقترب ﴾ أى تقرب إليه سبحانه بالطاعة والعبادة . وقيل : المعنى : إذا سجدت اقترب من الله بالدعاء . وقال زيد ابن أسلم : واسجد أنت يا محمد ، واقترب أنت يا أبا جهل من النار . والأولى أولى . والسجود هذا ، الظاهر أن المراد به : الصلاة . وقيل : سجود التلاوة . ويدل على هذا ما ثبت عنه ﷺ من السجود عند تلاوة هذه الآية كما سيأتى إن شاء الله .

وقد أخرج ابن أبى شيبة وابن جرير ، وأبو نعيم فى الدلائل عن عبد الله بن شداد قال : أتى جبريل محمداً ﷺ فقال : يا محمد ، اقرأ . فقال : « وما أقرأ ؟ » فضمه ثم قال : يا محمد ، اقرأ قال : « وما أقرأ ؟ » قال : ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق ﴾ حتى بلغ ﴿ ما لم يعلم ﴾ (١) . وفى الصحيحين وغيرهما من حديث عائشة : فجاءه الملك فقال : اقرأ فقال:« قلت :ما أنا بقارئ » قال : « فأخذنى فغطنى، حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى» فقال :اقرأ. فقلت: « ما أنا بقارئ ، فغطنى الثانية ، حتى بلغ منى الجهد ، ثم أرسلنى » ، فقال : اقرأ . فقلت : « ما أنا بقارئ ، فأخذنى فغطنى الثالثة حتى بلغ منى الجهد» ، فقال : ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذى علم بالقلم ﴾ الآية.(٢). وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد والبخارى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقى عن ابن عباس ، قال : قال أبو جهل : لئن رأيت محمداً يصلى عند الكعبة لأطأن عنقه . فبلغ النبى ﷺ فقال : «لو فعل لأخذته الملائكة عياناً » (٣) . وأخرج ابن أبى شيبة ، وأحمد والترمذى وصححه وابن جرير وابن المنذر والطبرانى وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقى عنه قال : كان النبى ﷺ يصلى ، فجاء أبو جهل فقال : ألم أنهك عن هذا ؟ إنك لتعلم أن ما بها رجل أكثر نادياً منى . فأنزل الله: ﴿فليدع ناديه . سندع الزبانية ﴾ فجاء النبى ﷺ يصلى ، فقيل : ما يمنعك؟ فقال : قد اسود ما بينى وبينه(٤). قال ابن عباس :

(١) ابن أبى شيبة ( ١٨٤٠٢ ) وابن جرير ٣٠/ ١٦٢ .
(٢) البخارى فى بدء الوحى (٣) ومسلم فى الإيمان ( ١٦٠ / ٢٥٢) .
(٣) البخارى فى التفسير ( ٤٩٥٨ ) وابن جرير ٣٠ / ١٦٣ .
(٤) ابن أبى شيبة ( ١٨٤١١ ) وأحمد ١ / ٢٥٦ والترمذى فى التفسير ( ٣٣٤٩ ) وقال : « هذا حديث حسن غريب صحيح » وابن جرير ٣٠ / ١٣٦ وقال الهيثمى فى المجمع ٧ / ١٤٢ : « رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه موسى بن سهل وهو ضعيف » .

والله لو تحرك ، لأخذته الملائكة والناس ينظرون إليه .

وأخرج أحمد ومسلم والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقى عن أبى هريرة قال : قال أبو جهل : هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم ؟ قالوا : نعم . قال : واللات والعزى ، لئن رأيته يصلى كذلك لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه فى التراب . فأتى رسول الله ﷺ ، وهو يصلى ليطأ على رقبته . قال : فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقى بيده . فقيل له : ما لك ؟ فقال : إن بينى وبينه خندقًا من نار وهولا وأجنحة. فقال رسول الله ﷺ:« لو دنا منى لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا » . قال : وأنزل الله : ﴿**كلا إن الإنسان ليطغى . أن رآه استغنى**﴾ إلى آخر السورة . يعنى أبا جهل [1] . ﴿**فليدع ناديه** ﴾ يعنى : قومه . ﴿ **سندع الزبانية** ﴾ يعنى : الملائكة. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **أرأيت الذى ينهى .عبدًا إذا صلى** ﴾ قال : أبو جهل بن هشام حين رمى رسول الله ﷺ بالسلى على ظهره وهو ساجد لله عز وجل . وأخرج ابن المنذر عنه فى قوله: ﴿**لنسفعًا** ﴾ قال : لنأخذن . وأخرج ابن جرير عنه أيضًا : ﴿ **فليدع ناديه** ﴾ قال : ناصره . وقد قدمنا أن النبى ﷺ كان يسجد فى :﴿ إذا السماء انشقت ﴾ وفى ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق** ﴾ .

(١) أحمد ٢ / ٣٧٠ ومسلم فى صفات المنافقين ( ٢٧٩٧ / ٣٨) والنسائى فى التفسير ( ٧٠٣ ) وابن جرير ٣٠ / ١٦٥ .

## تفسير سورة القدر

هى خمس آيات . وهى مكية عند أكثر المفسرين : كذا قال الماوردى . وقال الثعلبى : هى مدنية فى قول أكثر المفسرين . وذكر الواقدى أنها أول سورة نزلت بالمدينة . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير وعائشة ؛ أنها نزلت بمكة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ② لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ④ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ⑤ ﴾ .

الضمير فى : ﴿ أنزلناه ﴾ للقرآن ، وإن لم يتقدم له ذكر . أنزل جملة واحدة فى ليلة القدر إلى سماء الدنيا من اللوح المحفوظ ، وكان ينزل على النبى ﷺ نجومًا على حسب الحاجة. وكان بين نزول أوله وآخره على رسول الله ﷺ ثلاث وعشرون سنة . وفى آية أخرى: ﴿ إنا أنزلناه فى ليلة مباركة ﴾ [ الدخان : ٣] وهى ليلة القدر ، وفى آية أخرى : ﴿شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن ﴾ [ البقرة : ١٨٥ ] وليلة القدر فى شهر رمضان . قال مجاهد: ﴿ فى ليلة القدر ﴾ ليلة الحكم . ﴿ وما أدراك ما ليلة القدر ﴾ : ليلة الحكم . قيل : سميت ليلة القدر ؛ لأن الله سبحانه يقدر فيها ما شاء من أمره إلى السنة القابلة . وقيل : إنها سميت بذلك ؛ لعظيم قدرها وشرفها ، من قولهم: لفلان قدر ، أى شرف ومنزلة ، كذا قال الزهرى . وقيل : سميت بذلك ؛ لأن للطاعات فيها قدرًا عظيمًا ، وثوابا جزيلا . وقال الخليل : سميت ليلة القدر ؛ لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة ، كقوله : ﴿ ومن قدر عليه رزقه﴾ [ الطلاق : ٧ ] أى ضيق . وقد اختلف فى تعيين ليلة القدر على أكثر من أربعين قولا قد ذكرناها بأدلتها ، وبينا الراجح منها فى شرحنا للمنتقى .

﴿ وما أدراك ما ليلة القدر ﴾ هذا الاستفهام فيه تفخيم لشأنها حتى كأنها خارجة عن دراية الخلق ، لا يدريها إلا الله سبحانه . قال سفيان : كل مافى القرآن من قوله : ﴿ وما أدراك ﴾ فقد أدراه . وكل ما فيه ﴿ وما يدريك ﴾ [ عبس : ٣ ] فلم يدره وكذا قال الفراء . والمعنى : أى شىء تجعله داريا بها ؟ وقد قدمنا الكلام فى إعراب هذه الجملة فى قوله : ﴿ وما أدراك ما الحاقة ﴾ [ الحاقة: ٣ ] ثم قال : ﴿ ليلة القدر خير من ألف شهر ﴾ ، قال كثير من المفسرين : أى العمل فيها خير من العمل فى ألف شهر ليس فيها ليلة القدر . واختار هذا الفراء والزجاج ولك أن الأوقات إنما يفضل بعضها على بعض بما يكون فيها من الخير والنفع . فلما جعل الله الخير الكثير فى ليلة كانت خيرا من ألف شهر لا يكون فيها من الخير والبركة ما فى هذه الليلة . وقيل : أراد بقوله : ألف شهر : جميع الدهر؛ لأن العرب تذكر الألف فى كثير من

الأشياء على طريق المبالغة. وقيل : وجه ذكر الألف الشهر أن العابد كان فيما مضى لا يسمى عابدا حتى يعبد الله ألف شهر . وذلك ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر ، فجعل الله سبحانه لأمة محمد عبادة ليلة خيرا من عبادة ألف شهر كانوا يعبدونها . وقيل : إن النبى ﷺ رأى أعمار أمته قصيرة ، فخاف ألا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم فى طول العمر . فأعطاه الله ليلة القدر ، وجعلها خيرا من ألف شهر لسائر الأمم . وقيل غير ذلك مما لا طائل تحته .

وجملة : ﴿ **تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم** ﴾ مستأنفة مبينة لوجه فضلها ، موضحة للعلة التى صارت بها خيرا من ألف شهر .

وقوله : ﴿ **بإذن ربهم** ﴾ يتعلق بـ ﴿ **تنزل** ﴾ أو بمحذوف هو حال ، أى ملتبسين بإذن ربهم . والإذن : الأمر . ومعنى ﴿ **تنزل** ﴾ تهبط من السموات إلى الأرض . والروح هو جبريل عند جمهور المفسرين ، أى : تنزل الملائكة ومعهم جبريل . ووجه ذكره بعد دخوله فى الملائكة التعظيم له والتشريف لشأنه . وقيل : الروح : صنف من الملائكة هم أشرافهم. وقيل: هم جند من جنود الله من غير الملائكة . وقيل : الروح : الرحمة . وقد تقدم الخلاف فى الروح عند قوله: ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفا ﴾ [النبأ : ٣٨ ] . قرأ الجمهور : ﴿**تنزل** ﴾ بفتح التاء . وقرأ طلحة بن مصرف، وابن السميفع بضمها على البناء للمفعول . وقوله : ﴿ **من كل أمر** ﴾ أى من أجل كل أمر من الأمور التى قضى الله بها فى تلك السنة . وقيل : إن ﴿ **من** ﴾ بمعنى اللام ، أى لكل أمر . وقيل :هى بمعنى الباء ، أى بكل أمر . قرأ الجمهور: ﴿**أمر**﴾ وهو واحد الأمور . وقرأ على وابن عباس وعكرمة والكلبى ، « امرئ » مذكر امرأة ، أى من أجل كل إنسان . وتأولها الكلبى على أن جبريل ينزل مع الملائكة فيسلمون على كل إنسان فمن على هذا بمعنى على ، والأول أولى.

وقد تم الكلام عند قوله : ﴿ **من كل أمر** ﴾ ثم ابتدأ فقال : ﴿ **سلام هى** ﴾ أى ما هى إلا سلامة ، وخير كلها لا شر فيها . وقيل : هى ذات سلامة من أن يؤثر فيها شيطان فى مؤمن أو مؤمنة . قال مجاهد : هى ليلة سالمة لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءا ولا أذى . وقال الشعبى : هو تسليم الملائكة على أهل المساجد من حين تغيب الشمس إلى أن يطلع الفجر، يمرون على كل مؤمن ، ويقولون : السلام عليك أيها المؤمن . وقيل : يعنى سلام الملائكة بعضهم على بعض . قال عطاء : يريد سلام على أولياء الله وأهل طاعته ﴿**حتى مطلع الفجر** ﴾ أى حتى وقت طلوعه . قرأ الجمهور : ﴿ **مطلع** ﴾ بفتح اللام . وقرأ الكسائى وابن محيصن بكسرها . فقيل : هما لغتان فى المصدر ، والفتح أكثر نحو : المخرج والمقتل . وقيل : بالفتح اسم مكان ، وبالكسر المصدر . وقيل العكس . و « حتى » متعلقة بتنزل على أنها غاية لحكم التنزل، أى لمكثهم فى محل تنزلهم بألا ينقطع تنزلهم فوجا بعد فوج إلى طلوع الفجر . وقيل : متعلقة بـ ﴿ **سلام** ﴾ بناء على أن الفصل بين المصدر ومعموله

بالمبتدأ مغتفر .

وقد أخرج ابن الضريس وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر** ﴾ قال : أنزل القرآن فى ليلة القدر حتى وضع فى بيت العزة فى السماء الدنيا ، ثم جعل جبريل ينزل على محمد بجواب كلام العباد وأعمالهم . وأخرج عبد بن حميد عن أنس قال : العمل فى ليلة القدر والصدقة والصلاة والزكاة أفضل من ألف شهر . وأخرج الترمذى وضعفه وابن جرير والطبرانى والحاكم وابن مردويه والبيهقى فى الدلائل عن الحسن بن على بن أبى طالب ؛ أن النبى ﷺ أرى بنى أمية على منبره ، فساءه ذلك [١] . فنزلت ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ [الكوثر: ١ ] يا محمد . يعنى : نهرا فى الجنة . ونزلت : ﴿ **إنا أنزلناه فى ليلة القدر . وما أدراك ما ليلة القدر .ليلة القدر خير من ألف شهر**﴾ يملكها بعدك بنو أمية [٢] .

قال القاسم : فعددنا فإذا هى ألف شهر لا تزيد يوما ولا تنقص يوما . والمراد بالقاسم هو القاسم بن الفضل المذكور فى إسناده . قال الترمذى :إن يوسف هذا مجهول ، يعنى يوسف بن سعد الذى رواه عن الحسن بن على . قال ابن كثير : فيه نظر ، فإنه قد روى عنه جماعة منهم حماد بن سلمة ، وخالد الحذاء ، ويونس بن عبيد، وقال فيه يحيى بن معين : هو مشهور . وفى رواية عن ابن معين قال : هو ثقة . ورواه ابن جرير من طريق القاسم بن الفضل عن عيسى بن مازن . قال ابن كثير : ثم هذا الحديث على كل تقدير منكر جدًا . قال المزى : هو حديث منكر . وقول القاسم بن الفضل : إنه حسب مدة بنى أمية فوجدها ألف شهر لا تزيد ولا تنقص ، ليس بصحيح ، فإن جملة مدتهم من عند أن استقل بالملك معاوية ، وهى سنة أربعين ، إلى أن سلبهم الملك بنو العباس ، وهى سنة اثنين وثلاثين ومائة مجموعها اثنتان وتسعون سنة .

وأخرج الخطيب فى تاريخه عن ابن عباس نحو ما روى عن الحسن بن على وأخرج الخطيب عن سعيد بن المسيب مرفوعا مرسلا نحوه . وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **سلام** ﴾ قال : فى تلك الليلة تصفد مردة الشياطين وتغل عفاريت الجن ، وتفتح فيها أبواب السماء كلها ، ويقبل الله فيها التوبة لكل تائب . فلذا قال : ﴿**سلام هى حتى مطلع الفجر** ﴾ . قال : وذلك من غروب الشمس إلى أن يطلع الفجر . والأحاديث فى فضل ليلة القدر كثيرة ، وليس هذا موضع بسطها ، وكذلك الأحاديث فى تعيينها ، والاختلاف فى ذلك .

---

(١) ابن جرير ٣٠/١٦٦ وصححه الحاكم ٢/ ٥٣٠ على شرط الشيخين ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الدلائل ٧/ ١٣١ .

(٢) الترمذى فى التفسير ( ٣٣٥٠ ) وقال : « هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل » وابن جرير ٣٠/١٦٧ والطبرانى (٢٥٧٤) وصححه الحاكم ٣/ ١٧٠ ، ١٧١ ووافقه الذهبى، والبيهقى فى الدلائل ٦/ ٥٠٩ ، ٥١٠ .

## تفسير سورة لـم يكـن

هى ثمان آيات . وهى مدنية فى قول الجمهور . وقيل : مكية . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت سورة ﴿ لم يكن ﴾ بالمدينة . وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت : نزلت سورة « لم يكن» بمكة . وأخرج أبو نعيم فى المعرفة عن إسماعيل بن أبى حكيم المزنى، حدثنى فضل ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إن الله يستمع قراءة :﴿ لم يكن الذين كفروا﴾ فيقول : أبشر عبدى ، وعزتى وجلالى لأمكنن لك فى الجنة حتى ترضى » قال ابن كثير : حديث غريب جدا . وأخرجه أبو موسى المدينى عن مطر المزنى ، أو المدنى بنحوه (١) .

وأخــرج البخـارى ومسلم وغيرهما عن أنس ، قــال : قال رسول الله ﷺ لأبى بن كـعب : « إن الله أمرنى أن أقرأ عليك: ﴿ لم يكن الذين كفروا ﴾ » قال : وسمانى لك ؟ قال : « نعم » . فبكى (٢) . وأخرج أحمد وابن قانع فى معجم الصحابة والطبرانى وابن مردويه عن أبى حية البدرى قال : لما نزلت : ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب. . .﴾ إلى آخرها قال جبريل : يا رسول الله ، إن ربك يأمرك أن تقرئها أبيا . فقال النبى ﷺ لأبى: « إن جبريل أمرنى أن أقرئك هذه السورة » فقال أبى : وقد ذكرت ثم يا رسول الله ؟ قال : « نعم » . فبكى (٣) .

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ① رَسُولٌ مِّنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ② فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ③ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ④ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ⑤ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُوْلَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ⑥ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ⑦ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ⑧﴾ .

المراد بـ ﴿ الذين كفروا من أهل الكتاب ﴾ : اليهود والنصارى . والمراد بـ ﴿ المشركين﴾: مشركو العرب، وهم عبدة الأوثان . و ﴿ منفكين ﴾ خبر كان . يقال فككت الشىء فانفك ،

---

(١) ابن كثير ٧/ ٣٤٤ .

(٢) البخارى فى التفسير (٤٩٥٩) ومسلم فى فضائل الصحابة (٧٩٩/ ١٢١ ، ١٢٢) والترمذى فى المناقب (٣٧٩٢ ) .

(٣) أحمد ٣/ ٤٨٩ والطبرانى ٢٢/ ٣٢٧ .

أى انفصل . والمعنى : أنهم لم يكونوا مفارقين لكفرهم ولا منتهين عنه . ﴿ **حتى تأتيهم البينة**﴾ وقيل : الانفكاك بمعنى الانتهاء وبلوغ الغاية، أى لم يكونوا يبلغون نهاية أعمارهم فيموتوا حتى تأتيهم البينة . وقيل : منفكين : زائلين ، أى لم تكن مدتهم لتزول حتى تأتيهم البينة . يقال : ما انفك فلان قائما ، أى ما زال قائما . وأصل الفك : الفتح . ومنه فك الخلخال . وقيل : منفكين : بارحين . أى لم يكونوا ليبرحوا أو يفارقوا الدنيا حتى تأتيهم البينة . وقال ابن كيسان : المعنى : لم يكن أهل الكتاب تاركين صفة محمد ﷺ حتى بعث . فلما بعث حسدوه وجحدوه ، وهو كقوله : ﴿ فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ﴾ [ البقرة : ٨٩] وعلى هذا فيكون قوله : ﴿ **والمشركين** ﴾ أنهم ما كانوا يسيؤون القول فى محمد ﷺ حتى بعث، فإنهم كانوا يسمونه «الأمين» فلما بعث ، عادوه ، وأساؤوا القول فيه . وقيل: منفكين : هالكين . من قولهم : انفك صلبه ، أى انفصل . فلم يلتئم فيهلك ، والمعنى : لم يكونوا معذبين ولا هالكين إلا بعد قيام الحجة عليهم . وقيل : إن المشركين هم أهل الكتاب ، فيكون وصفا لهم ؛ لأنهم قالوا : المسيح ابن اللّه ، وعزير ابن الله .

قال الواحدى : ومعنى الآية : إخبار اللّه تعالى عن الكفار أنهم لن ينتهوا عن كفرهم وشركهم باللّه حتى أتاهم محمد ﷺ بالقرآن ، فبين لهم ضلالتهم وجهالتهم ودعاهم إلى الإيمان . وهذا بيان عن النعمة والإنقاذ به من الجهل والضلالة . والآية فيمن آمن من الفريقين. قال : وهذه الآية من أصعب ما فى القرآن نظما وتفسيرا ، وقد تخبط فيها الكبار من العلماء ، وسلكوا فى تفسيرها طرقا لا تفضى بهم إلى الصواب . والوجه ما أخبرتك ، فاحمد اللّه إذ أتاك بيانها من غير لبس ولا إشكال . قال : ويدل على أن البينة محمد ﷺ أنه فسرها وأبدل منها ، فقال : ﴿ **رسول من اللّه يتلو صحفا مطهرة** ﴾ يعنى ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها ، وهو القرآن . ويدل على ذلك أنه كان يتلو عن ظهر قلبه ، لا عن كتاب انتهى كلامه . وقيل : إن الآية حكاية لما كان يقوله أهل الكتاب والمشركون : أنهم لا يفارقون دينهم حتى يبعث النبى الموعود به. فلما بعث ، تفرقوا كما حكاه اللّه عنهم فى هذه السورة . والبينة على ما قاله الجمهور هو محمد ﷺ لأنه فى نفسه بينة وحجة . ولذلك سماه سراجا منيرا . وقد فسر اللّه سبحانه هذه البينة المجملة بقوله : ﴿ **رسول من اللّه**﴾ فاتضح الأمر وتبين أنه المراد بالبينة . وقال قتادة وابن زيد : البينة هى القرآن كقوله : ﴿ أو لم تأتهم بينة ما فى الصحف الأولى ﴾ [ طه : ١٣٣ ] وقال أبو مسلم : المراد بالبينة : مطلق الرسل ، والمعنى : حتى تأتيهم رسل من اللّه ، وهم الملائكة يتلون عليهم صحفا مطهرة . والأولى أولى .

قرأ الجمهور : ﴿ **لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين** ﴾ وقرأ ابن مسعود : «لم يكن المشركون وأهل الكتاب » . قال ابن العربى:وهى قراءة فى معرض البيان ، لا فى معرض التلاوة . وقرأ الأعمش، والنخعى :« والمشركون » بالرفع عطفا على الموصول . وقرأ أبى : « فما كان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركون » . قرأ الجمهور : ﴿ **رسول من**

**اللّه﴾** برفع ﴿ **رسول** ﴾ على أنه بدل كل من كل مبالغة ، أو بدل اشتمال . قال الزجاج: رسول رفع على البدل من البينة . وقال الفراء: رفع على أنه خبر مبتدأ مضمر ،أى هى رسول، أو هو رسول . وقرأ أبى وابن مسعود : « رسولا » بالنصب على القطع وقوله : ﴿ **من اللّه**﴾ متعلق بمحذوف هو صفة لرسول ، أى كائن من اللّه ، ويجوز تعلقه بنفس رسول . وجوز أبو البقاء أن يكون حالا من « صحف » . والتقدير : يتلو صحفًا مطهرة منزلة من اللّه . وقوله : ﴿ **يتلو صحفا مطهرة** ﴾ يجوز أن تكون صفة أخرى لرسول ، أو:حالا من متعلق الجار والمجرور قبله . ومعنى ﴿ **يتلو** ﴾ : يقرأ . يقال : تلا يتلو تلاوة . والصحف :جمع صحيفة. وهى ظرف المكتوب .ومعنى ﴿ **مطهرة** ﴾ أنها منزهة من الزور والضلال. قال قتادة من الباطل. وقيل : مطهرة من الكذب والشبهات والكفر ، والمعنى واحد . والمعنى : أنه يقرأ ما تتضمنه الصحف من المكتوب فيها ، لأنه كان ﷺ يتلو عن ظهر قلبه ، لا عن كتاب كما تقدم.

وقوله :﴿ **فيها كتب قيمة** ﴾ صفة لـ﴿ **صحفا** ﴾، أو حال من ضميرها . والمراد : الآيات والأحكام المكتوبة فيها ، والقيمة المستقيمة المستوية المحكمة ، من قول العرب : قام الشىء : إذا استوى وصح . وقال صاحب النظم : الكتب بمعنى الحكم كقوله :﴿ كتب اللّه لأغلبن أنا ورسلى ﴾ [ المجادلة : ٢١] أى حكم . وقوله ﷺ فى قصة العسيف : « لأقضين بينكما بكتاب اللّه » . ثم قضى بالرجم ، وليس الرجم فى كتاب اللّه . فالمعنى : لأقضين بينكما بحكم اللّه. وبهذا يندفع ما قيل إن الصحف هى الكتب ، فكيف قال : ﴿ **صحفا مطهرة . فيها كتب قيمة** ﴾ ؟ وقال الحسن : يعنى بالصحف المطهرة التى فى السماء ، يعنى فى اللوح المحفوظ كما فى قوله : ﴿ بل هو قرآن مجيد . فى لوح محفوظ ﴾ [ البروج : ٢١ ، ٢٢] .

**﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة ﴾** هذه الجملة مستأنفة لتوبيخ أهل الكتاب وتقريعهم وبيان أن ما نسب إليهم من عدم الانفكاك لم يكن لاشتباه الأمر ، بل كان بعد وضوح الحق وظهور الصواب . قال المفسرون : لم يزل أهل الكتاب مجتمعين حتى بعث اللّه محمدًا . فلما بعث، تفرقوا فى أمره ، واختلفوا ، فآمن به بعضهم وكفر آخرون . وخص أهل الكتاب وإن كان غيرهم مثلهم فى التفرق بعد مجىء البينة، لأنهم كانوا أهل علم. فإذا تفرقوا كان غيرهم ممن لا كتاب له أدخل فى هذا الوصف . والاستثناء فى قوله : ﴿ **إلا من بعد ما جاءتهم البينة** ﴾ مفرغ من أعم الأوقات، أى وما تفرقوا فى وقت من الأوقات إلا من بعد ما جاءتهم الحجّة الواضحة ، وهى بعثه رسول اللّه ﷺ بالشريعة الغراء والمحجة البيضاء . وقيل: البينة : البيان الذى فى كتبهم أنه نبى مرسل كقوله : ﴿ وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم ﴾ [ آل عمران : ١٩ ] قال القرطبى : قال العلماء : من أول السورة قوله : **﴿كتب قيمة ﴾** حكمها فيمن آمن من أهل الكتاب والمشركين . وقوله : ﴿ **وما تفرق . .** ﴾ إلخ فيمن لم يؤمن من أهل الكتاب والمشركين بعد قيام الحجج .

وجملة : ﴿ وما أمروا إلا ليعبدوا الله ﴾ فى محل نصب على الحال مفيدة لتقريعهم وتوبيخهم بما فعلوا من التفرق بعد مجىء البينة ، أى والحال أنهم ما أمروا فى كتبهم إلا لأجل أن يعبدوا الله ويوحدوه حال كونهم ﴿ مخلصين له الدين ﴾ أى جاعلين دينهم خالصا له سبحانه، أو جاعلين أنفسهم خالصة له فى الدين . وقيل : إن اللام فى :﴿ ليعبدوا﴾ بمعنى « أن » أى ما أمروا إلا بأن يعبدوا كقوله : ﴿ يريد الله ليبين لكم ﴾ [ النساء : ٢٦ ] أى أن يبين و ﴿ يريدون ليطفئوا نور الله ﴾ [ الصف : ٨] أى أن يطفئوا . قرأ الجمهور : ﴿مخلصين﴾ بكسر اللام . وقرأ الحسن بفتحها . وهذه الآية من الأدلة الدالة على وجوب النية فى العبادات ، لأن الإخلاص من عمل القلب . وانتصاب ﴿ حنفاء ﴾ على الحال من ضمير ﴿ مخلصين ﴾ ، فتكون من باب التداخل . ويجوز أن تكون من فاعل « يعبدوا » . والمعنى : مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام . قال أهل اللغة : أصله أن يحنف إلى دين الإسلام، أى يميل إليه . ﴿ ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ﴾ أى يفعلوا الصلوات فى أوقاتها ، ويعطوا الزكاة عند محلها . وخص الصلاة والزكاة لأنهما من أعظم أركان الدين . قيل : إن أريد بالصلاة والزكاة ما فى شريعة أهل الكتاب من الصلاة والزكاة ، فالأمر ظاهر . وإن أريد ما فى شريعتنا ، فمعنى أمرهم بهما فى الكتابين : أمرهم باتباع شريعتنا . وهما من جملة ما وقع الأمر به فيها . ﴿ وذلك دين القيمة ﴾ أى وذلك المذكور من عبادة الله وإخلاصها وإقام الصلاة والزكاة ﴿ دين القيمة ﴾ أى دين الملة المستقيمة . قال الزجاج : أى ذلك دين الملة المستقيمة . فالقيمة صفة لموصوف محذوف . قال الخليل : القيمة جمع القيم ، والقيم :القائم . قال الفراء: أضاف الدين إلى القيمة . وهو نعته ، لاختلاف اللفظين . وقال أيضا : هو من إضافة الشىء إلى نفسه . ودخلت الهاء للمدح والمبالغة .

ثم بين سبحانه حال الفريقين فى الآخرة بعد بيان حالهم فى الدنيا ، فقال : ﴿ إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين فى نار جهنم ﴾ . الموصول اسم « إن » و ﴿ المشركين ﴾ معطوف عليه . وخبرها ﴿ فى نار جهنم ﴾ و﴿خالدين فيها ﴾ حال من المستكن فى الخبر . ويجوز أن يكون قوله : ﴿ والمشركين ﴾ مجروراً عطفا على أهل الكتاب. ومعنى كونهم فى نار جهنم : أنهم يصيرون إليها يوم القيامة . والإشارة بقوله : ﴿أولئك ﴾ إلى من تقدم ذكرهم من أهل الكتاب والمشركين المتصفين بالكون فى نار جهنم والخلود فيها ﴿ هم شر البرية ﴾ أى الخليقة . يقال : برأ ، أى خلق . والبارئ : الخالق . والبرية : الخليقة . قرأ الجمهور : ﴿البرية ﴾ بغير همز فى الموضعين . وقرأ نافع وابن ذكوان فيهما بالهمز. قال الفراء : إن أخذت البرية من : البراء ، وهو التراب لم تدخل الملائكة تحت هذا اللفظ . وإن أخذتها من : بريت القلم ، أى قدَّرته ، دخلت . وقيل : إن الهمز هو الأصل ، لأنه يقال : برأ الله الخلق بالهمز ، أى ابتدعه واخترعه . ومنه قوله : ﴿ من قبل أن نبرأها ﴾ [ الحديد : ٢٢] ولكن خففت الهمزة ، والتزم تخفيفها عند عامة العرب .

ثم بين حال الفريق الآخر فقال : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أى جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح ﴿أولئك ﴾ المنعوتون بهذا ﴿ هم خير البرية ﴾ قال : والمراد : أن أولئك شر البرية فى عصره ﷺ . ولا يبعد أن يكون فى مؤمنى الأمم السابقة من هو خير منهم . ﴿جزاؤهم عند ربهم ﴾ أى ثوابهم عند خالقهم بمقابلة ما وقع منهم من الإيمان والعمل الصالح ﴿ جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار ﴾ . والمراد بجنات عدن : هى أوسط الجنات وأفضلها . يقال : عدن بالمكان يعدن عدنًا ، أى أقام . ومعدن الشىء :مركزه ومستقره . ومنه قول الأعشى :

وإن يستضافوا إلى علمه يضافوا إلى راجح قد عدن

وقد قدمنا فى غير موضع أنه إن أريد بالجنات الأشجار الملتفة ، فجريان الأنهار من تحتها ظاهر . وإن أريد مجموع قرار الأرض والشجر ، فجرى الأنهار من تحتها باعتبار جزئها الظاهر، وهو الشجر . ﴿ خالدين فيها أبدا﴾ لا يخرجون منها ، ولا يظعنون عنها ، بل هم دائمون فى نعيمها ، مستمرون فى لذاتها ، ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ الجملة مستأنفة لبيان ما تفضل اللّه به عليهم من الزيادة على مجرد الجزاء . وهو رضوانه عنهم حيث أطاعوا أمره ، وقبلوا شرائعه. ورضاهم عنه حيث بلغوا من المطالب مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر . ويجوز أن تكون الجملة خبرًا ثانيًا ، وأن تكون فى محل نصب على الحال بإضمار قد. ﴿ذلك لمن خشى ربه ﴾ أى ذلك الجزاء والرضوان لمن وقعت منه الخشية للّه سبحانه فى الدنيا ، وانتهى عن معاصيه بسبب تلك الخشية التى وقعت له ، لا مجرد الخشية مع الانهماك فى معاصى اللّه سبحانه ، فإنها ليست بخشية على الحقيقة .

وقد أخرج ابن المنذر عن ابن عباس فى قوله : ﴿ منفكين ﴾ قال : برحين . وأخرج ابن أبى حاتم عن أبى هريرة قال: أتعجبون من منزلة الملائكة من اللّه ؟ والذى نفسى بيده ، لمنزلة العبد المؤمن عند اللّه يوم القيامة أعظم من منزلة ملك . واقرؤوا إن شئتم : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البريـة ﴾ . وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت: قلت : يا رسول اللّه ، من أكرم الخلق على الله؟ قال : « ياعائشة ، أما تقرئين : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية ﴾ » . وأخرج ابن عساكر عن جابر بن عبد اللّه ، قال: كنا عند النبى ﷺ فأقبل علىّ ، فقال النبى ﷺ : « والذى نفسى بيده ، إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة » ونزلت: ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾، فكان أصحاب محمد ﷺ إذا أقبل قالوا : قد جاء خير البرية . وأخرج ابن عدى وابن عساكر عن أبى سعيد مرفوعا : « على خير البرية » [1] . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾

---

(١) ابن عدى ١/ ١٧٠ .

قال رسول الله ﷺ لعلى : « هو أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين » . وأخرج ابن مردويه عن على مرفوعا نحوه . وأخرج أحمد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بخير البرية ؟ » قالوا : بلى يا رسول الله قال : « رجل أخذ بعنان فرسه فى سبيل الله، كلما كانت هيعة استوى عليه . ألا أخبركم بشر البرية ؟» قالوا : بلى . قال : « الذى يسأل بالله ولا يعطى به » (١) . قال أحمد : حدثنا إسحاق بن عيسى ، حدثنا أبو معشر عن أبى وهب مولى أبى هريرة عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ . . فذكره .

(١) أحمد ٢/٣٩٦ .

## تفسير سورة الزلزلة

هى ثمان آيات . وهى مدنية فى قول ابن عباس وقتادة ، ومكية فى قول ابن مسعود وعطاء وجابر . أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت : ﴿ **إذا زلزلت** ﴾ بالمدينة . وأخرج أحمد وأبو داود والنسائى ومحمد بن نصر ، والحاكم وصححه ، والطبرانى وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب عن عبد الله بن عَمْرو قال : أتى رجل رسول الله ﷺ فقال :أقرئنى يا رسول الله . قال : « اقرأ ثلاثًا من ذوات الراء » . فقال الرجل : كبر سنى ، واشتد قلبى ، وغلظ لسانى . قال : « اقرأ ثلاثًا من ذوات حم » . فقال مثل مقالته الأولى . فقال : « اقرأ ثلاثًا من المسبحات » . فقال مثل مقالته الأولى، وقال : ولكن أقرئنى يا رسول الله سورة جامعة . فأقرأه : ﴿ **إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ حتى فرغ منها. قال الرجل : والذى بعثك بالحق لا أزيد عليها . فقال رسول الله ﷺ : « أفلح الرويجل ، أفلح الرويجل » (١) . وأخرج الترمذى وابن مردويه والبيهقى عن أنس قال : قال رسول الله : « من قرأ: ﴿ **إذا زلزلت الأرض** ﴾ عدلت له بنصف القرآن ، ومن قــرأ : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ عدلت له بثلث القرآن، ومن قرأ : ﴿ قل يا أيها الكافرون ﴾ عدلت له بربع القرآن » (٢) .

وأخرج الترمذى وابن الضريس ومحمد بن نصر ، والحاكم وصححه ، والبيهقى عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « ﴿ **إذا زلزلت** ﴾ تعدل نصف القرآن ، و﴿ **قل هو الله أحد**﴾ تعدل ثلث القرآن . و﴿ **قل يأيها الكافرون**﴾ تعدل ربع القرآن » (٣) . قال الترمذى : غريب لا نعرفه إلا من حديث يمان بن المغيرة .

وأخرج الترمذى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أصحابه : « هل تزوجت يا فلان ؟ » . قال : لا والله يا رسول الله ، ولا عندى ما أتزوج به . قال : « أليس معك ﴿قل هو الله أحد ﴾ ؟ » قال : بلى . قال : «ثلث القرآن ». قال: « أليس معك ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ ؟ » قال : بلى . قال : « ربع القرآن » . قال : « أليس معك ﴿ قل يأيها الكافرون ﴾ ؟ » قال : بلى . قال : « ربع القرآن » . قال : « أليس معك ﴿ **إذا زلزلت الأرضَ** ﴾ ؟ » قال : بلــى . قــال : « ربع القرآن . تزوج » . قال الترمذى : هذا حديث حسن (٤) . وأخرج ابن مردويه عن أبى هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قرأ فى

---

(١) أحمد ٢/ ١٦٩ وأبو داود فى الصلاة (١٣٩٩) والنسائى فى الكبرى فى فضائل القرآن (٨٠٢٧) وصححه الحاكم ٢/ ٥٣٢ على شرط الشيخين ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الشعب (٢٢٨٢) .

(٢) الترمذى فى فضائل القرآن (٢٨٩٣) وقال : « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث هذا الشيخ الحسن بن سَلْم » والبيهقى فى الشعب (٢٢٨٦) .

(٣) الترمذى فى فضائل القرآن (٢٨٩٤) وصححه الحاكم ١/ ٥٦٦ وقال الذهبى : « بل يمان ضعفوه » والبيهقى فى الشعب (٢٢٨٤) وإسناده ضعيف .

(٤) الترمذى فى فضائل القرآن (٢٨٩٥) .

ليلة : ﴿ إذا زلزلت ﴾ كان له عدل نصف القرآن » .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ⑤ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ⑥ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ⑦ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ⑧ ﴾ .

قوله : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ أى إذا حركت حركة شديدة . وجواب الشرط : ﴿ تحدث ﴾ . والمراد : تحركها عند قيام الساعة ، فإنها تضطرب حتى يتكسر كل شىء عليها قال مجاهد : وهى النفخة الأولى لقوله تعالى : ﴿يوم ترجف الراجفة . تتبعها الرادفة ﴾ [النازعات : ٦ ، ٧ ] وذكر المصدر للتأكيد ، ثم أضافه إلى الأرض ، فهو مصدر مضاف إلى فاعله ، والمعنى : زلزالها المخصوص الذى يستحقه ويقتضيه جرمها وعظمها . قرأ الجمهور : ﴿زلزالها ﴾ بكسر الزاى . وقرأ الجحدرى وعيسى بفتحها . وهما مصدران بمعنى . وقيل : المكسور مصدر ، والمفتوح اسم . قال القرطبى : والزلزال بالفتح مصدر كالوسواس والقلقال . ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها﴾ أى ما فى جوفها من الأموات والدفائن . والأثقال: جمع ثقل . قال أبو عبيدة والأخفش : إذا كان الميت فى بطن الأرض فهو ثقل لها . وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها . قال مجاهد : أثقالها : موتاها تخرجهم فى النفخة الثانية . وقد قيل للإنسان والجن : الثقلان . وإظهار الأرض فى موضع الإضمار لزيادة التقرير .

﴿ وقال الإنسان مالها ﴾ أى قال كل فرد من أفراد الإنسان : ما لها زلزلت ؟ لما يدهمه من أمرها ويبهره من خطبها . وقيل : المراد بالإنسان : الكافر . وقوله : ﴿ مالها ﴾ مبتدأ وخبر . وفيه معنى التعجيب ، أىْ أىّ شىء لها؟ أو لأى شىء زلزلت وأخرجت أثقالها ؟ وقوله : ﴿ يومئذ ﴾ بدل من « إذا » . والعامل فيهما قوله : ﴿ تحدث أخبارها ﴾ ويجوز أن يكون العامل فى « إذا » محذوفًا ، والعامل فى ﴿ يومئذ ﴾ تحدث . والمعنى : يوم إذا زلزلت وأخرجت ؛ تخبر بأخبارها ، وتحدثهم بما عمل عليها من خير وشر . وذلك إما بلسان الحال حيث يدل على ذلك دلالة ظاهرة . أو بلسان المقال بأن ينطقها اللّه سبحانه . وقيل : هذا متصل بقوله : ﴿ وقال الإنسان مالها ﴾ أى قال : مالها تحدث أخبارها ؟ متعجبًا من ذلك. وقال يحيى بن سلام : تحدث أخبارها بما أخرجت من أثقالها . وقيل : تحدث بقيام الساعة ، وأنها قد أتت ، وأن الدنيا قد انقضت . قال ابن جرير : تبين أخبارها بالرجفة والزلزلة ، وإخراج الموتى . ومفعول تحدث الأول محذوف ، والثانى هو أخبارها . أى تحدث الخلق أخبارها . ﴿بأن ربك أوحى لها ﴾ متعلق بـ﴿تحدث ﴾ ، ويجوز أن يتعلق بنفس أخبارها . وقيل : الباء زائدة . و« أن » وما فى حيزها بدل من ﴿ أخبارها ﴾ . وقيل : الباء سببية ، أى

بسبب إيحاء الله إليها . قال الفراء : تحدث أخبارها بوحى الله وإذنه لها . واللام فى ﴿ أوحى لها ﴾ بمعنى إلى . وإنما أثرت على « إلى » لموافقة الفواصل . والعرب تضع لام الصفة موضع إلى . كذا قال أبو عبيدة . وقيل : إن ﴿ أوحى ﴾ يتعدى باللام تارة ، وبـ« إلى » أخرى . وقيل : إن اللام على بابها من كونها للعلة . والموحى إليه محذوف ، وهو الملائكة. والتقدير: أوحى إلى الملائكة لأجل الأرض ، أى لأجل ما يفعلون فيها . والأول أولى .

﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتًا ﴾ الظرف إما بدل من ﴿ يومئذ ﴾ الذى قبله ، وإما منصوب بمقدر هو «اذكر» وإما منصوب بما بعده ، والمعنى : يومئذ يقع ما ذكر ، يصدر الناس من قبورهم إلى موقف الحساب أشتاتًا ، أى متفرقين . والصدر : الرجوع . وهو ضد الورود . وقيل : يصدرون من موضع الحساب إلى الجنة أو النار . وانتصاب ﴿ أشتاتا ﴾ على الحال . والمعنى : أن بعضهم آمن وبعضهم خائف ، وبعضهم بلون أهل الجنة ، وهو البياض ، وبعضهم بلون أهل النار وهو السواد . وبعضهم ينصرف إلى جهة اليمين ، وبعضهم إلى جهة الشمال مع تفرقهم فى الأديان واختلافهم فى الأعمال . ﴿ليروا أعمالهم ﴾ متعلق بـ﴿يصدر﴾. وقيل : فيه تقديم وتأخير ، أى تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها ليروا أعمالهم، ﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتًا ﴾ . قرأ الجمهور : ﴿ ليروا ﴾ مبنيًا للمفعول . وهو من رؤية البصر ، أى ليريهم الله أعمالهم . وقرأ الحسن ، والأعرج ، وقتادة وحماد بن سلمة ونصر بن عاصم وطلحة بن مصرف على البناء للفاعل. ورويت هذه القراءة عن نافع ، والمعنى : ليروا جزاء أعمالهم .

﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرًا يره ﴾ أى وزن نملة . وهى أصغر ما يكون من النمل . قال مقاتل : فمن يعمل فى الدنيا مثقال ذرة خيرا ، يره يوم القيامة فى كتابه فيفرح به . وكذلك من يعمل فى الدنيا ﴿ مثقال ذرة شرا يره ﴾ يوم القيامة فيسوؤه . ومثل هذه الآية قوله : ﴿ إن الله لا يظلم مثقال ذرة ﴾ [ النساء : ٤٠ ] . وقال بعض أهل اللغة : إن الذرة هو أن يضرب الرجل بيده على الأرض فما علق من التراب ، فهو الذرة . وقيل : الذر ما يرى فى شعاع الشمس من الهباء . والأول أولى ، ومنه قول امرئ القيس :

من القاصرات الطرف لو دب محول   من الذر فـوق الإتب منها لأثـرا

و « من » الأولى عبارة عن السعداء . و« من » الثانية عبارة عن الأشقياء . وقال محمد بن كعب : فمن يعمل مثقال ذرة من خير من كافر ، يرى ثوابه فى الدنيا ، وفى نفسه ، وماله ، وأهله ، وولده حتى يخرج من الدنيا ، وليس له عند الله خير . ومن يعمل مثقال ذرة من شر من مؤمن ، يرى عقوبته فى الدنيا فى ماله ، ونفسه ، وأهله وولده حتى يخرج من الدنيا وليس له عند الله شر . والأول أولى . قال مقاتل : نزلت فى رجلين كان أحدهما يأتيه السائل ، فيستقل أن يعطيه التمرة والكسرة . وكان الآخر يتهاون بالذنب اليسير ، ويقول : إنما أوعد الله

النار على الكافرين . قرأ الجمهور : ﴿ يرهُ ﴾ فى الموضعين بضم الهاء وصلا ، وسكونها وقفًا. وقرأ هشام بسكونها وصلا ووقفًا . ونقل أبو حيان عن هشام وأبى بكر سكونها . وعن أبى عمرو ضمها مشبعة . وباقى السبعة بإشباع الأولى وسكون الثانية . وفى هذا النقل نظر . والصواب ما ذكرنا . وقرأ الجمهور : ﴿ يره ﴾ مبنيًا للفاعل فى الموضعين . وقرأ ابن عباس وابن عمر والحسن والحسين ابنا على وزيد بن على وأبو حيوة وعاصم والكسائى ، فى رواية عنهما ، والجحدرى والسلمى وعيسى على البناء للمفعول فيهما ، أى يريه الله إياه . وقرأ عكرمة : يراه على توهم أن « من » موصولة ، أو على تقدير الجزم بحذف الحركة المقدرة فى الفعل .

وقد أخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ قال : تحركت من أسفلها . ﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ قال : الموتى . ﴿ وقال الإنسان مالها ﴾ قال : الكافر يقول : مالها . ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ قال : قال لها ربك : قولى . ﴿ بأن ربك أوحى لها ﴾ قال : أوحى لها : ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتًا ﴾ ، قال : من كل من هاهنا وهاهنا . وأخرج ابن المنذر عنه : ﴿وأخرجت الأرض أثقالها ﴾ قال : الكنوز والموتى . وأخرج مسلم والترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة ، فيجيء القاتل فيقول : فى هذا قتلت . ويجيء القاطع فيقول : فى هذا قطعت رحمى، ويجيء السارق فيقول : فى هذا قطعت يدى . ثم يدعونه ، فلا يأخذون منه شيئًا » (١) .

وأخرج أحمد وعبد بن حميد ، والترمذى وصححه ، والنسائى وابن جرير وابن المنذر ، والحاكم وصححه، وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة قال : قرأ رسول الله : ﴿ يومئذ تحدث أخبارها ﴾ قال : «أتدرون ما أخبارها؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : «فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها . تقول : عمل كذا وكذا . فهذا أخبارها » (٢) .

وأخرج ابن مردويه والبيهقى عن أنس أن رسول الله ﷺ قال : « إن الأرض لتجيء يوم القيامة بكل عمل عمل على ظهرها » . وقرأ رسول الله ﷺ : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾ حتى بلغ ﴿ يومئذ تحدث أخبارها﴾ (٣) .

وأخرج الطبرانى عن ربيعة الجرشى أن رسول الله قال : « تحفظوا من الأرض فإنها أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيرًا أوشرا إلا وهى مخبرة » (٤) .

---

(١) مسلم فى الزكاة (١٠١٣/ ٦٢) والترمذى فى الفتن (٢٢٠٨) .

(٢) أحمد ٢/ ٣٧٤ والترمذى فى صفة القيامة (٢٤٢٩) وقال : « هذا حديث حسن غريب » والنسائى فى التفسير (٧١٣) وصححه الحاكم ٢/ ٥٣٢ وقال الذهبى : « يحيى هذا منكر الحديث ، قاله البخارى » والبيهقى فى الشعب (٧٢٩٨) ط . الكتب العلمية .

(٣) البيهقى فى الشعب (٧٢٩٦) .

(٤) الطبرانى (٤٥٩٦) وقال الهيثمى فى المجمع ١/ ٢٤٦ : « فيه ابن لهيعة وهو ضعيف ، وربيعة الجرشى مختلف فى صحبته » وقال الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب ١/ ٢٤٧ : « وثقه الدارقطنى وغيره » .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والطبرانى فى الأوسط ، والحاكم فى تاريخه ، وابن مردويه، والبيهقى فى الشعب عن أنس قال : بينما أبو بكر الصديق يأكل مع النبى ﷺ ، إذ نزلت عليه : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾. فرفع أبو بكر يده وقال : يارسول الله إنى لراء ما عملت من مثقال ذرة من شر . فقال: « يا أبا بكر ، أرأيت ما ترى فى الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر ، ويدخر لك مثاقيل ذر الخيرحتى توفاه يوم القيامة ».(١) وأخرج إسحاق بن راهويه وعبد بن حميد والحاكم وابن مردويه عن أبى أسماء قال : بينا أبو بكر يتغدى مع رسول الله ، إذ نزلت هذه الآية : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره** ﴾ فأمسك أبو بكر وقال : يا رسول الله ، ما عملنا من شيء رأيناه . فقال : « ما ترون مما تكرهون ، فذاك مما تجزون ، ويؤخر الخير لأهله فى الآخرة » (٢) . وأخرج ابن أبى الدنيا وابن جرير والطبرانى وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : أنزلت : ﴿**إذا زلزلت الأرض زلزالها** ﴾ وأبو بكر الصديق قاعد ، فبكى . فقال له رسول الله ﷺ : « ما يبكيك يا أبا بكر؟» قال : يبكينى هذه السورة . فقال : « لولا أنكم تخطئون وتذنبون فيغفر لكم ، لخلق الله قومًا يخطئون ويذنبون ، فيغفر لهم » (٣) . وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال : « الخيل لثلاثة : لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر . . .» الحديث . وقال : وسئل عن الحمر فقال : « ما أنزل على فيها إلا هذه الآية الجامعة، الفاذة : ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره**﴾ » (٤).

---

(١) ابن جرير ٣٠/ ١٧٣ وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ١٤٤ ، ١٤٥ : « رواه الطبرانى فى الأوسط عن شيخه موسى ابن سهل ، والظاهر أنه الوشاء وهو ضعيف » وقال الحافظ ابن حجر فى تقريب التهذيب ٢/ ٢٨٤ : « هو ضعيف » والبيهقى فى الشعب (٩٨٠٨) .

(٢) صححه الحاكم ٢/ ٥٣٣ وقال الذهبى : « مرسل » .

(٣) ابن جرير ٣٠/ ١٧٥ وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ١٤٤ : « رواه الطبرانى وفيه حيى بن عبد الله المعافرى ، وثقه ابن معين وغيره ، وبقية رجاله رجال الصحيح » والبيهقى فى الشعب (٧١٠٣) عن ابن عمر .

(٤) البخارى فى الجهاد (٢٨٦٠) ومسلم فى الزكاة (٩٨٧/ ٢٤) وابن ماجة فى الجهاد (٢٧٨٨) .

## تفسير سورة العاديات

هى إحدى عشرة آية . وهى مكية فى قول ابن مسعود وجابر والحسن وعكرمة وعطاء . ومدنية فى قول ابن عباس وأنس بن مالك وقتادة . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت سورة : ﴿ والعاديات ﴾ بمكة . وأخرج أبو عبيد فى فضائله عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: « ﴿ إذا زلزلت ﴾ تعدل نصف القرآن ﴿والعاديات ﴾ تعدل نصف القرآن ». وهو مرسل. وأخرج محمد بن نصر من طريق عطاء بن أبى رباح عن ابن عباس مرفوعًا مثله. وزاد: « و﴿قل هو الله أحد ﴾ تعدل ثلث القرآن ، و﴿ قل يأيها الكافرون ﴾ تعدل ربع القرآن» .

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ① فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ② فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ③ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ④ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤ إِنَّ الإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ⑦ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ⑧ أَفَلا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ⑨ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ⑩ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ⑪ ﴾ .

العاديات : جمع عادية . وهى الجارية بسرعة من العدو ، وهو المشى بسرعة ، فأبدلت الواو ياء لكسر ما قبلها ، كالغازيات من الغزو . والمراد بها : الخيل العادية فى الغزو نحو العدو . وقوله : ﴿ ضبحًا ﴾ مصدر مؤكد لاسم الفاعل. فإن الضبح نوع من السير ، ونوع من العدو . يقال : ضبح الفرس : إذا عدا بشدة، مأخوذ من الضبع، وهو الدفع ، وكأن الحاء بدل من العين . قال أبو عبيدة والمبرد : الضبح من إضباحها فى السير، ومنه قول عنترة :

والخيل تكدح فى حياض الموت ضبحا

ويجوز أن يكون مصدرًا فى موضع الحال ، أى ضابحات ، أو ذوات ضبح . ويجوز أن يكون مصدرًا لفعل محذوف، أى تضبح ضبحًا . وقيل : الضبح : صوت حوافرها إذا عدت . وقال الفراء : الضبح : صوت أنفاس الخيل إذا عدت . قيل : كانت تكعم لئلا تصهل ، فيعلم العدو بهم ، فكانت تتنفس فى هذه الحالة بقوة . وقيل : الضبح : صوت يسمع من صدور الخيل عند العدو ، ليس بصهيل . وقد ذهب الجمهور إلى ما ذكرنا من أن ﴿العاديات ضبحًا﴾ : هى الخيل. وقال عبيد بن عمير ومحمد بن كعب والسدى : هى الإبل ، ومنه قول صفية بنت عبد المطلب :

فلا والعاديات غداة جمع بأيديها إذا سطع الغبار

ونقل أهل اللغة أن أصل الضبح للثعلب ، فاستعير للخيل ، ومنه قول الشاعر :

تضبح فى الكف ضباح الثعلب

﴿ فالموريات قدحًا ﴾ هى الخيل حين تورى النار بسنابكها . والإيراء : إخراج النار . والقدح : الصك . فجعل ضرب الخيل بحوافرها كالقدح بالزناد . قال الزجاج : إذا عدت الخيل بالليل ، وأصاب حوافرها الحجارة انقدح منها النيران. والكلام فى انتصاب ﴿ قدحا ﴾ كالكلام فى انتصاب ﴿ ضبحًا ﴾ والخلاف فى كونها الخيل أو الإبل كالخلاف الذى تقدم فى العاديات . والراجح أنها الخيل كما ذهب إليه الجمهور ، وكما هو الظاهر من هذه الأوصاف المذكورة فى هذه السورة ما تقدم منها وما سيأتى ، فإنها فى الخيل أوضح منها فى الإبـل ، وسيأتى مـا فـى ذلك من الخلاف بين الصحابة . ﴿ فالمغيرات صبحًا ﴾ أى التى تغير على العدو وقت الصباح . يقال : أغار يغير إغارة : إذا باغت عدوه بقتل، أو أسر ، أو نهب . وأسند الإغارة إليها ، وهى لأهلها للإشعار بأنها عمدتهم فى إغارتهم ، وانتصاب ﴿ صبحًا ﴾ على الظرفية .

﴿ فأثرن به نقعًا ﴾ معطوف على الفعل الذى دل عليه اسم الفاعل ، إذ المعنى : واللاتى عدون فأثرن ، أو على اسم الفاعل نفسه ، لكونه فى تأويل الفعل ، لوقوعه صلة للموصول ، فإن الألف واللام فى الصفات أسماء موصولة. فالكلام فى قـوة : واللاتى عدون فأورين ، فأغرن ، فأثرن . والنقع : الغبار الذى أثرته فى وجه العدو عند الغزو وتخصيص إثارته بالصبح، لأنه وقت الإغارة ، ولكونه لا يظهر أثر النقع فى الليل الذى اتصل به الصبح . وقيل: المعنى: فأثرن بمكان عدوهن نقعًا . يقال : ثار النقع وأثرته ، أى هاج ، أو هيجته . قرأ الجمهور : ﴿فأثرن﴾ بتخفيف المثلثة . وقرأ أبو حيوة وابن أبى عبلة بالتشديد ، أى فأظهرن به غبارًا . وقال أبو عبيدة : النقع : رفع الصوت ، وأنشد قول لبيد :

فمـتى ينقـع صـراخ صـادق     يجلبوها ذات جرس وزجل

يقول : حين سمعوا صراخًا ، أجلبوا الحرب ، أى جمعوا لها . قال أبو عبيدة : وعلى هذا رأيت قول أكثر أهل العلم . انتهى . والمعروف عند جمهور أهل اللغة والمفسرين أن النقع: الغبار ، ومنه قول الشاعر :

يخرجن من مستطار النقع دامية     كأن أذنـابـها أطـراف أقـلام

وقول عبد الله بن رواحة :

عـدمنـا خيـلنا إن لـم تـروهـا     تثير النـقع مـن كنـفى كداء

وقول الآخر :

كأن مثار النقع فـوق رؤوسنـا     وأسيـافنا ليل تهاوى كواكبه

وهذا هو المناسب لمعنى الآية ، وليس لتفسير النقع بالصوت فيها كثير معنى . فإن قولك:

أغارت الخيل على بنى فلان صبحًا ، فأثرن به صوتًا ، قليل الجدوى ، مغسول المعنى ، بعيد من بلاغة القرآن المعجزة . وقيل : النقع : شق الجيوب. وقال محمد بن كعب : النقع ما بين مزدلفة إلى منى . وقيل : إنه طريق الوادى . قال فى الصحاح : النقع : الغبار. والجمع أنقاع. والنقع : محبس الماء . وكذلك ما اجتمع فى البئر منه . والنقع : الأرض الحرة الطين ينقع فيها الماء. ﴿ فوسطن به جمعًا ﴾ أى توسطن بذلك الوقت ، أو توسطن ملتبسات بالنقع جمعًا من جموع الأعداء ، أو صرن بعدوهن وسط جمع الأعداء . والباء إما للتعدية ، أو للحالية ، أو زائدة . يقال : وسطت المكان، أى صرت فى وسطه . وانتصاب ﴿ جمعًا ﴾ على أنه مفعول به . والفاءات فى المواضع الأربعة للدلالة على ترتيب ما بعد كل واحـدة منها على ما قبلهـا . قـرأ الجمهور : ﴿فوسطن﴾ بتخفيف السين . وقرئ بالتشديد .

﴿ إن الإنسان لربه لكنود ﴾ هذا جواب القسم . والمراد بالإنسان : بعض أفراده ، وهو الكافر . والكنود : الكفور للنعمة . وقوله : ﴿ لربه ﴾ متعلق بكنود . قدم لرعاية الفواصل ، ومنه قول الشاعر :

كنود لنعماء الرجال ومن يكن كنـودًا لنعـمـاء الرجـال يبـعد

أى كفور لنعماء الرجال . وقيل : هو الجاحد للحق . قيل : إنها إنما سميت كندة ؛ لأنها جحدت أباها . وقيل : الكنود مأخوذ من الكند ، وهو القطع ، كأنه قطع ما ينبغى أن يواصله من الشكر . يقال : كند الحبل : إذا قطعه ، ومنه قول الأعشى :

وصول حبال وكنادها

وقيل : الكنود : البخيل ، وأنشد أبو زيد :

إن نفسى لم تطب منك نفسا غير أنى أمسى بدين كنود

وقيل : الكنود : الحسود . وقيل : الجهول لقدره . وتفسير الكنود بالكفور للنعمة أولى بالمقام . والجاحد للنعمة كافر لها . ولا يناسب المقام سائر ما قيل . ﴿ وإنه على ذلك لشهيد ﴾ أى وإن الإنسان على كنوده لشهيد يشهد على نفسه به لظهور أثره عليه . وقيل : المعنى : وإن اللّه جل ثناؤه على ذلك من ابن آدم لشهيد . وبه قال الجمهور . وقال بالأول الحسن وقتادة ومحمد بن كعب . وهو أرجح من قول الجمهور لقوله : ﴿ وإنه لحب الخير لشديد ﴾ فإن الضمير راجع إلى الإنسان. والمعنى : إنه لحب المال قوى مجد فى طلبه وتحصيله ، متهالك عليه ، يقال : هو شديد لهذا الأمر ، وقوى له : إذا كان مطيقًا له ، ومنه قوله تعالى : ﴿ إن ترك خيرًا ﴾ [ البقرة : ١٨٠ ] ومنه قول عدى بن حاتم :

ماذا ترجى النفوس من طلب الـ ـخير وحب الحياة كاربها

وقيل : المعنى : وإن الإنسان من أجل حب المال لبخيل . والأول أولى . واللام فى

﴿لحب﴾ متعلقة بشديد . قال ابن زيد : سمى اللّه المال خيرًا ، وعسى أن يكون شرًا ؛ ولكن الناس يجدونه خيرًا ، فسماه خيرًا . قال الفراء : أصل نظم الآية أن يقال : وإنه لشديد الحب للخير . فلما قدم الحب قال : لشديد . وحذف من آخره ذكر الحب ؛ لأنه قد جرى ذكره. ولرؤوس الآى كقوله : ﴿ فى يوم عاصف ﴾ [ إبراهيم : ١٨ ] والعصوف للريح ، لا لليوم ، كأنه قال : فى يوم عاصف الريح .

﴿ أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور ﴾ الاستفهام للإنكار . والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام ، أى يفعل ما يفعل من القبائح ، فلا يعلم . و ﴿ بعثر ﴾ معناه : نثر وبحث ، أى نثر ما فى القبور من الموتى ، وبحث عنهم وأخرجوا . قال أبو عبيدة : بعثرت المتاع : جعلت أسفله أعلاه . قال الفراء : سمعت بعض العرب من بنى أسد يقول : « بحثر » بالحاء مكان العين . وقد تقدم الكلام على هذا فى قوله : ﴿ وإذا القبور بعثرت ﴾ [ الانفطار: ٤]. ﴿وحصل ما فى الصدور﴾ أى ميز وبين ما فيها من الخير والشر . والتحصيل : التمييز ، كذا قال المفسرون . وقيل: حصل :أبرز . قرأ الجمهور : ﴿حصل﴾ بضم الحاء ، وتشديد الصاد مكسورًا مبنيًا للمفعول . وقرأ عبيد بن عمير وسعيد بن جبير ويحيى بن يعمر ونصر بن عاصم: « حصل » بفتح الحاء والصاد وتخفيفها مبنيًا للفاعل، أى ظهر . ﴿إن ربهم بهم يومئذ لخبير﴾ أى إن رب المبعوثين بهم لخبير ، لا تخفى عليه منهم خافية ، فيجازيهم بالخير خيرًا ، وبالشر شرًا . قال الزجاج : اللّه خبير بهم فى ذلك اليوم وفى غيره ، ولكن المعنى : إن اللّه يجازيهم على كفرهم فى ذلك اليوم . ومثله قوله تعالى : ﴿أولئك الذين يعلم اللّه ما فى قلوبهم ﴾ [ النساء : ٦٣ ] معناه : أولئك الذين لا يترك اللّه مجازاتهم . قرأ الجمهور : ﴿إن ربهم ﴾ بكسر الهمزة وباللام فى ﴿ لخبير ﴾ . وقرأ أبو السماك بفتح الهمزة ، وإسقاط اللام من ﴿لخبير ﴾ .

وقد أخرج البزار وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والدارقطنى فى الأفراد ، وابن مردويه عن ابن عباس قال : بعث رسول اللّه ﷺ خيلا ، فاستمرت شهرا لا يأتيه منها خبر ، فنزلت: ﴿والعاديات ضبحا ﴾: ضبحت بأرجلها. ولفظ ابن مردويه : ضبحت بمناخيرها .. ﴿فالموريات قدحا ﴾ : قدحت بحوافرها الحجارة ، فأورت نارًا . ﴿فالمغيرات صبحا﴾ : صبحت القوم بغارة . ﴿ فأثرن به نقعًا ﴾ : أثارت بحوافرها التراب . ﴿ فوسطن به جمعا ﴾ : صبحت القوم جميعًا . وأخرج ابن مردويه من وجه آخر عنه قال : بعث رسول اللّه ﷺ سرية إلى العدو ، فأبطأ خبرها ، فشق ذلك عليه ، فأخبره اللّه خبرهم ، وما كان من أمرهم ، فقال: ﴿والعاديات ضبحا﴾. قال : هى الخيل . والضبح : نخير الخيل حين تنخر . ﴿فالموريات قدحًا ﴾ ، قال : حين تجرى الخيل تورى نارًا أصابت بسنابكها الحجارة . ﴿فالمغيرات صبحا ﴾ قال : هى الخيل أغارت فصبحت العدو . ﴿ فأثرن به نقعا ﴾ قال : هى الخيل أثرن بحوافرها ، يقول : تعدو الخيل ، والنقع : الغبار . ﴿ فوسطن به جمعًا ﴾ قال : الجمع : العدو .

وأخرج عبد بن حميد عن أبى صالح قال : تقاولت أنا وعكرمة فى شأن العاديات ، فقال : قال ابن عباس : هى الخيل فى القتال ، وضبحها : حين ترخى مشافرها إذا عدت . ﴿فالموريات قدحا﴾: أرت المشركين مكرهم . ﴿ فالمغيرات صبحًا ﴾ قال : إذا صبحت العدو. ﴿ فوسطن به جمعًا ﴾ قال : إذا توسطت العدو . وقال أبو صالح : فقلت : قال على : هى الإبل فى الحج . ومولاى كان أعلم من مولاك .

وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم ، وابن الأنبارى فى كتاب الأضداد ، والحاكم وصححه، وابن مردويه عن ابن عباس ، قال : بينما أنا فى الحجر جالس ، إذ أتانى رجل يسأل عن ﴿ العاديات ضبحا ﴾ فقلت : الخيل حين تغير فى سبيل الله ، ثم تأوى إلى الليل ، فيصنعون طعامهم ، ويورون نارهم ، فانفتل عنى ، فذهب إلى على بن أبى طالب ، وهو جالس تحت سقاية زمزم ، فسأله عن ﴿ العاديات ضبحًا ﴾ فقال : سألت عنها أحدًا قبلى ؟ قال: نعم ، سألت عنها ابن عباس ، فقال : هى الخيل حين تغير فى سبيل الله . فقال : اذهب ، فادعه لى . فلما وقفت على رأسه ، قال : تفتى الناس بما لا علم لك ، والله إن كانت لأول غزوة فى الإسلام لبدر ، وما كان معنا إلا فرسان : فرس للزبير ، وفرس للمقداد ابن الأسود ، فكيف تكون العاديات ضبحًا ، إنما العاديات ضبحًا من عرفة إلى المزدلفة ، فإذا أووا إلى المزدلفة ، أوقدوا النيران، والمغيرات صبحًا من المزدلفة إلى منى . فذلك جمع . وأما قوله : ﴿ فأثرن به نقعا ﴾ فهى نقع الأرض تطؤه بأخفافها وحوافرها . قال ابن عباس : فنزعت عن قولى ، ورجعت إلى الذى قال على . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن مسعود : ﴿ والعاديات ضبحا﴾ قال : الإبل . أخرجه عنه من طريق الأعمش عن إبراهيم النخعى . قال إبراهيم : وقال على بن أبى طالب: هى الإبل . وقال ابن عباس : هى الخيل . فبلغ على قول ابن عباس ، فقال : ما كانت لنا خيل يوم بدر . قال ابن عباس : إنما كانت تلك فى سرية بعثت . وأخرج عبد بن حميد ، عن عامر الشعبى ، قال : تمارى على وابن عباس فى ﴿ العاديات ضبحًا ﴾ ، فقال ابن عباس : هى الخيل . وقال على : كذبت يابن فلانة . والله ما كان معنا يوم بدر فارس إلا المقداد كان على فرس أبلق . قال : وكان يقول : هى الإبل . فقال ابن عباس : ألا ترى أنها تثير نقعًا ، فما شىء تثيره إلا بحوافرها .

وأخرج عبد بن حميد ، والحاكم وصححه من طريق مجاهد عن ابن عباس : ﴿والعاديات ضبحًا ﴾ قال : الخيل. ﴿ فالموريات قدحا ﴾ قال : الرجل إذا أورى زنده . ﴿ فالمغيرات صبحًا ﴾ قال : الخيل تصبح العدو . ﴿فأثرن به نقعًا﴾ قال : التراب . ﴿ فوسطن به جمعًا ﴾ قال : العدو . وأخرج عبد بن حميد عن مجاهد : ﴿والعاديات ضبحًا﴾ قال : قال ابن عباس: القتال . وقال ابن مسعود : الحج . وأخرج عبد الرزاق وسعيد بن منصور وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم من طريق عمرو بن دينار عن ابن عباس : ﴿ والعاديات ضبحًا﴾ ، قال: ليس شىء من الدواب يضبح إلا الكلب أو الفرس. ﴿ فالموريات قدحًا ﴾ قال : هو مكر

الرجل قـدح فـأورى. ﴿ فالمغيرات صبحًا ﴾ قـال : غـارة الخيل صبحًا . ﴿ فأثرن به نقعًا ﴾ قال : غبار وقع سنابك الخيل . ﴿فوسطن به جمعًا ﴾ قال : جمع العدو . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس : ﴿ والعاديات ضبحًا ﴾ قال : الخيل ضبحها زحيرها . ألم تر أن الفرس إذا عدا قال : أح أح . فذلك ضبحها . وأخرج ابن المنذر عن على قال: الضبح من الخيل : الحمحمة . ومن الإبل : النفس . وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود : ﴿والعاديات ضبحا﴾ قال : هى الإبل فى الحج . ﴿ فالموريات قدحًا ﴾ : إذا سفت الحصى بمناسمها ، فضرب الحصى بعضه بعضًا ، فيخرج منه النار . ﴿ فالمغيرات صبحًا ﴾ : حين يفيضون من جمع . ﴿ فأثرن به نقعا ﴾ قال : إذا سرن يثرن التراب .

وأخرج سعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه من طرق عن ابن عباس قال : الكنود بلساننا أهل البلد : الكفور . وأخرج ابن عساكر عن أبى أمامة عن النبى ﷺ فى قوله : ﴿ إن الإنسان لربه لكنود ﴾ قال : « لكفور » . وأخرج عبد بن حميد ، والبخارى فى الأدب ، والحكيم الترمذى وابن مردويه عن أبى أمامة قال : الكنود الذى يمنع رفده ، وينزل وحده ، ويضرب عبده . ورواه عنه ابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه والديلمى وابن عساكر مرفوعًا ، وضعف إسناده السيوطى . وفى إسناده جعفر بن الزبير . وهو متروك . والموقوف أصح لأنه لم يكن من طريقه (١) . وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس ﴿وإنه على ذلك لشهيد﴾ قال : الإنسان . ﴿ وإنه لحب الخير ﴾ قال : المال . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عنه : ﴿ إذا بعثر ما فى القبور ﴾ قال : بحث . ﴿وحصل ما فى الصدور ﴾ قال : أبرز .

---

(١) ابن جرير ٣٠/ ١٨٠ والطبرانى (٧٩٥٨) .

## تفسير سورة القارعة

هى إحدى عشرة آية . وقيل : عشر آيات . وهى مكية بلا خلاف . أخرج ابن مردويه عن ابن عباس ، قال : نزلت سورة القارعة بمكة .

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ الْقَارِعَةُ ① مَا الْقَارِعَةُ ② وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ③ يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ④ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ ⑤ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ⑥ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ⑦ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ⑧ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ⑨ وَمَا أَدْرَاكَ مَاهِيَهْ ⑩ نَارٌ حَامِيَةٌ ⑪ ﴾ .

القارعة من أسماء القيامة ؛ لأنها تقرع القلوب بالفزع ، وتقرع أعداء اللّه بالعذاب . والعرب تقول : قرعتهم القارعة : إذا وقع بهم أمر فظيع ، قال ابن أحمر :

وقارعة من الأيام لولا سبيلهم لراحت عنك حينا

وقال آخر :

متى نقرع بمروتكم نسؤكم ولما يوقد لنا فى القدر نار

و ﴿ القارعة ﴾ مبتدأ ، وخبرها قوله : ﴿ ما القارعة ﴾ . وبالرفع قرأ الجمهور . وقرأ عيسى بنصبها على تقدير : احذروا القارعة . والاستفهام للتعظيم والتفخيم لشأنها ، كما تقدم بيانه فى قوله : ﴿ الحاقة . ما الحاقة . وما أدراك ما الحاقة ﴾ [الحاقة : ١ــ٣] . وقيل : معنى الكلام على التحذير . قال الزجاج : والعرب تحذر وتغرى بالرفع كالنصب ، وأنشد قول الشاعر :

لجديرون بالوفاء إذا قال أخو النجدة السلاح السلاح

والحمل على معنى التفخيم والتعظيم أولى ، ويؤيده وضع الظاهر موضع الضمير ، فإنه أدل على هذا المعنى . ويؤيده أيضا قوله : ﴿ وما أدراك ما القارعة ﴾ فإنه تأكيد لشدة هولها ، ومزيد فظاعتها حتى كأنها خارجة عن دائرة علوم الخلق، بحيث لا تنالها دراية أحد منهم . و«ما» الاستفهامية مبتدأ ، و ﴿ أدراك ﴾ خبرها . و﴿ ما القارعة ﴾ مبتدأ وخبر . والجملة فى محل نصب على أنها المفعول الثانى ، والمعنى : وأى شىء أعلمك ما شأن القارعة ؟ ثم بين سبحانه متى تكون القارعة ، فقال : ﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ﴾ . وانتصاب الظرف بفعل محذوف تدل عليه القارعة ، أى تقرعهم يوم يكون الناس . . . إلخ . ويجوز

أن يكون منصوبًا بتقدير : اذكر . وقال ابن عطية ومكى وأبو البقاء : هو منصوب بنفس القارعة . وقيل : هو خبر مبتدأ محذوف ، وإنما نصب لإضافته إلى الفعل . فالفتحة فتحة بناء، لا فتحة إعراب ، أى هى يوم يكون . . . إلخ . وقيل : التقدير : ستأتيكم القارعة . يوم يكون . وقرأ زيد بن على برفع يوم على الخبرية للمبتدأ المقدر . و﴿الفراش ﴾ الطير الذى تراه يتساقط فى النار والسراج . والواحدة فراشة كذا قال أبو عبيدة وغيره. قال الفراء : الفراش هو الطائر من بعوض وغيره . ومنه الجراد . قال : وبه يضرب المثل فى الطيش والهوج . يقال: أطيش من فراشة ، وأنشد :

فراشة الحلم فرعون العذاب وإن يطلب نداه فكلب دونه كلب

وقول آخر :

وقد كان أقوام رددت حلومهم عليهم وكانوا كالفراش من الجهل

والمراد بالمبثوث : المتفرق المنتشر . يقال : بثه : إذا فرقه . ومثل هذا قوله سبحانه فى آية أخرى : ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ [ القمر : ٧ ] وقال : ﴿ المبثوث ﴾ ولم يقل : المبثوثة ؛ لأن الكل جائز كما فى قوله : ﴿ أعجاز نخل منقعر ﴾ [ القمر : ٢٠ ] و ﴿ أعجاز نخل خاوية ﴾ [ الحاقة : ٧ ] وقد تقدم بيان وجه ذلك . ﴿ وتكون الجبال كالعهن المنفوش﴾ أى كالصوف الملون بالألوان المختلفة الذى نفش بالندف . والعهن عند أهل اللغة : الصوف المصبوغ بالألوان المختلفة . وقد تقدم بيان هذا فى سورة ﴿ سأل سائل ﴾ وقد ورد فى الكتاب العزيز أوصاف للجبال يوم القيامة . وقد قدمنا بيان الجمع بينها .

ثم ذكر سبحانه أحوال الناس وتفرقهم فريقين على جهة الإجمال فقال : ﴿ فأما من ثقلت موازينه . فهو فى عيشة راضية ﴾ . قد تقدم القول فى الميزان فى سورة الأعراف ، وسورة الكهف، وسورة الأنبياء . وقد اختلف فيها هنا . فقيل: هى جمع موزون ، وهو العمل الذى له وزن وخطر عند الله . وبه قال الفراء وغيره . وقيل : هى جمع ميزان ، وهو الآلة التى توضع فيها صحائف الأعمال ، وعبر عنه بلفظ الجمع ، كما يقال : لكل حادثة ميزان. وقيل : المراد بالموازين : الحجج والدلائل ، كما فى قول الشاعر :

لقد كنت قبل لقائكم ذا مرة عندى لكل مخاصم ميزانه

ومعنى ﴿ عيشة راضية ﴾ : مرضية يرضاها صاحبها . قال الزجاج : أى ذات رضى يرضاها صاحبها . وقيل: ﴿عيشة راضية ﴾ أى فاعلة للرضى . وهو اللين ، والانقياد لأهلها ، والعيشة كلمة تجمع النعم التى فى الجنة . ﴿وأما من خفت موازينه ﴾ أى رجحت سيئاته على حسناته ، أو لم تكن له حسنات يعتد بها ﴿ فأمه هاوية ﴾ أى فمسكنه جهنم . وسماها أمه ، لأنه يأوى إليها كما يأوى إلى أمه . والهاوية من أسماء جهنم . وسميت هاوية، لأنه يهوى

فيها مع بعد قعرها ، ومنه قول أمية بن أبى الصلت :

فالأرض معقلنا وكانت أمنا فيها مقابرنا وفيها نولد

وقول الآخر :

يا عمرو لو نالتك أرماحنا كنت كمن تهوى به الهاويه

والمهوى والمهواة : ما بين الجبلين ، وتهاوى القوم فى المهواة : إذا سقط بعضهم فى إثر بعض . قال قتادة : معنى ﴿فأمه هاوية﴾ : فمصيره إلى النار . قال عكرمة : لأنه يهوى فيها على أم رأسه . قال الأخفش : أمه : مستقره . ﴿ وما أدراك ما هيه ﴾ ؟ هذا الاستفهام للتهويل والتفظيع ببيان أنها خارجة عن المعهود بحيث لا تحيط بها علوم البشر ، ولا تدرى كنهها . ثم بينها سبحانه فقال : ﴿ نار حامية ﴾ أى قد انتهى حرها ، وبلغ فى الشدة إلى الغاية ، وارتفاع ﴿نار﴾ على أنها خبر مبتدأ محذوف ، أى هى نار حامية .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم من طرق عن ابن عباس قال : القارعة من أسماء يوم القيامة . وأخرج ابن المنذر عنه فى قوله : ﴿ فأمه هاوية ﴾ قال : كقوله : هوت أمه. وأخرج ابن أبى حاتم عن عكرمة : ﴿فأمه هاوية ﴾ قال : أم رأسه هاوية فى جهنم . وأخرج ابن مردويه عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا مات المؤمن ، تلقته أرواح المؤمنين يسألونه : ما فعل فلان ؟ ما فعلت فلانة ؟ فإذا كان مات ولم يأتهم قالوا : خولف به إلى أمه الهاوية ، فبئست الأم، وبئست المربية » . وأخرج ابن مردويه من حديث أبى أيوب الأنصارى نحوه . وأخرج ابن المبارك من حديث أبى أيوب نحوه أيضًا .

## تفسير سورة التكاثر

هى ثمان آيات . وهى مكية عند الجميع ، وروى البخارى أنها مدنية . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس ، قال : نزل بمكة : ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ . وأخرج الحاكم ، والبيهقى فى الشعب عن ابن عمر قال : قال رسول اللّه ﷺ : « ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية فى كل يوم ؟ » قالوا : ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية فى كل يوم ؟ قال : « أما يستطيع أحدكم أن يقرأ: ﴿ألهاكم التكاثر ﴾ ؟ » (١) .

وأخرج الخطيب فى المتفق والمفترق ، والديلمى عن عمر بن الخطاب قال : قال رسول اللّه ﷺ: « من قرأ فى ليلة ألف آية ، لقى اللّه ، وهو ضاحك فى وجهه » . قيل : يا رسول اللّه، ومن يقوى على ألف آية ؟ فقرأ : بسم اللّه الرحمن الرحيم ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ إلى آخرها ، ثم قال : « والذى نفسى بيده إنها لتعدل ألف آية » .

وأخرج مسلم والترمذى والنسائى وغيرهم عن عبد اللّه بن الشخير قال : انتهيت إلى رسول اللّه ﷺ ، وهو يقرأ: ﴿ألهاكم التكاثر ﴾ . وفى لفظ : وقد أنزلت عليه : ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ . وهو يقول : « ابن آدم مالى مالى ، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت»(٢). وأخرجه مسلم وغيره من حديث أبى هريرة ، ولم يذكر فيه قراءة هذه السورة، ولا نزولها بلفظ: « يقول العبد مالى مالى ، وإنما له من ماله ثلاثة ، ما أكل فأفنى ، أو لبس فأبلى ، أو تصدق فأقنى ، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس »(٣) . وأخرج الحكيم الترمذى فى نوادر الأصول ، والبيهقى فى الشعب وضعفه عن جرير بن عبد اللّه ، قال : قال لنا رسول اللّه ﷺ : «إنى قارئ عليكم سورة ألهاكم التكاثر ، فمن بكى فله الجنة »، فقرأها فمنا من بكى ومنا من لم يبك . فقال الذين لم يبكوا: قد جهدنا يارسول الله أن نبكى فلم نقدر عليه. فقال: «إنى قارئها عليكم الثانية، فمن بكى فله الجنة، ومن لم يقدر أن يبكى، فليتباكى»(٤).

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ (١) حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ (٢) كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٣) ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ (٤) كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ (٥) لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ (٦) ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ (٧)

---

(١) صححه الحاكم ١/٥٦٧ وقال : « رواة الحديث كلهم ثقات ، وعقبة هذا غير مشهور » ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الشعب (٢٢٨٧) ورجاله موثقون .

(٢) مسلم فى الزهد والرقائق (٢٩٥٨/ ٣) والترمذى فى الزهد (٢٣٤٢) وقال : « هذا حديث حسن صحيح » والنسائى فى التفسير (٧١٦) .

(٣) مسلم فى الزهد والرقائق (٢٩٥٩/ ٤) وقال الحافظ ابن كثير ٧/ ٣٦٠ : « تفرد به مسلم » .

(٤) البيهقى فى الشعب (١٨٩٤) .

﴿ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ .

قوله : ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ أى شغلكم التكاثر بالأموال والأولاد ، والتفاخر بكثرتها ، والتغالب فيها . يقال : ألهاه عن كذا ، وألهاه : إذا شغله . ومنه قول امرئ القيس :

فألهيتها عن ذى تمائم محول

وقال الحسن : معنى ﴿ ألهاكم ﴾ : أنساكم . ﴿ حتى زرتم المقابر ﴾ أى حتى أدرككم الموت ، وأنتم على تلك الحال . وقال قتادة : إن التكاثر : التفاخر بالقبائل والعشائر . وقال الضحاك : ألهاكم التشاغل بالمعاش . وقال مقاتل وقتادة أيضًا وغيرهما : نزلت فى اليهود حين قالوا : نحن أكثر من بنى فلان ، وبنو فلان أكثر من بنى فلان ألهاهم ذلك حتى ماتوا. وقال الكلبى : نزلت فى حيين من قريش : بنى عبد مناف ، وبنى سهم ، تعادوا وتكاثروا بالسيادة والأشراف فى الإسلام . فقال كل حى منهم : نحن أكثر سيدًا ، وأعز عزيزًا ، وأعظم نفرًا ، وأكثر قائدًا . فكثر بنو عبد مناف بنى سهم. ثم تكاثروا بالأموات ، فكثرتهم بهم ، فنزلت : ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ فلم ترضوا ﴿ حتى زرتم المقابر ﴾ مفتخرين بالأموات . وقيل : نزلت فى حيين من الأنصار . والمقابر : جمع مقبرة بفتح الباء وضمها . وفى الآية دليل على أن الاشتغال بالدنيا ، والمكاثرة بها ، والمفاخرة فيها من الخصال المذمومة . وقال سبحانه : ﴿ألهاكم التكاثر ﴾ ، ولم يقل عن كذا ، بل أطلقه لأن الإطلاق أبلغ فى الذم ، لأنه يذهب الوهم فيه كل مذهب ، فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام . ولأن حذف المتعلق مشعر بالتعميم كما تقرر فى علم البيان . والمعنى أنه شغلكم التكاثر عن كل شىء يجب عليكم الاشتغال به من طاعة الله والعمل للآخرة . وعبر عن موتهم بزيارة المقابر ؛ لأن الميت قد صار إلى قبره كما يصير الزائر إلى الموضع الذى يزوره . هذا على قول من قال : إن معنى ﴿ زرتم المقابر ﴾: متم . وأما على قول من قال : إن معنى ﴿زرتم المقابر ﴾ : ذكرتم الموتى، وعددتموهم للمفاخرة والمكاثرة ، فيكون ذلك على طريق التهكم بهم . وقيل : إنهم كانوا يزورون المقابر، فيقولون: هذا قبر فلان ، وهذا قبر فلان ، يفتخرون بذلك .

﴿ كلا سوف تعلمون ﴾ ردع وزجر لهم عن التكاثر ، وتنبيه على أنهم سيعلمون عاقبة ذلك يوم القيامة . وفيه وعيد شديد . قال الفراء : أى ليس الأمر على ما أنتم عليه من التكاثر والتفاخر . ثم كرر الردع والزجر والوعيد فقال : ﴿ثم كلا سوف تعلمون ﴾ و « ثم » للدلالة على أن الثانى أبلغ من الأول . وقيل : الأول عند الموت أو فى القبر . والثانى يوم القيامة . قال الفراء : هذا التكرار على وجه التغليظ والتأكيد . قال مجاهد : هو وعيد بعد وعيد. وكذا قال الحسن ومجاهد . ﴿ كلا لو تعلمون علم اليقين﴾ أى لو تعلمون الأمر الذى أنتم صائرون إليه علمًا يقينا كعلمكم ما هو متيقن عندكم فى الدنيا . وجواب « لو » محذوف ، أى لشغلكم ذلك عن التكاثر والتفاخر ، أو لفعلتم ما ينفعكم من الخير ، وتركتم ما لا ينفعكم مما أنتم

فيه. و ﴿ كلا ﴾ فى هذا الموضع الثالث للزجر والردع ، كالموضعين الأولين . وقال الفراء : هى بمعنى « حقا » . وقيل : هى فى المواضع الثلاثة بمعنى ألا . قال قتادة : اليقين هنا : الموت . وروى عنه أيضًا أنه قال : هو البعث . قال الأخفش : التقدير : لو تعلمون علم اليقين ما ألهاكم .

وقوله : ﴿ لترون الجحيم ﴾ جواب قسم محذوف . وفيه زيادة وعيد وتهديد ، أى والله لترون الجحيم فى الآخرة. قال الرازى : وليس هذا جواب « لو » ؛ لأن جواب « لو » يكون منفيًا . وهذا مثبت . ولأنه عطف عليه ﴿ ثم لتسألن ﴾ وهو مستقبل لابد من وقوعه . قال : وحذف جواب « لو » كثير . والخطاب للكفار . وقيل : عام كقوله : ﴿ وإن منكم إلا واردها﴾ [ مريم : ٧١ ] ، قرأ الجمهور : ﴿ لترون ﴾ بفتح التاء مبنيًا للفاعل . وقرأ الكسائى وابن عامر بضمها مبنيًا للمفعول . ثم كرر الوعيد والتهديد للتأكيد فقال : ﴿ ثم لترونها عين اليقين ﴾ أى ثم لترون الجحيم الرؤية التى هى نفس اليقين ، وهى المشاهدة والمعاينة . وقيل : المعنى : لترون الجحيم بأبصاركم على البعد منكم . ثم لترونها مشاهدة على القرب. وقيل : المراد بالأول رؤيتها قبل دخولها ، والثانى رؤيتها حال دخولها . وقيل : هو إخبار عن دوام بقائهم فى النار، أى هى رؤية دائمة متصلة . وقيل : المعنى : لوتعلمون اليوم علم اليقين ، وأنتم فى الدنيا ، لترون الجحيم بعيون قلوبكم ، وهو أن تتصوروا أمر القيامة وأهـوالها.

﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ أى عن نعيم الدنيا الذى ألهاكم عن العمل للآخرة . قال قتادة : يعنى كفار مكة ، كانوا فى الدنيا فى الخير والنعمة ، فيسألون يوم القيامة عن شكر ما كانوا فيه ولم يشكروا رب النعم حيث عبدوا غيره وأشركوا به . قال الحسن : لا يسأل عن النعيم إلا أهل النار . وقال قتادة : إن الله سبحانه سائل كل ذى نعمة عما أنعم عليه. وهذا هو الظاهر ولا وجه لتخصيص النعيم بفرد من الأفراد ، أو نوع من الأنواع ، لأن تعريفه للجنس ، أو الاستغراق ومجرد السؤال لا يستلزم تعذيب المسؤول على النعمة التى يُسأل عنها . فقد يسأل الله المؤمن عن النعم التى أنعم بها عليه فيم صرفها ؟ وبم عمل فيها ؟ ليعرف تقصيره وعدم قيامه بما يجب عليه من الشكر . وقيل : السؤال عن الأمن والصحة . وقيل: عن الصحة والفراغ . وقيل : عن الإدراك بالحواس . وقيل : عن ملاذ المأكول والمشروب . وقيل : عن الغداء والعشاء . وقيل: عن بارد الشراب وظلال المساكن . وقيل : عن اعتدال الخلق . وقيل: عن لذة النوم . والأولى العموم كما ذكرنا .

وقد أخرج ابن أبى حاتم عن أبى بردة فى قوله : ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ ، قال : نزلت فى قبيلتين من قبائل الأنصار فى بنى حارثة وبنى الحارث ، تفاخروا وتكاثروا ، فقالت إحداهما : فيكم مثل فلان وفلان . وقال الآخرون مثل ذلك ، تفاخروا بالأحياء ، ثم قالوا : انطلقوا بنا إلى القبور . فجعلت إحدى الطائفتين تقول : فيكم مثل فلان . يشيرون إلى القبر، ومثل

فلان. وفعل الآخرون كذلك ، فأنزل الله : ﴿ ألهاكم التكاثر . حتى زرتم المقابر ﴾ لقد كان لكم فيما زرتم عبرة وشغل . وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس فى قوله : ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ قال : فى الأموال والأولاد . وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: قرأ رسول الله ﷺ : « ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ يعنى عن الطاعة . ﴿حتى زرتم المقابر ﴾ يقول: حتى يأتيكم الموت . ﴿ كلا سوف تعلمون ﴾ يعنى : لو قد دخلتم قبوركم . ﴿ ثم كلا سوف تعلمون ﴾ يقول : لو قد خرجتم من قبوركم إلى محشركم . ﴿ كلا لو تعلمون علم اليقين ﴾ قال : لو قد وقفتم على أعمالكم بين يدى ربكم . ﴿ لترون الجحيم﴾ وذلك أن الصراط يوضع وسط جهنم ، فناج مسلم ، ومخدوش مسلم ، ومكدوش فى نار جهنم . ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ يعنى : شبع البطون ، وبارد الشرب ؛ وظلال المساكن ، واعتدال الخلق ، ولذة النوم » . وأخرج ابن مردويه عن عياض بن غنم مرفوعًا نحوه .

وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب عن ابن عباس فى قوله : ﴿ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ قال : صحة الأبدان والأسماع والأبصار ، وهو أعلم بذلك منهم ، وهو قوله : ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾ [ الإسراء : ٣٦ ] . وأخرج عبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد، وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن مسعود عن النبى ﷺ : ﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ قال : الأمن والصحة . وأخرج البيهقى عن على بن أبى طالب ، قال : النعيم : العافية . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه فى الآية ، قال : من أكل خبز البر ، وشرب ماء الفرات مبردا ، وكان له منزل يسكنه ، فذلك من النعيم الذى يُسأل عنه . وأخرج ابن مردويه عن أبى الدرداء قال : قال رسول الله ﷺ فى الآية : « أكل خبز البر ، والنوم فى الظل ، وشرب ماء الفرات مبردا ». ولعل رفع هذا لا يصح ، فربما كان من قول أبى الدرداء . وأخرج أحمد فى الزهد ، وابن مردويه عن أبى قلابة عن النبى ﷺ فى الآية ، قال : « ناس من أمتى يعقدون السمن والعسل بالنقى فيأكلونه » (١) . وهذا مرسل .

وأخرج عبد بن حميد وابن أبى حاتم عن عكرمة قال : لما نزلت هذه الآية ، قال الصحابة: يا رسول الله ، أى نعيم نحن فيه ، وإنما نأكل فى أنصاف بطوننا خبز الشعير . فأوحى الله إلى نبيه ﷺ أن قل لهم : « أليس تحتذون النعال ، وتشربون الماء البارد ، فهذا من النعيم » . وأخرج ابن أبى شيبة وهناد وأحمد وابن جرير وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب عن محمود بن لبيد قال : لما نزلت : ﴿ ألهاكم التكاثر ﴾ فقرأ حتى بلغ :﴿ ثم لتسألن يومئذ عن النعيم ﴾ قالوا: يا رسول الله ، أى نعيم نسأل عنه ؟ وإنما هما الأسودان ، الماء والتمر ، وسيوفنا على رقابنا ، والعدو حاضر ، فعن أى نعيم نسأل ؟ قال : « أما إن ذلك سيكون»(٢).

---

(١) أحمد فى الزهد (١٦٦) .

(٢) ابن أبى شيبة (١٦١٩٢) وأحمد ٥/٤٢٩ وابن جرير ٣٠/١٨٦ والبيهقى فى الشعب (٤٢٧٨) ورجاله موثقون .

وأخرجه عبد بن حميد والترمذى وابن مردويه من حديث أبى هريرة[(١)] . وأخرجه أحمد ، والترمذى وحسنه،وابن ماجة وابن المنذر وابن مردويه من حديث الزبير بن العوام [(٢)] . وأخرج أحمد فى الزهد ، وعبد بن حميد والترمذى وابن جرير ،وابن حبان وابن مردويه والحاكم ، والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « إن أول ما يسأل العبد عنه يوم القيامة من النعيم أن يقال له : ألم نصح لك جسدك ، ونروك من الماء البارد » [(٣)] .

وأخرج أحمد وعبد بن حميد والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب عن جابر بن عبد الله قال : جاءنا رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر ، فأطعمناهم رطبًا ، وسقيناهم ماء . فقال رسول الله ﷺ : « هذا من النعيم الذى تسألون عنه »[(٤)] . وأخرج عبد بن حميد وابن مردويه والبيهقى من حديث جابر بن عبد الله نحوه . وأخرج مسلم وأهل السنن وغيرهم عن أبى هريرة قال : خرج النبى ﷺ ، فإذا هو بأبى بكر وعمر فقال : «ما أخرجكما من بيوتكما الساعة ؟ » قالا : الجوع يا رسول الله . قال : « والذى نفسى بيده لأخرجنى الذى أخرجكما ، فقوما » . فقاما معه ، فأتى رجلا من الأنصار ، فإذا هو ليس فى بيته . فلما رأته المرأة ، قالت : مرحبا. فقال النبى ﷺ : «أين فلان ؟ » قالت : انطلق يستعذب لنا الماء ، إذ جاء الأنصارى ، فنظر إلى النبى ﷺ وصاحبيه فقال : الحمد لله ماأحد اليوم أكرم أضيافًا منى . فانطلق فجاء بعذق فيه بسر وتمر فقال : كلوا من هذا . وأخذ المدية ، فقال له رسول الله ﷺ : «إياك والحلوب » . فذبح لهم فأكلوا من الشاة ، ومن ذلك العذق وشربوا . فلما شبعوا ورووا ، قال رسول الله ﷺ لأبى بكر وعمر : « والذى نفسى بيده لتسألن عن هذا النعيم يوم القيامة ». وفى الباب أحاديث [(٥)] .

---

(١) الترمذى فى التفسير (٣٣٥٧) وفيه أبو بكر بن عياش ، قال الحافظ فى التقريب ٢/ ٣٩٩ : « ثقة عابد إلا أنه لما كبر ساء حفظه وكتابه صحيح ».

(٢) أحمد ١/ ١٦٤ والترمذى فى التفسير (٣٣٥٦) وقال : « هذا حديث حسن » وابن ماجة فى الزهد (٤١٥٨) .

(٣) أحمد فى الزهد (١٦٧) والترمذى فى التفسير (٣٣٥٨) وقال : « هذا حديث غريب » وابن جرير ٣٠/ ١٨٦ وابن حبان (٧٣٢٠) وهو مروى عن عبد الرحمن الأشعرى ، وصححه الحاكم ٤/ ١٣٨ ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الشعب (٤٢٨٧) وإسناده ضعيف .

(٤) أحمد ٣/ ٣٣٨ والنسائى فى الوصايا (٦٤٦٦) وابن جرير ١٨٥٣٠ والبيهقى فى الشعب (٤٢٧٩) ورجاله ثقات .

(٥) مسلم فى الأشربة (١٤٠/٢٠٣٨) وابن جرير ٣٠/ ١٨٥ والبيهقى فى الشعب (٤٢٨٤) ورجاله موثقون .

## تفسير سورة العصر

هى ثلاث آيات ، وهى مكية عند الجمهور . وقال قتادة : هى مدنية . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس ، قال : نزلت سورة العصر بمكة . وأخرج الطبرانى فى الأوسط ، والبيهقى فى الشعب عن أبى مزينة الدارمى ، وكانت له صحبة، قال : كان الرجلان من أصحاب النبى ﷺ إذا التقيا ، لم يتفرقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ، ثم يسلم أحدهما على الآخر(١) .

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣ ﴾ .

أقسم سبحانه بالعصر ، وهو الدهر ، لما فيه من العبر من جهة مرور الليل والنهار ، على تقدير الأدوار ، وتعاقب الظلام والضياء ، فإن فى ذلك دلالة بينة على الصانع عز وجل وعلى توحيده . ويقال لليل : عصر ، وللنهار : عصر ، ومنه قول حميد بن ثور :

ولم ينته العصران يوم وليلة إذا طلبا أن يدركا ماتمنيا

ويقال للغداة والعشى : عصران ، ومنه قول الشاعر :

وأمطله العصرين حتى يملنى ويرضى بنصف الدين والأنف راغم

وقال قتادة والحسن : المراد به فى الآية : العشى ، وهو ما بين زوال الشمس وغروبها ، ومنه قول الشاعر :

تروح بنا يا عمرو وقد قصر العصر وفى الروحة الأولى الغنيمة والأجر

وروى عن قتادة أيضًا : أنه آخر ساعة من ساعات النهار . وقال مقاتل : إن المراد به : صلاة العصر ، وهى الصلاة الوسطى التى أمر الله سبحانه بالمحافظة عليها . وقيل : هو قسم(٢) بعصر النبى ﷺ . قال الزجاج : قال بعضهم : معناه: ورب العصر . والأول أولى. ﴿ إن الإنسان لفى خسر ﴾ هذا جواب القسم . الخسر والخسران: النقصان وذهاب رأس المال . والمعنى : أن كل إنسان فى المتاجر والمساعى وصرف الأعمار فى أعمال الدنيا لفى نقص وضلال عن الحق حتى يموت . وقيل : المراد بالإنسان : الكافر . وقيل : جماعة من الكفار . وهم :

---

(١) قال الهيثمى فى المجمع ١٠/٢٣٦ : « رواه الطبرانى فى الأوسط ورجاله رجال الصحيح » والبيهقى فى الشعب (٩٠٥٧) . ط . دار الكتب العلمية.

(٢) فى المطبوعة : « قسما » بالنصب ، والصحيح ما أثبتناه من المخطوطة .

الوليد بن المغيرة ، والعاص بن وائل ، والأسود بن عبد المطلب بن أسد . والأول أولى ، لما فى لفظ الإنسان من العموم ، ولدلالة الاستثناء عليه . قال الأخفش: ﴿ فى خسر ﴾ : فى هلكة. وقال الفراء : عقوبة . وقال ابن زيد : لفى شر . قرأ الجمهور : ﴿ والعصْر ﴾ بسكون الصاد. وقرؤوا أيضا : ﴿ خُسْر ﴾ بضم الخاء وسكون السين . وقرأ يحيى بن سلام: « والعصر » بكسر الصاد. وقرأ الأعرج وطلحة وعيسى : « خُسُر » بضم الخاء والسين . ورويت هذه القراءة عن عاصم .

﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أى جمعوا بين الإيمان بالله والعمل الصالح ، فإنهم فى ربح لا فى خسر ؛ لأنهم عملوا للآخرة ، ولم تشغلهم أعمال الدنيا عنها . والاستثناء متصل . ومن قال : إن المراد بالإنسان : الكافر فقط ، فيكون منقطعًا ، ويدخل تحت هذا الاستثناء كل مؤمن ومؤمنة . ولا وجه لما قيل من أن المراد الصحابة أو بعضهم ، فإن اللفظ عام لا يخرج عنه أحد ممن يتصف بالإيمان والعمل الصالح . ﴿ وتواصوا بالحق ﴾ أى وصى بعضهم بعضًا بالحق الذى يحق القيام به ، وهو الإيمان بالله والتوحيد ، والقيام بما شرعه الله ، واجتناب ما نهى عنه . قال قتادة : ﴿ بالحق ﴾ : أى بالقرآن . وقيل : بالتوحيد ، والحمل على العموم أولى . ﴿ وتواصوا بالصبر ﴾ أى بالصبر عن معاصى الله سبحانه والصبر على فرائضه . وفى جعل التواصى بالصبر قرينًا للتواصى بالحق دليل على عظيم قدره وفخامة شرفه، ومزيد ثواب الصابرين على ما يحق الصبر عليه ﴿ إن الله مع الصابرين ﴾ [ الأنفال : ٤٦ ] . وأيضا التواصى بالصبر مما يندرج تحت التواصى بالحق . فإفراده بالذكر وتخصيصه بالنص عليه من أعظم الأدلة الدالة على إنافته على خصال الحق ، ومزيد شرفه عليها ، وارتفاع طبقته عنها.

وقد أخرج ابن المنذر عن ابن عباس فى قوله : ﴿ والعصر ﴾ قال : الدهر . وأخرج ابن جرير عنه قال : هو ساعة من ساعات النهار . وأخرج ابن المنذر عنه أيضا قال : هو ما قبل مغيب الشمس من العشى . وأخرج الفريابى ، وأبو عبيد فى فضائله ، وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر ، وابن الأنبارى فى المصاحف عن على بن أبى طالب ؛ أنه كان يقرأ: «والعصر ونوائب الدهر ، إن الإنسان لفى خسر ، وإنه فيه إلى آخر الدهر». وأخرج عبد بن حميد عن ابن مسعود أنه كان يقرأ : « والعصر . إن الإنسان لفى خسر ، وإنه لفيه إلى آخر الدهر » .

## تفسير سورة الهمزة

هى تسع آيات . وهى مكية بلا خلاف . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : أنزلت : ﴿ ويل لكل همزة لمزة﴾ بمكة .

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ ① الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ ② يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ③ كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ④ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ ⑤ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ⑥ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ⑦ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُؤْصَدَةٌ ⑧ فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ ⑨ ﴾ .

الويل : هو مرتفع على الابتداء . وسوغ الابتداء به مع كونه نكرة كونه دعاء عليهم . وخبره : ﴿ لكل همزة لمزة﴾ ، والمعنى : خزى ، أو عذاب ، أو هلكة ، أو واد فى جهنم . ﴿ لكل همزة لمزة ﴾ : قال أبو عبيدة والزجاج : الهمزة اللمزة : الذى يغتاب الناس . وعلى هذا هما بمعنى . وقال أبو العالية والحسن ومجاهد وعطاء بن أبى رباح : الهمزة : الذى يغتاب الرجل فى وجهه. واللمزة : الذى يغتابه من خلفه . وقال قتادة عكس هذا . وروى عن قتادة ، ومجاهد أيضًا أن الهُمزة :الذى يغتاب الناس فى أنسابهم. وروى عن مجاهد أيضا أن الهمزة : الذى يهمز الناس بيده. واللمزة :الذى يلمزهم بلسانه. وقال سفيان الثورى : يهمزهم بلسانه ، ويلمزهم بعينه . وقال ابن كيسان : الهمزة : الذى يؤذى جلساءه بسوء اللفظ ، واللمزة : الذى يكسر عينه على جليسه ، ويشير بيده وبرأسه وبحاجبه ، والأول أولى، ومنه قول زياد الأعجم :

تدلى بودى إذا لاقيتنى كذبا وإن أغيب فأنت الهامز اللمزه

وقول الآخر :

إذا لقيتك عن سخط تكاشرنى وإن تغيبت كنت الهامز اللمزه

وأصل الهمز: الكسر . يقال : همز رأسه : كسره ، ومنه قول العجاج :

ومن همزنا رأسه تهشما

وقيل : أصل الهمز واللمز : الضرب والدفع . يقال : همزه يهمزه همزًا . ولمزه يلمزه لمزًا : إذا دفعه وضربه ، ومنه قول الشاعر :

ومن همزنا عزه تبركعا على استه زوبعة أو زوبعا

البركعة : القيام على أربع . يقال : بركعه فتبركع ، أى صرعه فوقع على استه. كذا فى

الصحاح . وبناء فعله يدل على الكثرة . ففيه دلالة على أنه يفعل ذلك كثيرًا ، وأنه قد صار ذلك عادة له ، ومثله ضحكة ولعنة . قرأ الجمهور: ﴿همزة لمزة﴾ بضم أولهما وفتح الميم فيهما. وقرأ الباقر والأعرج بسكون الميم فيهما . وقرأ أبو وائل والنخعى والأعمش:« ويل للهمزة اللمزة » . والآية تعم كل من كان متصفا بذلك . ولا ينافيه نزولها على سبب خاص . فإن الاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب . ﴿ الذى جمع مالا وعدده ﴾ الموصول بدل من كل ، أو فى محل نصب على الذم ، وهذا أرجح ؛ لأن البدل يستلزم أن يكون المبدل منه فى حكم الطرح ، وإنما وصفه سبحانه بهذا الوصف لأنه يجرى مجرى السبب ، والعلة فى الهمز واللمز ، وهو إعجابه بما جمع من المال وظنه أنه الفضل ، فلأجل ذلك يستقصر غيره. قرأ الجمهور: ﴿ جمع﴾ مخففًا . وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى بالتشديد . وقرأ الجمهور: ﴿وعدده ﴾ بالتشديد. وقرأ الحسن والكلبى ونصر بن عاصم وأبو العالية بالتخفيف . والتشديد فى الكلمتين يدل على التكثير . وهو جمع الشىء بعد الشىء ، وتعديده مرة بعد أخرى . قال الفراء : معنى ﴿ عدده ﴾ : أحصاه . وقال الزجاج : وعدده لنوائب الدهور . يقال : أعددت الشىء وعددته : إذا أمسكته . قال السدى : أحصى عدده . وقال الضحاك : أعد ماله لمن يرثه. وقيل : المعنى : فاخر بكثرته وعدده . والمقصود ذمه على جمع المال وإمساكه ، وعدم إنفاقه فى سبيل الخير . وقيل : المعنى على قراءة التخفيف فى « عدده » : أنه جمع عشيرته وأقاربه . قال المهدوى : من خفف « وعدده » فهو معطوف على المال ، أى وجمع عدده .

وجملة : ﴿ يحسب أن ماله أخلده ﴾ مستأنفة لتقرير ما قبلها ، ويجوز أن تكون فى محل نصب على الحال ، أى يعمل عمل من يظن أن ماله يتركه حيا مخلدًا لا يموت . وقال عكرمة: يحسب أن ماله يزيد فى عمره . والإظهار فى موضع الإضمار للتقريع والتوبيخ . وقيل : هو تعريض بالعمل الصالح ، وأنه الذى يخلد صاحبه فى الحياة الأبدية لا المال. وقوله : ﴿ كلا ﴾ ردع له عن ذلك الحسبان ، أى ليس الأمر على ما يحسبه هذا الذى جمع المال وعدده . واللام فى ﴿ لينبذن فى الحطمة ﴾ جواب قسم محذوف ، أى ليطرحن فى النار ، وليلقين فيها . قرأ الجمهور : ﴿ لينبذن ﴾ . وقرأ على والحسن ومحمد بن كعب ونصر بن عاصم ومجاهد وحميد وابن محيصن : « لينبذان » بالتثنية ، أى لينبذ هو وماله فى النار . وقرأ الحسن أيضًا : ﴿لينبذن ﴾ أى : لينبذن ماله فى النار . ﴿ وما أدراك ما الحطمة ﴾ ؟ هذا الاستفهام للتهويل والتفظيع حتى كأنها ليست مما تدركه العقول ، وتبلغه الأفهام . ثم بينها سبحانه فقال : ﴿ نار الله الموقدة ﴾ أى هى نار الله الموقدة بأمر الله سبحانه .وفى إضافتها إلى الاسم الشريف تعظيم لها وتفخيم ، وكذلك فى وصفها بالإيقاد . وسميت « حطمة » لأنها تحطم كل ما يلقى فيها وتهشمه ، ومنه :

إنا حطمنا بالقضيب مصعبا يوم كسرنا أنفه ليغضبا

قيل : هى الطبقة السادسة من طبقات جهنم . وقيل : الطبقة الثانية منها . وقيل : الطبقة

الرابعة . ﴿ التى تطلع على الأفئدة ﴾ أى يخلص حرها إلى القلوب فيعلوها ويغشاها . وخص الأفئدة مع كونها تغشى جميع أبدانهم ؛ لأنها محل العقائد الزائفة ، أى لكون الألم إذا وصل إليها ، مات صاحبها ، أى أنهم فى حال من يموت وهم لا يموتون . وقيل: معنى ﴿تطلع على الأفئدة ﴾ : أنها تعلم بمقدار ما يستحقه كل واحد منهم من العذاب ، وذلك بأمارات عرَّفها الله بها . ﴿إنها عليهم مؤصدة ﴾ أى مطبقة مغلقة كما تقدم بيانه فى سورة البلد . يقال: أصدت الباب : إذا أغلقته ، ومنه قول عبيد الله بن قيس بن الرقيات :

إن فى القصر لو دخلنا غزالا مصفقًا موصدًا عليه الحجاب

﴿ فى عمد ممدة ﴾ فى محل نصب على الحال من الضمير فى ﴿ عليهم ﴾ أى كائنين فى عمد ممدة ، موثقين فيها . أو فى محل رفع على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أى هم فى عمد أو صفة لمؤصدة ، أى مؤصدة بعمد ممددة . قال مقاتل: أطبقت الأبواب عليهم ، ثم شدت بأوتاد من حديد ، فلا يفتح عليهم باب ، ولايدخل عليهم روح . ومعنى كون العمد ممددة : أنها مطولة . وهى أرسخ من القصيرة . وقيل : العمد : أغلال فى جهنم . وقيل : القيود . قال قتادة : المعنى : هم فى عمد يعذبون بها ، واختار هذا ابن جرير . قرأ الجمهور : ﴿ فى عمد﴾ بفتح العين والميم . وقيل : هو اسم جمع لعمود . وقيل : جمع له . قال الفراء : هى جمع لعمود ، كأديم وأدم . وقال أبو عبيدة : هى جمع عماد . وقرأ حمزة والكسائى وأبوبكر بضم العين والميم جمع عمود . قال الفراء : هما جمعان صحيحان لعمود . واختارأبوعبيد وأبوحاتم قراءة الجمهور . قال الجوهرى : العمود : عمود البيت . وجمع القلة أعمدة ، وجمع الكثرة عمد وعمد. وقرئ بهما . قال أبو عبيدة : العمود كل مستطيل من خشب أو حديد .

وقد أخرج سعيد بن منصور وابن أبى الدنيا وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه من طرق عن ابن عباس؛ أنه سئل عن قوله : ﴿ ويل لكل همزة لمزة ﴾ قال : هو المشاء بالنميمة ، المفرق بين الجمع ، المغرى بين الإخوان . وأخرج ابن جرير عنه : ﴿ ويل لكل همزة ﴾ قال : طعان . ﴿ لمزة ﴾ قال : مغتاب . وأخرج عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر عنه أيضًا فى قوله : ﴿ إنها عليهم مؤصدة ﴾ قال : مطبقة . ﴿ فى عمد ممددة ﴾ قال : عمد من نار . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن مسعود قال : هى الأدهم . وأخرج ابن أبى حاتم عن ابن عباس قال : الأبواب هى الممددة . وأخرج ابن جرير عنه فى الآية قال : أدخلهم فى عمد، فمدت عليهم فى أعناقهم ، فشدت بها الأبواب .

## تفسير سورة الفيل

هى خمس آيات . وهى مكية بلا خلاف وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : أنزلت بمكة : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك ﴾ .

## بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ① أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ② وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ③ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ④ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ⑤ ﴾ .

الاستفهام فى قوله : ﴿ ألم تر ﴾ لتقرير رؤيته ﷺ بإنكار عدمها . قال الفراء : المعنى : ألم تخبر . وقال الزجاج : ألم تعلم . وهو تعجيب له ﷺ . ﴿ بأصحاب الفيل ﴾ الذين قصدوا تخريب الكعبة من الحبشة . و ﴿ كيف ﴾ منصوبة بالفعل الذى بعدها ، ومعلقة لفعل الرؤية . والخطاب لرسول الله ﷺ . ويجوز أن يكون لكل من يصلح له ، والمعنى : قد علمت يا محمد ، أو علم الناس الموجودون فى عصرك ومن بعدهم بما بلغكم من الأخبار المتواترة من قصة أصحاب الفيل ، وما فعل الله بهم ، فما لكم لا تؤمنون ؟ والفيل هو الحيوان المعروف وجمعه أفيال.وفيول وفيلة . قال ابن السكيت : ولا تقول : أفيلة . وصاحبه فيال . وسيأتى ذكر قصة أصحاب الفيل إن شاء الله . ﴿ ألم يجعل كيدهم فى تضليل ﴾ أى ألم يجعل مكرهم وسعيهم فى تخريب الكعبة ، واستباحة أهلها فى تضليل عما قصدوا إليه حتى لم يصلوا إلى البيت ولا إلى ما أرادوه بكيدهم . والهمزة للتقرير ، كأنه قيل : قد جعل كيدهم فى تضليل . والكيد هو إرادة المضرة بالغير . لأنهم أرادوا أن يكيدوا قريشًا بالقتل والسبى ، ويكيدوا البيت الحرام بالتخريب والهدم .

﴿ وأرسل عليهم طيرًا أبابيل ﴾ أى أقاطيع يتبع بعضها بعضًا كالإبل المؤبلة . قال أبو عبيدة : ﴿ أبابيل ﴾ : جماعات فى تفرقة . يقال : جاءت الخيل أبابيل ، أى جماعات من ههنا وههنا . قال النحاس : وحقيقته أنها جماعات عظام . يقال : فلان توبل على فلان ، أى تعظم عليه وتكبر ، وهو مشتق من الإبل ، وهو من الجمع الذى لا واحد له . وقال بعضهم: واحده « أبول » مثل « عجول » . وقال بعضهم أبيل . قال الواحدى : ولم نر أحدًا يجعل لها واحدًا ، قال الفراء لا واحد له من لفظه. وزعم الرؤاسى ، وكان ثقة ، أنه سمع فى واحدها : «أبالة » مشددا . وحكى الفراء أيضا « أبالة » بالتخفيف . قال سعيد بن جبير : كانت طيرًا من السماء ، لم ير قبلها ولا بعدها . قال قتادة : هى طير سود جاءت من قبل البحر فوجًا

فوجًا ، مع كل طائر ثلاثة أحجار ، حجران فى رجليه ، وحجر فى منقاره لا يصيب شيئًا إلا هشمه . وقيل : كانت طيرًا خضرًا خرجت من البحر لها رؤوس كرؤوس السباع . وقيل : كان لها خراطيم كخراطيم الطير ، وأكف كأكف الكلاب . وقيل فى صفتها غير ذلك ، والعرب تستعمل الأبابيل فى الطير ، كما فى قول الشاعر:

تراهم إلى الداعى سرعًا كأنهم أبابيل طير تحت دجن مسجن

وتستعملها فى غير الطير كقول الآخر :

كانت تُهَدُّ من الأصواتِ راحلتى أن سالت الأرض بالجرد الأبابيل

﴿ ترميهم بحجارة من سجيل ﴾ الجملة فى محل نصب صفة لطير قرأ الجمهور : ﴿ترميهم﴾ بالفوقية . وقرأ أبو حنيفة وأبو معمر وعيسى وطلحة بالتحتية . واسم الجمع يذكر ويؤنث . وقيل : الضمير فى القراءة الثانية لله عز وجل . قال الزجاج : ﴿ من سجيل ﴾ أى مما كتب عليهم العذاب به مشتقًا من السجل . قال فى الصحاح : قالوا : هى حجارة من طين طبخت بنار جهنم ، مكتوب فيها أسماء القوم . قال عبد الرحمن بن أبزى : ﴿ من سجيل ﴾: من السماء ، وهى الحجارة التى نزلت على قوم لوط . وقيل : من الجحيم التى هى سجين ، ثم أبدلت النون لامًا ، ومنه قول ابن مقبل:

ضربا تواصت به الأبطال سجيلا

وإنما هو سجينا . قال عكرمة : كانت ترميهم بحجارة معها . فإذا أصاب أحدهم حجر منها ، خرج به الجدرى . وكان الحجر كالحمصة وفوق العدسة . وقد قدمنا الكلام فى : ﴿سجيل ﴾ فى سورة هود . ﴿ فجعلهم كعصف مأكول ﴾ أى جعل الله أصحاب الفيل كورق الزرع إذا أكلته الدواب ، فرمت به من أسفل . شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزائه . وقيل : المعنى : أنهم صاروا كورق زرع قد أكلت منه الدواب ، وبقى منه بقايا ، أو أكلت حبه فبقى بدون حبه . والعصف جمع عصفة وعصافة وعصيفة .وقد قدمنا الكلام فى العصف فى سورة الرحمن ، فارجع إليه .

وقد أخرج عبد بن حميد ، وابن المنذر وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقى عن ابن عباس قال: جاء أصحاب الفيل حتى نزلوا الصفاح ، فأتاهم عبد المطلب فقال : إن هذا بيت الله ، لم يسلط عليه أحدا . قالوا : لا نرجع حتى نهدمه . وكانوا لا يقدمون فيلهم إلا تأخر ، فدعا الله الطير الأبابيل ، فأعطاها حجارة سودًا عليها الطين . فلما حاذتهم رمتهم ، فما بقى منهم أحد إلا أخذته الحكة ، فكان لا يحك الإنسان منهم جلده ، إلا تساقط لحمه . وأخرج ابن المنذر والحاكم وأبو نعيم والبيهقى عنه قال : أقبل أصحاب الفيل حتى إذا دنوا من مكة

استقبلهم عبد المطلب ، فقال لملكهم : ما جاء بك إلينا ؟ ألا بعثت فنأتيك بكل شيء فقال : أخبرت بهذا البيت الذى لا يدخله أحد إلا أمن ، فجئت أخيف أهله . فقال : إنَّا نأتيك بكل شيء تريد فارجع ، فأبى إلا أن يدخله . وانطلق يسير نحوه ، وتخلف عبد المطلب ، فقام على جبل فقال : لا أشهد مهلك هذا البيت وأهله . فأقبلت مثل السحابة من نحو البحر ، حتى أظلتهم طير أبابيل التى قال الله : ﴿ **ترميهم بحجارة من سجيل** ﴾ فجعل الفيل يعج عجًا ﴿**فجعلهم كعصف مأكول** ﴾ . وقصة أصحاب الفيل مبسوطة مطولة فى كتب التاريخ والسير فلا نطول بذكرها .

وأخرج أبو نعيم فى الدلائل عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ترميهم بحجارة من سجيل** ﴾ قال : حجارة مثل البندق ، وبها نضح حمرة مختمة مع كل طائر ثلاثة أحجار : حجران فى رجليه ، وحجر فى منقاره ، حلقت عليهم من السماء، ثم أرسلت عليهم تلك الحجارة فلم تعد عسكرهم . وأخرج أبو نعيم من طريق عطاء والضحاك عنه أن أبرهة الأشرم قدم من اليمن يريد هدم الكعبة ، فأرسل الله عليهم طيرًا أبابيل ، يريد مجتمعة ، لها خراطيم تحمل حصاة فى منقارها وحصاتين فى رجليها ، ترسل واحدة على رأس الرجل فيسيل لحمه ودمه ، ويبقى عظامًا خاوية لا لحم عليها ، ولا جلد ، ولا دم . وأخرج ابن جرير وابن المنذر ، والبيهقى فى الدلائل عنه أيضًا : ﴿ **فجعلهم كعصف مأكول** ﴾ ، يقول : كالتبن . وأخرج ابن إسحاق فى السيرة ، والواقدى وابن مردويه وأبو نعيم والبيهقى عن عائشة قالت : لقد رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان . وأخرج الواقدى نحوه عن أسماء بنت أبى بكر . وأخرج أبو نعيم والبيهقى عن ابن عباس قال : ولد النبى ﷺ عام الفيل . وأخرج ابن إسحاق وأبو نعيم والبيهقى عن قيس بن مخرمة قال: ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل .

## تفسير سورة قريش

ويقال : سورة ﴿ لإيلاف ﴾ . وهى أربع آيات . وهى مكية عند الجمهور . وقال الضحاك والكلبى : هى مدنية . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت سورة ﴿لإيلاف ﴾ بمكة. وأخرج البخارى فى تاريخه ، والطبرانى ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه والبيهقى عن أم هانئ بنت أبى طالب ؛ أن رسول اللّه ﷺ قال : فضل اللّه قريشًا بسبع خصال لم يعطها أحدًا قبلهم ، ولا يعطيها أحدًا بعدهم ، أنى فيهم . وفى لفظ : النبوة فيهم . والخلافة فيهم . والحجابة فيهم . والسقاية فيهم . ونصروا على الفيل . وعبدوا اللّه سبع سنين . وفى لفظ عشر سنين . لم يعبده أحد غيرهم . ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم : ﴿ لإيلاف قريش ﴾ (١) . قال ابن كثير : هو حديث غريب . ويشهد له ما أخرجه الطبرانى فى الأوسط ، وابن مردويه وابن عساكر عن الزبير بن العوام قال : قال رسول اللّه ﷺ : فضل اللّه قريشًا بسبع خصال : فضلهم بأنهم عبدوا اللّه عشر سنين لا يعبده إلا قريش، وفضلهم بأنه نصرهم يوم الفيل وهم مشركون ، وفضلهم بأنها نزلت فيهم سورة من القرآن لم يدخل فيها أحد من العالمين غيرهم ، وهى : ﴿ لإيلاف قريش ﴾ ، وفضلهم بأن فيهم النبوة والخلافة والسقاية (٢) . وأخرج الخطيب فى تاريخه عن سعيد بن المسيب مرفوعا نحوه . وهو مرسل .

## بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ① إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ② فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ③ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ④ ﴾ .

اللام فى قوله : ﴿ لإيلاف ﴾ قيل : هي متعلقة بآخر السورة التى قبلها . كأنه قال سبحانه : أهلكت أصحاب الفيل لأجل تألف قريش . قال الفراء : هذه السورة متصلة بالسورة الأولى ؛ لأنه ذكر سبحانه أهل مكة بعظيم نعمته عليهم فيما فعل بالحبشة . ثم قال : ﴿لإيلاف قريش ﴾ أى فعلنا ذلك بأصحاب الفيل نعمة منا على قريش . وذلك أن قريشًا كانت تخرج فى تجارتها ، فلا يغار عليها فى الجاهلية . يقولون : هم أهل بيت اللّه عز وجل. حتى جاء صاحب الفيل ليهدم الكعبة ويأخذ حجارتها فيبنى بها بيتًا فى اليمن يحج الناس إليه، فأهلكهم اللّه عز وجل ، فذكرهم بنعمته ، أى فعل ذلك لإيلاف قريش ، أى ليألفوا الخروج

(١) الطبرانى ١٠/٤٠٩ (٩٩٤) والحاكم ٤/٥٤ وسكت عنه .
(٢) قال الهيثمى فى المجمع ١٠/٢٧، ٢٨: « رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه من ضُعِّف ، ووثقهم ابن حبان » .

ولا يجترأ عليهم . وذكر نحو هذا ابن قتيبة . قال الزجاج : والمعنى : فجعلهم كعصف مأكول لإيلاف قريش ، أى أهلك الله أصحاب الفيل لتبقى قريش وما قد ألفوا من رحلة الشتاء والصيف . وقال فى الكشاف : إن اللام متعلق بقوله : ﴿ فليعبدوا ﴾ .أمرهم أن يعبدوه لأجل إيلافهم الرحلتين. ودخلت الفاء لما فى الكلام من معنى الشرط ؛ لأن المعنى: أما لا فليعبدوه . وقد تقدم صاحب الكشاف إلى هذا القول الخليل بن أحمد ، والمعنى: إن لم يعبدوه لسائر نعمه ، فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة . وقال الكسائى والأخفش : اللام لام التعجب ، أى اعجبوا لإيلاف قريش . وقيل : هى بمعنى « إلى » . قرأ الجمهور : « لإيلاف» بالياء مهموزاً من ألفت أؤلف إئلافا . يقال : ألفت الشيء ألافا وألفا . وألفته إيلافا بمعنى ، ومنه قول الشاعر :

المنعمين إذا النجوم تغيرت والظاعنين لرحلة الإيلاف

وقرأ ابن عامر : « لإلاف » بدون الياء . وقرأ أبو جعفر : « لإلف » . وقد جمع بين هاتين القراءتين الشاعر ، فقال :

زعمتم أن إخوتكم قريش لهم إلف وليس لكم إلاف .

وقرأ عكرمة : « ليألف قريش » بفتح اللام على أنها لام الأمر . وكذلك هو فى مصحف ابن مسعود ، وفتح لام الأمر لغة معروفة . وقرأ بعض أهل مكة : « إلاف قريش » ، واستشهد بقول أبى طالب :

تذود الورى من عصبة هاشمية إلافهم فى الناس خير إلاف

وقريش هم بنو النضير بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر ، فكل من كان من ولد النضر فهو قرشى ، ومن لم يلده النضر فليس بقرشى . وقريش يأتى منصرفاً إن أريد به الحى ، وغير منصرف إن أريد به القبيلة ، ومنه قول الشاعر:

وكفى قريش المعضلات وسادها

وقيل : إن قريشاً بنو فهر بن مالك بن النضر . والأول أصح . وقوله : ﴿ إيلافهم ﴾ بدل من إيلاف قريش . و﴿رحلة ﴾ مفعول به لإيلافهم ، وأفردها ولم يقل رحلتى الشتاء والصيف لأمن الإلباس . وقيل : إن ﴿ إيلافهم ﴾ تأكيد للأول لا بدل . والأول أولى . ورجحه أبو البقاء . وقيل : إن رحلة منصوبة بمصدر مقدر ، أى ارتحالهم رحلة الشتاء والصيف. وقيل : هى منصوبة على الظرفية . والرحلة : الارتحال . وكانت إحدى الرحلتين إلى اليمن فى الشتاء لأنها بلاد حارة . والرحلة الأخرى إلى الشام فى الصيف لأنها بلاد باردة، وروى أنهم كانوا يشتون بمكة ، ويصيفون بالطائف . والأول أولى ، فإن ارتحال قريش للتجارة

معلوم معروف فى الجاهلية والإسلام . قال ابن قتيبة : إنما كانت تعيش قريش بالتجارة ، وكانت لهم رحلتان فى كل سنة ، رحلة فى الشتاء إلى اليمين ورحلة فى الصيف إلى الشام ، ولولا هاتان الرحلتان لم يمكن بها مقام . ولولا الأمن بجوارهم البيت ، لم يقدروا على التصرف .

﴿ فليعبدوا رب هذا البيت ﴾ أمرهم سبحانه بعبادته بعد أن ذكرلهم ما أنعم به عليهم ، أى إن لم يعبدوه لسائر نعمه ، فليعبدوه لهذه النعمة الخاصة المذكورة . والبيت : الكعبة . وعرفهم سبحانه بأنه رب هذا البيت لأنها كانت لهم أوثان يعبدونها ، فميز نفسه عنها . وقيل: لأنهم بالبيت تشرفوا على سائر العرب ، فذكر لهم ذلك تذكيرًا لنعمته . ﴿الذى أطعمهم من جوع ﴾ أى أطعمهم بسبب تينك الرحلتين من جوع شديد كانوا فيه قبلهما . وقيل: إن هذا الإطعام هو أنهم لما كذبوا النبى ﷺ ، دعا عليهم فقال : « اللهم اجعلها عليهم سنين كسنى يوسف » فاشتد القحط . فقالوا : يا محمد ، ادع الله لنا ، فإنَّا مؤمنون . فدعا ، فأخصبوا ، وزال عنهم الجوع ، وارتفع القحط [١] . ﴿ وآمنهم من خوف ﴾ أى من خوف شديد كانوا فيه قال ابن زيد : كانت العرب يغير بعضها على بعض ويسبى بعضها بعضًا فأمنت قريش من ذلك لمكان الحرم . وقال الضحاك والربيع وشريك وسفيان : آمنهم من خوف الحبشة مع الفيل .

وقد أخرج أحمد وابن أبى حاتم عن أسماء بنت يزيد قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ﴿ لإيلاف قريش . إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴾ ويحكم يا قريش ، اعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف» [٢]. وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿ لإيلاف قريش ﴾ قال : نعمتى على قريش . ﴿إيلافهم رحلة الشتاء والصيف ﴾ كانوا يشتون بمكة ، ويصيفون بالطائف . ﴿ فليعبدوا رب هذا البيت﴾ قال : الكعبة . ﴿ الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف ﴾ قال : الجذام . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عنه : ﴿ لإيلاف قريش . إيلافهم ﴾ قال : لزومهم . ﴿ الذى أطعمهم من جوع ﴾ يعنى : قريشا أهل مكة بدعوة إبراهيم حيث قال: ﴿ وارزق أهله من الثمرات ﴾ [ البقرة : ١٢٦ ] ﴿ وآمنهم من خوف ﴾ حيث قال إبراهيم: ﴿ رب اجعل هذا البلد آمنا ﴾ [ إبراهيم : ٣٥ ] وأخرج ابن جرير وابن مردويه عنه أيضًا فى قوله : ﴿ لإيلاف قريش . . . ﴾ الآية ، قال : نهاهم عن الرحلة ، وأمرهم أن يعبدوا رب هذا البيت ، وكفاهم المؤنة . وكانت رحلتهم فى الشتاء والصيف ، ولم يكن لهم

(١) مسلم فى المساجد (٦٧٥/ ٢٩٤ ، ٢٩٥) .

(٢) أحمد ٦/ ٤٦٠ وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ١٤٦ : « فيه عبيد الله بن أبى زياد القداح وشهر بن حوشب وقد وثقا ، وفيهما ضعف ، وبقية رجال أحمد ثقات » .

راحة فى شتاء ولا صيف ، فأطعمهم اللّه بعد ذلك من جوع ، وآمنهم من خوف ، فألفوا الرحلة وكان ذلك من نعمة اللّه عليهم . وأخرج ابن جرير عنه أيضا فى الآية قال : أمروا أن يألفوا عبادة رب هذا البيت كإلفهم رحلة الشتاء والصيف . وقد وردت أحاديث فى فضل قريش، وأن الناس تبع لهم فى الخير والشر ، وأن هذا الأمر ، يعنى الخلافة ، لا يزال فيهم ما بقى منهم اثنان ، وهى فى دواوين الإسلام .

## تفسير سورة أرأيت

ويقال : سورة الدين . ويقال : سورة الماعون . ويقال : سورة اليتيم . وهى سبع آيات. وهى مكية فى قول عطاء وجابر ، وأحد قولى ابن عباس ومدنية فى قول قتادة وآخرين . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : نزلت ﴿ أرأيت الذى يكذب بالدين ﴾ بمكة . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير مثله .

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ① فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ② وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ③ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ⑦ ﴾ .

الخطاب لرسول الله ﷺ ، أو لكل من يصلح له . والاستفهام لقصد التعجيب من حال من يكذب بالدين . والرؤية بمعنى : المعرفة . والدين : الجزاء والحساب فى الآخرة . قيل : وفى الكلام حذف ، والمعنى : أرأيت الذى يكذب بالدين ، أمصيب هو أم مخطئ ؟ قال مقاتل والكلبى : نزلت فى العاص بن وائل السهمى . وقال السدى : فى الوليد بن المغيرة . وقال الضحاك : فى عمرو بن عائذ . وقال ابن جريج : فى أبى سفيان . وقيل : فى رجل من المنافقين. قرأ الجمهور : ﴿أرأيت ﴾ بإثبات الهمزة الثانية . وقرأ الكسائى بإسقاطها . قال الزجاج : لا يقال فى « رأيت » : ريت ، ولكن ألف الاستفهام سهلت الهمزة ألفا . وقيل : الرؤية هى البصرية ، فيتعدى إلى مفعول واحد وهو الموصول ، أى أبصرت المكذب. وقيل : إنها بمعنى أخبرنى . فيتعدى إلى اثنين ، الثانى محذوف ، أى من هو ؟

﴿ فذلك الذى يدع اليتيم ﴾ الفاء جواب شرط مقدر ، أى إن تأملته أو طلبته فذلك الذى يدع اليتيم ، ويجوز أن تكون عاطفة على الذى يكذب إما عطف ذات على ذات ، أو صفة على صفة . فعلى الأول يكون اسم الإشارة مبتدأ وخبره الموصول بعده ، أو خبراً لمبتدأ محذوف ، أى فهو ذلك . والموصول صفته . وعلى الثانى يكون فى محل نصب لعطفه على الموصول الذى هو فى محل نصب . ومعنى ﴿ يدع ﴾ : يدفع دفعًا بعنف وجفوة ، أى يدفع اليتيم عن حقه دفعًا شديدًا . ومنه قوله سبحانه : ﴿ يوم يدعون إلى نار جهنم دعا ﴾ [الطور : ١٣ ] وقد قدمنا أنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان . ﴿ ولا يحض على طعام المسكين ﴾ أى لا يحض نفسه ولا أهله ولا غيرهم على ذلك بخلا بالمال ، أو تكذيبا بالجزاء وهو مثل قوله فى سورة الحاقة : ﴿ ولا يحض على طعام المسكين ﴾ [ الحاقة : ٣٤ ] .

﴿ فويل ﴾ يومئذ ﴿ للمصلين ﴾ الفاء جواب لشرط محذوف كأنه قيل : إذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ، أى عذاب لهم أو هلاك ، أو واد فى جهنم لهم كما سبق الخلاف فى معنى الويل . ومعنى ﴿ ساهون ﴾ : غافلون غير مبالين بها . ويجوز أن تكون الفاء لترتيب الدعاء عليهم بالويل على ما ذكر من قبائحهم ، ووضع المصلين موضع ضميرهم للتوصل بذلك إلى بيان أن لهم قبائح أخرى غير ما ذكر . قال الواحدى: نزلت فى المنافقين الذين لا يرجون بصلاتهم ثوابًا إن صلوا ، ولا يخافون عليها عقابا إن تركوا ، فهم عنها غافلون حتى يذهب وقتها . وإذا كانوا مع المؤمنين ، صلوا رياء ، وإذا لم يكونوا معهم ، لم يصلوا . وهو معنى قوله : ﴿الذين هم يراؤون ﴾ أى يراؤون الناس بصلاتهم إن صلوا ، أو يراؤون الناس بكل ما عملوه من أعمال البر ليثنوا عليهم. قال النخعى : ﴿ الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ : هو الذى إذا سجد ، قال برأسه هكذا وهكذا ملتفتًا . وقال قطرب : هو الذى لا يقرأ ولا يذكر الله . وقرأ ابن مسعود : الذين هم عن صلاتهم لاهون . ﴿ ويمنعون الماعون ﴾ قال أكثر المفسرين : ﴿ الماعون﴾ : اسم لما يتعاوزه الناس بينهم من الدلو والفأس والقدر . وما لا يمنع كالماء والملح . وقيل : هو الزكاة ، أى يمنعون زكاة أموالهم . وقال الزجاج وأبو عبيد والمبرد: الماعون فى الجاهلية : كل ما فيه منفعة حتى الفأس والدلو والقدر والقداحة ، وكل ما فيه منفعة من قليل وكثير ، وأنشدوا قول الأعشى :

بـأجـــود مـنـــه بماعـــونـه ... إذا ما ســماؤهـم لـم تغـم

قال الزجاج وأبو عبيد والمبرد أيضًا : والماعون فى الإسلام :الطاعة ، والزكاة ، وأنشدوا قول الراعى :

أخليفة الرحـمن إنـا معــشرٌ ... حُنـَفَاء نسجدُ بُكـرةً وأصيـلا

عـرب نرى لله مـن أمــوالنا ... حـَقَّ الـزكاةِ منـزًلا تَنْزيلاً

قـومٌ على الإسـلامِ لَمَّا يَمْنَعُوا ... ماعـُونَهم ويُضيِّعُـوا التهليـلا

وقيل : ﴿ الماعون ﴾ : الماء. قال الفراء : سمعت بعض العرب يقول : الماعون : الماء. وأنشدنى :

تمـج صبيرة المـاعون صبًا

والصبيرة : السحاب . وقيل : ﴿ الماعون ﴾ : هو الحق على العبد على العموم . وقيل : هو المستغل من منافع الأموال، مأخوذ من المعن وهو القليل . قال قطرب : أصل الماعون من القلة . والمعنى : الشىء القليل . فسمى الله الصدقة والزكاة ونحو ذلك من المعروف ماعونا ؛ لأنه قليل من كثير . وقيل : هو ما لا يبخل به ، كالماء والملح والنار .

وقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عن ابن عباس : ﴿ أرأيت الذى يكذب بالدين ﴾ قال : يكذب بحكم الله . ﴿فذلك الذى يدع اليتيم ﴾ قال : يدفعه عن حقه . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب عنه : ﴿ فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ قال : هم المنافقون يراؤون الناس بصلاتهم إذا حضروا ، ويتركونها إذا غابوا ، ويمنعونهم العارية بغضًا لهم ، وهى الماعون .وأخرج ابن جرير وابن مردويه عنه أيضًا : ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ قال : هم المنافقون يتركون الصلاة فى السر ، ويصلون فى العلانية . وأخرج الفريابى وسعيد بن منصور وابن أبى شيبة وأبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه ، والبيهقى فى سننه عن مصعب بن سعد قال : قلت لأبى: أرأيت قول الله : ﴿ الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ أينا لا يسهو؟ أينا لا يحدث نفسه؟ قال : إنه ليس ذلك . إنه إضاعة الوقت .

وأخرج أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والطبرانى فى الأوسط ، وابن مردويه ، والبيهقى فى سننه عن سعد بن أبى وقاص قال : سألت النبى ﷺ عن قوله : ﴿الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ قال :« هم الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها » [١] . قال الحاكم والبيهقى: الموقوف أصح . قال ابن كثير : وهذا يعنى الموقوف أصح إسنادا . قال : وقد ضعف البيهقى رفعه وصحح وقفه ، وكذلك الحاكم [٢] . وأخرج ابن جرير وابن مردويه قال السيوطى : بسند ضعيف، عن أبى برزة الأسلمى قال : لما نزلت هذه الآية : ﴿ الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ قال رسول الله ﷺ : «الله أكبر ، هذه الآية خير لكم من أن يعطى كل رجل منكم جميع الدنيا ، هو الذى إن صلى لم يرج خير صلاته ، وإن تركها لم يخف ربه.» وفى إسناده جابر الجعفى ، وهو ضعيف ، وشيخه مبهم لم يسم [٣] . وأخرج ابن جرير عن ابن عباس فى الآية قال : هم الذين يؤخرونها عن وقتها . وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى شيبة وأبو داود والنسائى والبزار وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والطبرانى فى الأوسط، وابن مردويه ، والبيهقى فى سننه من طرق عن ابن مسعود قال: كنا نعد الماعون على عهد رسول الله ﷺ عارية الدلو والقدر والفأس والميزان وما تتعاطون بينكم . وأخرج ابن مردويه عنه قال : كان المسلمون يستعيرون من المنافقين القدر والفأس وشبهه فيمنعونهم ، فأنزل الله : ﴿ ويمنعون الماعون ﴾ .

وأخرج أبو نعيم والديلمى وابن عساكر عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فى الآية قال : « ما تعاون الناس بينهم الفأس والقدر والدلو وأشباهه » . وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن قرة بن دعموص النميرى ؛ أنهم وفدوا إلى رسول ﷺ فقالوا : يا رسول الله ، ما تعهد إلينا ؟

---

(١) أبو يعلى ( ٨٢٢ ) وابن جرير ٣٠/ ٢٠٢ وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ١٤٦ : « رواه الطبرانى فى الأوسط ، وفيه عكرمة بن إبراهيم وهو ضعيف جدًا ».

(٢) ابن كثير ٧/ ٣٨٠.

(٣) ابن جرير ٣٠/ ٢٠٢.

قال : « لا تمنعوا الماعون » . قالوا : وما الماعون ؟ قال : « فى الحجر والحديدة وفى الماء » . قالوا : فأى الحديدة ؟ قال : « قدوركم النحاس ، وحديد الفأس الذى تمتهنون به » . قالوا : وما الحجر ؟ قال: « قدوركم الحجارة » . قال ابن كثير : غريب جدًا ، ورفعه منكر ، وفى إسناده من لا يعرف . وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير عن سعيد بن عياض عن أصحاب النبى ﷺ : ﴿ الماعون ﴾ : الفأس والقدر والدلو (١) . وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر والطبرانى والحاكم والبيهقى ، والضياء فى المختارة من طرق عن ابن عباس فى الآية قال : عارية متاع البيت . وأخرج الفريابى وسعيد بن منصور وابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم والحاكم ، والبيهقى فى سننه عن على بن أبى طالب قال : ﴿الماعون ﴾ : الزكاة المفروضة ﴿ يراؤون ﴾ بصلاتهم ﴿ويمنعون ﴾ زكاتهم .

---

(١) ابن أبى شيبة ٣/ ٢٠٣ وابن جرير ٣٠/ ٢٠٥.

## تفسير سورة الكوثر

هى ثلاث آيات . وهى مكية فى قول ابن عباس والكلبى ومقاتل . ومدنية فى قول الحسن وعكرمة ومجاهد وقتادة وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير وعائشة : أنها نزلت سورة الكوثر بمكة .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ① فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ② إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ③ ﴾ .

قرأ الجمهور: ﴿ إنا أعطيناك ﴾. وقرأ الحسن وابن محيصن وطلحة والزعفرانى: « أنطيناك » بالنون . قيل: هى لغة العرب العاربة ، قال الأعشى :

حباؤك خير حبا الملوك يصان الحلال وتنطى الحلولا

والكوثر فوعل من الكثرة ، وصف به للمبالغة فى الكثرة مثل النوفل من النفل ، والجوهر من الجهر . والعرب تسمى كل شىء كثير فى العدد أو القدر أو الخطر : كوثرا ، ومنه قول الشاعر :

وقد ثار نقع الموت حتى تكوثرا

فالمعنى على هذا : إنا أعطيناك يا محمد الخير الكثير البالغ فى الكثرة إلى الغاية . وذهب أكثر المفسرين كما حكاه الواحدى إلى أن الكوثر نهر فى الجنة. وقيل: هو حوض النبى ﷺ فى الموقف ، قاله عطاء . وقال عكرمة : الكوثر : النبوة. وقال الحسن : هو القرآن . وقال الحسن ابن الفضل : هو تفسير القرآن ، وتخفيف الشرائع . وقال أبو بكر بن عياش : هو كثرة الأصحاب والأمة . وقال ابن كيسان : هو الإيثار . وقيل: هو الإسلام . وقيل : رفعة الذكر . وقيل : نور القلب. وقيل : الشفاعة . وقيل : المعجزات . وقيل : إجابة الدعوة . وقيل : لا إله إلا الله . وقيل : الفقه فى الدين. وقيل : الصلوات الخمس. وسيأتى بيان ما هو الحق. ﴿ فصل لربك ﴾ الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها . والمراد : الأمر له ﷺ بالدوام على إقامة الصلوات المفروضة . ﴿ وانحر ﴾ البدن التى خيار أموال العرب . قال محمد بن كعب : إن ناسًا كانوا يصلون لغير الله وينحرون لغير الله ، فأمر الله نبيه ﷺ أن تكون صلاته ونحره له. وقال قتادة وعطاء وعكرمة : المراد : صلاة العيد، ونحر الأضحية . وقال سعيد بن جبير : صل لربك صلاة الصبح المفروضة بجمع ، وانحر البدن فى منى . وقيل : النحر : وضع اليمنى على اليسرى فى الصلاة حذاء النحر ، قاله محمد بن كعب . وقيل : هو أن يرفع يديه فى الصلاة عند التكبيرة إلى حذاء نحره . وقيل : هو أن يستقبل القبلة بنحره ، قاله الفراء والكلبى وأبو الأحوص . قال الفراء : سمعت بعض العرب يقول : نتناحر ، أى نتقابل نحر

هذا إلى نحر هذا ، أى قبالته ، ومنه قول الشاعر :

أبا حكم ما أنتَ عمٌّ مُجالدٍ وسيدٌ أهلِ الأَبطحِ المُتَنَاحِرِ

أى المتقابل . وقال ابن الأعرابى : هو انتصاب الرجل فى الصلاة بإذاء المحراب . من قولهم : منازلهم تتناحر: تتقابل. وروى عن عطاء أنه قال: أمره أن يستوى بين السجدتين جالسا حتى يبدو نحره . وقال سليمان التيمى : المعنى : ارفع يديك بالدعاء إلى نحرك . وظاهر الآية الأمر له ﷺ بمطلق الصلاة ومطلق النحر ، وأن يجعلها لله عز وجل لا لغيره. وما ورد فى السنة من بيان هذا المطلق بنوع خاص فهو فى حكم التقييد له. وسيأتى إن شاء الله . ﴿ إن شانئك هو الأبتر ﴾ أى إن مبغضك هو المنقطع عن الخير على العموم . فيعم خيرى الدنيا والآخرة ، أو الذى لا عقب له ، أوالذى لا يبقى ذكره بعد موته . وظاهر الآية العموم ، وأن هذا شأن كل من يبغض النبى ﷺ ، ولا ينافى ذلك كون سبب النزول هو العاص بن وائل، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، كما مر غير مرة . قيل :كان أهل الجاهلية إذا مات الذكور من أولاد الرجل ، قالوا : قد بتر فلان . فلما مات ابن رسول الله ﷺ إبراهيم خرج أبو جهل إلى أصحابه فقال : بتر محمد (١) . فنزلت الآية . وقيل : القائل بذلك عقبة ابن أبى معيط . قال أهل اللغة : الأبتر من الرجال : الذى لا ولد له . ومن الدواب : الذى لا ذنب له . وكل أمر انقطع من الخير أثره فهو أبتر . وأصل البتر : القطع . يقال : بترت الشىء بترا: قطعته .

وقد أخرج ابن أبى شيبة وأحمد وأبو داود والنسائى وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه ، والبيهقى فى سننه عن أنس قال : أغفى رسول الله ﷺ إغفاءة فرفع رأسه مبتسمًا فقال : « إنه أنزل علىَّ آنفا سورة » فقرأ :﴿ بسم الله الرحمن الرحيم . إنا أعطيناك الكوثر ﴾ حتى ختمها. قال : « هل تدرون ما الكوثر ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « هو نهر أعطانيه ربى فى الجنة عليه خير كثير . ترد عليه أمتى يوم القيامة ، آنيته كعدد الكواكب ، يختلج العبد منهم ، فأقول : يا رب ، إنه من أمتى ، فيقال : إنك لا تدرى ما أحدث بعدك » (٢) .

وأخرج أيضًا مسلم فى صحيحه. وأخرج البخارى ومسلم وغيرهما عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « دخلت الجنة فإذا أنا بنهر حافتاه خيام اللؤلؤ ، فضربت بيدى إلى ما يجرى فيه الماء فإذا مسك أذفر . قلت : ما هذا يا جبريل ؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاكه الله» (٣) . وقد روى عن أنس من طرق كلها مصرحة بأن الكوثر هو النهر الذى فى الجنة .

(١) هذا القول فيه نظر ، فقد ولد إبراهيم بعد الحديبية ومات أبو جهل فى غزوة بدر . ابن هشام ٢/٢٧٨.ط. الريان للتراث .

(٢) ابن أبى شيبة ( ١١٧٠١ ) وأحمد ٣/١٠٢ وأبو داود فى السنة ( ٤٧٤٧ ) والنسائى فى التفسير (٧٢٢ ) وابن جرير ٣٠/٢٠٩ .

(٣) البخارى فى التفسير (٤٩٦٤) ومسلم فى الصلاة ( ٤٠٠/٥٣ ) .

وأخرج ابن أبى شيبة والبخارى وابن جرير وابن مردويه عن عائشة ؛ أنها سئلت عن قوله: ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ قالت : هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ فى بطنان الجنة . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس أنه نهر فى الجنة . وأخرج الطبرانى فى الأوسط عن حذيفة فى قوله : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ قال: نهر فى الجنة . وحسن السيوطى إسناده . وأخرج ابن جرير وابن مردويه عن أسامة بن زيد مرفوعا ؛ أنه قيل لرسول الله ﷺ : إنك أعطيت نهرا فى الجنة يدعى الكوثر ؟ فقال : « أجل، وأرضه ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ » (١) . وأخرج ابن مردويه عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ؛ أن رجلا قال : يا رسول الله ، ما الكوثر ؟ قال : « هو نهر من أنهار الجنة أعطانيه الله ». فهذه الأحاديث تدل على أن الكوثر هو النهر الذى فى الجنة ، فيتعين المصير إليها وعدم التعويل على غيرها. وإن كان معنى الكوثر هو الخير الكثير فى لغة العرب ، فمن فسره بما هو أعم مما ثبت عن النبى ﷺ فهو تفسير ناظر إلى المعنى اللغوى .

كما أخرج ابن أبى شيبة وأحمد ، والترمذى وصححه ، وابن ماجة وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عطاء بن السائب قال : قال محارب بن دثار: قال سعيد بن جبير فى الكوثر : قلت :حدثنا عن ابن عباس أنه قال : هو الخير الكثير. فقال : صدق ، إنه للخير الكثير . ولكن حدثنا ابن عمر قال : نزلت ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ فقال رسول الله ﷺ : «الكوثر نهر فى الجنة ، حافتاه من ذهب ، يجرى على الدر والياقوت ، تربته أطيب من المسك، وماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل » (٢) . وأخرج البخارى وابن جرير والحاكم من طريق أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس ؛ أنه قال فى الكوثر : هو الخير الذى أعطاه الله إياه . قال أبو بشر : قلت لسعيد بن جبير : فإن ناسًا يزعمون أنه نهر فى الجنة قال : النهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله إياه . وهذا التفسير من حبر الأمة ابن عباس رضى الله عنه ناظر إلى المعنى اللغوى كما عرفناك ، ولكن رسول الله ﷺ قد فسره فيما صح عنه أنه النهر الذى فى الجنة . وإذا جاء نهر الله بطل نهر معقل .

وأخرج ابن أبى حاتم والحاكم وابن مردويه ، والبيهقى فى سننه عن على بن أبى طالب قال : لما نزلت هذه السورة على النبى ﷺ : ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر** ﴾ قال رسول الله ﷺ لجبريل : « ما هذه النحيرة التى أمرنى بها ربى » ، فقال: إنها ليست بنحيرة ، ولكن يأمرك إذا تحرمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبرت ،وإذا ركعت ، وإذا رفعت رأسك من الركوع ، فإنها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين هم فى السموات السبع ، وإن لكل شىء زينة ، وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة . قال النبى ﷺ : « رفع اليدين من الاستكانة التى قال الله : ﴿ فما استكانوا لربهم وما يتضرعون ﴾ » [ المؤمنون : ٧٦ ] وهو طريق مقاتل بن

---

(١) ابن جرير ٣٠/ ٢١٠ .

(٢) ابن ماجة فى الزهد ( ٤٣٣٤ ) .

حيان عن الأصبغ بن نباته عن على[١] . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس فى الآية قال : إن الله أوحى إلى رسوله أن ارفع يديك حذاء نحرك إذا كبرت للصلاة ، فذاك النحر . وأخرج ابن أبى شيبة ، والبخارى فى تاريخه ، وابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والدارقطنى فى الأفراد ، وأبو الشيخ والحاكم وابن مردويه ، والبيهقى فى سننه عن على بن أبى طالب فى قوله: ﴿**فصل لربك وانحر**﴾ قال : وضع يده اليمنى على وسط ساعده اليسرى ، ثم وضعهما على صدره فى الصلاة[٢] . وأخرج أبو الشيخ ، والبيهقى فى سننه عن أنس عن النبى ﷺ مثله[٣].

وأخرج ابن أبى حاتم ، وابن شاهين فى سننه ، وابن مردويه والبيهقى عن ابن عباس : ﴿ **فصل لربك وانحر** ﴾ قال: إذا صليت فرفعت رأسك من الركوع ، فاستو قائما . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس فى الآية قال : الصلاة المكتوبة ، والذبح يوم الأضحى . وأخرج البيهقى فى سننه عنه : ﴿ **وانحر** ﴾ قال : يقول : واذبح يوم النحر . وأخرج البزار وابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال : قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش : أنت خير أهل المدينة وسيدهم ، ألا ترى إلى هذا الصابئ المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا ، ونحن أهل الحجيج ، وأهل السقاية ، وأهل السدانة. قال: أنتم خير منه ، فنزلت: ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ ونزلت : ﴿ ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبًا من الكتاب ﴾ إلى قوله : ﴿ فلن تجد له نصيرًا ﴾ [ النساء :٥١، ٥٢] [٤] . قال ابن كثير : وإسناده صحيح . وأخرج الطبرانى وابن مردويه عن أبى أيوب قال : لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ ، مشى المشركون بعضهم إلى بعض فقالوا : إن هذا الصابئ قد بتر الليلة ، فأنزل الله: ﴿ **إنا أعطيناك الكوثر** ﴾ إلى آخر السورة[٥] . وأخرج ابن سعد وابن عساكر من طريق الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس قال: كان أكبر ولد رسول الله ﷺ القاسم ، ثم زينب ، ثم عبد الله ، ثم أم كلثوم ، ثم فاطمة ، ثم رقية ، فمات القاسم ، وهو أول ميت من أهله وولده بمكة . ثم مات عبد الله ، فقال العاص بن وائل السهمى : قد انقطع نسله ، فهو أبتر ، فأنزل الله : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ . وفى إسناده الكلبى. وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبى حاتم وابن مردويه عن ابن عباس : ﴿ **إن شانئك هو الأبتر** ﴾ قال : أبو جهل. وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم عنه : ﴿ **إن شانئك** ﴾ يقول : عدوك[٦] .

---

(١) الحاكم ٢/٥٣٨ وسكت عنه ، وقال الذهبى : « فيه إسرائيل صاحب عجائب لا يعتمد عليه ، وأصبغ شيعى متروك عند النسائى » والبيهقى ٢/ ٧٥.

(٢) ابن جرير ٣٠/ ٢١٠ والحاكم ٢/٥٣٧ وسكت عنه ، ولم يتكلم فيه الذهبى ، والبيهقى ٢/ ٣٠ .

(٣) البيهقى ٢/ ٣١ .

(٤) ابن جرير ٣٠/ ٢١٣ وصحح إسناده ابن كثير ٧/ ٣٨٩ .

(٥) الطبرانى ( ٤٠٧١ ) وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ١٤٦ : « فيه واصل بن السائب ، وهو متروك » .

(٦) ابن جرير ٣٠/ ٢١٢ .

## تفسير سورة « الكافرون »

هى ست آيات . وهى مكية فى قول ابن مسعود والحسن وعكرمة ومدنية فى أحد قولى ابن عباس وقتادة والضحاك. وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : أنزلت سورة ﴿ **يأيها الكافرون** ﴾ بمكة. وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير قال : أنزلت ﴿ **يأيها الكافرون** ﴾ بالمدينة. وقد ثبت فى صحيح مسلم من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة وبـ ﴿قل هو الله أحد ﴾ فى ركعتى الطواف [١] . وفى صحيح مسلم أيضا من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قرأ بهما فى ركعتى الفجر [٢] . وأخرج أحمد ، والترمذى وحسنه والنسائى وابن ماجة وابن حبان وابن مردويه عن ابن عمر ؛ أن رسول الله ﷺ قرأ فى الركعتين قبل الفجر، والركعتين بعد المغرب بضعًا وعشرين مرة ، أو بضع عشرة مرة ﴿ **قل يأيها الكافرون** ﴾ و﴿ قل هو الله أحد ﴾[٣] . وأخرج الحاكم وصححه عن أبى قال : كان رسول الله ﷺ يوتر بـ ﴿ سبح ﴾ و ﴿ **قل يأيها الكافرون** ﴾ و ﴿قل هو الله أحد ﴾ [٤].

وأخرج محمد بن نصر ، والطبرانى فى الأوسط عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿ قل هو الله أحد﴾ تعدل ثلث القرآن ، و ﴿ **قل يأيها الكافرون** ﴾ تعدل ربع القرآن » . وكان يقرأ بهما فى ركعتى الفجر . وأخرج ابن مردويه عن أبى هريرة : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قرأ :﴿ **يأيها الكافرون**﴾ كانت له عدل ربع القرآن ». وأخرج الطبرانى فى الصغير، والبيهقى فى الشعب عن سعد بن أبى وقاص قال: قال رسول الله ﷺ : « من قرأ : ﴿ **قل يأيها الكافرون**﴾ فكأنما قرأ ربع القرآن ، ومن قرأ :﴿ قل هو الله أحد ﴾ فكأنما قرأ ثلث القرآن » [٥] . وأخرج أحمد وابن الضريس والبغوى وحميد بن زنجويه فى ترغيبه عن شيخ أدرك النبى ﷺ قال : خرجت مع النبى ﷺ فى سفر فمر برجل يقرأ :﴿ **قل يأيها الكافرون** ﴾ فقال:« أما هذا فقد برئ من الشرك » ، وإذا آخر يقرأ : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ فقال النبى ﷺ: « بها وجبت له الجنة » [٦] . وفى رواية :« أما هذا فقد غُفر له » .

وأخرج ابن أبى شيبة وأحمد وأبو داود والترمذى والنسائى ،وابن الأنبارى فى المصاحف، والحاكم وصححه وابن مردويه ، والبيهقى فى الشعب ، عن فروة بن نوفل بن معاوية الأشجعى عن أبيه ؛ أنه قال: يا رسول الله ، علمنى ما أقول إذا أويت إلى فراشى. قال:

---

(١) مسلم فى الحج ( ١٢١٨ / ١٤٧ ) . (٢) مسلم فى صلاة المسافرين ( ٧٢٦/ ٩٨ ) .

(٣) أحمد ٢/ ٢٤ والترمذى فى الصلاة (٤١٧) وقال : « هذا حديث حسن » والنسائى ٢/ ١٧٠ وابن ماجة فى الصلاة ( ١١٤٩) وابن حبان (٢٤٥٠) .

(٤) صححه الحاكم ٢/ ٢٥٧ وقال الذهبى : « محمد رازى تفرد بأحاديث » .

(٥) الطبرانى فى الصغير ١/ ٦١ وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ١٤٩ : « فيه من لم أعرفهم » والبيهقى فى الشعب (٢٢٩٧) وإسناده ضعيف .

(٦) أحمد ٤/ ٦٣ ، ٦٤.

« اقرأ: ﴿ قل يأيها الكافرون﴾ ثم نم على خاتمتها ، فإنها براءة من الشرك » [(١)] . وأخرج سعيد بن منصور وابن أبى شيبة وابن مردويه عن عبد الرحمن بن نوفل الأشجعى عن أبيه مرفوعا مثله. وأخرج ابن مردويه عن البراء قال : قال رسول اللّه ﷺ لنوفل بن معاوية الأشجعى: « إذا أتيت مضجعك للنوم فاقرأ : ﴿ قل يأيها الكافرون﴾ ، فإنك إذا قلتها، فقد برئت من الشرك » . وأخرج أحمد ، والطبرانى فى الأوسط عن الحارث بن جبلة ،وقال الطبرانى: عن جبلة بن حارثة، وهو أخو زيد بن حارثة،قال: قلت: يا رسول اللّه ،علمنى شيئًا أقوله عند منامى ، قال: « إذا أخذت مضجعك من الليل ، فاقرأ: ﴿ قل يأيها الكافرون ﴾ حتى تمر بآخرها ، فإنها براءة من الشرك ». وأخرج البيهقى فى الشعب عن أنس قال: قال رسول اللّه ﷺ لمعاذ : « اقرأ :﴿ قل يأيها الكافرون ﴾ عند منامك ، فإنها براءة من الشرك » [(٢)] .

وأخرج أبو يعلى والطبرانى عن ابن عباس قال : قال رسول اللّه ﷺ : « ألا أدلكم على كلمة تنجيكم من الإشراك باللّه تقرؤون ﴿ قل يأيها الكافرون ﴾ عند منامكم » . وأخرج البزار والطبرانى وابن مردويه عن خباب ؛ أن النبى ﷺ قال: « إذا أخذت مضجعك ، فاقرأ : ﴿ قل يأيها الكافرون ﴾ وإن النبى ﷺ لم يأت فراشه قط ، إلا قرأ :﴿ قل يأيها الكافرون﴾ حتى يختم » [(٣)] . وأخرج ابن مردويه عن زيد بن أرقم قال : قال رسول اللّه ﷺ : « من لقى اللّه بسورتين فلا حساب عليه: ﴿ قل يأيها الكافرون﴾ و ﴿ قل هو اللّه أحد ﴾ » . وأخرج أبو عبيد فى فضائله ، وابن الضريس عن أبى مسعود الأنصارى قال : من قرأ :﴿ قل يأيها الكافرون ﴾ و ﴿ قل هو اللّه أحد ﴾ فى ليلة فقد أكثر وأطاب .

## بسم الله الرحمن الرحيم

**﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٣) وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ (٦) ﴾** .

الألف واللام فى : ﴿ يأيها الكافرون ﴾ للجنس ، ولكنها لما كانت الآية خطابًا لمن سبق فى علم اللّه أنه يموت على كفره ، كان المراد بهذا العموم خصوص من كان كذلك ؛ لأن من الكفار عند نزول هذه الآية من أسلم وعبد اللّه سبحانه . وسبب نزول هذه السورة : أن الكفار سألوا رسول اللّه ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة ، ويعبدوا إلهه سنة ، فأمره اللّه سبحانه أن يقول

---

(١) ابن أبى شيبة ( ٦٥٧٩) وأحمد ٥/ ٤٥٦ وأبو داود فى الأدب (٥٠٥٥ ) والترمذى فى الدعوات ( ٣٤٠٣) والنسائى فى التفسير (٧٢٩)، وصححه الحاكم ٢/ ٥٣٨ ووافقه الذهبى ، والبيهقى فى الشعب (٢٢٩٠) ورجاله ثقات .

(٢) البيهقى فى الشعب (٢٢٩١) .

(٣) الطبرانى ( ٣٧٠٨ ) وقال الهيثمى فى المجمع ١٠/ ١٢٤ : « فيه جابر الجعفى وهو ضعيف » .

لهم: ﴿ لا أعبد ما تعبدون ﴾ [1] أى لا أفعل ما تطلبون منى من عبادة ما تعبدون من الأصنام. قيل : والمراد فيما يستقبل من الزمان ؛ لأن « لا » النافية لا تدخل فى الغالب إلا على المضارع الذى فى معنى الاستقبال ، كما أن « ما » لا تدخل إلا على مضارع فى معنى الحال. ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ أى ولا أنتم فاعلون فى المستقبل ما أطلب منكم من عبادة إلهى. ﴿ ولا أنا عابد ما عبدتم ﴾ أى ولا أنا قط فيما سلف عابد ما عبدتم فيه. والمعنى: أنه لم يعهد منى ذلك.

﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ أى وما عبدتم فى وقت من الأوقات ما أنا على عبادته ، كذا قيل ، وهذا على قول من قال : إنه لا تكرار فى هذه الآيات ؛ لأن الجملة الأولى لنفى العبادة فى المستقبل ، لما قدمنا من أن « لا » لا تدخل إلا على مضارع فى معنى الاستقبال والدليل على ذلك أن « لن » : تأكيد لما تنفيه « لا » . قال الخليل فى « لن »: إن أصله « لا» فالمعنى : لا أعبد ما تعبدون فى المستقبل . ولا أنتم عابدون فى المستقبل ما أطلبه من عبادة إلهى . ثم قال: ﴿ ولا أنا عابد ما عبدتم ﴾ أى ولست فى الحال بعابد معبودكم، ولا أنتم فى الحال بعابدين معبودى . وقيل بعكس هذا ، وهو أن الجملتين الأوليين للحال والجملتين الأخريين للاستقبال بدليل قوله : ﴿ ولا أنا عابد ما عبدتم ﴾ كما لو قال القائل : أنا ضارب زيدًا، وأنا قاتل عمرا ، فإنه لا يفهم منه إلا الاستقبال . قال الأخفش والفراء : المعنى: لا أعبد الساعة ما تعبدون، ولا أنتم عابدون الساعة ما أعبد ، ولا أنا عابد فى المستقبل ما عبدتم ، ولا أنتم عابدون فى المستقبل ما أعبد .

قال الزجاج : نفى رسول الله ﷺ بهذه السورة عبادة آلهتهم عن نفسه فى الحال وفيما يستقبل ونفى عنهم عبادة الله فى الحال وفيما يستقبل . وقيل: إن كل واحد منهما يصلح للحال والاستقبال ، ولكنا نخص أحدهما بالحال ، والثانى بالاستقبال رفعًا للتكرار . وكل هذا فيه من التكلف والتعسف ما لايخفى على منصف فإن جعل قوله : ﴿ لا أعبد ما تعبدون ﴾ للاستقبال وإن كان صحيحًا على مقتضى اللغة العربية ، ولكنه لا يتم جعل قوله : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾ للاستقبال ؛ لأن الجملة إسمية تفيد الدوام والثبات فى كل الأوقات . ولو كان حملها على الاستقبال صحيحًا ، للزم مثله فى قوله : ﴿ ولا أنا عابد ما عبدتم ﴾ ، وفى قوله : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾ فلا يتم ما قيل من حمل الجملتين الأخريين على الحال ، وكما يندفع هذا يندفع ما قيل من العكس ؛ لأن الجملة الثانية والثالثة والرابعة كلها جمل إسمية مصدرة بالضمائر التى هى المبتدأ فى كل واحد منها مخبر عنها باسم الفاعل العامل فيما بعده ، منفية كلها بحرف واحد ، وهو لفظ « لا » فى كل واحد منها ، فكيف يصح القول مع هذا الاتحاد بأن معانيها فى الحال والاستقبال مختلفة؟ وأما قول من قال: إن كل واحد منها يصلح للحال والاستقبال ، فهو إقرار منه بالتكرار ؛ لأن حمل هذا على معنى ، وحمل هذا على معنى مع الاتحاد يكون من باب التحكم الذى لا يدل عليه دليل .

(١) الواحدى فى أسباب النزول ص ٢٦١ .

وإذا تقرر لك هذا ، فاعلم أن القرآن نزل بلسان العرب ، ومن مذاهبهم التى لا تجحد ، واستعمالاتهم التى لاتنكر أنهم إذا أرادوا التأكيد كرروا ، كما أن من مذاهبهم أنهم إذا أرادوا الاختصار أوجزوا . هذا معلوم لكل من له علم بلغة العرب وهذا مما لا يحتاج إلى إقامة البرهان عليه ؛ لأنه إنما يستدل على ما فيه خفاء ، ويبرهن على ما هو متنازع فيه، وأما ما كان من الوضوح والظهور والجلاء بحيث لا يشك فيه شاك ، ولا يرتاب فيه مرتاب ، فهو مستغن عن التطويل ، غير محتاج إلى تكثير القال والقيل . وقد وقع فى القرآن من هذا ما يعلمه كل من يتلو القرآن . وربما يكثر فى بعض السور كما فى سورة الرحمن ، وسورة المرسلات ، وفى أشعار العرب من هذا ما لا يأتى عليه الحصر . ومن ذلك قول الشاعر :

يالبكر أنشروا لى كليبا ... يا لبكر أين أين الفرار

وقول الآخر :

هلا سألت جموع كنـ ... ـدة يوم ولوا أين أينا

وقول الآخر:

يا علقمة يا علقمةٌ يا علقمة ... خير تميم كلها وأكرمه

وقول الآخر :

ألا يا اسلمى ثم اسلمى ثم اسلمى ... ثلاث تحيات وإن لم تكلم

وقول آخر :

يا جعفر يا جعفر يا جعفر ... إن أك دحداحًا فأنت أقصر

وقول الآخر :

أتاك أتاك اللاحقون احبس احبس

وقد ثبت عن الصادق المصدوق ، وهو أفصح من نطق بلغة العرب أنه كان إذا تكلم بالكلمة ، أعادها ثلاث مرات . وإذا عرفت هذا ، ففائدة ما وقع فى السورة من التأكيد هو قطع أطماع الكفار عن أن يجيبهم رسول اللّه ﷺ إلى ما سألوه من عبادته آلهتهم . وإنما عبر سبحانه بـ « ما » التى لغير العقلاء فى المواضع الأربعة ؛ لأنه يجوز ذلك كما فى قوله : سبحان ما سخركن لنا ، ونحوه . والنكتة فى ذلك أن يجرى الكلام على نمط واحد ولا يختلف . وقيل: إنه أراد الصفة كأنه قال: لا أعبد الباطل ولا تعبدون الحق . وقيل : إن « ما » فى المواضع الأربعة هى المصدرية لا الموصولة، أى لا أعبد عبادتكم ، ولا أنتم عابدون عبادتى . . . إلخ ، وجملة : ﴿ لكم دينكم ﴾ مستأنفة لتقرير قوله : ﴿ لا أعبد ما تعبدون ﴾ ، وقوله : ﴿ ولا أنا عابد ما عبدتم ﴾ . كما أن قوله : ﴿ ولى دين ﴾ تقرير لقوله : ﴿ ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾

فى الموضعين ، أى إن رضيتم بدينكم فقد رضيت بدينى ، كما فى قوله : ﴿ لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ﴾ [ الشورى : ١٥ ] والمعنى: أن دينكم الذى هو الإشراك مقصور على الحصول لكم، لا يتجاوزه إلى الحصول لى كما تطمعون . ودينى الذى هو التوحيد مقصور على الحصول لى ، لا يتجاوزه إلى الحصول لكم . وقيل : المعنى : لكم جزاؤكم ولى جزائى ؛ لأن الدين الجزاء . قيل : وهذه الآية منسوخة بآية السيف وقيل ليست بمنسوخه لأنها أخبار ، والأخبار لا يدخلها النسخ . قرأ الجمهور بإسكان الياء من قوله : ﴿ ولى ﴾ . وقرأ نافع وهشام وحفص والبزى بفتحها. وقرأ الجمهور أيضًا بحذف الياء من « دينى » وقفًا ووصلا . وأثبتها نصر بن عاصم وسلام ويعقوب وصلا ووقفًا . قالوا : لأنها اسم فلا تحذف . ويجاب بأن حذفها لرعاية الفواصل سائغ وإن كانت اسمًا .

وقد أخرج ابن جرير وابن أبى حاتم والطبرانى عن ابن عباس ؛ أن قريشًا دعت رسول الله ﷺ إلى أن يعطوه مالا، فيكون أغنى رجل بمكة ، ويزوجوه ما أراد من النساء ، فقالوا : هذا لك يا محمد ، وكف عن شتم آلهتنا ، ولا تذكرها بسوء ، فإن لم تفعل فإنا نعرض عليك خصلة واحدة ولك فيها صلاح . قال : « ما هى ؟ » قالوا : تعبد آلهتنا سنة ، ونعبد إلهك سنة . قال: « حتى أنظر ما يأتينى من ربى ». فجاء الوحى من عند الله: ﴿ **قل يأيها الكافرون. لا أعبد ما تعبدون** ﴾ إلى آخر السورة . وأنزل الله : ﴿ قل أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون ﴾ إلى: ﴿ بل الله فاعبد وكن من الشاكرين ﴾ [ الزمر : ٦٤ ـ ٦٦ ] (١) .وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم ، وابن الأنبارى فى المصاحف عن سعيد بن مينا مولى أبى البحترى قال : لقى الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والأسود بن المطلب وأمية بن خلف رسول الله ، قالوا : يامحمد هلم فلنعبد ما تعبد ، وتعبد ما نعبد ، ونشترك نحن وأنت فى أمرنا كله ، فإن كان الذى نحن عليه أصح من الذى أنت عليه ، كنت قد أخذت منه حظا ، وإن كان الذى أنت عليه أصح من الذى نحن عليه كنا قد أخذنا منه حظًا ، فأنزل الله: ﴿ **قل يأيها الكافرون** ﴾ إلى آخر السورة (٢). وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس ؛ أن قريشا قالت : لو استلمت آلهتنا لعبدنا إلهك فأنزل الله : ﴿ **قل يأيها الكافرون** ﴾ السورة كلها .

---

(١ ، ٢) ابن جرير ٣٠/ ٢١٤ .

## تفسير سورة النصر

وتسمى سورة التوديع . هى ثلاث آيات . وهى مدنية بلا خلاف . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال : أنزل بالمدينة ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح﴾ . وأخرج ابن أبى شيبة وعبد ابن حميد والبزار وأبو يعلى وابن مردويه ، والبيهقى فى الدلائل عن ابن عمر قال : هذه السورة نزلت على رسول الله ﷺ أوسط أيام التشريق بمنى ، وهو فى حجة الوداع : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ حتى ختمها ، فعرف رسول الله ﷺ أنها الوداع (١) . وأخرج أحمد وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس قال : لما نزلت :﴿ إذا جاء نصر الله والفتح﴾ قال رسول الله ﷺ : « نعيت إلىَّ نفسى»(٢) . وأخرج ابن مردويه عنه قال: لما نزلت : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ قال رسول الله ﷺ : « نعيت إلى نفسى ، وقرب إلىَّ أجلى » . وأخرج النسائى وعبد الله بن أحمد فى زوائد الزهد ، وابن أبى حاتم والطبرانى وابن مردويه عنه أيضا قال: لما نزلت : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ نعيت لرسول الله نفسه حين أنزلت ، فأخذ فى أشد ما كان قط اجتهادا فى أمر الآخرة (٣) .

وأخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه عن أم حبيبة قالت : لما أنزل : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ قال رسول الله ﷺ: « إن الله لم يبعث نبيا إلا عمر فى أمته شطر ما عمر النبى الماضى قبله ، فإن عيسى ابن مريم كان أربعين سنة فى بنى إسرائيل، وهذه لى عشرون سنة ، وأنا ميت فى هذه السنة » . فبكت فاطمة ، فقال النبى ﷺ : «أنت أول أهلى بى لحوقا». فتبسمت . وأخرج البيهقى عن ابن عباس قال : لما نزلت : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح﴾ دعا رسول الله ﷺ فاطمة وقال: « إنه قد نعيت إلىَّ نفسى » فبكت ثم ضحكت ، وقالت : أخبرنى أنه نعيت إليه نفسه فبكيت ، فقال : «اصبرى فإنك أول أهلى لحاقا بى » فضحكت(٤) . وقد تقدم فى سورة الزلزلة أن هذه السورة تعدل ربع القرآن .

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ② فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ③ ﴾ .

النصر : العون ، مأخوذ من قولهم : قد نصر الغيث الأرض : إذا أعان على نباتها ، ومنع من قحطها ، ومنه قول الشاعر :

إذا انصرف الشهر الحرام فودعى ... بلاد تميم وانصرى أرض عامر

(١) البيهقى فى الدلائل ٥/ ٤٤٧ .
(٢) أحمد ١/ ٢١٧ وابن جرير ٣٠/ ٢١٦ .
(٣) النسائى فى التفسير (٧٣٢) والطبرانى (١١٩٠٣) .
(٤) البيهقى فى الدلائل ٧/ ١٦٧ .

يقال : نصره على عدوه ينصره نصرًا : إذا أعانه . والاسم النصرة . واستنصره على عدوه : إذا سأله أن ينصره عليه. قال الواحدى : قال المفسرون : إذا جاءك يا محمد نصر الله على من عاداك وهم قريش ﴿ والفتح ﴾ فتح مكة . وقيل : المراد : نصره ﷺ على قريش من غير تعيين . وقيل : نصره على من قاتله من الكفار . وقيل : هو فتح سائر البلاد . وقيل هو ما فتحه الله عليه من العلوم . وعبر عن حصول النصر والفتح بالمجىء ؛ للإيذان بأنهما متوجهان إليه ﷺ . وقيل : «إذا» بمعنى « قد » . وقيل : بمعنى « إذ » . قال الرازى : الفرق بين النصر والفتح : أن الفتح هو تحصيل المطلوب الذى كان منغلقًا، والنصر كالسبب للفتح . فلهذا بدأ بذكر النصر ، وعطف عليه الفتح . أو يقال : النصر : كمال الدين ، والفتح : إقبال الدنيا الذى هو تمام النعمة. أو يقال : النصر: الظفر، والفتح : الجنة . هذا معنى كلامه . ويقال : الأمر أوضح من هذا وأظهر ، فإن النصر هو التأييد الذى يكون به قهر الأعداء وغلبهم، والاستعلاء عليهم ، والفتح : هو فتح مساكن الأعداء ، ودخول منازلهم .

﴿ ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجًا ﴾ أى أبصرت الناس من العرب وغيرهم يدخلون فى دين الله الذى بعثك به جماعات فوجًا بعد فوج. قال الحسن: لما فتح رسول الله ﷺ مكة ،قال العرب: أما إذ ظفر محمد بأهل الحرم، وقد أجارهم الله من أصحاب الفيل فليس لكم به يدان ، فكانوا يدخلون فى دين الله أفواجًا ، أى جماعات كثيرة بعد أن كانوا يدخلون واحدًا واحدًا، واثنين اثنين، فصارت القبيلة تدخل بأسرها فى الإسلام . قال عكرمة ومقاتل : أراد بالناس : أهل اليمن ، وذلك أنه ورد من اليمن سبعمائة إنسان مؤمنين . وانتصاب ﴿أفواجًا ﴾ على الحال من فاعل يدخلون . ومحل قوله : ﴿ يدخلون فى دين الله ﴾ النصب على الحال إن كانت الرؤية بصرية، وإن كانت بمعنى العلم فهو فى محل نصب على أنه المفعول الثانى .

﴿ فسبح بحمد ربك ﴾ هذا جواب الشرط ، وهو العامل فيه ، والتقدير : فسبح بحمد ربك إذا جاء نصر الله، وقال مكى : العامل فى : « إذا » هو ﴿ جاء ﴾ . ورجحه أبو حيان ، وضعف الأول بأن ما جاء بعد فاء الجواب لا يعمل فيما قبلها . وقوله : ﴿ بحمد ربك ﴾ فى محل نصب على الحال ، أى فقل : سبحان الله ملتبسًا بحمده ، أو حامدًا له . وفيه الجمع بين تسبيح الله المؤذن بالتعجب مما يسره الله له مما لم يكن يخطر بباله ولا بال أحد من الناس . وبين الحمد له على جميل صنعه له ، وعظيم منته عليه بهذه النعمة التى هى النصر والفتح لأم القرى التى كان أهلها قد بلغوا فى عداوته إلى أعلى المبالغ حتى أخرجوه منها بعد أن افتروا عليه من الأقوال الباطلة ، والأكاذيب المختلفة ما هو معروف من قولهم : هو مجنون ، هو ساحر ، هو شاعر ، هو كاهن ، ونحو ذلك . ثم ضم سبحانه إلى ذلك أمر نبيه ﷺ بالاستغفار ، أى اطلب منه المغفرة لذنبك هضمًا لنفسك واستقصارًا لعملك ، واستدراكًا لما فرط منك من ترك ما هو الأولى .

وقد كان ﷺ يرى قصوره عن القيام بحق الله ، ويكثر من الاستغفار والتضرع ، وإن كان

قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر . وقيل : إن الاستغفار منه ﷺ ومن سائر الأنبياء هو تعبد تعبدهم الله به ، لا لطلب المغفرة لذنب كائن منهم . وقيل : إنما أمره الله سبحانه بالاستغفار تنبيهًا لأمته وتعريضًا بهم ، فكأنهم هم المأمورون بالاستغفار . وقيل: إن الله سبحانه أمره بالاستغفار لأمته لا لذنبه. وقيل : المراد بالتسبيح هنا : الصلاة . والأولى حمله على معنى التنزيه مع ما أشرنا إليه من كون فيه معنى التعجب سرورًا بالنعمة ، وفرحًا بما هيأه الله من نصر الدين ، وكبت أعدائه ، ونزول الذلة بهم ، وحصول القهر لهم . قال الحسن : أعلم الله رسوله ﷺ أنه قد اقترب أجله ، فأمره بالتسبيح والتوبة ليختم له فى آخر عمره بالزيادة فى العمل الصالح ، فكان يكثر أن يقول : «سبحانك اللهم وبحمدك ، اغفر لى إنك أنت التواب » . قال قتادة ومقاتل : وعاش ﷺ بعد نزول هذه السورة سنتين . وجملة : ﴿ إنه كان توابًا ﴾ تعليل لأمره ﷺ بالاستغفار، أى من شأنه التوبة على المستغفرين له ، يتوب عليهم ويرحمهم بقبول توبتهم . وتواب من صيغ المبالغة . ففيه دلالة على أنه سبحانه مبالغ فى قبول توبة التائبين . وقد حكى الرازى فى تفسيره اتفاق الصحابة على أن هذه السورة دلت على نعى رسول الله ﷺ .

وقد أخرج ابن مردويه عن ابن عباس ؛ أن عمر سألهم عن قول الله :﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾، فقالوا : فتح المدائن والقصور . قال : فأنت يا ابن عباس ما تقول : قال: قلت مثل ضرب لمحمد ﷺ نعيت له نفسه . وأخرج البخارى وغيره عن ابن عباس قال : كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر ، فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال:لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله ؟ فقال عمر : إنه من قد علمتم . فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم ، فما رأيت أنه دعانى فيهم يومئذ إلا ليريهم . فقال : ما تقولون فى قول الله عز وجل : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ ، فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا . وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا . فقال لى : أكذاك تقول يا ابن عباس ؟ فقلت : لا . فقال : ما تقول ؟ فقلت : هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له . قال : ﴿ إذاجاء نصرالله والفتح ﴾ فذلك علامة أجلك ﴿فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾ فقال عمر : لا أعلم منها إلا ما تقول .

وأخرج ابن النجار عن سهل بن سعد عن أبى بكر ؛ أن سورة ﴿ إذا جاء نصرالله والفتح﴾ حين أنزلت على رسول الله أن نفسه نعيت إليه . وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يكثر من قول : « سبحان الله وبحمده ، و أستغفره وأتوب إليه » . فقلت: يا رسول الله ، أراك تكثر من قول: سبحان الله وبحمده ، و أستغفر الله وأتوب إليه . فقال : « خبرنى ربى أنى سأرى علامة من أمتى . فإذا رأيتها ، أكثرت من قول سبحان الله وبحمده ، وأستغفر الله وأتوب إليه . فقد رأيتها: ﴿ إذا

جاء نصر الله والفتح ﴾ فتح مكة . ﴿ ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجًا . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ﴾ » (١) . وأخرج البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وابن ماجة وغيرهم عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده : «سبحانك اللهم وبحمدك ، اللهم اغفر لى » يتأول القرآن . يعنى : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح﴾ . وفى الباب أحاديث (٢) .

وأخرج ابن مردويه عن أبى هريرة قال: لما نزلت : ﴿ إذا جاء نصر الله والفتح ﴾ قال رسول الله ﷺ :« جاء أهل اليمن ، هم أرق قلوبا ، الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية » . وأخرج الطبرانى وابن مردويه عن ابن عباس ، قال : بينما رسول الله ﷺ فى المدينة إذ قال : « الله أكبر ، قد جاء نصر الله والفتح ، وجاء أهل اليمن ، قوم رقيقة قلوبهم ، لينة طاعتهم ، الإيمان يمان ، والفقه يمان ، والحكمة يمانية »(٣). وأخرج ابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إن الناس دخلوا فى دين الله أفواجًا ، وسيخرجون منه أفواجًا» . وأخرج الحاكم وصححه عن أبى هريرة قال : تلا رسول الله ﷺ : ﴿ ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ﴾ قال : « ليخرجن منه أفواجًا كما دخلوا فيه أفواجًا » (٤) .

---

(١) ابن جرير ٣٠/٢١٦ .

(٢) أحمد ٦/٤٣ والبخارى فى التفسير ( ٤٩٦٨ ) ومسلم فى الصلاة (٤٨٤/٢١٧) وأبو داود فى الصلاة (٨٧٧) والنسائى فى التفسير (٧٣٠) وابن ماجة فى إقامة الصلاة (٨٨٩) .

(٣) الطبرانى (١١٩٠٣).

(٤) صححه الحاكم ٤/٤٩٦ على شرط الشيخين ووافقه الذهبى .

## تفسير سورة تبت

هى خمس آيات . وهى مكية بلا خلاف . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس وابن الزبير وعائشة قالوا : نزلت ﴿تبت يدا أبى لهب﴾ بمكة .

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ① مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ② سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ③ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ④ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ ⑤ ﴾ .

معنى ﴿ تبت ﴾ : هلكت . وقال مقاتل : خسرت . وقيل : خابت . وقال عطاء : ضلت . وقيل: صفرت من كل خير . وخص اليدين بالتباب ؛ لأن أكثر العمل يكون بهما . وقيل : المراد باليدين : نفسه . وقد يعبر باليد عن النفس، كما فى قوله: ﴿ بما قدمت يداك ﴾ [ الحج : ١٠ ] أى نفسك . والعرب تعبر كثيرًا ببعض الشىء عن كله ، كقولهم : أصابته يد الدهر ، وأصابته يد المنايا ، كما فى قول الشاعر :

لما أكبت يد الرزايا عليه نادى ألا مخبر

وأبو لهب : اسمه عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم . وقوله: ﴿ وتب ﴾ أى هلك . قال الفراء : الأول دعاء عليه، والثانى خبر كما تقول : أهلكه اللّه ، وقد هلك . والمعنى : أنه قد وقع ما دعا به عليه ، ويؤيده قراءة ابن مسعود : «وقد تب» . وقيل : كلاهما إخبار . أراد بالأول : هلاك عمله ، وبالثانى :هلاك نفسه . وقيل : كلاهما دعاء عليه . ويكون فى هذا شبه من مجىء العام بعد الخاص ، وإن كان حقيقة اليدين غير مرادة . وذكره سبحانه بكنيته؛ لاشتهاره بها ، ولكون اسمه كما تقدم : عبد العزى . والعزى اسم صنم . ولكون فى هذه الكنية ما يدل على أنه ملابس للنار ؛ لأن اللهب هى لهب النار وإن كان إطلاق ذلك عليه فى الأصل لكونه كان جميلا ، وأن وجهه يتلهب لمزيد حسنه كما تتلهب النار . قرأ الجمهور : ﴿لهب ﴾ بفتح اللام والهاء . وقرأ مجاهد وحميد وابن كثير وابن محيصن بإسكان الهاء . واتفقوا على فتح الهاء فى قوله : ﴿ ذات لهب ﴾ . وروى صاحب الكشاف أنه قرئ :« تبت يدا أبو لهب » ، وذكر وجه ذلك . ﴿ ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ أى ما دفع عنه ما حل به من التباب ، وما نزل به من عذاب اللّه ما جمع من المال ولا ما كسب من الأرباح والجاه . أو المراد بقوله : ﴿ ماله ﴾ : ما ورثه من أبيه ، وبقوله : ﴿ وما كسب﴾ الذى كسبه بنفسه . قال مجاهد : ﴿ وما كسب ﴾ من ولد ، وولد الرجل من كسبه. ويجوز أن تكون « ما » فى قوله : ﴿ما أغنى ﴾ استفهامية ، أى أىّ شىء أغنى عنه ؟ وكذا يجوز فى قوله : ﴿ وما كسب ﴾ أن تكون استفهامية ، أى وأىّ شىء كسب ، ويجوز أن تكون مصدرية ، أى وكسبه . والظاهر أن

« ما » الأولى نافية ، والثانية موصولة .

ثم أوعده سبحانه بالنار فقال : ﴿ سيصلى نارًا ذات لهب ﴾ . قرأ الجمهور: ﴿ سيصلى ﴾ بفتح الياء ، وإسكان الصاد ، وتخفيف اللام ، أى سيصلى هو بنفسه . وقرأ أبو رجاء وأبو حيوة وابن مقسم والأشهب العقيلى وأبو السماك والأعمش ومحمد بن السميفع بضم الياء ، وفتح الصاد ، وتشديد اللام . ورويت هذه القراءة عن ابن كثير . والمعنى : سيصليه الله . ومعنى ﴿ ذات لهب ﴾ : ذات اشتعال وتوقد . وهى نار جهنم . ﴿ وامرأته حمالة الحطب ﴾ معطوف على الضمير فى « يصلى » . وجاز ذلك للفصل ، أى وتصلى امرأته نارًا ذات لهب . وهى أم جميل بنت حرب أخت أبى سفيان . وكانت تحمل الغضى والشوك ، فتطرحه بالليل على طريق النبى ﷺ ، كذا قال ابن زيد والضحاك والربيع بن أنس ومرة الهمدانى . وقال مجاهد وقتادة والسدى : إنها كانت تمشى بالنميمة بين الناس ، والعرب تقول : فلان يحطب على فلان : إذا نم به ، ومنه قول الشاعر :

إن بنى الأدرم حَمَّالُوا الحطــب
هُمْ الوُشاةُ فى الرِّضَا والغَضَــبْ
عليــهم اللَّــعنةُ تَتْرَى والـحَرب

وقال آخر :

من البيضِ لم يُصْطد على ظَهْرِ لأمةٍ ولم يَمْشِ بينَ الناس بالحَطَب الرطِب

وجعل الحطب فى هذا البيت رطبًا ؛لما فيه من التدخين الذى هو زيادة فى الشر ، ومن الموافقة للمشى بالنميمة . وقال سعيد بن جبير : معنى ﴿ حمالة الحطب ﴾ : أنها حمالة الخطايا والذنوب ، من قولهم : فلان يحتطب على ظهره ، كما فى قوله : ﴿ وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم ﴾ [ الأنعام : ٣١ ] . وقيل : المعنى : حمالة الحطب فى النار . قرأ الجمهور: « حمالة » بالرفع على الخبرية على أنها جملة مسوقة للإخبار بأن امرأة أبى لهب حمالة الحطب . وأما على ما قدمنا من عطف ﴿ وامرأته ﴾ على الضمير فى ﴿ تصلى ﴾ فيكون رفع « حمالة » على النعت لامرأته . والإضافة حقيقية ؛ لأنها بمعنى : المضى ، أو على أنه خبر مبتدأ محذوف ، أى هى حمالة . وقرأ عاصم بنصب : ﴿ حمالة ﴾ على الذم ، أو على أنه حال من ﴿ امرأته ﴾ .وقرأ أبو قلابة : « حاملة الحطب » .﴿ فى جيدها حبل من مسد ﴾ الجملة فى محل نصب على الحال من ﴿ امراته ﴾ . والجيد : العنق . والمسد : الليف الذى تفتل منه الحبال ، ومنه قول النابغة :

مقذوفة بدخيس النحض بازلها له صريفٌ صريفَ القَعْوِ بالمسد

وقول الآخر :

يامسد الخوص تعوذ مني إن كنت لدناً ليناً فإني

وقال أبو عبيدة : المسد : هو الحبل يكون من صوف . وقال الحسن : هي حبال تكون من شجر ينبت باليمن تسمى بالمسد . وقد تكون الحبال من جلود الإبل ، أو من أوبارها . قال الضحاك وغيره : هذا في الدنيا ، كانت تعير النبي ﷺ بالفقر ، وهي تحتطب في حبل تجعله في عنقها ، فخنقها الله به فأهلكها . وهو في الآخرة حبل من نار . وقال مجاهد وعروة بن الزبير : هو سلسلة من نار تدخل في فيها وتخرج من أسفلها . وقال قتادة : هو قلادة من ودع كانت لها . قال الحسن : إنما كان خرزاً في عنقها. وقال سعيد بن المسيب : كانت لها قلادة فاخرة من جوهر ، فقالت : واللات والعزى لأنفقنها في عداوة محمد . فيكون ذلك عذاباً في جسدها يوم القيامة . والمسد : الفتل . يقال : مسد حبله يمسده مسداً : أجاد فتله .

وقد أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس ، قال : لما نزلت : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [ الشعراء : ٢١٤] خرج النبي ﷺ حتى صعد الصفا ، فهتف : « ياصباحاه » . فاجتمعوا إليه فقال: « أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً تخرج بسفح هذا الجبل ،أكنتم مصدقيّ ؟» قالوا : ما جربنا عليك كذباً . قال : « فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» . فقال أبو لهب تباً لك ، إنما جمعتنا لهذا ؟ ثم قام ، فنزلت هذه السورة : ﴿ تبت يدا أبي لهب وتب ﴾ [(١)] . وأخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه عن ابن عباس في قوله :﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ قال : خسرت . وأخرج ابن أبي حاتم عن عائشة قالت : إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه وإن ابنه من كسبه ، ثم قرأت : ﴿ ما أغنى عنه ماله وما كسب ﴾ ، قالت: وما كسب: ولده . وأخرج عبد الرزاق والحاكم وابن مردويه عن ابن عباس في قوله :﴿ وما كسب ﴾ قال: كسبه : ولده . وأخرج ابن جرير ، والبيهقي في الدلائل ، وابن عساكر عن ابن عباس في قوله : ﴿وامرأته حمالة الحطب﴾ قال : كانت تحمل الشوك ، فتطرحه على طريق النبي ﷺ ليعقره وأصحابه . وقال : ﴿ حمالة الحطب ﴾ : نقالة الحديث .﴿ حبل من مسد ﴾ قال: هي حبال تكون بمكة . ويقال : المسد : العصا التي تكون في البكرة . ويقال: المسد: قلادة من ودع. وأخرج ابن أبي حاتم وأبو زرعة عن أسماء بنت أبي بكر ، قالت: لما نزلت: ﴿ تبت يدا أبي لهب ﴾ ، أقبلت العوراء أم جميل بنت حرب ولها ولولة ، وفي يدها فهر ، وهي تقول :

مذمما أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا

ورسول الله ﷺ جالس في المسجد ومعه أبو بكر ، فلما رآها أبو بكر قال: يارسول الله ،

---

(١) البخاري في التفسير ( ٤٩٧٢ ) ومسلم في الإيمان ( ٢٠٨ / ٣٥٥ ) والنسائي في التفسير ( ٤٤٦ ) .

قد أقبلت ، وأنا أخاف أن تراك ، فقال رسول الله ﷺ : « إنها لن ترانى » . وقرأ قرآنا اعتصم به ، كما قال تعالى : ﴿ وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابًا مستورًا ﴾ [ الإسراء : ٤٥ ] فأقبلت حتى وقفت على أبى بكر ،ولم تر رسول الله ﷺ، فقالت : يا أبا بكر ، إنى أخبرت أن صاحبك هجانى قال : لا ورب البيت ما هجاك ، فولت وهى تقول : قد علمت قريش أنى ابنة سيدها . وأخرجه البزار بمعناه ، وقال : لا نعلمه يروى بأحسن من هذا الإسناد .

## تفسير سورة الإخلاص

هى أربع آيات . وهى مكية فى قول ابن مسعود والحسن وعطاء وعكرمة وجابر . ومدنية فى أحد قولى ابن عباس وقتادة والضحاك والسدى . وأخرج أحمد ، والبخارى فى تاريخه ، والترمذى وابن جرير وابن خزيمة ، وابن أبى عاصم فى السنة ، والبغوى فى معجمه ، وابن المنذر ، وأبو الشيخ فى العظمة ، والحاكم وصححه ، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن أبى ابن كعب ؛ أن المشركين قالوا للنبى ﷺ : يامحمد ، انسب لنا ربك . فأنزل الله : ﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ولم يولد ﴾ (١) إلخ ، ليس شىء يولد إلاسيموت ، وليس شىء يموت إلا سيورث ، وإن الله لا يموت ولا يورث (٢) . ﴿ ولم يكن له كفوًا أحد ﴾ قال : لم يكن له شبيه ولا عدل ، وليس كمثله شىء . ورواه الترمذى من طريق أخرى عن أبى العالية مرسلا ، ولم يذكر أبيا ، ثم قال : وهذا أصح (٣). وأخرج أبو يعلى وابن جرير وابن المنذر ، والطبرانى فى الأوسط ، وأبو نعيم فى الحلية ، والبيهقى عن جابر قال : جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال: انسب لنا ربك ،فأنزل الله:﴿ قل هو الله أحد ﴾ إلى آخر السورة (٤). وحسن السيوطى إسناده . وأخرج الطبرانى ، وأبو الشيخ فى العظمة عن ابن مسعود قال: قالت قريش لرسول اللهّ ﷺ : انسب لنا ربك ، فنزلت هذه السورة : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ .

وأخرج ابن أبى حاتم وابن عدى ، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عباس ؛ أن اليهود جاءت إلى النبىّ ﷺ ، منهم كعب بن الأشرف وحيى بن أخطب ، فقالوا : يامحمد ، صف لنا ربك الذى بعثك ، فأنزل الله : ﴿ قل هو الله أحد . الله الصمد . لم يلد ﴾ فيخرج منه الولد ﴿ ولم يولد ﴾ فيخرج منه شىء (٥). وأخرج أبو عبيد فى فضائله، وأحمد، والنسائى فى اليوم والليلة وابن منيع ومحمد بن نصر وابن مردويه ، والضياء فى المختارة عن أبىّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ : « من قرأ :﴿ قل هو الله أحد ﴾ فكأنما قرأ ثلث القرآن»(٦). وأخرج ابن الضريس والبزار ، والبيهقى فى الشعب عن أنس عن النبىّ ﷺ : « من قرأ : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ مائتى مرة غفر له ذنب مائتى سنة » (٧). قال البزار : لا نعلم رواه عن أنس إلا الحسن بن أبى جعفر والأغلب بن تميم ، وهما يتقاربان فى سوء الحفظ .

---

(١) فى المخطوطة : ﴿ قل هو الله أحد . . . لم يلد ولم يولد ﴾ والصواب إثبات السورة كاملة .

(٢) أحمد ٥/ ١٣٤ والترمذى فى تفسير القرآن (٣٣٦٤ ) وابن جرير ٣٠/ ٢٢١ ، وصححه الحاكم ٢/ ٥٤٠ على شرط الشيخين ووافقه الذهبى، والبيهقى فى الأسماء والصفات ١/ ٤١٩ ، ٤٢٠ .

(٣) الترمذى فى التفسير ( ٣٣٦٥ ) .

(٤) أبو يعلى ( ٢٠٤٤) وابن جرير ٣٠ / ٢٢١ وقال الهيثمى فى المجمع ٧ / ١٤٩ : « رواه الطبرانى فى الأوسط ورواه أبو يعلى إلا أنه قال:إن أعرابيا أتى النبى ﷺ فقال : انسب الله ، وفيه مجالد بن سعيد . قال ابن عدى: له عن الشعبى عن جابر وبقية رجاله رجال الصحيح » .

(٥) البيهقى فى الأسماء والصفات ١ / ٤١٩ .

(٦) أحمد ٥ / ١٤١ والنسائى فى الكبرى فى عمل اليوم والليلة ( ١٠٥٢١ ، ١٠٥٢٢ ) .

(٧) البيهقى فى الشعب (٢٣١١).

وأخرج أحمد والترمذى وابن الضريس، والبيهقى فى سننه عن أنس قال : جاء رجل إلى رسول اللّه ﷺ فقال : إنى أحبّ هذه السورة ﴿ قل هو اللّه أحد﴾ ، فقال رسول اللّه ﷺ : «حبك إياها أدخلك الجنة » (١). وأخرج ابن الضريس وأبو يعلى ، وابن الأنبارى فى المصاحف عن أنس قال : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول : « أما يستطيع أحدكم أن يقرأ :﴿ قل هو اللّه أحد ﴾ ثلاث مرّات فى ليلة ؟ فإنها تعدل ثلث القرآن » وإسناده ضعيف .

وأخرج محمد بن نصر وأبو يعلى عن أنس عن رسول اللّه ﷺ قال : « من قرأ : ﴿ قل هو اللّه أحد ﴾ خمسين مرّة غفر له ذنوب خمسين سنة » وإسناده ضعيف . وأخرج الترمذى وابن عدّى ، والبيهقى فى الشعب عن أنس قال : قال رسول اللّه ﷺ : « من قرأ : ﴿ قل هو اللّه أحد ﴾ مائتى مرة ، كتب اللّه له ألفا وخمسمائة حسنة ، ومحا عنه ذنوب خمسين سنة ، إلا أن يكون عليه دين »(٢) ، وفى إسناده حاتم بن ميمون ضعفه البخارى وغيره ، ولفظ الترمذى : «من قرأ فى يوم مائتى مرة : ﴿ قل هو اللّه أحد ﴾ محى عنه ذنوب خمسين سنة ، إلا أن يكون عليه دين » ، وفى إسناده حاتم بن ميمون المذكور . وأخرج الترمذى ومحمد بن نصر وأبو يعلى وابن عدّى والبيهقى عن أنس قال : قال رسول اللّه ﷺ : «من أراد أن ينام على فراشه من الليل فنام على يمينه ، ثم قرأ : ﴿ قل هو اللّه أحد ﴾ مائة مرة ، فإذا كان يوم القيامة يقول له الربّ : ياعبدى ، ادخل على يمينك الجنة » (٣) وفى إسناده أيضا حاتم بن ميمون المذكور . قال الترمذى بعد إخراجه : غريب من حديث ثابت ، وقد روى من غير هذا الوجه عنه . وأخرج ابن سعد وابن الضريس وأبو يعلى ، والبيهقى فى الدلائل عن أنس قال: كان النبىّ ﷺ بالشام ، وفى لفظ : بتبوك ، فهبط جبريل فقال : يامحمد ، إن معاوية بن معاوية المزنى هلك ، أفتحبّ أن تصلى عليه ؟ قال : «نعم » ، فضرب بجناحه الأرض فتضعضع له كل شىء ولزق بالأرض ورفع له سريره فصلى عليه ، فقال النبىّ ﷺ : «من أىّ شىء أوتى معاوية هذا الفضل ، صلى عليه صفان من الملائكة فى كل صف ستة آلاف ملك ؟» قال : بقراءة : ﴿قل هو اللّه أحد ﴾ كان يقرؤها قائما وقاعدا وجائيا وذاهبا ونائما (٤) . وفى إسناده العلاء بن محمد الثقفى وهو متهم بالوضع . وروى عنه من وجه آخر بأطول من هذا ، وفى إسناده هذا المتهم . وفى الباب أحاديث فى هذا المعنى وغيره .

وقد روى من غير هذا الوجه أنها تعدل ثلث القرآن،وفيها ماهو صحيح وفيها ماهو حسن؛ فمن ذلك ما أخرجه مسلم ، والترمذى وصححه وغيرهما عن أبى هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : « احشدوا فإنى سأقرأ عليكم ثلث القرآن»، فحشد من حشد ، ثم خرج نبى الله ﷺ فقرأ : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ثم دخل ، فقال بعضنا لبعض : قال رسول الله ﷺ: « فإنى سأقرأ عليكم ثلث القرآن » ، ثم خرج نبى الله ﷺ فقال : « إنى قلت : سأقرأ عليكم ثلث

(١) أحمد ٣/ ١٥٠ والترمذى فى فضائل القرآن (٢٩٠١ ) وقال : « هذا حديث حسن غريب صحيح » .
(٢) الترمذى فى فضائل القرآن (٢٨٩٨) وقال : « حديث غريب » والبيهقى فى الشعب (٢٣١٦ ) .
(٣) الترمذى فى فضائل القرآن ( ٢٨٩٨) والبيهقى فى الشعب ( ٢٣١٨ ) .
(٤) البيهقى فى الدلائل ٥/ ٢٤٥، ٢٤٦ وفى الشعب (٢٣٢٠ ، ٢٣٢١) وقال : مرسل .

القرآن ، ألا وإنها تعدل ثلث القرآن » (١) . وأخرج أحمد والبخارى وغيرهما عن أبى سعيد الخدرى قال : قال رسول الله ﷺ : « والذى نفسى بيده إنها لتعدل ثلث القرآن » . يعنى: ﴿قل هو الله أحد﴾ (٢) . وأخرج أحمد والبخارى وغيرهما من حديث أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ لأصحابه: « أيعجز أحدكم أن يقرأ ثلث القرآن فى ليلة ؟ » فشق ذلك عليهم، وقالوا : أينا يطيق ذلك ؟ فقال : « الله الواحد الصمد ثلث القرآن » (٣) . وأخرج مسلم وغيره من حديث أبى الدرداء نحوه (٤) . وقد روى نحو هذا بإسناد صحيح من حديث أبى هريرة ، وحديث ابن مسعود ، وحديث أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط . وروى نحو هذا عن غير هؤلاء بأسانيد بعضها حسن ، وبعضها ضعيف .

ولو لم يرد فى فضل هذه السورة إلا حديث عائشة عند البخارى ومسلم وغيرهما أن النبى ﷺ بعث رجلا فى سرية ، فكان يقرأ لأصحابه فى صلاتهم فيختم بـ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ ، فلما رجعوا ، ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ ، فقال : «سلوه لأى شىء يصنع ذلك ؟ » فسألوه فقال : لأنها صفة الرحمن ، وأنا أحب أن أقرأ بها . فقال : « أخبروه أن الله تعالى يحبه » هذا لفظ البخارى فى كتاب التوحيد (٥) . وأخرج البخارى أيضًا فى كتاب الصلاة من حديث أنس قال : كان رجل من الأنصار يؤمهم فى مسجد قباء فكان كلما افتتح سورة فقرأ بها لهم فى الصلاة مما يقرأ به ، افتتح بـ ﴿ قل هو الله أحد ﴾ حتى يفرغ منها .ثم يقرأ سورة أخرى معها. وكان يصنع ذلك فى كل ركعة . فكلمه أصحابه فقالوا : إنك تفتتح بهذه السورة ، ثم لا ترى أنها تجزئك حتى تقرأ بالأخرى ، فإما أن تقرأ بها ،وإما أن تدعها وتقرأ بأخرى ، قال : ما أنا بتاركها إن أحببتم أن أؤمكم بذلك ، فعلت ، وإن كرهتم ، تركتكم ، وكانوا يرون أنه من أفضلهم، فكرهوا أن يؤمهم غيره ، فلما أتاهم النبى ﷺ أخبروه الخبر ، فقال : « يافلان ، ما يمنعك أن تفعل ما يأمرك به أصحابك ؟ وما حملك على لزوم هذه السورة فى كل ركعة ؟ » فقال : إنى أحبها . قال : « حبك إياها أدخلك الجنة » (٦) . وقد روى بهذا اللفظ من غير وجه عند غير البخارى (٧) .

(١) مسلم فى صلا المسافرين وقصرها (٨١٢/ ٢٦١) والترمذى فى فضائل القرآن (٢٩٠٠) وأحمد ٢/ ٤٢٩.
(٢) مالك ١/ ٢٠٨ . ط . دار الحديث ، وأحمد ٣/ ١٥ والبخارى فى التوحيد ( ٧٣٧٤ ) .
(٣) أحمد ٣/ ٨ والبخارى فى فضائل القرآن ( ٥٠١٥ ) والترمذى فى فضائل القرآن ( ٢٨٩٦ ) وقال : « هذا حديث حسن » .
(٤) مسلم فى صلاة المسافرين ( ٨١١ / ٢٥٩ ) والترمذى فى فضائل القرآن ( ٢٨٩٦ ) .
(٥) البخارى فى التوحيد ( ٧٣٧٥ ) ومسلم فى صلاة المسافرين ( ٨١٣ / ٢٦٣ ) .
(٦) البخارى فى الأذان ( ٧٧٤ ) .
(٧) الترمذى فى فضائل القرآن ( ٢٩٠١ ) وقال : «حسن غريب صحيح من هذا الوجه من حديث عبيد الله بن عمر عن ثابت » .

## بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ① اللَّهُ الصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ④ ﴾ .

قوله : ﴿ قل هو الله أحد ﴾ الضمير يجوز أن يكون عائدًا إلى ما يفهم من السياق لما قدمنا من بيان سبب النزول ، وأن المشركين قالوا : يامحمد ، انسب لنا ربك . فيكون مبتدأ ، و﴿ الله ﴾ مبتدأ ثان . و ﴿ أحد ﴾ خبر المبتدأ الثانى ، والجملة خبر المبتدأ الأول . ويجوز أن يكون ﴿ الله ﴾ بدلا من ﴿ هو ﴾ والخبر ﴿ أحد ﴾. ويجوز أن يكون اللّه خبرًا أولاً، و﴿ أحد﴾ خبرًا ثانيًا ويجوز أن يكون ﴿ أحد ﴾ خبراً لمبتدأ محذوف ، أى هو أحد . ويجوز أن يكون ﴿هو ﴾ ضمير شأن لأنه موضع تعظيم . والجملة بعده مفسرة له، وخبر عنه . والأول أولى . قال الزجاج : هو كناية عن ذكر الله ، والمعنى : إن سألتم تبيين نسبته ،هو الله أحد . قيل : وهمزة ﴿ أحد ﴾ بدل من الواو . وأصله : واحد . وقال أبو البقاء: همزة ﴿ أحد ﴾ أصل بنفسها غير مقلوبة ، وذكر أن أحد يفيد العموم دون واحد . ومما يفيد الفرق بينهما ما قاله الأزهرى : أنه لا يوصف بالأحدية غير الله تعالى ، لا يقال : رجل أحد ، ولا درهم أحد . كما يقال : رجل واحد ، ودرهم واحد . قيل : والواحد يدخل فى الأحد ، والأحد لا يدخل فيه ، فإذا قلت : لا يقاومه واحد ، جاز أن يقال : لكنه يقاومه اثنان ، بخلاف قولك : لا يقاومه أحد . وفرق ثعلب بين واحد وبين أحد : بأن الواحد يدخل فى العدد ، وأحد لا يدخل فيه . ورد عليه أبو حيان بأنه يقال : أحد وعشرون ، ونحوه ، فقد دخله العدد ، وهذا كما ترى. ومن جملة القائلين بالقلب الخليل . قرأ الجمهور: ﴿ قل هو الله أحد ﴾ بإثبات ﴿ قل ﴾. وقرأ عبد الله بن مسعود وأبى : « الله أحد » بدون ﴿ قل ﴾ . وقرأ الأعمش : « قل هو الله الواحدى » . وقرأ الجمهور بتنوين ﴿ أحد ﴾ ، وهو الأصل . وقرأ زيد بن على وأبان بن عثمان وابن أبى إسحاق والحسن وأبو السماك وأبو عمرو فى رواية عنه بحذف التنوين للخفة، كما فى قول الشاعر :

عمرو الذى هشم الثريد لقومه ورجال مكة مسنتون عجاف

وقيل : إن ترك التنوين لملاقاته لام التعريف ، فيكون الترك لأجل الفرار من التقاء الساكنين . ويجاب عنه بأن الفرار من التقاء الساكنين قد حصل مع التنوين بتحريك الأول منهما بالكسر . ﴿ الله الصمد ﴾ الاسم الشريف مبتدأ ، و ﴿الصمد﴾ خبره . والصمد : هو الذى يصمد إليه فى الحاجات ، أى يقصد لكونه قادرًا على قضائها . فهو فعل بمعنى مفعول . كالقبض بمعنى المقبوض ؛ لأنه مصمود إليه ، أى مقصود إليه . قال الزجاج : الصمد : السند الذى انتهى إليه السؤدد . فلا سيد فوقه ، قال الشاعر :

ألا بكر الناعى بخير بنى أسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وقيل : معنى الصمد : الدائم الباقى الذى لم يزل ، ولا يزول .وقيل : معنى الصمد : ما ذكر بعده من أنه الذى لم يلد ولم يولد . وقيل : هو المستغنى عن كل أحد ، والمحتاج إليه كل أحد . وقيل : هو المقصود فى الرغائب والمستعان به فى المصائب . وهذان القولان يرجعان إلى معنى القول الأول . وقيل : هو الذى يفعل ما يشاء ، ويحكم ما يريد . وقيل : هوالكامل الذى لا عيب فيه ، وقال الحسن وعكرمة والضحاك وسعيد بن جبير وسعيد بن المسيب ومجاهد وعبد الله بن بريدة وعطاء وعطية العوفى والسدى : الصمد : هو المصمت الذى لا جوف له ، ومنه قول الشاعر :

شهاب حروب لا تزال جياده عوابس يعلكن الشكيم المصمدا

وهذا لا ينافى القول الأول ؛ لجواز أن يكون هذا أصل معنى الصمد ، ثم استعمل فى السيد المصمود إليه فى الحوائج ، ولهذا أطبق على القول الأول أهل اللغة وجمهور أهل التفسير، ومنه قول الشاعر :

علوته بحسام ثم قلت له خذها حذيف فأنت السيد الصمد

وقال الزبرقان بن بدر :

سيروا جميعا بنصف الليل واعتمدوا ولا رهينة إلا سيد صمد

وتكرير الاسم الجليل ؛ للإشعار بأن من لم يتصف بذلك فهو بمعزل عن استحقاق الألوهية ، وحذف العاطف من هذه الجملة ؛ لأنها كالنتيجة للجملة الأولى . وقيل : إن الصمد صفة للاسم الشريف ، والخبر هو ما بعده . والأول أولى ؛ لأن السياق يقتضى استقلال كل جملة . ﴿ **لم يلد ولم يولد** ﴾ أى لم يصدر عنه ولد ، ولم يصدر هو عن شىء، لأنه لا يجانسه شىء ، ولاستحالة نسبة العدم إليه سابقًا ولا حقًا . قال قتادة : إن مشركى العرب قالوا: الملائكة بنات الله . وقالت اليهود : ﴿ عزير ابن الله ﴾ [ التوبة : ٣٠ ] وقالت النصارى : ﴿ المسيح ابن الله ﴾ [التوبة : ٣٠ ] فأكذبهم الله فقال : ﴿ **لم يلد ولم يولد** ﴾ . قال الرازى : قدم ذكر نفى الولد مع أن الولد مقدم؛ للاهتمام لأجل ما كان يقوله الكفار من المشركين : إن الملائكة بنات الله . واليهود : عزير ابن الله . والنصارى : المسيح ابن الله . ولم يدّع أحد له والدًا ، فلهذا السبب بدأ بالأهم فقال : ﴿ **لم يلد** ﴾ ، ثم أشار إلى الحجة فقال : ﴿ **ولم يولد** ﴾ كأنه قيل : الدليل على امتناع الولد اتفاقنا على أنه ما كان ولدًا لغيره ، وإنما عبر سبحانه بما يفيد انتفاء كونه لم يلد ولم يولد فى الماضى ، ولم يذكر ما يفيد انتفاء كونه كذلك فى المستقبل ؛ لأنه ورد جوابًا عن قولهم : ولد الله ، كما حكى الله عنهم بقوله : ﴿ ألا إنهم من إفكهم ليقولون . ولد الله ﴾ [الصافات : ١٥١ ، ١٥٢ ] فلما كان المقصود

من هذه الآية تكذيب قولهم ، وهم إنما قالوا ذلك بلفظ يفيد النفى فيما مضى ، وردت الآية لدفع قولهم هذا .

﴿ ولم يكن له كفوًا أحد ﴾ : هذه الجملة مقررة لمضمون ما قبلها ؛ لأنه سبحانه إذا كان متصفًا بالصفات المتقدمة ، كان متصفًا بكونه لم يكافئه أحد ولا يماثله ولا يشاركه فى شىء . وأخر اسم كان لرعاية الفواصل . وقوله : ﴿ له ﴾ متعلق بقوله : ﴿ كفوا ﴾ قدم عليه لرعاية الاهتمام ؛ لأن المقصود نفى المكافأة عن ذاته . وقيل : إنه فى محل نصب على الحال . والأول أولى . وقد رد المبرد على سيبويه بهذه الآية لأن سيبويه قال : إنه إذا تقدم الظرف ، كان هو الخبر، وها هنا لم يجعل خبرًا مع تقدمه . وقد رد على المبرد بوجهين : أحدهما : أن سيبويه لم يجعل ذلك حتمًا ، بل جوزه . والثانى : أنّا لا نسلم كون الظرف هنا ليس بخبر ، بل يجوز أن يكون خبرًا ، ويكون ﴿ كفوًا ﴾ منتصبًا على الحال . وحكى فى الكشاف عن سيبويه على أن الكلام العربى الفصيح أن يؤخر الظرف الذى هو لغو غير مستقر ، واقتصر فى هذه الحكاية على نقل أول كلام سيبويه ، ولم ينظر إلى آخره . فإنه قال فى آخر كلامه : والتقديم والتأخير والإلغاء والاستقرار عربى جيد كثير. انتهى . قرأ الجمهور :﴿ كفوا ﴾ بضم الكاف والفاء ، وتسهيل الهمزة ، وقرأ الأعرج وسيبويه ونافع فى رواية عنه بإسكان الفاء . وروى ذلك عن حمزة مع إبداله الهمزة واوًا وصلا ووقفًا . وقرأ نافع فى رواية عنه :« كفأ » بكسر الكاف وفتح الفاء من غير مد . وقرأ سليمان بن على بن عبد الله بن العباس كذلك مع المد ، وأنشد قول النابغة :

لا تقذفنى بركن لا كفاء له

والكفء فى لغة العرب : النظير . يقول : هذا كفؤك ، أى نظيرك . والاسم : الكفاءة بالفتح .

وقد أخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ، والمحاملى فى أماليه ، والطبرانى ، وأبو الشيخ فى العظمة عن بريد ، لا أعلمه إلا رفعه ، قال : الصمد : الذى لا جوف له ، ولا يصح رفع هذا . وأخرج ابن المنذر وابن أبى حاتم عن ابن مسعود قال: الصمد : الذى لا جوف له . وفى لفظ : ليس له أحشاء . وأخرج ابن أبى عاصم وابن جرير وابن المنذر ، والبيهقى فى الأسماء والصفات عن ابن عباس مثله . وأخرج ابن المنذر عنه قال : الصمد : الذى لا يطعم ، وهو المصمت . وقال : أو ما سمعت النائحة وهى تقول :

لقد بكر الناعى بخير بنى أسد بعمرو بن مسعود وبالسيد الصمد

وكان لا يطعم عند القتال . وقد روى عنه أنه الذى يصمد إليه فى الحوائج ، وأنه أنشد البيت ، واستدل به على هذا المعنى ، وهو أظهر فى المدح ، وأدخل فى الشرف . وليس لوصفه بأنه لا يطعم عند القتال كثير معنى . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم ،

وأبو الشيخ فى العظمة ، والبيهقى فى الأسماء والصفات من طريق على بن أبى طلحة عن ابن عباس قال : الصمد : السيد الذى قد كمل فى سؤدده ، والشريف الذى قد كمل فى شرفه ، والعظيم الذى قد كمل فى عظمته، والحليم الذى قد كمل فى حلمه ، والغنى الذى قد كمل فى غناه ، والجبار الذى قد كمل فى جبروته ، والعالم الذى قد كمل فى علمه ، والحكيم الذى قد كمل فى حكمته . وهو الذى قد كمل فى أنواع الشرف والسؤدد . وهو الله سبحانه . هذه صفة لا تنبغى إلا له ، ليس له كفو ، وليس كمثله شىء . وأخرج ابن أبى حاتم وابن جرير وابن المنذر والبيهقى عن ابن مسعود قال : الصمد : هو السيد الذى قد انتهى سؤدده فلا شىء أسود منه . وأخرج ابن أبى حاتم ، وأبو الشيخ فى العظمة عن ابن عباس قال : الصمد : الذى تصمد إليه الأشياء إذا نزل بهم كربة أو بلاء . وأخرج ابن جرير من طرق عنه فى قوله : ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾ قال : ليس له كفو ولا مثل .

## تفسير سورة الفلق

هى خمس آيات . وهى مكية فى قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر . ومدنية فى أحد قولى ابن عباس وقتادة . وأخرج أحمد والبزار والطبرانى وابن مردويه من طرق ، قال السيوطى: صحيحة ، عن ابن مسعود ؛ أنه كان يحك المعوذتين فى المصحف يقول : لا تخلطوا القرآن بما ليس منه ، إنهما ليستا من كتاب الله ، إنما أمر النبى ﷺ أن يتعوذ بهما، وكان ابن مسعود لا يقرأ بهما (١) . قال البزار : لم يتابع ابن مسعود أحد من الصحابة . وقد صح عن النبى ﷺ أنه قرأ بهما فى الصلاة ، وأثبتتا فى المصحف (٢) . وأخرج أحمد والبخارى والنسائى وغيرهم عن زر بن حبيش قال : أتيت المدينة فلقيت أبى بن كعب ، فقلت له : أبا المنذر إنى رأيت ابن مسعود لا يكتب المعوذتين فى مصحفه ، فقال : أما والذى بعث محمداً بالحق لقد سألت رسول الله ﷺ عنهما ، وما سألنى عنهما أحد منذ سألته (٣) غيرك . قال : « قيل لى : قل ، فقلت، فقولوا » . فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ(٤) . وأخرج الطبرانى عن ابن مسعود أن النبى ﷺ سئل عن هاتين السورتين فقال : « قيل لى ، فقلت، فقولوا كما قلت » (٥) .

وأخرج مسلم والترمذى والنسائى وغيرهم عن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « أنزلت على الليلة آيات لم أر مثلهن قط : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ ، و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ »(٦) . وأخرج ابن الضريس وابن الأنبارى ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه فى الشعب عن عقبة بن عامر قال : قلت يا رسول الله ، أقرئنى سورة يوسف ، وسورة هود . قال: « يا عقبة اقرأ بـ ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ فإنك لن تقرأ سورة أحب إلى الله وأبلغ منها، فإذا استطعت أن لا تفوتك ، فافعل » (٧) . وأخرج ابن سعد والنسائى والبغوى والبيهقى عن أبى حابس الجهنى ؛ أن رسول الله ﷺ قال : « يا أبا حابس ، أخبرك بأفضل ما تعوذ به المتعوذون ؟ » قال : بلى يا رسول الله ، قال : « ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ هما المعوذتان » (٨) . وأخرج الترمذى وحسنه وابن مردويه والبيهقى عن أبى سعيد الخدرى، قال : كان رسول الله ﷺ يتعوذ من عين الجان ، ومن عين الإنس ، فلما نزلت سورة المعوذتين ، أخذ بهما ، وترك ما سوى ذلك(٩) . وأخرج أبو داود والنسائى ، والحاكم

---

(١) أحمد ٥/ ١٢٩ ، ١٣٠ و الطبرانى ( ٩١٤٨ ، ٩١٥٢ ) .
(٢) النسائى فى الكبرى فى الاستعاذة ( ٧٨٥١ ) عن عقبة بن عامر .
(٣) فى المطبوعة : « سأله » والصحيح ما أثبتناه من المخطوطة .
(٤) أحمد ٥/ ١٢٩ والبخارى فى التفسير ( ٧٩٧٦ / ٧٩٧٧ ) والنسائى فى التفسير ( ٧٦٤ ) وابن حبان ( ٧٩٤ ) .
(٥) الطبرانى ( ٩١٥١ ، ٩١٥٢ ) وقال الهيثمى فى المجمع ٧/ ١٥٣ : « فيه إسماعيل بن مسلم وهو ضعيف » .
(٦) أحمد ٤ / ١٤٤ ومسلم فى صلاة المسافرين ( ٨١٤ / ٢٦٤ ) والترمذى فى تفسير القرآن ( ٣٣٦٧ ) والنسائى فى الكبرى فى الاستعاذة (٧٨٥٥ ) .
(٧) صححه الحاكم ٢/ ٥٤٠ ووافقه الذهبى .
(٨) النسائى فى الكبرى فى الاستعاذة ( ٧٨٤١ ) والبيهقى فى الشعب ( ٢٣٣٩ ) ورجاله موثقون .
(٩) الترمذى فى الطب ( ٢٠٥٨ ) وقال : « حسن غريب » والبيهقى فى الشعب ( ٢٣٢٩ ) ورجاله ثقات .

وصححه عن ابن مسعود ؛ أن النبى ﷺ كان يكره عشرخصال، ومنها أنه كان يكره الرقى إلا بالمعوذتين .

وأخرج ابن مردويه عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : « من أحب السور إلى الله: ﴿ قل أعوذ برب الفلق﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ ».وأخرج النسائى وابن الضريس ، وابن حبان فى صحيحه ، وابن الأنبارى وابن مردويه عن جابر بن عبد الله ، قال: أخذ بمنكبى رسول الله ﷺ ، ثم قال : « اقرأ » . قلت : ما أقرأ بأبى أنت وأمى ؟ قال : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ . ثم قال : « اقرأ » . قلت : بأبى أنت وأمى ما أقرأ ؟ قال : «﴿قل أعوذ برب الناس ﴾ ولم تقرأ بمثلهما» [١] . وأخرج مالك فى الموطأ عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة؛ أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى يقرأ على نفسه بالمعوذتين وينفث ، فلما اشتد وجعه ، كنت أقرأ عليه وأمسح بيده عليه رجاء بركتهما [٢] . وأخرجه البخارى ومسلم فى صحيحيهما من طريق مالك بالإسناد المذكور [٣] .

وأخرج عبد بن حميد فى مسنده عن زيد بن أرقم قال: سحر النبى ﷺ رجل من اليهود ، فاشتكى فأتاه جبريل ، فنزل عليه بالمعوذتين ، وقال : إن رجلاً من اليهود سحرك ، والسحر فى بئر فلان ، فأرسل عليا فجاء به ، فأمره أن يحل العقد ، ويقرأ آية ويحل ، حتى قام النبى ﷺ كأنما نشط من عقال . وأخرجه ابن مردويه والبيهقى من حديث عائشة مطولا. وكذلك أخرجه ابن مردويه من حديث ابن عباس . وقد ورد فى فضل المعوذتين وفى قراءة رسول الله ﷺ لهما فى الصلاة وغيرهما أحاديث . وفيما ذكرناه كفاية . وأخرج الطبرانى فى الصغير عن على بن أبى طالب قال : لدغت النبى ﷺ عقرب وهو يصلى . فلما فرغ قال : « لعن الله العقرب ، لا تدع مصلياً ولا غيره» ثم دعا بماء وملح، وجعل يمسح عليها ويقرأ : ﴿قل يأيها الكافرون ﴾ و ﴿ قل هو الله أحد ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ و ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾[٤] .

## بسم الله الرحمن الرحيم

**﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (١) مِن شَرِّ مَا خَلَقَ (٢) وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (٣) وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (٤) وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (٥) ﴾ .**

الفلق : الصبح . يقال : هو أبين من فلق الصبح . وسمى فلقا ؛ لأنه يفلق عنه الليل . وهو فعل بمعنى مفعول . قال الزجاج : لأن الليل ينفلق عنه الصبح ، ويكون بمعنى مفعول .

(١) النسائى فى الكبرى فى الاستعاذة ( ٧٨٥٤ ) وابن حبان ( ٧٩٣ ) .
(٢) مالك ٢/ ٩٤٣ . ط . دار الحديث .
(٣) البخارى فى فضائل القرآن ( ٥٠١٦ ) ومسلم فى السلام ( ٢١٩٢ / ٥١ ) .
(٤) قال الهيثمى فى المجمع ٥/ ١١٤ : « رواه الطبرانى فى الصغير وإسناده حسن » .

يقال : هو أبين من فلق الصبح ، ومن فرق الصبح . وهذا قول جمهور المفسرين ، ومنه قول ذى الرمة :

حتى إذا ما انجلى عن وجهه فلق هادئة فى أخريات الليل منتصب

وقول الآخر :

يا ليلة لم أنمها بت مرتفقا أرعى النجوم إلى أن نور الفلق

وقيل : هو سجن فى جهنم . وقيل : هو اسم من أسماء جهنم . وقيل : شجرة فى النار . وقيل : هو الجبال والصخور؛ لأنها تفلق بالمياه ، أى تشقق . وقيل : هو التفليق بين الجبال ؛ لأنها تنشق من خوف الله . قال النحاس : يقال لكل ما اطمأن من الأرض : فلق ، ومنه قول زهير :

مازلت أرمقهم حتى إذا هبطت أيدى الركاب بهم من راكس فلقا

والراكس : بطن الوادى ، ومثله قول النابغة :

أتانى ودونى راكس فالضواجع

وقيل : هو الرحم تنفلق بالحيوان . وقيل : هو كل ما انفلق عن جميع ما خلق الله من الحيوان ، والصبح ، والحب ، والنوى ، وكل شىء من نبات وغيره . قال الحسن والضحاك : قال القرطبى : هذا القول يشهد له الانشقاق ، فإن الفلق : الشق. فلقت الشىء فلقاً : شققته. والتفليق مثله . يقال : فلقته فانفلق وتفلق . فكل ما انفلق عن شىء من حيوان وصبح وحب ونوى وماء فهو فلق . قال الله سبحانه: ﴿ فالق الإصباح ﴾ [ الأنعام : ٩٦ ] ، وقال: ﴿ فالق الحب والنوى﴾ [الأنعام : ٩٥ ] . انتهى . والقول الأول أولى ؛ لأن المعنى وإن كان أعم منه وأوسع مما تضمنه ، لكنه المتبادر عند الإطلاق. وقد قيل فى وجه تخصيص الفلق الإيماء إلى أن القادر على إزالة هذه الظلمات الشديدة عن كل هذا العالم يقدر أيضاً أن يدفع عن العائذ كل ما يخافه ويخشاه . وقيل : طلوع الصبح ، كالمثال لمجىء الفرج . فكما أن الإنسان فى الليل يكون منتظراً لطلوع الصباح كذلك الخائف يكون مترقباً لطلوع صباح النجاح . وقيل : غير هذا مما هو مجرد بيان مناسبة ليس فيها كثير فائدة تتعلق بالتفسير .

﴿ من شر ما خلق ﴾ متعلق بـ ﴿ أعوذ ﴾ أى من شر كل ما خلقه سبحانه من جميع مخلوقاته ، فيعم جميع الشرور. وقيل : هو إبليس وذريته . وقيل : جهنم . ولا وجه لهذا التخصيصْ ، كما أنه لا وجه لتخصيص من خصص هذا العموم بالمضار البدنية . وقد حرَّف بعض المتعصبين هذه الآية مدافعة عن مذهبه ، وتقويماً لباطله ، فقرؤوا بتنوين : «شر» على أن « ما » نافية ، والمعنى : من شر لم يخلقه . ومنهم عمرو بن عبيد ، وعمرو بن عائذ . ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ الغاسق: الليل . والغسق : الظلمة. يقال : غسق الليل يغسق : إذا

أظلم . قال الفراء : يقال : غسق الليل وأغسق : إذا أظلم ، ومنه قول قيس بن الرقيات :

إن هذا الليل قد غسقا واشتكيت الهم والأرقا

وقال الزجاج : قيل : ليل غاسق لأنه أبرد من النهار . والغاسق : البارد . والغسق : البرد . ولأن فى الليل تخرج السباع من آجامها ، والهوام من أماكنها ، وينبعث أهل الشر على العبث والفساد، كذا قال . وهو قول بارد ، فإن أهل اللغة على خلافه ، وكذا جمهور المفسرين . ووقوبه : دخول ظلامه ، ومنه قول الشاعر :

وقب العذاب عليهم فكأنهم لحقتهم نار السموم فأخمدوا

أى دخل العذاب عليهم . ويقال : وقبت الشمس : إذا غابت . وقيل: الغاسق : الثريا. وذلك أنها إذا سقطت ، كثرت الأسقام والطواعين ، وإذا طلعت ارتفع ذلك ، وبه قال ابن زيد. وهذا محتاج إلى نقل عن العرب أنهم يصفون الثريا بالغسوق . وقال الزهرى : هو الشمس إذا غربت ، وكأنه لاحظ معنى الوقوب ، ولم يلاحظ معنى الغسوق . وقيل: هو القمر إذا خسف . وقيل : إذا غاب . وبهذا قال قتادة وغيره . واستدلوا بحديث أخرجه أحمد والترمذى وابن جرير وابن المنذر ، وأبو الشيخ فى العظمة ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه عن عائشة قالت : نظر رسول الله ﷺ يوماً إلى القمر لما طلع فقال : « يا عائشة ، استعيذى بالله من شر هذا ، فإن هذا هو الغاسق إذا وقب » (١) . قال الترمذى بعد إخراجه : حسن صحيح . وهذا لا ينافى قول الجمهور ؛ لأن القمر آية الليل ، ولا يوجد له سلطان إلا فيه . وهكذا يقال فى جواب من قال : إنه الثريا . قال ابن الأعرابى فى تأويل هذا الحديث : وذلك أن أهل الريب يتحينون وجبة القمر . وقيل : الغاسق : الحية إذا لدغت . وقيل : الغاسق : كل هاجم يضر كائناً ما كان ، من قولهم : غسقت القرحة : إذا جرى صديدها. وقيل : الغاسق : هو السائل. وقد عرفناك أن الراجح فى تفسير هذه الآية هو ما قاله أهل القول الأول. ووجه تخصيصه أن الشر فيه أكثر ، والتحرز من الشرور فيه أصعب ، ومنه قولهم : الليل أخفى للويل . ﴿ **ومن شر النفاثات فى العقد** ﴾ النفاثات : هن السواحر ، أى ومن شر النفوس النفاثات ، أو النساء النفاثات . والنفث: النفخ . كما يفعل ذلك من يرقى ويسحر. قيل : مع ريق . وقيل بدون ريق . والعقد : جمع عقدة . وذلك أنهن لن ينفثن فى عقد الخيوط حين يسحرن بها ، ومنه قول عنترة :

فإن يبرأ فلم أنفث عليه وإن يعقد فحق له العقود

وقول متمم بن نويرة :

---

(١) أحمد ٦/ ٢٣٧ والترمذى فى تفسير القرآن ( ٣٣٦٦ ) وقال : « حسن صحيح » وابن جرير ٣٠/ ٢٢٧ ، وصححه الحاكم ٢/ ٥٤٠ ، ٥٤١ ووافقه الذهبى .

نفث فى الخيط شبيه الرقى من خشية الجنة والحاسد

قال أبو عبيدة : النفاثات : هن بنات لبيد الأعصم اليهودى ، سحرن النبى ﷺ . قرأ الجمهور : ﴿ النفاثات ﴾ جمع نفاثة على المبالغة . وقرأ يعقوب وعبد الرحمن بن ساباط وعيسى بن عمر : « النافثات » جمع نافثة . وقرأ الحسن : «النُفاثات » بضم النون . وقرأ أبو الربيع : « النفثات » بدون ألف . ﴿ ومن شر حاسد إذا حسد﴾ الحسد : تمنى زوال النعمة التى أنعم الله بها على المحسود . ومعنى ﴿ إذا حسد ﴾ : إذا أظهر ما فى نفسه من الحسد ، وعمل بمقتضاه ، وحمله الحسد على إيقاع الشر بالمحسود . قال عمر بن عبد العزيز : لم أر ظالماً أشبه بالمظلوم من حاسد . وقد نظم الشاعر هذا المعنى فقال :

قل للحسود إذا تنفس طعنة يا ظالماً وكأنه مظلوم

ذكر الله سبحانه فى هذه السورة إرشاد رسوله ﷺ إلى الاستعاذة من شركل مخلوقاته على العموم ، ثم ذكر بعض الشرور على الخصوص مع اندراجه تحت العموم لزيادة شره ، ومزيد ضره ، وهو الغاسق ، والنفاثات ، والحاسد ؛ فكان هؤلاء لما فيهم من مزيد الشر حقيقون بإفراد كل واحد منهم بالذكر .

وقد أخرج ابن مردويه عن عمرو بن عبسة قال : صلى بنا رسول الله ﷺ فقرأ : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ فقال: «يا ابن عبسة ، أتدرى ما الفلق ؟ » قلت: الله ورسوله أعلم. قال : « بئر فى جهنم » . وأخرجه ابن أبى حاتم من قول عمرو بن عبسة غير مرفوع . وأخرج ابن مردويه عن عقبة بن عامر قال : قال لى رسول الله ﷺ : « اقرأ :﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ هل تدرى ما الفلق ؟ باب فى النار إذا فتحت ، سعرت جهنم » . وأخرج ابن مردويه والديلمى عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : سألت رسول الله ﷺ عن قول الله عز وجل : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ﴾ فقال:« هو سجن فى جهنم يحبس فيه الجبارون والمتكبرون ، وإن جهنم لتتعوذ بالله منه » . وأخرج ابن جرير عن أبى هريرة عن النبى ﷺ ، قال : « الفلق : جب فى جهنم » [1] . وهذه الأحاديث لو كانت صحيحة ثابتة عن رسول الله ﷺ ، لكان المصير إليها واجباً ، والقول بها متعيناً .

وأخرج ابن جرير عن ابن عباس قال : الفلق : سجن فى جهنم . وأخرج ابن جرير وابن أبى حاتم وابن مردويه عن جابر بن عبد الله قال : الفلق : الصبح .وأخرج ابن جرير عن ابن عباس مثله . وأخرج ابن جرير وابن المنذر وابن أبى حاتم عنه قال : الفلق :الخلق . وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه عن أبى هريرة عن النبى ﷺ فى قوله : ﴿ ومن شر

(١) ابن جرير ٣٠/٢٢٧.

**غاسق إذا وقب﴾** قال [١] : « النجم هو الغاسق ، وهو الثريا » [٢] . وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم من وجه آخر عنه غير مرفوع . وقد قدمنا تأويل هذا ، وتأويل ما ورد أن الغاسق القمر .

وأخرج أبو الشيخ عنه أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ: « إذا ارتفعت النجوم ، رفعت كل عاهة عن كل بلد » . وهذا لو صح ، لم يكن فيه دليل على أن الغاسق هو النجم أو النجوم . وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن ابن عباس : ﴿**ومن شر غاسق إذا وقب** ﴾ قال : الليل إذا أقبل . وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس : ﴿ **ومن شر النفاثات فى العقد**﴾ قال : الساحرات . وأخرج ابن جرير عنه فى الآية قال : هو ما خالط السحر من الرقى . وأخرج النسائى وابن مردويه عن أبى هريرة ؛ أن النبى ﷺ قال : « من عقد عقدة ثم نفث فيها ، فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً ،وكل إليه» [٣] . وأخرج ابن سعد وابن ماجة والحاكم وابن مردويه عن أبى هريرة قال :جاء النبى ﷺ يعودنى فقال : « ألا أرقيك برقية رقانى بها جبريل ؟ » فقلت : بلى بأبى أنت وأمى. قال : « بسم الله أرقيك ،والله يشفيك من كل داء فيك، من شر النفاثات فى العقد ، ومن شر حاسد إذا حسد » . فرقى بها ثلاث مرات [٤] . وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس فى قوله : ﴿ **ومن شر حاسد إذا حسد** ﴾ قال : نفس ابن آدم وعينه .

(١) فى المطبوعة : « وقال » والصحيح حذف الواو كما بالمخطوطة .
(٢) ابن جرير ٣٠/ ٢٢٧ .
(٣) النسائى فى الكبرى فى المحاربة ( ٣٥٤٢ ) .
(٤) ابن ماجة فى الطب ( ٣٥٢٤ ) والحاكم ٢/ ٥٤١ .

## تفسير سورة الناس

هى ست آيات . والخلاف فى كونها مكية أو مدنية كالخلاف الذى تقدم فى سورة الفلق . وأخرج ابن مردويه عن ابن عباس ، قال : أنزل بمكة ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ . وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير قال : أنزل بالمدينة ﴿ قل أعوذ برب الناس ﴾ . وقد قدمنا فى سورة الفلق ما ورد فى سبب نزول هذه السورة ، وما ورد فى فضلها فارجع إليه .

### بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ① مَلِكِ النَّاسِ ② إِلَهِ النَّاسِ ③ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ④ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ⑤ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ⑥ ﴾ .

قرأ الجمهور : ﴿ قل أعوذ ﴾ بالهمزة . وقرئ بحذفها ونقل حركتها إلى اللام . وقرأ الجمهور بترك الإمالة فى الناس. وقرأ الكسائى بالإمالة . ومعنى ﴿ رب الناس ﴾ : مالك أمرهم ، ومصلح أحوالهم . وإنما قال : ﴿رب الناس﴾ مع أنه رب جميع مخلوقاته للدلالة على شرفهم ، ولكون الاستعاذة وقعت من شر ما يوسوس فى صدورهم . وقوله : ﴿ملك الناس ﴾ عطف بيان جىء به لبيان أن ربيته سبحانه ليست كربية سائر الملاك لما تحت أيديهم من مماليكهم، بل بطريق الملك الكامل ، والسلطان القاهر . ﴿ إله الناس ﴾ هو أيضاً عطف بيان كالذى قبله ، لبيان أن ربوبيته وملكه قد انضم إليهما المعبودية المؤسسة على الألوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلى بالاتحاد والإعدام . وأيضا الرب قد يكون ملكاً ، وقد لا يكون ملكاً ، كما يقال : رب الدار ، ورب المتاع ، ومنه قوله : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ﴾ [ التوبة : ٣١ ] فبين أنه ملك الناس، ثم الملك قد يكون إلهاً ، وقد لا يكون، فبين أنه إله ؛ لأن اسم الإله خاص به لا يشاركه فيه أحد . وأيضا بدأ باسم الرب ، وهو اسم لمن قام بتدبيره وإصلاحه من أوائل عمره إلى أن صار عاقلاً كاملاً ، فحينئذ عرف بالدليل أنه عبد مملوك ، فذكر أنه ملك الناس. ثم لما علم أن العبادة لازمة له واجبة عليه، وأنه عبد مخلوق، وأن خالقه إله معبود ،بين سبحانه أنه إله الناس ،وكرر لفظ الناس فى الثلاثة المواضع ؛ لأن عطف البيان يحتاج إلى مزية الإظهار ، ولأن التكرير يقتضى مزيد شرف الناس.

﴿ من شر الوسواس ﴾ قال الفراء : هو بفتح الواو ، بمعنى الاسم ، أى الموسوس ، وبكسرها المصدر ، أى الوسوسة، كالزلزال بمعنى الزلزلة . وقيل : هو بالفتح اسم بمعنى الوسوسة . والوسوسة : هى حديث النفس . يقال : وسوست إليه نفسه وسوسة ، أى حدثته حديثاً ، وأصلها الصوت الخفى . ومنه قيل لأصوات الحلى : وسواس ، ومنه قول الأعشى :

تسمع للحلى وسواساً إذا انصرفت

قال الزجاج : الوسواس : هو الشيطان ، أى ذى الوسواس . ويقال : إن الوسواس :ابن لإبليس . وقد سبق تحقيق معنى الوسوسة فى تفسير قوله : ﴿ فوسوس لهما الشيطان ﴾ [الأعراف : ٢٠ ] ﴿ **الخناس** ﴾ : كثير الخنس ، وهو التأخر . يقال : خنس يخنس : إذا تأخر ، ومنه قول العلاء بن الحضرمى يمدح رسول الله ﷺ :

فإن دخسوا بالشر فاعف تكرماً وإن خنسوا عند الحديث فلا تسل

قال مجاهد : إذا ذكر الله ، خنس وانقبض . وإذا لم يذكر ، انبسط على القلب . ووصف بالخناس ؛ لأنه كثير الاختفاء ، ومنه قوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بالخنس ﴾ [ التكوير: ١٥ ] يعنى : النجوم ؛ لاختفائها بعد ظهورها كما تقدم. وقيل : الخناس : اسم لابن إبليس كما تقدم فى الوسواس . ﴿ **الذى يوسوس فى صدور الناس** ﴾ الموصول يجوز أن يكون فى محل جر نعتاً للوسواس ، ويجوز أن يكون منصوبا على الذم ، ويجوز أن يكون مرفوعاً على تقدير مبتدأ . وقد تقدم معنى الوسوسة . قال قتادة : إن الشيطان له خرطوم كخرطوم الكلب فى صدر الإنسان ، فإذا غفل ابن آدم عن ذكر الله وسوس له . وإذا ذكر العبد ربه ، خنس . قال مقاتل : إن الشيطان فى صورة خنزير يجرى من ابن آدم مجرى الدم فى عروقه، سلطه الله على ذلك . ووسوسته : هى الدعاء إلى طاعته بكلام خفى يصل إلى القلب من غير سماع صوت .

ثم بين سبحانه الذى يوسوس بأنه ضربان : جنى ، وإنسى ، فقال : ﴿ **من الجنة والناس**﴾ أما شيطان الجن فيوسوس فى صدور الناس ، وأما شيطان الإنس فوسوسته فى صدور الناس أنه يرى نفسه كالناصح المشفق ، فيوقع فى الصدر من كلامه الذى أخرجه مخرج النصيحة ما يوقع الشيطان فيه بوسوسته كما قال سبحانه : ﴿شياطين الإنس والجن ﴾ [ الأنعام: ١١٢ ] ويجوز أن يكون متعلقاً بـ ﴿ **يوسوس** ﴾ أى يوسوس فى صدورهم من جهة الجنة ، ومن جهة الناس . ويجوز أن يكون بياناً للناس . قال الرازى : وقال قوم : ﴿ **من الجنة والناس**﴾ قسمان مندرجان تحت قوله : ﴿ **فى صدور الناس** ﴾؛ لأن القدر المشترك بين الجن والإنس يسمى إنسانا . والإنسان أيضاً يسمى إنسانا ، فيكون لفظ الإنسان واقعا على الجنس والنوع بالاشتراك . والدليل على أن لفظ الإنسان يندرج فيه لفظ الإنس والجن ما روى أنه جاء نفر من الجن فقيل لهم : من أنتم ؟ قالوا : ناس من الجن . وأيضا قد سماهم الله رجالاً فى قوله : ﴿ وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن﴾ [ الجن : ٦ ] . وقيل : يجوز أن يكون المراد : أعوذ برب الناس من الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس ومن الجنة والناس ، كأنه استعاذ ربه من ذلك الشيطان الواحد ، ثم استعاذ بربه من جميع الجنة والناس . وقيل : المراد بالناس : الناسى ، وسقطت الباء كسقوطها فى قوله : ﴿ يوم يدع الداع﴾ [ القمر : ٦ ] ثم بين بالجنة والناس ؛ لأن كل فرد من أفراد الفريقين فى الغالب مبتلى

بالنسيان . وأحسن من هذا أن يكون قوله : ﴿ والناس ﴾ معطوفاً على الوسواس ، أى من شر الوسواس ، ومن شر الناس ، كأنه أمر أن يستعيذ من شر الجن والإنس . قال الحسن : أما شيطان الجن فيوسوس فى صدور الناس ، وأما شيطان الإنس فيأتى علانية . وقال قتادة : إن من الجن شياطين ، وإن من الإنس شياطين ، فتعوذ بالله من شياطين الجن والإنس . وقيل : إن إبليس يوسوس فى صدور الجن كما يوسوس فى صدور الإنس ، وواحد الجنة جنى ، كما أن واحد الإنس إنسى . والقول الأول هو أرجح هذه الأقوال . وإن كان وسوسة الإنس فى صدور الناس لا تكون إلا بالمعنى الذى قدمنا . ويكون هذا البيان تذكر الثقلين للإرشاد إلى أن من استعاذ بالله منهما ، ارتفعت عنه محن الدنيا والآخرة .

وقد أخرج ابن أبى داود عن معاوية [1] فى قوله : ﴿ الوسواس الخناس ﴾ قال : مثل الشيطان كمثل ابن عرس واضع فمه على فم القلب فيوسوس إليه ، فإن ذكر الله خنس ، وإن سكت عاد إليه ، فهو الوسواس الخناس . وأخرج ابن أبى الدنيا فى مكايد الشيطان ، وأبو يعلى وابن شاهين ، والبيهقى فى الشعب عن أنس عن النبى ﷺ قال : « إن الشيطان واضع خطمه على قلب ابن آدم ، فإن ذكر الله خنس ، وإن نسيه التقم قلبه ، فذلك الوسواس الخناس» [2] . وأخرج ابن أبى شيبة وابن جرير وابن مردويه عن ابن عباس فى قوله : ﴿الوسواس الخناس ﴾ قال: الشيطان جاث على قلب ابن آدم ، فإذا سها وغفل وسوس ، وإذا ذكر الله خنس . وأخرج ابن أبى الدنيا وابن جرير وابن المنذر ، والحاكم وصححه ، وابن مردويه ، والضياء فى المختارة ، والبيهقى عنه قال : ما من مولود يولد إلا على قلبه الوسواس، فإذا ذكر الله خنس ، وإذا غفل وسوس ، فذلك قوله : ﴿ الوسواس الخناس﴾ . وقد ورد فى معنى هذا غيره ، وظاهره أن مطلق ذكر الله يطرد الشيطان ، وإن لم يكن على طريق الاستعاذة. ولذكر الله سبحانه فوائد جليلة حاصلها الفوز بخيرى الدنيا والآخرة .

وإلى هنا انتهى هذا التفسير المبارك بقلم مؤلفه محمد بن على بن محمد الشوكانى ، غفر الله له ذنوبه . وكان الفراغ منه فى ضحوة يوم السبت ، لعله الثامن والعشرون من شهر رجب أحد شهور سنة تسع وعشرين ، بعد مائتين وألف سنة من الهجرة النبوية .

اللهم كما مننت على بإكمال هذا التفسير ، وأعنتنى على تحصيله ، وتفضلت على بالفراغ منه ، فامنن على بقبوله، واجعله لى ذخيرة خير عندك ، وأجزل لى المثوبة بما لاقيته من التعب والنصب فى تحريره وتقريره ، وانفع به من شئت من عبادك ليدوم لى الانتفاع به بعد موتى ، فإن هذا هو المقصد الجليل من التصنيف ، واجعله خالصاً لك ، وتجاوز عنى إذا خطر لى من

---

(١) فى المخطوطة : « ابن عباس » وفى الدر المنثور ٦/ ٤٢٠ : « معاوية » .

(٢) قال الهيثمى فى المجمع ٧ / ١٥٢ : « رواه أبو يعلى ، وفيه عدى بن عمارة وهو ضعيف » والبيهقى فى الشعب ( ٥٣٦ ) وإسناده ضعيف .

خواطر السوء ما فيه شائبة تخالف الإخلاص ، واغفر لى ما لا يطابق مرادك ، فإنى لم أقصد فى جميع أبحاثى فيه إلا إصابة الحق وموافقة ما ترضاه ، فإن أخطأت فأنت غافر الخطيئات ، ومسبل ذيل الستر على الهفوات ، يابارئ البريات ، وأحمدك لا أحصى حمداً لك ، وأشكرك لا أحصى شكرك، أنت كما أثنيت على نفسك ، وأصلى وأسلم على رسولك وآله . ا هـ .

تم سماعاً على مؤلفه ، حفظ الله عزته يوم الإثنين صبح اليوم الخامس من شهر ربيع الأول سنة ١٢٤١ هـ .

كتبه

يحيى بن على الشوكانى

غفرالله لهما

# فهرس الموضوعات

## تفسير سورة الجاثية

٥ قوله تعالى : ﴿حم . تنزيل الكتاب من الله ... ﴾ الآيات . آيات قدرة الله ـ جزاء الكافرين ـ الآثار الواردة .
٩ قوله تعالى : ﴿ ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب ... ﴾ الآيات . المقصود بالعالمين ـ من الذى اتخذ إلهه هواه ؟ الآثار الواردة .
١٣ قوله تعالى : ﴿ ولله ملك السموات والأرض ... ﴾ الآيات . معنى جاثية ـ معنى نستنسخ ـ جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين ـ الآثار الواردة .

## تفسير سورة الأحقاف

١٧ قوله تعالى : ﴿ حم . تنزيل الكتاب ... ﴾ الآيات . المراد بالأجل المسمى ـ معنى ﴿ أثارة من علم ﴾ ـ الآثار الواردة .
٢١ قوله تعالى : ﴿ قل أرأيتم إن كان من عند الله ... ﴾ الآيات .جزاء الاستقامة ـ الوصية بالوالدين ـ بلوغ الأشد وبلوغ أربعين سنة وما يستكثر منه عند بلوغ الأربعين ـ الآثار الواردة .
٢٦ قوله تعالى : ﴿ والذى قال لوالديه أف لكما ... ﴾ الآيات . جزاء من عصى والديه وهما يدعوانه إلى الجنة ـ الآثار الواردة .
٢٩ قوله تعالى : ﴿ واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه ... ﴾ الآيات . قصة هود مع قومه وما هى عاقبة تكذيبهم ؟ الآثار الواردة .
٣٣ قوله تعالى : ﴿ وإذ صرفنا إليك نفرا من الجن ... ﴾ الآيات . دعوة الرسول ﷺ الجن ـ دلائل قدرة الله على البعث ـ الآثار الواردة .

## تفسير سورة محمد

٣٨ قوله تعالى : ﴿ الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ... ﴾ الآيات . واجب المسلمين فى قتال الكفار ـ عاقبة الكافرين فى الآخرة ـ الآثار الواردة .
٤٤ قوله تعالى : ﴿ وكأين من قرية هى أشد قوة ... ﴾ الآيات . ذكر جانب من نعيم الجنة ـ الآثار الواردة .
٤٩ قوله تعالى : ﴿ ويقول الذين آمنوا ... ﴾ الآيات . حال المنافقين إذا نزلت آيات الجهاد ـ البعد عن القرآن مفسدة ـ الآثار الواردة .
٥٣ قوله تعالى : ﴿ إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ... ﴾ الآيات. نهى المؤمنين عن الوهن ؛ لأنهم الأعلون بدينهم ـ الآثار الواردة

## تفسير سورة الفتح

فضل سورة الفتح .
٥٨ قوله تعالى : ﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبينا ... ﴾ الآيات . ما هو الفتح المبين ؟ معنى ﴿ ما تقدم من ذنبك ﴾ ــ الآثار الواردة .
٦٣ قوله تعالى : ﴿ إنا أرسلناك شاهدا ... ﴾ الآيات . بيعة رسول الله ﷺ بيعة لله ــ حال المخلفين ــ الآثار الواردة .
٦٦ قوله تعالى : ﴿ قل للمخلفين من الأعراب ... ﴾ الآيات . معنى ﴿ أثابهم فتحاً قريبا ﴾ ــ فى أى تكليف رفع الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض ؟ الآثار الواردة .
٧٠ قوله تعالى : ﴿ هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد ... ﴾ الآيات . ما هى الرؤيا ؟ صفة أتباع رسول الله ﷺ ــ الآثار الواردة .

## تفسير سورة الحجرات

٧٨ قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ... ﴾ الآيات . آداب أدب الله بها الأمة مع رسول الله ﷺ ــ كيف نتعامل مع ناقل الأخبار غير الحسنة ؟ الآثار الواردة .
٨٣ قوله تعالى : ﴿ وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا ... ﴾ الآيات . أحكام البغاة ــ النهى عن بعض الأعمال التى تفسد العلاقة بين المسلمين ــ الآثار الواردة .
٨٩ قوله تعالى : ﴿ يأيها الناس إنا خلقناكم ... ﴾ الآيات . حقوق الإنسانية وأساس التفاضل ــ صفات المؤمنين العاملين ــ الآثار الواردة .

## تفسير سورة ق

٩٣ ما ورد فى فضل سورة ق .
٩٣ قوله تعالى : ﴿ ق . والقرآن المجيد . بل عجبوا ... ﴾ الآيات . مم يعجب الكافرون ؟ رد الله على عجبهم ــ الآثار الواردة .
٩٨ قوله تعالى : ﴿ ولقد خلقنا الإنسان ... ﴾ الآيات . الإنسان تحت الرقابة الدائمة ــ حاله يوم يرى عمله يوم القيامة ــ الآثار الواردة .
١٠٥ قوله تعالى : ﴿ وكم أهلكنا قبلهم من قرن ... ﴾ الآيات . الآثار الواردة .

## تفسير سورة الذاريات

١٠٩ قوله تعالى : ﴿ والذاريات ذروا ... ﴾ الآيات . ما الذاريات ؟ وما الحاملات ؟ وما المقسمات ؟ ما معنى الحبك ؟ الآثار الواردة .
١١٥ قوله تعالى : ﴿ هل أتاك حديث ضيف إبراهيم ... ﴾ الآيات . قصة نبى الله إبراهيم مع الملائكة ــ الآثار الواردة .
١١٨ قوله تعالى : ﴿ وفى موسى إذ أرسلناه إلى فرعون ... ﴾ الآيات . عاقبة فرعون ــ عاقبة عاد ــ عاقبة ثمود ــ لماذا خلق الله الخلق ؟ الآثار الواردة .

## تفسير سورة الطور

١٢٤ ما ورد فى سورة الطور .
١٢٤ قوله تعالى : ﴿ والطور وكتاب مسطور ... ﴾ الآيات . ما معنى المقسم به فى أول السورة ؟ حال الكافرين وحال المتقين يوم القيامة ــ الآثار الواردة .
١٢٨ قوله تعالى : ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ... ﴾ الآيات . العمل الصالح ينفع الأبناء ــ الرد على من اتهموا الرسول بالشعر والجنون ــ الآثار الواردة .
١٣٣ قوله تعالى : ﴿ أم خلقوا من غير شىء ... ﴾ الآيات . إظهار عجز الكفار ــ الآثار الواردة .

## تفسير سورة النجم

١٣٧ ما ورد فى سورة النجم .
١٣٧ قوله تعالى : ﴿ والنجم إذا هوى ... ﴾ الآيات . ما المراد بالنجم ؟ معنى ﴿ ذو مرة فاستوى . وهو بالأفق الأعلى ﴾ ــ معنى ﴿ ولقد رآه نزلة أخرى ﴾ ــ الآيات الكبرى ــ الآثار الواردة .
١٤٧ قوله تعالى : ﴿ إن الذين لا يؤمنون بالآخرة ليسمون ... ﴾ الآيات . معنى الظن والعلم ؟ النهى عن تزكية النفس ــ الآثار الواردة .
١٥٣ قوله تعالى : ﴿ وأنه هو أضحك وأبكى ... ﴾ الآيات . بيان قدرة الله ــ الآثار الواردة .

## تفسير سورة القمر

١٥٨ ما ورد فى فضل سورة القمر .
١٥٨ قوله تعالى : ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ... ﴾ الآيات . حادثة انشقاق القمر ــ قصة سيدنا نوح ــ الآثار الواردة .
١٦٥ قوله تعالى : ﴿ كذبت عاد فكيف كان عذابى ... ﴾ الآيات . قصة عاد ــ قصة ثمود ــ قصة قوم لوط وعاقبة كل منهم ــ الآثار الواردة .
١٦٩ قوله تعالى : ﴿ ولقد جاء آل فرعون النذر ... ﴾ الآيات . قصة فرعون ــ الآثار الواردة .

## تفسير سورة الرحمن

١٧٣ ما ورد فى فضل سورة الرحمن .
١٧٣ قوله تعالى : ﴿ الرحمن . علم القرآن ... ﴾ الآيات . الامتنان على العباد بالعلم والنعم ــ لماذا كررت ﴿ فبأى آلاء ربكما تكذبان ﴾ ؟ الآثار الواردة .
١٧٩ قوله تعالى : ﴿ كل من عليها فان ... ﴾ الآيات . الآثار الواردة .
١٨٥ قوله تعالى : ﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ... ﴾ الآيات . الآثار الواردة .

## تفسير سورة الواقعة

١٩٥ ما ورد فى فضل سورة الواقعة .
١٩٥ قوله تعالى : ﴿إذا وقعت الواقعة ...﴾ الآيات . علامات القيامة ــ أصناف الناس ــ الآثار الواردة .

٢٠٢ قوله تعالى : ﴿ وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين ... ﴾ الآيات . حال أصحاب اليمين وحال أصحاب الشمال ـ الآثار الواردة .
٢٠٨ قوله تعالى : ﴿ نحن خلقناكم فلولا تصدقون ... ﴾ الآيات . قدرة الله فى الخلق ـ الآثار الواردة .
٢١١ قوله تعالى : ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ... ﴾ الآيات . معنى « لا » فى ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ ـ ما هو الكتاب ؟ ومن المطهرون ؟ الآثار الواردة .

## تفسير سورة الحديد

٢١٩ ما ورد فى فضل سورة الحديد .
٢١٩ قوله تعالى : ﴿ سبح لله ما فى السموات ... ﴾ الآيات . من يسبح بلسان الحال ومن يسبح بلسان المقال ؟ صفات الله سبحانه وتعالى ـ الآثار الواردة .
٢٢١ قوله تعالى : ﴿ آمنوا بالله ورسوله ... ﴾ الآيات . الحض على النفقة ـ من أنفق قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من اللاحقين ـ الآثار الواردة .
٢٢٥ قوله تعالى : ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات ... ﴾ الآيات . حال المؤمنين وحال المنافقين ـ الآثار الواردة .
٢٢٨ قوله تعالى : ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم ... ﴾ الآيات . حض المؤمنين على الخضوع للحق وأن ذلك ممكن بالعمل الصالح ـ الآثار الواردة .
٢٣٢ قوله تعالى : ﴿ اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ... ﴾ الآيات . مثل الدنيا ـ ما قدر الله واقع ـ الآثار الواردة .
٢٣٥ قوله تعالى : ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات ... ﴾ الآيات . إعذار الله للعباد بإرسال الرسل ـ عدم رعاية أهل الكتاب بما كلفوا به أنفسهم ـ الآثار الواردة .

## تفسير سورة المجادلة

٢٤٠ قوله تعالى : ﴿ قد سمع الله قول التى تجادلك ... ﴾ الآيات . قصة خولة وأوس بن الصامت ـ أحكام الظهار ـ الآثار الواردة .
٢٤٥ قوله تعالى : ﴿ إن الذين يحادون اللهّ ورسوله ... ﴾ الآيات . حال من يحاد الله ورسوله فى الدنيا والآخرة ـ النجوى لا تعود بخير على المتناجين ولا يجب أن تحزن المؤمنين ـ الآثار الواردة .
٢٥٠ قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا ... ﴾ الآيات . أدب المجلس ـ الصدقة عند السؤال ـ نسخ الحكم السابق ـ الآثار الواردة .
٢٥٤ قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين تولوا ... ﴾ الآيات . المنافقون يوالون اليهود ـ جزاء كل ـ موالاة المؤمنين لله ورسوله ـ جزاؤهم ـ الآثار الواردة .

## تفسير سورة الحشر

٢٥٨ قوله تعالى : ﴿ سبح لله ما فى السموات وما فى الأرض ﴾ الآيات . منة الله على المسلمين

وهزيمة بنى النضير ــ حكم الفيء ــ الآثار الواردة .
٢٦٦ قوله تعالى : ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا ... ﴾ الآيات . الإيثار مع الخصاصة صفة المفلحين ــ حب اللاحقين من المؤمنين للسابقين ــ الآثار الواردة .
٢٧٠ قوله تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين نافقوا ... ﴾ الآيات . موالاة المنافقين لليهود ووعدهم لهم بالقتال معهم ضد رسول الله ﷺ ــ حالهم حين يواجهون المؤمنين ــ الآثار الواردة .
٥٢٧ قوله تعالى : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل ... ﴾ الآيات . مثل لعلو شأن القرآن وتأثيره فى النفوس ــ ذكر الأسماء الحسنى ــ الآثار الواردة .

## تفسير سورة الممتحنة

٢٧٩ قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوى ... ﴾ الآيات . النهى عن موالاة الكافرين ــ الآثار الواردة .
٢٨١ قوله تعالى : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة ... ﴾ الآيات . الأسوة بنبى الله إبراهيم حين تبرأ من كفار قومه ــ أحكام التعامل مع الكفار ــ الآثار الواردة .
٢٨٥ قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا إذا جاءكم ... ﴾ الآيات . اختبار النساء المهاجرات ــ بيعة النساء ــ الآثار الواردة .

## تفسير سورة الصف

٢٩١ قوله تعالى : ﴿ سبح لله ما فى السموات ... ﴾ الآيات . القول الصالح والفعل الصالح قرينان ــ الجهاد ووحدة الصف أهم الأعمال ــ بشارة عيسى برسولنا عليهما الصلاة والسلام ــ الآثار الواردة .
٢٩٥ قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا هل أدلكم ... ﴾ الآيات . التجارة الرابحة ــ الآثار الواردة .

## تفسير سورة الجمعة

٢٩٨ ما ورد فى سورة الجمعة .
٢٨٩ قوله تعالى : ﴿ يسبح لله ما فى السموات ... ﴾ الآيات . فضل الله على هذه الأمة ــ مثل اليهود حين لم يعملوا بكتابهم ورد دعواهم بأنهم شعب الله المختار ــ الآثار الواردة .

## تفسير سورة المنافقون

٣٠٥ ما ورد فى سورة المنافقون .
٣٠٥ قوله تعالى : ﴿ إذا جاءك المنافقون ... ﴾ الآيات . صفات المنافقين ــ الآثار الواردة .
٣٠٩ قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ... ﴾ الآيات . الآثار الواردة .

## تفسير سورة التغابن

٣١٢ ما ورد فى سورة التغابن .
٣١٢ قوله تعالى : ﴿ يسبح لله ما فى السموات ... ﴾ الآيات . بعض صفات الله ــ الآثار الواردة .
٣١٤ قوله تعالى : ﴿ زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا ... ﴾ الآيات . الرد على زعم من قال بعدم البعث ــ لماذا سمى يوم القيامة بيوم الجمع ويوم التغابن ؟ ما قدر الله يقع لا محالة ــ الآثار الواردة .
٣١٦ قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم ... ﴾ الآيات . الآثار الواردة .

## تفسير سورة الطلاق

٣١٩ قوله تعالى : ﴿ يأيها النبى إذا طلقتم النساء ... ﴾ الآيات . الطلاق وبعض أحكامه ــ بعض أحكام العدة ــ الآثار الواردة .
٣٢٥ قوله تعالى : ﴿ أسكنوهن من حيث سكنتم ... ﴾ الآيات . نفقة المطلقة والمرضعة ــ الآثار الواردة .

## تفسير سورة التحريم

٣٣١ قوله تعالى : ﴿ يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك ... ﴾ الآيات . عتاب الله رسوله فى تحريم مارية ــ الآثار الواردة .
٣٣٦ قوله تعالى : ﴿ يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ... ﴾ الآيات . الآثار الواردة .
٣٣٩ قوله تعالى : ﴿ يأيها النبى جاهد الكفار ... ﴾ الآيات . مثل المؤمنين ومثل الكافرين ــ الآثار الواردة .

## تفسير سورة تبارك

٣٤٢ ما ورد فى فضل سورة تبارك .
٣٤٣ قوله تعالى : ﴿ تبارك الذى بيده الملك ... ﴾ الآيات . حكمة خلق الموت والحياة ــ النظر إلى السماء والعبرة ــ حال الكفار حين يعاينون العذاب ــ الآثار الواردة .
٣٤٧ قوله تعالى : ﴿ إن الذين يخشون ربهم ... ﴾ الآيات . ما امتن الله به على عباده ــ ما خوف الله به الكفار ــ الآثار الواردة .
٣٥٠ قوله تعالى : ﴿ أفمن يمشى مكبا على وجهه ... ﴾ الآيات . قدرة الله سبحانه فوق خلقه ــ الآثار الواردة .

## تفسير سورة القلم

٣٥٤ قوله تعالى : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ... ﴾ الآيات . معنى ﴿ ن ﴾ ــ صفات الكافرين ــ الآثار الواردة .
٣٥٩ قوله تعالى : ﴿ إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة ... ﴾ الآيات . قصة أصحاب الجنة وعاقبة البخل والشح ــ الآثار الواردة .

٣٦٣ **قوله تعالىٰ :** ﴿ إن للمتقين عند ربهم جنات النعيم ... ﴾ الآيات . ما للمتقين عند الله يوم القيامة ـ معنى ﴿ يكشف عن ساق ﴾ ـ الآثار الواردة .

## تفسير سورة الحاقة

٣٧٠ ما ورد فى سورة الحاقة .
٣٧٠ **قوله تعالى:** ﴿ الحاقة . ما الحاقة ... ﴾ الآيات . ما فعل الله بعاد وثمود وفرعون وقوم نوح ـ الآثار الواردة .
٣٧٦ **قوله تعالى :** ﴿ فأما من أوتى كتابه ... ﴾ الآيات . حال الناس يوم القيامة ـ صدق رسولنا وأمانته وبرهان الله على ذلك ـ الآثار الواردة .

## تفسير سورة المعارج

٣٨٢ **قوله تعالى :** ﴿ سأل سائل بعذاب واقع . للكافرين ... ﴾ الآيات . مقدار يوم القيامة ـ الآثار الواردة .
٣٨٧ **قوله تعالى :** ﴿ إن الإنسان خلق هلوعا ... ﴾ الآيات . طبيعة الإنسان ـ صفات المؤمنين ـ الآثار الواردة .
٣٩١ **قوله تعالى :** ﴿ فلا أقسم برب المشارق والمغارب ... ﴾ الآيات . وعيد الله للكافرين ـ الآثار الواردة .

## تفسير سورة نوح

٣٩٣ **قوله تعالى :** ﴿ إنا أرسلنا نوحا إلى قومه ...﴾ الآيات . طرائق دعوة سيدنا نوح إلى لقومه ـ الآثار الواردة .
٣٩٧ **قوله تعالى :** ﴿ قال نوح رب إنهم عصونى ... ﴾ الآيات . شكوى نوح إلى ربه ودعاؤه على قومه بالهلاك ـ الآثار الواردة .

## تفسير سورة الجن

٤٠١ **قوله تعالى :** ﴿ قل أوحى إلى أنه استمع نفر ... ﴾ الآيات . هل رأى رسول الله ﷺ الجن وهم يستمعون إليه ؟هل يدخل المؤمنون من الجن الجنة ؟ الآثار الواردة .
٤٠٧ **قوله تعالى :** ﴿ وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون ﴾ الآيات . حال مؤمن الجن وحال كافرهم ـ معنى ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ﴾ ـ الآثار الواردة .

## تفسير سورة المزمل

٤١٧ ما ورد فى سورة المزمل .
٤١٧ **قوله تعالى :** ﴿ يأيها المزمل . قم الليل إلا قليلا ... ﴾ الآيات . معنى ﴿ المزمل ﴾ ـ أمر الرسول ﷺ بقيام الليل هل هو منسوخ أم محكم ؟ ذكر فرعون كنموذج حتى يخاف المشركين فيؤمنوا ـ الآثار الواردة .

٤٢٥ قوله تعالى : ﴿ إن هذه تذكرة ... ﴾ الآيات . هل نسخت الآيات وجوب قيام الليل ؟ الآثار الواردة .

## تفسير سورة المدثر

٤٢٩ قوله تعالى : ﴿ يأيها المدثر . قم فأنذر ... ﴾ الآيات . سبب نزول الآيات ـ وعيد الله لمن جحد نعمه وكفر به ـ الآثار الواردة .
٤٣٦ قوله تعالى : ﴿ وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة ... ﴾ الآيات ؟ عدة أهل النار وحكمتها ـ الآثار الواردة .
٤٤٠ قوله تعالى : ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ... ﴾ الآيات . الآثار الواردة .

## تفسير سورة القيامة

٤٤٤ قوله تعالى : ﴿ لا أقسم بيوم القيامة ... ﴾ الآيات . الرد على منكرى البعث ـ طمأنة الرسول على حفظ القرآن ـ ما ورد فى رؤية الله ـ الآثار الواردة .
٤٥٢ قوله تعالى : ﴿ كلا إذا بلغت التراقى ... ﴾ الآيات . حال الناس عند الموت ـ وتذكير الإنسان بالقيامة ـ الآثار الواردة .

## تفسير سورة الإنسان

٤٥٦ ما ورد فى الإنسان .
٤٥٦ قوله تعالى : ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ... ﴾ الآيات . من الذى أتى عليه حين لم يكن مذكورا ؟ ما أعده الله للأبرار ـ الآثار الواردة .
٤٦٣ قوله تعالى : ﴿ متكئين فيها على الأرائك ... ﴾ الآيات . وصف الأبرار فى الجنان ـ الآثار الواردة .
٤٦٧ قوله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلا ... ﴾ الآيات . الآثار الواردة .

## تفسير سورة المرسلات

٤٧١ ما ورد فى سورة المرسلات .
٤٧١ قوله تعالى : ﴿ والمرسلات عرفا . فالعاصفات عصفا ... ﴾ الآيات . ما هى المرسلات والعاصفات والناشرات والفارقات والملقيات ؟ لماذا تكررت ﴿ ويل يومئذ للمكذبين﴾ ؟ الآثار الواردة .
٤٧٥ قوله تعالى : ﴿ انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون ... ﴾ الآيات . حال الكفار يوم القيامة ـ الآثار الواردة .

## تفسير سورة النبأ

٤٨٠ قوله تعالى : ﴿ عم يتساءلون ... ﴾ الآيات . ما النبأ العظيم ؟ دلائل البعث ـ الآثار الواردة .
٤٨٨ قوله تعالى : ﴿ إن للمتقين مفازا ... ﴾ الآيات . ما أعده الله للمتقين ـ الآثار الواردة .

## تفسير سورة النازعات

٤٩٣ قوله تعالى : ﴿ والنازعات غرقا . والناشطات نشطا ... ﴾ الآيات . ما هى النازعات والناشطات والسابحات والسابقات والمدبرات ؟ قصة سيدنا موسى مع فرعون ــ الآثار الواردة .

٥٠١ قوله تعالى : ﴿ أأنتم أشد خلقا أم السماء ... ﴾ الآيات . بيان قدرة الله ــ حال الناس يوم القيامة ــ الآثار الواردة .

## تفسير سورة عبس

٥٠٧ قوله تعالى : ﴿ عبس وتولى . أن جاءه الأعمى ... ﴾ السورة . قصة ابن أم مكتوم مع رسول الله ﷺ ــ حال الناس أثناء القيامة ــ الآثار الواردة .

## تفسير سورة التكوير

٥١٥ ما ورد فى سورة التكوير .

٥١٥ قوله تعالى : ﴿ إذا الشمس كورت ... ﴾ السورة . الرد على ما اتهم به رسول الله ﷺ وبيان قدر القرآن وجلاله ــ الآثار الواردة .

## تفسير سورة الانفطار

٥٢٥ ما ورد فى سورة الانفطار .

٥٢٥ قوله تعالى : ﴿ إذا السماء انفطرت ... ﴾ السورة . تذكير الإنسان بالخلق ــ مصير الأبرار والفجار ــ الآثار الواردة .

## تفسير سورة المطففين

٥٢٩ ما ورد فى سورة المطففين .

٥٢٩ قوله تعالى : ﴿ ويل للمطففين ... ﴾ الآيات . وصف المطففين ــ معنى ﴿ سجين ﴾ ــ الآثار الواردة .

٥٣٤ قوله تعالى : ﴿ كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين ... ﴾ الآيات . حال الأبرار فى القيامة ــ حال المستهزئين ــ الآثار الواردة .

## تفسير سورة الانشقاق

٥٣٩ ما ورد فى سورة الانشقاق .

٥٣٩ قوله تعالى : ﴿ إذا السماء انشقت ... ﴾ السورة . التذكير بحال الناس فى الحشر ــ الآثار الواردة .

## تفسير سورة البروج

٥٤٧ ما ورد فى سورة البروج .
٥٤٧ قوله تعالى : ﴿ والسماء ذات البروج ... ﴾ السورة . قصة أصحاب الأخدود ـ جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين ـ الآثار الواردة .

## تفسير سورة الطارق

٥٥٧ ما ورد فى سورة الطارق .
٥٥٧ قوله تعالى : ﴿ والسماء والطارق ... ﴾ السورة . معنى ﴿ الثاقب ﴾ ـ بيان قدرة الله ـ الآثار الواردة .

## تفسير سورة الأعلى

٥٦٣ ما ورد فى سورة الأعلى .
٥٦٤ قوله تعالى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ... ﴾ السورة . نعوت الله سبحانه ـ الذكرى تنفع المؤمن ـ الآثار الواردة .

## تفسير سورة الغاشية

٥٧١ ما ورد فى سورة الغاشية .
٥٧١ قوله تعالى : ﴿ هل أتاك حديث الغاشية ... ﴾ السورة. حال أهل الجنة وحال أهل النار ـ الآثار الواردة.

## تفسير سورة الفجر

٥٧٧ ما ورد فى سورة الفجر .
٥٧٧ قوله تعالى : ﴿ والفجر وليال عشر ... ﴾ الآيات . معنى﴿ إرم ذات العماد ﴾ ـ الآثار الواردة.
٥٨٥ قوله تعالى : ﴿ فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ... ﴾ الآيات . المقياس الخاطئ للإنسان فى نظرته إلى رضا الله ـ ذم عدم إكرام اليتيم ـ الآثار الواردة .

## تفسير سورة البلد

٥٩١ قوله تعالى : ﴿ لا أقسم بهذا البلد ... ﴾ السورة . غرور الإنسان ـ الآثار الواردة .

## تفسير سورة الشمس

٥٩٨ ما ورد فى سورة الشمس .
٥٩٨ قوله تعالى : ﴿ والشمس وضحاها ... ﴾ السورة . الآثار الواردة .

## تفسير سورة الليل

٦٠٤ ما ورد فى سورة الليل .
٦٠٤ قوله تعالى : ﴿والليل إذا يغشى ...﴾ السورة. الأعمال الصالحة والطالحة وجزاء كل ـ الآثار الواردة .

## تفسير سورة الضحى

٦١٠ ما ورد فى سورة الضحى .
٦١٠ **قوله تعالى :** ﴿ والضحى والليل إذا سجى ... ﴾ السورة . الآثار الواردة .

## تفسير سورة ألم نشرح

٦١٧ **قوله تعالى :** ﴿ ألم نشرح لك صدرك ... ﴾ السورة . الآثار الواردة .

## تفسير سورة التين

٦٢٢ **قوله تعالى :** ﴿ والتين والزيتون ... ﴾ السورة . الآثار الواردة .

## تفسير سورة العلق

٦٢٧ ما ورد فى سورة العلق .
٦٢٧ **قوله تعالى :** ﴿ اقرأ باسم ربك الذى خلق ... ﴾ السورة . الآثار الواردة .

## تفسير سورة القدر

٦٣٣ **قوله تعالى :** ﴿ إنا أنزلناه فى ليلة القدر ... ﴾ السورة . تعيين ليلة القدر واختلاف العلماء فى ذلك ــ الآثار الواردة .

## تفسير سورة البينة

٦٣٦ ما ورد فى سورة لم يكن .
٦٣٦ **قوله تعالى :** ﴿ لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب ... ﴾ السورة . معنى ﴿ لم يكن الذين كفروا ﴾ ــ الآثار الواردة .

## تفسير سورة الزلزلة

٦٤٢ ما ورد فى سورة الزلزلة .
٦٤٣ **قوله تعالى :** ﴿ إذا زلزلت الأرض ... ﴾ السورة . الآثار الواردة .

## تفسير سورة العاديات

٦٤٧ ما ورد فى فضل سورة العاديات .
٦٤٧ **قوله تعالى :** ﴿ والعاديات ضبحا ... ﴾ السورة . مامعنى كنود ؟ الآثار الواردة .

## تفسير سورة القارعة

٦٥٣ **قوله تعالى :** ﴿ القارعة . ما القارعة ﴾ السورة . الآثار الواردة .

## تفسير سورة التكاثر

٦٥٦ ما ورد فى سورة التكاثر .
٦٥٦ قوله تعالى : ﴿ ألهاكم التكاثر ... ﴾ السورة . الآثار الواردة .

## تفسير سورة العصر

٦٦١ ما ورد فى سورة العصر .
٦٦١ قوله تعالى : ﴿ والعصر إن الإنسان لفى خسر ... ﴾ السورة . الآثار الواردة .

## تفسير سورة الهمزة

٦٦٣ قوله تعالى : ﴿ ويل لكل همزة لمزة ... ﴾ السورة . الآثار الواردة .

## تفسير سورة الفيل

٦٦٦ قوله تعالى : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك ... ﴾ السورة . معنى ﴿ أبابيل ﴾ ـ الآثار الواردة .

## تفسير سورة قريش

٦٦٩ ما ورد فى سورة قريش .
٦٦٩ قوله تعالى : ﴿ لإيلاف قريش ... ﴾ السورة . الآثار الواردة .

## تفسير سورة الماعون

٦٧٣ قوله تعالى : ﴿ أرأيت الذى يكذب بالدين ... ﴾ السورة . الآثار الواردة .

## تفسير سورة الكوثر

٦٧٧ قوله تعالى : ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ... ﴾ السورة . الآثار الواردة .

## تفسير سورة الكافرون

٦٧٧ ما ورد فى سورة الكافرون .
٦٧٧ قوله تعالى : ﴿ قل يأيها الكافرون ... ﴾ السورة . الآثار الواردة .

## تفسير سورة النصر

٦٨٦ ما ورد فى سورة النصر .
٦٨٦ قوله تعالى : ﴿ إذا جاء نصر الله ... ﴾ السورة . الآثار الواردة .

## تفسير سورة تبت

٦٩٠ قوله تعالى : ﴿ تبت يدا أبى لهب ... ﴾ السورة . معنى المسد ـ الآثار الواردة

## تفسير سورة الإخلاص

٦٩٤ ما ورد فى فضل سورة الإخلاص .
٦٩٦ **قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ... ﴾** السورة . الآثار الواردة .

## تفسير سورة الفلق

٧٠١ ما ورد فى سورة الفلق .
٧٠٢ **قوله تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الفلق ... ﴾** السورة . معنى ﴿ غاسق إذا وقب ﴾ ــ الآثار الواردة.

## تفسير سورة الناس

٧٠٧ **قوله تعالى : ﴿ قل أعوذ برب الناس ... ﴾** السورة . معنى ﴿ الخناس ﴾ ــ الآثار الواردة .

رقم الإيداع : ٥٩٦٧ / ١٩٩٤ م

I.S.B.N:977-15-0122-4